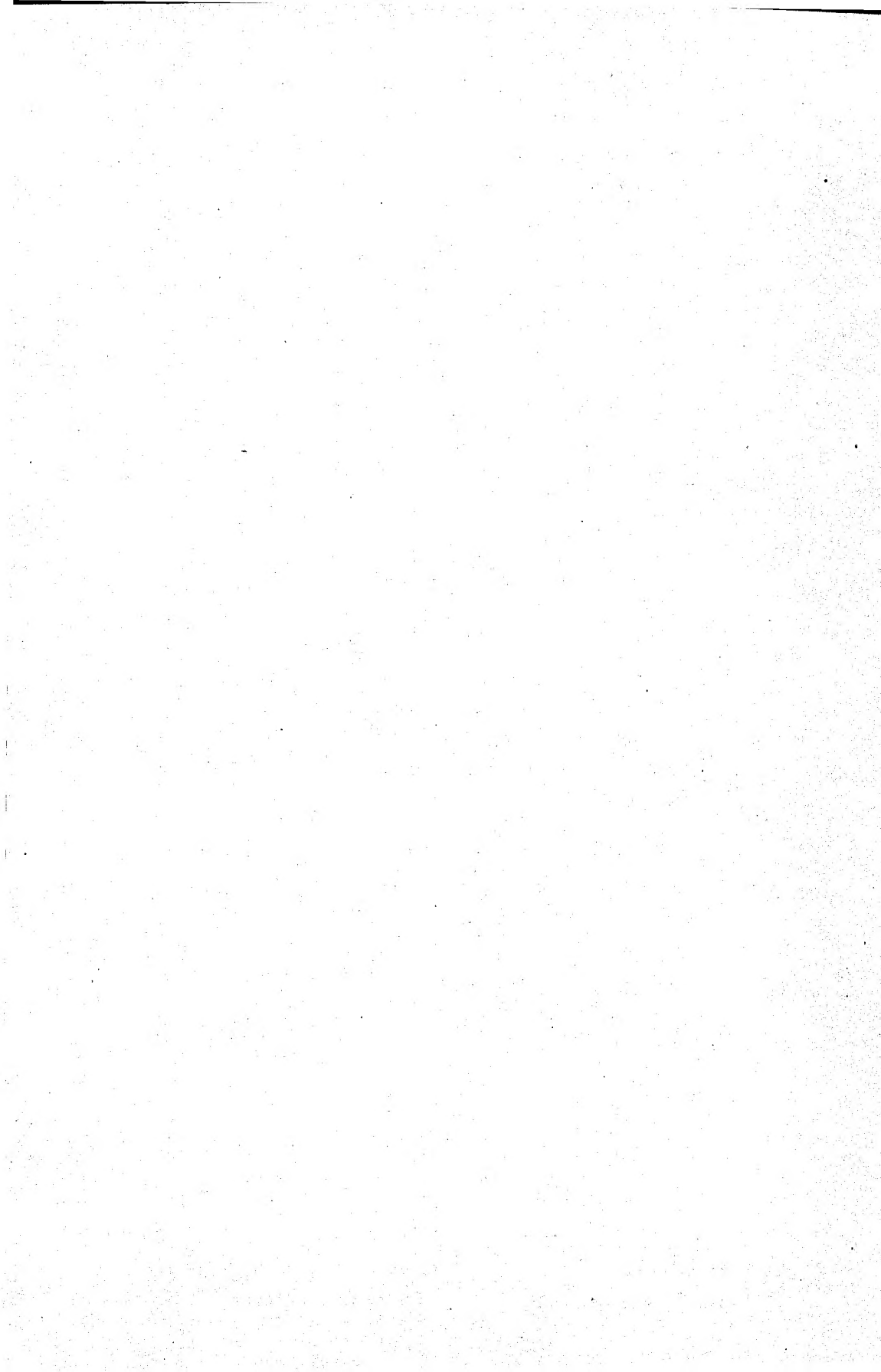


صَبْحُ الْأَسَدِ

الجزء السادس



بَارَكُ اللَّهُ فِيهِ

كِتَابُ

صُنْحُ الْأَسْبَاطِ

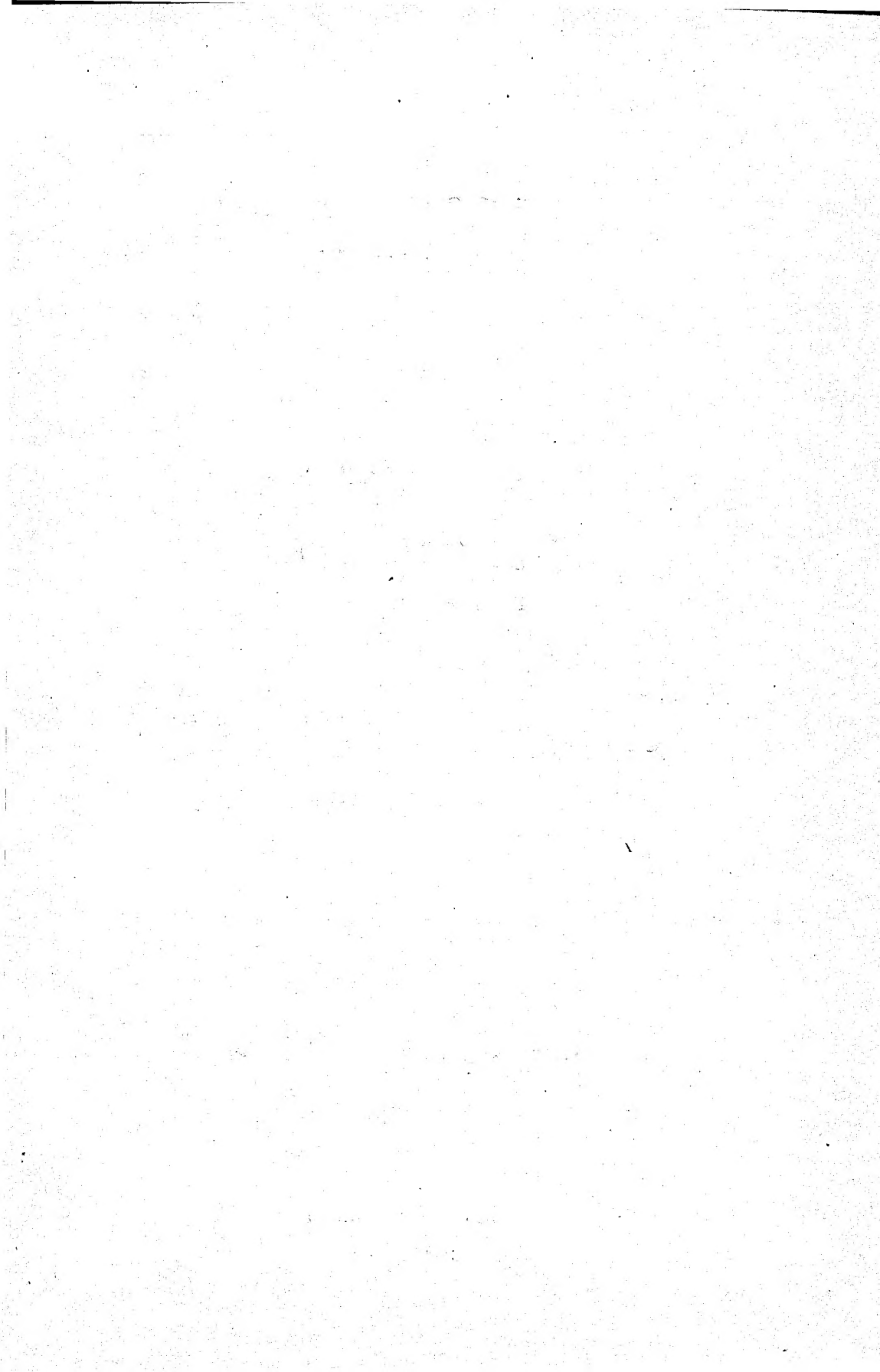
نَالَيْتُ

الْشَيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلْقَشِينِيِّ

الجزء السادس

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
س ١٣٣٣ هـ
١٩١٥ م



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمد وآله وصحبه

المهية الثاني

في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كُتّاب الزمان، وبيان معانيها،
ومن يقع عليه كل واحد منها من أرباب السيوف وغيرهم
(وهي نوعات)

النوع الأول

(الألقاب الإسلامية، وهي صنفان)

الصنف الأول

(المذكّرة، وهي ضربان)

الضرب الأول

(الألقاب المفردة المختصة في اصطلاح الكُتّاب باسم الألقاب)

وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم ليسهل استخراجها .

حرف الألف

(الأتابكي) وهو من ألقاب أمير الحيوش ومن في معناه، كالنائب الكافل ونحوه،

وهو بالأتابك أخص. وقد تقدّم معنى الأتابك في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف،

وَأَنَّ أَصْلَهُ بِالطَّاءِ فَقُلِبَتْ تَاءٌ فِي الْأَسْتِعْمَالِ ، وَأَنْ مَعْنَاهُ «الْأَبُ الْأَمِيرُ» وَحِينَئِذٍ فَتَكُونُ النِّسْبَةُ فِيهِ لِلْبَالِغَةِ . نَعَمْ إِنْ نُسِبَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ كَانَتْ النِّسْبَةُ إِلَيْهِ حَقِيقَةً عَلَى بَابِهَا .

(الْأَنْثَى) مِنْ أَلْقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ الَّتِي يُكْتَبُ إِلَيْهِمْ بِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، مِثْلَهَا مَا يُوجَدُ فِي مَكَاتِبَتِهِمْ مِنَ الْأَلْقَابِ . وَهُوَ أَفْعُلُ التَّفْضِيلِ مِنَ التَّقْوَى .

(الْأَثِيرُ) بِالنَّاءِ الْمَثْلُثَةُ مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ : مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْكُتَّابِ وَنَحْوِهِمْ ؛ وَرَبَّمَا اسْتُعْمِلَ فِي أَلْقَابِ الصُّلَحَاءِ أَيْضًا . وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمُخَالِصِ ، وَحِينَئِذٍ فَيُصْلَحُ أَنْ يَكُونَ لِقَبًا لِكُلِّ مَنْ نُسِبَ إِلَى الْمُخَالَصَةِ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ جَمِيعًا ، وَالْأَثِيرُ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْأَيْلُ) بِالْمَثْلُثَةِ أَيْضًا مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ كَالْأَثِيرِ ، وَمَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الْأَصِيلُ ، وَمِنْهُ قِيلَ مُحَمَّدٌ مُؤْتَلٌ وَأَيْلُ أَيْ أَصِيلٌ . وَحِينَئِذٍ فَيُصْلَحُ أَنْ يَكُونَ لِقَبًا لِكُلِّ ذِي أَصَالَةٍ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ؛ وَالْأَيْلُ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْأَجَلُّ) يَكُونُ فِي الْأَصْطِلَاحِ مِنْ أَلْقَابِ السُّلْطَانِ كَمَا يَقَالُ السُّلْطَانُ السَّيِّدُ الْأَجَلُّ وَيَكُونُ مِنْ أَلْقَابِ السَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ فَسَادُونُهُ فَيَقَالُ : «السَّامِيُّ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ» وَنَحْوُ ذَلِكَ ؛ وَهُوَ مِمَّا يُنْكَرُ عَلَى كُتَّابِ الزَّمَانِ : لِاسْتِعْمَالِهِ فِي الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى عَلَى مَاسِيَاتِي بَيَانِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . عَلَى أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاتِمِيَّةِ كَانَ هُوَ أَعْلَى الْأَلْقَابِ وَأَرْفَعَهَا قَدْرًا ، حَتَّى قَالَ ابْنُ شَيْثٍ فِي «مَعَالِمِ الْكِتَابَةِ» : إِنَّهُ مُحْظَرٌ عَلَى غَيْرِ الْوَزِيرِ . وَقَدْ كَانَتْ الْوِزَارَةُ فِي زَمَانِهِمْ بِمَثَابَةِ السُّلْطَانَةِ فِي زَمَانِنَا ، فَصَرَّفَ فِيهِ الْكُتَّابُ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ فِي أَدْنَى الرُّتَبِ أَيْضًا ؛ وَالْأَجَلُّ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الأخَصُّ) من ألقاب أرباب السيوف، والحَتَّابُ يستعملونه في أدنى الألقاب مما تَسْقُطُ فيه ياء النسب : من السامى بغير ياء فإدونه ، على أن معناه رَفِيع : لآخذه من الخُصُوصية : وهى الأفراد بالشئ ، وكان الأحقُّ أن يكون مختصاً بالآلزام المقرين دون غيرهم ؛ والأخَصَّى نسبةٌ إليه للبالغة .

(الأخَوِيُّ) من الألقاب المختصة في الغالب بالمكاتب الإخوانية ، وربما وقعت في المكاتب الملوكة إذا كان قَدْرُ المَلِكِينَ المتكاتبين متقارباً ، وهو نسبةٌ إلى الأخوة ، وكأنه جعله أخاه حقيقةً .

(الأَرِيبُ) من ألقاب أرباب الأقلام . وهو فى اللغة العاقل ، ومنه قيل للدَّهَاءِ إِرْبٌ بكسر الهمزة وإسكان الراء لأنَّ الدَّهَاءَ من جملة العقل ؛ والأَرِيبُ نسبةٌ إليه للبالغة .

(الأَرْقُ) من ألقاب ملوك المَغْرِبِ . وهو مأخوذٌ من الرَّقَى : وهو الارتفاعُ والعلوُّ فى الدَّرَجِ .

(الأَزْكَى) من ألقاب ملوك المَغْرِبِ أيضاً . وهو مأخوذٌ من الزَّكَاةِ : وهى الزيادة ، كأنه نَسَبَهُ إلى الزيادة فى الرِّفْعَةِ ونحوها .

(الأَسْرَى) بالسين المهملة من ألقاب ملوك المَغْرِبِ . وهو مأخوذٌ من السَّرْوِ وهو سَخَاءٌ فى مُرُوءَةٍ ، ومنه قيل لمن أَشْتَمَلَ على ذلك سَرَى ، وبه لُقِّبَ من لُقِّبَ «سَرَى الدِّين» .

(الأسْفَهْسَلار) بسينين مهملتين بينهما فاء ثم هاء من ألقاب أرباب السيوف ؛ وكان فى الدولة الفاطمية لقباً على صاحب وظيفة تلي صاحب الباب ، على ما تقدم

بيانه في الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية في المقالة الثانية . ومعناه «مُقدِّم العسكر» وهو مُرَكَّب من لفظين : فارسيّ ، وتُرْكِيّ ، فأُسِّفَهُ بالفارسية بمعنى 'المقدم' ، وسِلَّار بالتركية بمعنى 'العسكر' ، والعامّة تقول لبعض من يقف بباب السلطان من الأعوان : (أسپاسلار) بالباء الموحدة ، وكأنهم راعوا فيه معنى 'المقدم' في الجملة ، والباء تعاقب الفاء في اللغة الفارسية كثيرا ، ولذلك قالوا : أَصِيْهَان وأَصْفِهَان بالباء والفاء جميعا ؛ والأُسْفَهْسِلَارِيّ نسبةٌ إليه للبالغة . وقد ذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في بعض دسائيره أن هذا اللقب يختصُّ بأمراء الطَّبَلْخَانَه ، على أنه قد ترك استعماله في زماننا ، وكأنهم كرهوا مشاركة بعض الأعوان فيه فأضربوا عنه لذلك ، أو لم يفهموا معناه فتركوه .

(الأسنى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من السَّناء بالمدّ : وهو الرفعة ؛ ويحوز أن يكون من السَّنا بالقصر : وهو الضياء .

(الاشرف) من ألقاب المقام والمقر في مصطلح كُتَّاب الزَّمان على ما تقدم ذكره ؛ وربما وقع أيضا في ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعِلُ التفضيل من الشَّرَف بمعنى 'العلو' .

(الأصعد) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو أفعِلُ التفضيل من الصُّعود ضدَّ الهبوط .

(الأصيل) من ألقاب أرباب الأقلام غالباً ، وربما وقع في ألقاب أرباب السُّيوف إذا كان لصاحب اللقب عِراقةٌ نَسَب ؛ وهو فَعِيلٌ من الأَصْل بمعنى 'الحسب' ، والأَصِيلِيّ نسبةٌ إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ويختصُّ بمن له ثلاثة في الرِّئاسة ، أبْنٌ عن أبٍ عن جدٍّ .

(الأَصْنَحَم) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو مأخوذ من الصَّخَامَة ؛ والمراد بها هنا العَظَمَة . وهي في أصل اللغة الغِلَظ واستعملت في العَظَمَة تَمْجُوزًا .

(الأَعَزُّ) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وقد يستعمل في ألقاب من لم يَثْبُت فيه بقاء النسب من السامى بغير بقاء فإدونه كالأَخَصَّ : فيقال « الأَعَزُّ الأَخَصُّ » ونحو ذلك ؛ وهو أفعَل التفضيل من العِزِّ .

(الأَعْظَمُ) من ألقاب السلطان ، يقال فيه « السلطان الأعظم » ويقع في ألقاب ملوك المغرب أيضا . وهو أفعَل التفضيل من العَظَمَة : وهي الكِبَرِيَاء .

(الأَعْلَى) من ألقاب ملوك المَغْرِب . وهو أفعَل التفضيل من العُلُوِّ : وهو الارتفاع .

(الأَعْلَمُ) من ألقاب مُلُوكِ المغرب . وهو أفعَل التفضيل من العِلْمِ الذى هو خلاف الجهل .

(الأَفْحَمُ) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعَل التفضيل من الفَخَامَة : وهي العَظَمَة والقُوَّة .

(الأَفْضَلُ) من ألقاب السلطان ؛ ويستعمل في ألقاب ملوك المغرب أيضا . وهو أفعَل التفضيل [من الفضل] بمعنى الزيادة ، والمراد الزيادة في الفضيلة .

(الأَكْمَلُ) من ألقاب السلطان أيضا ؛ ويستعمل في ألقاب ملوك المَغْرِب وفى ألقاب من لم تَثْبُت فيه بقاء النسب من السامى بغير بقاء فإدونه ؛ والأَكْمَلُ نسبةٌ إليه للبالغة .

(الإمام) من ألقاب الخُلَفَاء كما يقال في المكاتبات عنهم « من عبد الله وولَّيه الإمام الفلانى » وقد تقدّم أن أول من تلقَّب به « إبراهيم بن محمد » أول من بُويع له

بالخلافة من بنى العباس، ويقع أيضا في ألقاب أكابر العلماء . وأصل الإمام في اللغة الذي يُقْتَدَى به ؛ ولذلك وقع على المجتهدين كالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة : وهم الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد . والإمامية نسبةٌ إليه للبالغة .

(الأمجد) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وربما كُتِبَ به للتَّجَار ونحوهم في ألقاب الصِّدْر الأجل . وهو أفعل التفضيل من المجد : وهو الشرف أو الأصالة .

(الأميري) من ألقاب أرباب السيوف . قال في "عرف التعريف" :
وَيُكْتَبَ به لِكِبَار (١) وإن كانوا من أرباب الأقاليم . وذكر في دُستورِه
آخر أنه يكتب به لَتَقِيب الأشراف ولا يُكْتَبَ له القَضَائِي أصلا وإن كان من
أرباب الأقاليم ؛ وقد تقدّم لقب الأمير مجرّداً عن ياء النسب وأصله المأخوذ منه
في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف فأغنى عن إعادته هنا . وأعلم أنهم
لم يستعملوا فيه النسبة لنفس الإمرة فلم يقولوا في النسبة إليه الإمري كما قالوا
في النسبة إلى القضاء القضاي .

(الأمين) من ألقاب التُّجَّار الخَوَاجِكَة وألقاب الخُدّام المعروفين في زماننا
بالطَوَاشِيَة ، خُصُّوا بذلك لِأَثْمَان التجّار على الجوّاري والممالك في حال جَلْبِهِم إلى
الملوك، وأثْمَان الخُدّام على الحَرِيم والممالك بأبواب الملوك؛ وهو مأخوذ من الأمانة
ضدّ الخِيَانَة ؛ والأمينُ نسبةٌ إليه للبالغة .

(الأوحد) يقع في الألقاب السلطانية ، ويكون من ألقاب أرباب الأقاليم لمن
لا تثبت الياء في ألقابه من السامى بغير ياء فما دونه، وفيه ما تقدّم في الكلام على

(١) بياض بالأصول ولعله لكِبَار الأمراء، أو الوزراء .

الأجل من الاعتراض على الكُتاب في جمعهم الأعلى والأدنى في لقب واحد؛
والأوحدى نسبة إليه للبالغة .

حرف الباء

(البارع) من ألقاب أرباب الأعلام، وهو فاعل من البراعة : وهى النهضة
بالشئ والتقدم فيه ؛ والبارعى نسبة إليه للبالغة .

(البليغ) من ألقاب أرباب الأعلام ، وأحسن ما يقع فى ألقاب ذوى البلاغة
من الكُتاب ونحوهم ، وهو فعيل من البلاغة : وهى تأديهُ كُنْه المراد بإيجاز لا يُخل ،
وإطناب لا يُمل ؛ والبليغى نسبةً إليه للبالغة .

حرف التاء

(التقى) من ألقاب ملوك المغرب يقال التقى الزكي ونحو ذلك ؛ وربما أستعمل
بالديار المصرية فى ألقاب أرباب الأعلام وأهل الصلاح ؛ وهو مأخوذ من التقوى
كما تقدم فى الأتى .

حرف الجيم

(الجليل) من ألقاب من يُكتب له الحاج كقدى الدولة ونحوهم ، ويقال فيه :
«الحاج الجليل» ونحو ذلك ؛ والجليل فى أصل اللغة العظيم ، وكان مقتضى الوضع
أن يكون لأعلى من هذه الرتبة .

حرف الحاء المهملة

(الحاج) من ألقاب مقدّمى الدولة ومهتارىة البيوت ومن فى معناهم وإن لم
يكن قد حج ، وإن كان موضوع الحاج فى العرف العام إنما هو لمن حج البيت
وإنما اصطُحح لهم على ذلك حتى صار كالعلم عليهم .

(الحافظ) من ألقاب المحدثين ؛ وأصله من الحفظ ضدَّ النسيان ، وأختصَّ بالمحدثين لأحتياجهم إلى كثرة الحفظ لمتون الأحاديث وأسماء الرجال ونحو ذلك ؛ والحافظي نسبةٌ إليه للبالغة .

(الحافل) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه الكثير الجمع ، أخذاً من قولهم وإِدِّ حافلٌ إذا كثر سيله .

(الحاكم) من ألقاب القضاة . قال أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" : وأصله من الحكمة بفتح الكاف : وهى حديدةٌ مستديرةٌ فى اللجام تمنع الدابة من الجرى والشباب ؛ سُمى بذلك لأنه يردُّ الناس عن الظلم ؛ وأكثر ما يستعمله كُتَّاب الزمان فى عُنوان المكاتبات فى تعريف المكتوب إليهم ، وفى أثنائها فى وصف المكتوب بسببه ؛ والحاكمي نسبةٌ إليه للبالغة .

(الحائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعل من الحيازة : وهى الحياطة ، والمراد الحائز للملك ، أو الحائز للفضائل ونحو ذلك .

(الحبر) من ألقاب أكابر العلماء - وهو بفتح الحاء وكسرها لغتان ، والذى اختاره ابن قتيبة فى "أدب الكاتب" الكسر ، وبه سُمى الحبر الذى يكتب به ، ولكن الجارى على ألسنة الناس الفتح ؛ والحبري نسبةٌ إليه للبالغة .

(الحججى) بضم الحاء وكسر الجيم المشددة وفى الآخرياء النسب من ألقاب أكابر القضاة والعلماء ، وهو منسوب إلى الحجّة بحذف تاء التأنيث منه على قاعدة النسب ، كما تُحذف من طلحة ونحوه على ما هو مقرّر فى علم النحو . وبعض جهالة الكُتَّاب يثبت فيه تاء التأنيث مع النسب فيقول الحججى وهو خطأ ؛ ثم النسبة فيه

حقيقةً لأن المنسوب إليه وهو الحجة غير من له اللقب، ويجوز أن تكون للبالغة بأن يجعل صاحب اللقب هو نفس الحجة تجوزاً وهو أبلغ .

(الحسيب) من ألقاب الشُّرفاء من ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة رضي الله عنها ، أخذاً من الحسب : وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه على ما ذكره جماعة من أهل اللغة ولذلك اختص في الاصطلاح بالشُّرفاء ، إذ كان آباؤهم أعظم الناس مفاخر ، لكن قد ذكر ابن السكيت في "إصلاح المنطق" أن الحسب يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، وعلى هذا فلا يختص هذا اللقب بذوى الأنساب التي فيها عراقة ، والحسيب نسبة إليه للبالغة .

حرف الخاء المعجمة

(الخاشع) من ألقاب الصُّوفية وأهل الصَّلاح ، وربما استعمل في العلماء ، بل ربما استعمل في أرباب السيوف إذا كان المكتوب له متصفاً بذلك ، بل ربما استعمل في ألقاب بطاريكة النصارى من الباب وغيره ، على ما سياتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى . والخاشع في اللغة الخاضع والمتدلل ، والخاشعي نسبة إليه للبالغة .

(الخوارج) من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم . وهو لفظ فارسي ، ومعناه السيد ، والخوارجي بزيادة كاف نسبة إليه للبالغة ، وكان الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب .

(الخير) بفتح الخاء وتشديد الياء المثناة تحت ، من ألقاب أهل الدين والصَّلاح . وهو في أصل اللغة خلاف الشرير ، ثم غلب استعماله فيمن غلب عليه الخير ، والخيري نسبة إليه للبالغة ، وقل أن يستعمله الكتاب إلا بابيات الياء في آخره .

حرف الذال المعجمة

(الذَّخِر) بضم الذال وإسكان الخاء من ألقاب أرباب السيوف ، وربما أُطْلِقَ على غيرهم . وأصله في اللغة لما يُذَخَّرُ من النفائس ، وهو مصدر ذَخَرْتُ الشيءَ أَذْخَرُهُ ، وكثيرا ما يُغْلَطُ فيه فيجعل بالبدال المهملة . ومَنْ وقع له الوَهْمُ في ذلك الشَّيْخُ جمالُ الدين الأَسَنَوِيُّ في ”طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ“ فأورد صاحب ”الذَّخَائِرُ“ في الدال المهملة ؛ والذُّخْرِيَّ نسبةً إليه للبالغة ، وأكثر ما يستعمله الحُكَّابُ كذلك .

حرف الراء المهملة

(الرَّبَّانِيّ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلَاحِ ، وربما لُقِّبَ به العالمُ فيقال « العالمُ الرَّبَّانِيّ » قال الجوهريّ ، وهو المُنَآلَةُ والعارِفُ بالله تعالى . قال تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ .

(الرُّحَلَة) بضم الراء من ألقاب أكابر العلماء والمُحَدِّثِينَ ، والرُّحَلَة في اللغة ما يُرْحَلُ إليه ، لُقِّبَ بذلك لأنه في حَيِّزٍ أَنْ يُرْحَلَ إليه للأخذ عنه . أما الرُّحَلَة بالكسر فالأرتحال ؛ والرُّحَلَى بالضم أيضا نسبةً إليه للبالغة .

(الرَّئِيس) بالهمزة على وزن فَعِيل من ألقاب عِلْيَةِ النَّاسِ وأُشْرَافِهِمْ ، ويقال : فيه رَئِيسٌ على وزن قِيمَ قاله الجوهريّ . وأصله من الرِّيَاسَة وهي رِفْعَةُ الْقَدَرِ وَعُلُوُّ الرُّتْبَةِ ؛ والرَّئِيسِيُّ نسبةً إليه للبالغة ، وغالب ما يستعمله الحُكَّابُ كذلك ، وهو من ألقاب أرباب الأفلام من العلماء والحُكَّابِ .

حرف الزاي

(الزَّاهِدُ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلَاحِ ، وهو في اللغة خلافُ الرَّاغِبِ ، والمراد هنا مَنْ أَعْرَضَ عن الدنيا فلم يَلْتَفِتْ إليها ، والزَّاهِدِيُّ نسبةً إليه للبالغة .

(الزَّعِيمُ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، كنبأ السلطنة ومن في معناهم؛ وهو نسبة إلى الزَّعيم بمعنى السيد والكافل وكأنه بولايته على القوم سادهم أو كفَّلهم وتولَّاهم ولم يستعملوا فيه الزعيم بغير ياء : لأنه إذا كان مختصا بكار أرباب السيوف دون أذانيهم، وجب إثبات الياء للبالغة .

(الزَّكِيُّ) من ألقاب المتدينين من أرباب الأقلام وغيرهم، يقال التقي الزكي ونحو ذلك . وهو في أصل اللغة بمعنى الزاكي وهو الزائد وقد تقدّم مثله في الأزكي في حرف الألف .

حرف السين المهملة

(السالك) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو فاعل من السلوك، والمراد سلوك سبيل الرشاد الموصل إلى الله تعالى، والسالك نسبة إليه للبالغة .

(السامي) من ألقاب المجلس، وقد تقدّمت الإشارة إليه في الكلام على الألقاب الأصول وأنه ينقسم إلى السامي بالياء والسامي بغير ياء فليراجع منه .

(السفيري) قال في "عرف التعريف" : وهو من الألقاب الخاصة بالدوا دار، على أنى قدر أيتته في بعض الدساتير الشامية قد كُتب به لبعض التجار الخواجكية لسفارتهم بين الملوك وترددهم في الممالك لجلب الممالك والجواري ونحو ذلك وهو منسوب إلى السفير : وهو الرسول والمصلح بين القوم نسبة مبالغة ولم يستعمله الكتاب مجزدا عن الياء : لأنه إذا كان خاصا بهدين ورتبتها عليه لا يليق بها حذف الياء لم يناسب استعماله مجزدا عنها .

(السلطاني) من ألقاب الملوك فيثبت في ألقاب المقام الشريف ونحوه، فيقال المقام الشريف العالى السلطاني ونحو ذلك ؛ وهو منسوب إلى السلطان وقد تقدّم الكلام عليه في الكلام على أرباب الوظائف .

(السيد) من الألقاب السلطانية يقال السلطان السيد الأجل ونحو ذلك ؛ ويقع في اللغة على المالك والزعيم ونحوهما ؛ والسيد نسبة إلى البالغة ، وهو من الألقاب الخاصة بالجناب الشريف فما فوقه . قال في "عرف التعريف" ولا يكتب به عن السلطان لأحد .

حرف الشين المعجمة

(الشاهنشاه) من الألقاب الملوكة المختصة بالسلطان وأكابر الملوك . وهو لفظ فارسي معناه بالعربية «ملك الأملاك» وقد ورد النهي عن التسمي به ؛ وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : "إِنَّ أَخْنَعَ آسِمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلاَكِ ، لَا مَلِكَ الْأَمْلاَكِ إِلَّا اللَّهُ" . قال سفيان بن عيينة : معناه شاهنشاه ؛ ولذلك يحذفه المتدينون من الكتاب من الألقاب السلطانية ؛ وقد أشار إلى ذلك في "التثقيف" في مكتبة صاحب المغرب .

وأعلم أنه كان قد وقع في تلقيب الملوك بهذا اللقب نزاع بين العلماء في سطنة السلطان "جلال الدولة" السلجوقي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة كما حكاه ابن الاثير في تاريخه "الكامل" وذلك أن السلطان جلال الدولة كان قد سأل أمير المؤمنين (القائم بأمر الله) الخليفة يومئذ في أن يُخاطب بملك الملوك فامتنع ، فكتب فتوى للفقهاء في ذلك ؛ فكتب القاضي أبو الطيب الطبري ، والقاضي أبو عبد الله الصيمري . والقاضي ابن البيضاوي ، وأبو القاسم الكرخي بجوازه ؛ ومنع منه أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي ، وجرى بينه وبين من أفتى بجوازه مراجعات ؛ وخطب لجلال الدولة بـ «ملك الملوك» وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة ، وكان يتردد إلى دار المملكة كل يوم فلما أفتى في ذلك بالمنع ، انقطع ولزم بيته خائفاً ،

وأقام منقطعاً من شهر رمضان إلى يوم النحر، فاستدناه جلّال الدولة، فحضر خائفاً فأدخله عليه وحده، وقال له : قد علم كلُّ أحدٍ أنك من أكثر الفقهاء مالاً وجاهاً وقرباً منا وقد خالفهم فيما خالف دواي، ولم تفعل ذلك إلا لعدَم المحابة منك واتباع الحق، وقد بان لى موضعك من الدين ومكانك من العلم، وجعلتُ جزاء ذلك إكرامك بأن أدخلتك إلى وحدك، وجعلتُ إذن الحاضرين إليك، ليتحققوا عودى إلى ما يُحب . فشكره ودعا له وأذن لكل من حضر للخدمة بالانصراف .^(١)

(الشریف) من ألقاب المقرّ والجنّاب، من حيث إنه يقال المقرّ الشريف والجنّاب الشريف، وذكر في "عرف التعريف" أنه مختصّ بالأشراف أبناء فاطمة من علىّ رضى الله عنهما، وكأنه يريد في الألقاب المطلقة التي لا تلى المقرّ والجنّاب وهو فعيل من الشرف وهو العلوّ والرفعة، قال ابن السكيت : ولا يكون إلا لمن له آباء يتقدمونه في الشرف بخلاف الحسيب ومن هنا جعله الدّّاب أعلى رتبة من الكريم لاشتماله على قدر زائد لا يعتبر في الكريم من عرّافة الأصل وشرف الحنيد، والشریف نسبة إليه للبالغة .

(الشهير) من ألقاب ملوك المغرب، ومعناه المشهور الظاهر، والمراد هنا من أشهر علوّ قدره ورفعته .

(الشيخ) من ألقاب العلماء والصلحاء وأصله في اللغة الطاعن في السن، ولُقّب به أهل العلم والصلاح توقيراً لهم كما يوقّر الشيخ الكبير، والشيخى نسبة إليه للبالغة .

حرف الصاد المهملة

(الصاحب) من ألقاب الوزراء . قال في "عرف التعريف" : وهو مختص بأرباب الأنلام منهم دون أرباب السيوف . وهو في أصل اللغة اسم للصديق ،

(١) أورد ابن الأثير هذه العبارة في كتابه الكامل (ج ٩ ص ١٧١) .

وأول مَنْ لُقِّبَ به من الوزراء كافي الكُفَاةِ إسماعيلُ بنُ عبَّادٍ ، وذلك أنه كان يصحب الأستاذَ ابنَ العميدِ ، فكان يقال له بذلك «صاحبُ ابنِ العميد» ثم غلب عليه حتى أَسْتَعْمِلَ فيه بالألف واللام ، ثم صار لُقِّباً على كل مَنْ وَلِيَ الوزارة بعده . على أن كُتِّبَ الإنشاء بالممالك الشامية يلقَّبون العلماء من قضاة القضاة وَمَنْ في معناهم بذلك ، وهم على ذلك إلى الآن ، بخلاف كُتِّبَ الديار المصرية ، فإنهم يَقْصُرُونَهُ على الوزراء دون غيرهم كما تقدَّمت الإشارةُ إليه . والصاحيَّ نسبةٌ إليه للبالغة . وهو المستعمل عند كُتِّبَ الإنشاء ، وبغير الياء في العرف العام .

(الصالح) من ألقاب أهل الصَّلاح والصُّوفية يقال الشيخُ الصالحُ ونحو ذلك . وهو مأخوذ من الصَّلاح ضدَّ الفساد ، ولم يستعملوه باثبات ياء النسب فلم يقولوا الصالحِيَّ ، وكأنهم تركوا ذلك خوفاً من الالتباس بالنسبة إلى البلد المعروف أو غيره .

(الصَّدر) من ألقاب التَّجَّار ونحوهم . والمراد مَنْ يكون صَدْرًا في المجالس ؛ وصدرُ كلِّ شيء في اللغة أوَّلُهُ ، وعُبرَ عن صدر المجلس بأوله لأنه في الحقيقة أوَّلُ المجلس وكل جانب من جانبيه تِلْوُلُهُ ، والصَّدرِيَّ نسبةٌ إليه للبالغة .

حرف الطاء

(الظاهر) من ألقاب ملوك المَغْرِب ، والمراد المتَّزِّع عن الأُدناس .

حرف الظاء

(الظَّهيرِيَّ) من ألقاب بَازِ أَرباب السُّيُوف كأعيانِ الأُمراء من نواب السلطنة وغيرهم ؛ وهو نسبةٌ إلى الظَّهير بمعنى العَوْن للبالغة ، ومنه قوله تعالى :

﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ولم يستعملوه مجزدا عن ياء النسب لأختصاص المظاهرة بأكابر أرباب السيف، وهو بغير الياء لا يقع إلا على الأدوان منهم .

حرف العين

(العائد) من ألقاب العوفية وأهل الصلاح . وهو فاعل من العبادة وهي الطاعة . وربما استعمل في أرباب السيف والأقلام أيضا : لأتصاف متصيف منهم بذلك أو وقوعه أولا على متصيف به منهم ثم لزومه من بعده من أهل تلك المرتبة كما في نائب الشام، حيث كُتب لبندمر الخوارزمي في نيابته بذلك؛ ثم لزم من بعده من نواب الشام والنائب الكافل على ما سيأتى ذكره في المكاتبات إن شاء الله تعالى .

(العادل) من ألقاب السلطان، وهو خلاف الجائر، وذلك أعلى ما وُصف به الملك ونحوه من ولاة الأمور : لأن العدل به تقع عمارة الممالك، والعدل نسبة إليه للبالغة؛ وهو من ألقاب أكابر أرباب السيف من الثواب ونحوهم .

(العارف) من ألقاب أكابر أهل الصلاح، وهو خلاف الجاهل؛ ومنهم من يفرق بينه وبين العالم بأن المعرفة قد يتقدمها جهل والعلم لا يتقدمه جهل، ولذلك لم يُطلق اسم العارف على البارئ سبحانه وتعالى بخلاف العالم فإنه يُطلق عليه؛ والعارف نسبة إليه للبالغة .

(العاضد) من ألقاب ملوك المغرب؛ وهو في أصل اللغة اسم للمعين، يقال عَضَدْتُهُ أَعْضَدُهُ إذا أَعْنَتَهُ .

(العالم) من ألقاب السلطان، وهو خلاف الجاهل . ثم هو في الحقيقة إنما هو من ألقاب العُلَمَاء إلا أنهم نعتوا به الملوك تعظيما، إذ العلم كل أحد يزاحم على

الأتصاف به ؛ والعالمى نسبة إليه للبالغة . وهو من الألقاب المشتركة في الاصطلاح بين أرباب السيوف والأقلام وإن كان المختص بها في الحقيقة العلماء .

(العالمى) من الألقاب التى يشترك فيها أرباب السيوف والأقلام ، ويوصف به المقام والمقر والجناب والمجلس فى إحدى حالتيه ؛ وهو من العلاء بالمد وهو الشرف . يقال على بكسر اللام يعلى بفتحها إذا شرف ، ومنه قيل فى على ونحوه «علاء الدين» ويحتمل أن يكون من العلو فى المكان يقال فيه علا بفتح اللام يعلو علوا ؛ وسيأتى معنى الفرق بينه وبين السامى وإن كان بمعناه فى اللغة .

(العامل) من ألقاب أهل الصلاح ، والمراد المحيد فى العمل المجتهد فى العبادة ؛ والعالمى نسبة إليه للبالغة ، وهو من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام كالعالمى .

(العريق) من ألقاب ذوى الأصالة ، وأكثر ما يقع على أرباب الأقلام ، والمراد من له عراقة فى كرم الأصل ؛ والعريق نسبة إليه للبالغة .

(العزیز) من ألقاب ديوان الخلافة ، يقال فيه «الديوان العزیز» على ما سأتى بيانه فى المكتبة إلى أبواب الخلافة ، وربما استعملوه فى الولد فقالوا الولد العزیز ، ولم يستعملوه مضافا إلى ياء النسب .

(العَضْد) من ألقاب أرباب السيوف ؛ وهو فى الأصل اسمٌ للساعد : وهو ما بين المرفق والكف ، واستعمل فى المعين والمساعد لقيامه فى المساعدة مقام العَضْد الحقيق من الإنسان ؛ ثم الأفضح فيه فتح العين مع ضم الضاد ، ويجوز فيه كسر الضاد وإسكانها مع الفتح أيضا وضم العين مع إسكان الضاد ؛ والعَضْدَى نسبة إليه للبالغة .

(العَوْنُ) من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف، وهو نسبة إلى العَوْن وهو الظَّهيرُ على الأمرِ المعاوُن عليه . ولم يستعملوه مجرّداً عن ياء النسب لوقوع العَوْن على الواحد من أعوان صاحب الشرطة ونحوه .

(العلامة) بالتشديد من ألقاب أكابر العلماء . قال الجوهري : وهو العالمُ للغاية ، وقُلَّ أن يُستعملوه إلا في ألقاب المكتوب بسببه ونحو ذلك ، وحذف الهاء منه لغةً ، وليست بمستعملة بين الكتّاب أصلاً ؛ والعلّامى نسبة إلى العَلّام أو العلامة للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ويختص بالمفتي .

حرف الغين المعجمة

(الغازى) من ألقاب أرباب السيوف، وهو من الأسماء المنقوصة كالفاضى ونحوه، وقُلَّ أن يُستعمل إلا في ألقاب السامى بغير ياء فسادونه .

(القَوْتُ) بالناء المثلثة من ألقاب الصّوفيّة، وهو عندهم لقبٌ على القُطب الذى هو رأس الأولياء؛ وأصله فى اللغة من قول الرجل واغوثاه، وقُلَّ أن تستعمله الكتّاب بل لم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب أصلاً .

(الغِيَاثُ) من ألقاب أرباب السيوف ، وأكثرُ ما يُستعمل فى الملوك ، وهو فى اللغة الاسمُ من استغاثنى فأغثنه ، وأصله الغَوَاثُ بالواو فُقِلَت الواو ياء لانكسار ما قبلها .

حرف الفاء

(الفتاح) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعلٌ من الفتح بمعنى النَّصر ، والمراد فتحُ الأمصار وتملكها .

(الفاضل) من ألقاب أرباب الأعلام ، وأكثر ما يقع في ألقاب العلماء ، وربما وقع في ألقاب الحُجَّاب ، وهو خلاف الناقص ، والمراد زائد الفضل ، وبه لُقِّب القاضي الفاضل « عبد الرحيم البيساني » الكاتب المشهور ؛ والفاضل نسبة إليه للبالغة .

(الفائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعلٌ من الفوز بمعنى النجاة أو الظفر ، وقد يُشأخ في التلقيب به فإن الفوز يطلق على الهلاك أيضا على ما هو مقرر في كتب اللغة ، ومثل ذلك يجبُ اجتنابه لما فيه من الاشتراك بين الحمود والمذموم ، إلا أنه غلب استعماله في النجاة حتى إنه لم يرد في القرآن إلا بمعناها ، ولذلك عول الحُجَّاب على استعماله .

(الفقيه) من ألقاب العلماء وهو اسم فاعل من فقه بضم القاف إذا صار الفقه له سميَّة ، ككرم إذا صار الكرم له سميَّة . قال المسيلي^(١) في "شرح مختصر ابن الحاجب" : وإنما يقع على المجتهد دون المقلد ؛ أما إطلاقه على فقهاء المكاتب ونحوهم فعلى سبيل المجاز . على أن الحُجَّاب بالديار المصرية لم يستعملوا هذا اللقب إلا في القليل النادر ، بل كثير من جهلة الحُجَّاب وغيرهم يستصغرون التلقيب به ويعُدونه نقصاً ، وإنما يُعَظَّم به جدُّ التعظيم أهل المغرب ؛ والفقيهي نسبةٌ إليه للبالغة ، وهو مستعمل في ألقاب العلماء .

(الفريدي) من ألقاب أكابر العلماء ، وهو نسبةٌ إلى الفريد بمعنى المنفرد للبالغة ، والمراد المنفرد بما لم يُسارَكه فيه غيره ، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب .

(١) كذا بالأصول ولله السبكي انظر شرح مختصر ابن الحاجب في كشف الظنون .

حرف القاف

(القاضوى) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وهو نسبة إلى القاضى للبالغة ، ثم فى الحقيقة كان يجب أن يختص بالقضاة الذين هم حكام الشريعة دون غيرهم ، إلا أنه توسع فيه حتى استعمل فى غيرهم من ألقاب أرباب الأقاليم .

(القُدوة) بكسر القاف وضمة لغة من ألقاب العلماء والصالحاء ، وهو بمعنى الأسوة . يقال : فلان قُدوة يُقتدى به ، والقُدوى نسبة إليه للبالغة ، وحذفت منه تاء التانيث المبدلة من الهاء على قاعدة النسب عند النحاة ، وكثير من جهلة الكتاب يثبتون فيه تاء التانيث مع النسب فيقولون القُدوتى ، وهو خطأ كما تقدم فى الكلام على المجعة فى حرف الحاء .

(القَضَامِيرى) من الألقاب التى يستعملها بعض الكتاب فى ألقاب من اجتمع له رئاسة السيف والقلم ، وهو نسبة إلى القضاء والأمير تشبيها بمذهب من يرى النسبة إلى المضاف والمضاف إليه جميعا فيقول فى النسبة إلى عبد شمس عبشمى ، وإلى عبد الدار عبدرى ، ونحو ذلك ، وهو مذهب مرجوح على ما تقدم بيانه فى المقالة الأولى فى الكلام على النحو ، والأحسن فيه النسبة إلى كل منهما على أنفراده ، فيقال القَضَائى الأميرى ، أو الأميرى القَضَائى ؛ وعلى العمل به فاللائق بعلو الرتبة أن يقال القاضميرى ليكون مرابجا من القاضوى والأميرى ، إذ كان القاضوى فى المعنى أبلغ من القَضَائى لما فى القاضوى من المبالغة على ما تقدم بيانه .

(القَضَائى) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وهو نسبة إلى القضاء فلا مبالغة فيه .

(الْقُطْب) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وهو عندهم عبارة عن رأس الأولياء الذى عليه مدارهم كما تقدم فى الغوث ، وقيل أن يستعمله الحجاب ؛

ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب فيما وقفت عليه أصلاً . والقُطْبُ في أصل اللغة كَوْكَبٌ بين الجَدَى والْفَرْقَدَيْنِ يدور عليه الفَلَكُ فيما قاله الجوهري . والتحقيق أنه نقطة متوهمة بالقرب من هذا الكوكب على ما هو مقرر في علم الهيئة ، ولذلك قيل لسيد القوم الذي عليه مدار أمرهم قُطْبُ بنى فُلَانٍ ، ومن هنا دبروا عن مدار الأولياء بالقُطْب . وقل أن يستعمله الكُتَّاب ، ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب فيما وقفت عليه .

(القَوَامِيّ) بفتح القاف من ألقاب أرباب السيوف . وهو نسبة إلى القَوَام وهو العدل . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب .

حرف الكاف

(الكافِلُ) من الألقاب المختصة بنائب السلطنة بالحضرة ، يقال فيه النائب الكافِلُ ونحو ذلك ، والكافِلُ في اللغة الذي يكفُل الإنسان ويعُولُه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ولُقِّبَ بذلك لأنه يكفُل الرعية ويعولهم ؛ والكافِلُ نسبة إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : وهو مختص بنائب سلطان أو وزير كبير . وذكر في دستور آخر أنه لا يكتب به لغيرهما .

(الكبير) من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام ، وهو في الأصل خلاف الصغير ، والمراد هنا الرفيع الثبته ؛ والكبير نسبة إليه للبالغة .

(الكريم) من ألقاب المقرّ والحنّاب ، ويشترك فيه أرباب السيوف والأقلام ، والكريم خلاف اللئيم فيما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال : الكرم نقيض اللؤم ، وحينئذ فيكون المراد بالكريم الخالص من اللؤم ، ومن ثم جعل دون الشريف

في الرتبة، إذ في الشرف قدر زائد على ذلك، وهو اعتبار ثبوت رفعة القدر، بل اعتبار ذلك في آباءه أيضاً كما قاله ابن السكيت على ما تقدم ذكره في الكلام على لقب الشريف، ويوضح ذلك أن الفقهاء قالوا يستحب في الزوجة أن تكون نسبية فحمله بعضهم على الصحيحة النسب احترازاً بذلك عن بنت الزنا، وحمله آخرون على العراقة في النسب، والأول في معنى الكرم الذي لم يعتبر فيه سوى خلوصه من اللؤم، والثاني بمعنى الشريف الذي اعتبر فيه قدر زائد، ثم هو فعيل من كرم بضم الراء إذا صار الكرم له سجيّة كما تقدم في الفقيه.

(الكفيلي) من ألقاب أكابر نواب السلطنة، وهو أعلى من الكافل، لأن صيغة فعيل أبلغ من صيغة فاعل على ما هو مقرر في علم النحو والتصريف.

حرف اللام

(الليبي) من ألقاب أرباب الأقاليم، وهو فعيل من اللب وهو العقل؛ والليبي نسبة إليه للباغة.

(اللودعي) بالذال المعجمة من ألقاب أرباب الأقاليم، وهو الذكي القلب.

حرف الميم

(الماجد) من ألقاب أرباب الأقاليم غالباً، وربما أطلق على غيرهم، وهو مخصص بذوى الأصالة فقد قال ابن السكيت إن المجد لا يكون إلا بالآباء؛ والماجد نسبة إليه للباغة.

(المالكي) من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف والأقاليم. قال في "عُرف التعريف": ولا يكتب به عن السلطان لأحد، وهو نسبة إلى المالک الذي هو خلاف المملوك للباغة، ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب.

(المُتَاغِرُ) بالشاء المثلثة من ألقاب السلطان، والمراد القائم بِسَدِّ الثُّغُور : وهى البلادُ التى فى نَحْرِ العدو، أخذًا من الثُّغْر وهو السِّنّ، لأنه كالإِباب على الخلق الذى يمتنع الوصول إليه إلا منه؛ والمُتَاغِرَى نسبةٌ إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة ونحوهم .

(المتَصَرِّفُ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فى معناهم، والمراد مَنْ ينفذ تصرفه فى الأمور، ولم يستعملوه مجزءا عن ياء النسب .

(المجاهِدُ) من الألقاب السلطانية، والمرادُ المجاهدُ فى سبيل الله تعالى، وربما أَسْتَعْمِلَ فى ألقاب السامى من غير ياء فما دونه كما تقدم فى الغازى؛ والمُجَاهِدَى نسبةٌ إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة ونحوهم .

(المُجْتَهِدُ) من ألقاب العلماء، والمرادُ به فى الأصل مَنْ يَسْتَنْبِطُ الأحكامَ الشرعيةَ من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وَقَلَّ أن يستعمله الكُتُوبُ، والمُجْتَهِدَى نسبةٌ إليه للبالغة . وأكثرُ أَسْتَعْمَالِهِ كذلك .

(المُحْتَرَمُ) من ألقاب العامة ممن يلقَّبُ بالصِّدْر الأَجَل . فيقال : «الصِّدْر الأَجَلُ الكبيرُ المحترَّم» ونحو ذلك .

(المُحَقِّقُ) من ألقاب العلماء، وربما أَسْتَعْمِلَ فى ألقاب الصُّوفية، والمراد أنه يأتى بالأشياء على حقائقها لحِدَّةِ ذهنه وصِحَّةِ حَدْسِهِ؛ والمُحَقِّقَى نسبةٌ إليه للبالغة .

(المُخْتَارُ) من ألقاب أرباب السُّيُوف غالبا، ويختص بالسامى بغير ياء فما دونه، وهو أَسْمُ مفعولٍ من الأَخْتِيَار، بمعنى أن الملوكة وأرباب الأمور يَخْتَارُونَهُ، على أن أَسْمُ الفاعل منه أيضا المختارُ كلفظ المفعول على السواء وإنما تُرشد إليه القرائن .

(المَخْدُوم) من الألقاب المختصة بالمكاتبات ، والمراد مَنْ هو في رتبة أن يكون مَخْدُوماً لعلو رتبته وتُؤَمِّحَلَّة ؛ والمَخْدُومِيّ نسبةٌ إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ولا يُكْتَبُ به عن السُّلْطَان لأحد .

(المَدَبَّرِيّ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معانهم كُتِّبَ السِّرّ ونحوهم ، وهو نسبة إلى المَدَبَّر بكسر الباء الموحدة : وهو الذي ينظر في الأمر وما تُؤَلِّ إليه عاقبته ، ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .

(المَدَقَّق) من ألقاب العلماء ، وهو الذي يُنِمْ النظر في المسائل ويدقِّقه ؛ والمَدَقَّقِيّ نسبةٌ إليه للبالغة .

(المُرَابِط) من الألقاب السُّلْطَانِيَّة ، وهو مُفَاعِل من الرِّبَاط : وهو ملازمةُ نَعْرِ العدو ، والمُرَابِطِيّ نسبةٌ إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، كُتُّوا بالسلطنة ونحوهم .

(المُرَبِّي) من ألقاب الصوفية ، والمراد مَنْ يربِّي المريدين ويسلِّكهم ويعرِّفهم الطريق إلى الله تعالى .

(المُرْتَضَى) من ألقاب أرباب السيوف والأقلام ، ويختصُّ بالسامى بغيرياء فما دونه ، والمراد مَنْ يرضاه ولاةُ الأمور ويختارونه .

(المُرْشِد) من ألقاب ملوك المغرب ، وربما استعمل في ألقاب الصوفية ، والمراد مَنْ يُرْشِدُ الناس إلى الحق ويهديهم السبيل ؛ والمرشِدِيّ نسبةٌ إليه للبالغة .

(المُسَدِّدِيّ) من ألقاب أرباب السيوف وألقاب الوزراء وَمَنْ في معانهم ، وهو بفتح الدال المشددة نسبةٌ إلى المُسَدِّد ، وهو اسم مفعول من السَّدَاد بالفتح : وهو

الصَّوَابِ وَالْقَصْدِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِالْكَسْرِ عَلَى أَنَّهُ أَسْمُ فَاعِلٍ مِنْهُ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُسَدَّدُ غَيْرُهُ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوهُ مَجْرَدًا عَنْ يَاءِ النِّسْبِ .

(المَسْلَكُ) بِتَشْدِيدِ اللَّامِ الْمَكْسُورَةِ مِنَ أَلْقَابِ الصُّوفِيَّةِ ، وَهُوَ أَسْمُ فَاعِلٍ مِنْ تَسْلِيكِ الطَّرِيقِ وَهُوَ تَعْرِيفُهَا ، وَالْمُرَادُ تَعْرِيفُ الْمُرِيدِينَ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ وَأَصْلُ التَّسْلِيكِ إِدْخَالُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلخَيْطِ سَلَكٌ ، لِقَبِّ بِذَلِكَ لِإِدْخَالِهِ الْمُرِيدِينَ فِي الطَّرِيقِ ؛ وَالْمَسْلَكِيُّ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(المُشَيِّدِيّ) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ الْمَكْسُورَةِ مِنْ أَلْقَابِ أَكْبَارِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ ، كِتُوبُ السُّلْطَنَةِ وَنَحْوِهِمْ ، وَهُوَ نِسْبَةٌ إِلَى الْمُشَيِّدِ فَاعِلٍ مِنَ التَّشْيِيدِ وَهُوَ رَفْعُ الْبِنَاءِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَصِيرٌ مَشِيدٌ ﴾ أَيْ مَرْتَفِعٌ ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يُشَيِّدُ قَوَاعِدَ الْمَمْلَكَةِ وَيَرْفَعُهَا ؛ وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوهُ مَجْرَدًا عَنْ يَاءِ النِّسْبِ إِذْ لَا يَلِيقُ بِالْأَذْنِينَ .

(المُشِيرِيّ) مِنْ أَلْقَابِ الْوُزَرَاءِ وَأَكْبَارِ الْأُمَرَاءِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ مِنْ يُؤْخَذُ رَأْيُهُ فِي الْأُمُورِ . قَالَ فِي "عَرَفِ التَّعْرِيفِ" : وَلَا يُسَمَّحُ بِهِ لِأَحَدٍ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ مَا لَمْ يَكُنْ مُقَدِّمَ أَلْفٍ ؛ وَهُوَ نِسْبَةٌ إِلَى الْمُشِيرِ : وَهُوَ الَّذِي يُؤْخَذُ رَأْيُهُ . وَأَخْتَلَفَ فِي أَصْلِهِ الْمَأْخُودُ مِنْهُ فَقِيلَ : مِنْ شُرْتُ الْعَسَلِ إِذَا اسْتَخْرَجْتَهُ مِنْ كَوَارَةِ النَّحْلِ ، لِأَنَّ الرَّاىَ يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْمُشِيرِ . وَقِيلَ مِنْ شُرْتِ النَّاقَةِ إِذَا عَرَضَتْهَا عَلَى الْحَوْضِ لِأَنَّ الْمُسْتَشِيرَ يَعْضُ مَا عِنْدَهُ عَلَى الْمُشِيرِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوهُ مَجْرَدًا عَنْ يَاءِ النِّسْبِ لِأَنَّهُ لَا تَحْطَاظُ عَنْ رَتَبَةِ الْأَكْبَارِ .

(المُظَاهِرُ) مِنْ أَلْقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ ، وَمَعْنَاهُ الْمُعَاوَنُ أَخْذًا مِنَ الْمُظَاهَرَةِ : وَهِيَ الْمُعَاوَنَةُ .

(المُظَفَّرُ) مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، أَخْذًا مِنَ الظَّفَرِ وَهُوَ النَّصْرُ ؛ وَالْمُظَفَّرِيُّ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَلْقَابِ أَكْبَارِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ .

(المُعْرَق) بضم الميم وإسكان العين وكسر الراء من ألقاب ملوك المغرب، والمراد به من أَعْرَقَ في الكَرَم . على أن المُعْرِق قد يُطْلَق في اللغة على المُعْرِق في اللُّؤْم أيضا فهو من الأضداد، ومثل ذلك يُجْتَنَب في التلقيب .

(المُعَزَّز) بزائين معجمتين الأولى منهما مشددة مفتوحة من ألقاب ملوك المغرب، وهو آسَمُ مفعول من العَزَّ خلاف الذَّلَّ، ومنه قراءة من قرأ (ويعزُّوه ويوقِّروه) بزائين معجمتين .

(المُعْظَم) بفتح الظاء المشددة من ألقاب ملوك المغرب أيضا، وهو آسَمُ مفعول من العَظْمَة وهي الجلالة، وربما آسُتْعِمِلَ في ألقاب بعض ملوك الكُفَر على ماسياتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(المَفْحَم) بفتح الخاء المعجمة المشددة من ألقاب ملوك المغرب، وهو مأخوذ من الفَحَامَة وهي الضَّخَامَة .

(المُفَوَّه) بفتح الواو المشددة من ألقاب البُلَفاء من الكُتَّاب وغيرهم . وهو البليغ اللسن ؛ والمُفَوَّهِيّ نسبة إليه للباغة .

(المُفِيد) من ألقاب العلماء، وهو آسَمُ فاعِلٍ من الإفادة وهي إنالة الشخص مالم يكن حاصلاً عنده ؛ والمُفِيدِيّ نسبة إليه للباغة .

(المُقَدَّمِيّ) بفتح الدال المشددة من ألقاب أرباب السيوف . ويختص بمقدمي الألوَف من الأمراء ، والمراد أنه مُقَدَّم على مضاهيه من الأمراء والأجناد ، ولم يستعملوه مجزدا عن ياء النسب .

(المُقَرَّب) بفتح الراء المشددة من ألقاب الخُدَّام والخَوَاجِكَةِ ، والمراد أنه مقربٌ عند الملوك ومن في معناهم ، وهو من القرب خلاف البُعد ؛ والمقربى نسبة إليه للباغة .

(المُكْرَم) بفتح الراء المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفْعَل وهو من الكرامة .

(المَلِكِيّ) بفتح اللام من القاب المَلِك وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن في معناهم ؛ وهو نسبةٌ إلى المَلِك بكسر اللام وإنما فُتِحَتْ لامُه في النسب جرّياً على قاعدة النسب في تَمَرُّقِه فإنه ينسب إليه تَمَرُّقِيّ بفتح الميم على ما هو مقرر في علم النحو . على أن كثيراً من كُتَّاب الزمان يَغْلَطُون فيه فيكسرون لامه في النسب أيضاً وهو خطأ . ثم النسبة إن كانت في حق المَلِك نفسه كقولهم في ألقاب المَلِك المَلِكِيّ ، فالنسبة فيه للباغة ، وإن كانت في حق أحدٍ من أتباعه كقولهم في حق بعض الأمراء ونحوهم المَلِكِيّ الفلاني فالنسبة فيه على حقيقة النسب .

(المُجَدِّد) بفتح الجيم المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفْعَل من المَجْد وهو الشرف . وقد تقدّم في الكلام على المَاجِد أن ابن السكيت أنه يكون المَجْد^(١) للرجل وإن لم يتقدّمه شرف آباء .

(المُهْدِيّ) بكسر الهاء المشددة من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، نسبةٌ إلى المِهْد : وهو الذى يمهّد الممالك ويُدَوِّخها ، والنسبة فيه للباغة ، ولم يستعملوه مجزّداً عن ياء النسب .

(١) المَقُول في كتب اللغة عن ابن السكيت أن المجد والشرف لا يكونان إلا بالآباء والحسب والكرم يكونان للرجل وإن لم يكن له آباء كرام وقد نقل المؤلف نفسه هذا المعنى في غير هذا الموضع فتنبه .

(الْمُنْتَخَب) من ألقاب التجّار الخَوَاجِكِيَّة : وهو المختار ؛ والمنتخى نسبة إليه للبالغة .

(الْمُنْفِذِيّ) بكسر الفاء المشدّدة وبالذال المعجمة من ألقاب الوزراء ومن في معانهم نسبة إلى المنفّذ : وهو الذى له معرفة بتنفيذ الأمور ووضّح الأشياء في مواضعها ، والنسبة فيه للبالغة ؛ ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .

(الْمُنْصِفِيّ) من ألقاب الوزراء وولّاة الأمور نسبة إلى المُنْصِف : وهو الذى يُنْصِفُ المظلوم من الظالم ، والنسبة فيه للبالغة ؛ ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .
(الْمَنْصُورُ) من الألقاب السلطانية ، يقال منه « المؤيّد المنصور » ونحو ذلك ، ومعناه ظاهر ، والمنصُورى نسبة إليه للبالغة ؛ وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُنُوب السلطنة ونحوهم .

(المُؤْتَمِنُ) من ألقاب الخُدّام والتجّار الخَوَاجِكِيَّة ، والمراد أن الخُدّام يُؤْتَمِنُونَ على الحرّيم والمَمَالِك في الحَضَر ، والتجّار يُؤْتَمِنُونَ على المَالِك والجَوَارِي في السَّفَر ، أو يُؤْتَمِنُونَ على أخبار المَمَالِك وأحوالها ، فلا يُخْبِرُونَ عن مملكة بمملكة أُخْرَى إلا بما فيه السَّدَاد .

(المَوْلَى) من ألقاب الكُتّاب ، وأكثر ما يجرى ذلك في تعيين كاتب السرّ ونحوه . فيقال : « المولى فلان الدين » والمراد هنا السيّد ، والمَوْلَى نسبة إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف والأقلام . قال في « عُرف التعريف » : ولا يُكْتَب به عن السلطان لأحد . على أن المولى لفظٌ مشتركٌ يقع في اللغة على السيد كما تقدّم ويعبر عنه بالمولى من أعلى ؛ ويقع على المملوك والعَتِيق ويعبر عنه بالمولى من أسفل ؛ ويقع على المنضمّ إلى القبيلة من غير أنفسهم ، كما يقال في الإمام

الْبُخَارِيُّ « الْجُعْفَى مَوْلَاهُمْ » بمعنى أنه ليس من صُلْبِ القَبِيلَةِ ؛ وَيُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ أَيْضًا . وَإِذَا كَانَ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْمَوْلَى مِنْ أَعْلَى وَالْمَوْلَى مِنْ أَسْفَلِ فَكَانَ الْأَحْسَنُ الْإِضْرَابَ عَنْهُ .

(المؤيد) بفتح الياء المشددة من الألقاب السلطانية ، وبالكسر من ألقاب السامية بالياء فمأدونه ، والمراد أنه يؤيد الملك وينصره ، وكلاهما مأخوذ من الأيد وهو القوة ، والمراد أن الله تعالى يؤيده ويؤويه ، ومنه قولهم في الدعاء : « أيدّه الله تعالى » أى قوّاه ؛ والمؤيدى بالفتح من الألقاب المملوكية نسبةً إلى المؤيد بالفتح للباغة ؛ وبالكسر من ألقاب أكابر أرباب السيوف نسبةً إلى المؤيد بالكسر للباغة .

(الملاذى) بالذال المعجمة من ألقاب الوزراء ومن في معناهم من ولاة الأمور . وهو منسوب إلى الملاذ بمعنى الملجأ نسبةً مبالغة ؛ ولم يستعملوه مجتزأ عن ياء النسب .

حرف النون

(الناسك) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، ومعناه العابد أخذًا من النُسْك وهو العبادة ؛ والناسك نسبةً إليه للباغة . وهو من ألقاب الصلحاء أيضا ، وربما كُتِبَ به لأرباب السيوف والأقلام إذا كان فيهم من يُنسَب إلى الصّلاح .

(النبوى) من ألقاب ديوان الخلافة وما في معناه من متعلقاتها ، يقال فيه : « الدِّوَانُ الْعَزِيزُ النَّبَوِيُّ » ونحو ذلك . ويقع أيضا في ألقاب ولاة العهد بالخلافة ؛ وربما وقع في ألقاب الأشراف . وهو نسبة إلى النبوة لانتساب الخلافة العباسية إلى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتساب الأشراف إلى أبنته فاطمة رضى الله عنها .

(النَّسَبُ) من ألقاب الشُّرفاء أبناءِ فاطمةَ من عليّ بنِ أبي طالب رضى الله عنهما، والمراد العَرِيقُ فى النَّسَبِ ؛ لُقِّبُوا بذلك لأنهم أعرقُ الناسَ نسباً، لانتسابهم إلى بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم جوازُ نسبةِ أولادِ بناته إليه بخلاف غيره ، على ما هو مقرر فى كُتُب الفقه . وقد أوضحت ذلك فى كتابي المسمى «الغُيُوثُ الهوامع» فى شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع « فى أوائل النكاح ؛ والنَّسَبُ نسبةٌ إليه للبالغة .

(النَّصِيرُ) من ألقاب أرباب السيوف للجلس السامى بالياء فمن دُونَه . وهو بمعنى الناصر إلا أنه أبلغ منه ، لأن صيغةَ فَعِيلٍ أبلغ من صيغةِ فاعِلٍ على ما تقدّم ؛ والنَّصِيرُ نسبةٌ إليه للبالغة فى نصره .

(النَّظَامُ) من ألقاب الوزراء ومن فى معنَاهم ، وهو نسبة إلى النَّظَام وهو صورة الاجتماع والائتِمام ، ومنه نَظْمُ اللُّؤْلُؤِ وغيره ، والمراد أنه يكون به انتظامُ الأمور والائتِمامُها ، وحينئذ يكون النسب فيه على حقيقته ، لأنه نسبة إلى غير صاحب اللَّقَب ؛ ويحوز أن تكون النسبة فيه للبالغة على معنى أن صاحب اللقب قد جعل ^(١) عن النظام تجوزاً ؛ ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .

(النَّوْنُ) بضم النون وفتح الواو وسكون الياء المنشأة تحت ونون فى الآخر من ألقاب كُفَّالِ الممالك بالممالك القانيّة : كآئب السلطنة ، وأمراء الأُلُوس ، والوزير ونحوهم فيما كان عليه مملكةُ إيران إلى آخرِ مملكةِ أبى سعيد ؛ والنَّوْنُ نسبةٌ إليه للبالغة . قال فى «التثقيف» : وهو بمثابة الكافى فى ألقاب التَّوَاب . قال : وهو نعت يستعمل دائماً لأهل تلك البلاد ولا يستعملون الكافى أصلاً .

(١) أى أطلق عليه النظام .

حرف الهاء

(الهُمَام) من ألقاب أرباب السُّيوف ، والمراد الشُّجاع ؛ والهُمَامِي نسبة إليه للبالغة .

حرف الواو

(الوالِدِيّ) من ألقاب المُسنِّين من الأكابر ، وهو نسبة إلى الوالد ، وكأنه جعله والدًا له فتكون النسبةُ إليه على حقيقة النسب ، لأن النسبة فيه ليست إلى صاحب اللقب نفسه ، وربما قصد بذلك الوالد حقيقة ؛ وأكثرُ ما يقع هذا اللقب في المكاتبات .

(الوَرِيع) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ واهل الصلاح ، وربما لُقِّب به أربابُ السُّيوف والاقلام أيضا إذا آتصفوا بذلك ؛ والمراد من يتَّره عن الوقوع في الشُّبهات . وهو في اللغة النقيّ ، يقال منه وَرِيع وَرِيع بكسر الراء فيهما وَرَعًا فهو وَرِيع ؛ والوَرِيعِيّ نسبةٌ إليه للبالغة .

(الوَزِيرِيّ) من الألقاب الخاصة بالوزراء من أرباب السُّيوف والاقلام . وهو نسبة إلى الوزير ، وقد تقدّم معناه وأشتقاقه في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف .

(الوَلَدِيّ) من ألقاب الأحداث من الرؤساء ، وهو نسبة إلى الولد ، كأنه جعله ولدًا له ، وربما وقع على الولد حقيقة ؛ وأكثر ما يقع في المكاتبات كما تقدّم في الوالِدِيّ .

حرف اللام ألف

(الْأَلْمَعِيُّ) من ألقاب الأذكياء . قال الجوهري : ومعناه الذكي المتوقد .

حرف الياء

(الْيَمِينِيّ) من ألقاب الدّوّادار وكاتب السرّ والحاجب . قال في "عرف التعريف" ، ولا يقال لغيرهم ، وهو نسبة إلى اليمين كأنه يمين السلطان الذي يتناول به الأشياء ، وإلا فمجانس كاتب السرّ بدار العدل عن يسار السلطان ، والدّوّادار والحاجب قائمان أمامه .

الضرب الثاني

(المركبة المعبر عنها في اصطلاح الكتّاب بالنُّعوت)

(وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا)

حرف الألف

(أَتَابَكَ الْعَسَاكِر) من نُعوت الأمير الأتابك وَمَنْ في معناه كالنائب الكافل وَمَنْ في رُتبه . وذكر في "عرف التعريف" أنه مما يختص بالنائب الكافل . وقد تقدّم ذكر معنى الأتابك في الكلام على الألقاب الأصول ، والعساكر جمع عسكر وهو الجيش .

(إِسْكَندَر الزَّمان) من الألقاب السلطانية ، والمراد بالإسكندر هنا الإسكندر ابن فيلبس اليوناني ، وهو الذي يؤرخ بظهوره على الفرس وغلبته إياهم على ماسياتي في الكلام على التاريخ في أواخر هذه المقالة .

كَانَ مَلِكًا عَظِيمًا مَلِكَ الشَّامِ، وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَالْعِرَاقَيْنِ، وَالسُّنْدَ، وَالْهِنْدَ،
وَبِلَادَ الصِّينِ، وَالتَّبَّتْ، وَخِرَاسَانَ، وَبِلَادَ التُّرْكِ؛ وَذَلَّتْ لَهُ سَائِرُ الْمُلُوكِ؛ وَهَادَاهُ أَهْلُ
الْغَرْبِ، وَالْأَنْدَلُسِ، وَالسُّودَانِ؛ وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ
ذُو الْقَرْنَيْنِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ. قَالَ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ:
وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ مَلِكٌ عَظِيمٌ كَانَ قَبْلَ الْإِسْكَانْدَرِ بَزْمٍ طَوِيلٍ .

(أَثِيرُ الْإِمَامِ) مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ غَالِبًا، وَهُوَ أَثِيرٌ بِمَعْنَى مَأْثُورٌ، وَالْمُرَادُ
أَنَّ الْإِمَامَ يُؤَثِّرُهُ عَلَى غَيْرِهِ فَيَقْدُمُهُ عَلَيْهِ .

(اعْتِضَادُ صِنَادِيدِ الزَّمَانِ) مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ؛ وَقَدْ يَكْتُبُ بِهِ لِبَعْضِ
الْمُلُوكِ. وَالْاعْتِضَادُ الْإِسْتِعَانَةُ، يُقَالُ: أَعْتَضَدْتُ بِفُلَانٍ إِذَا اسْتَعَنْتُ بِهِ، وَالصَّنَادِيدُ
جَمْعُ صَنْدِيدٍ وَهُوَ الشُّجَاعُ .

(أَكْرَمُ مُجَبَّاءِ الْأَنْبَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ أَلْقَابِ الرُّسُلِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ، وَأَكْرَمُ
أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ مِنَ الْكَرَمِ خِلَافِ اللَّؤْمِ، وَالتَّجَبَّاءُ جَمْعُ تَجَبٍّ وَهُوَ الْكَرِيمُ .
(أَجْمَلُ الْبُلَغَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ،
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

(الذَّابُّ عَنْ حَوْزَةِ الْمُؤْمِنِينَ) مِنْ أَلْقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مَلِكٍ
مُسْلِمٍ يَقُومُ بِفَرَضِ الْجِهَادِ. وَالذَّابُّ الدَّافِعُ، وَالْحَوْزَةُ بَفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالزَّايِ
الْمَعْجَمَةِ النَّاحِيَةُ .

(الْقَائِمُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ) مِنْ أَلْقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ. ذَكَرَ فِي "التَّعْرِيفِ"
أَنَّهُ يُكْتَبُ بِهِ إِلَى صَاحِبِ تُونِسَ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مُتَّصِفٍ بِذَلِكَ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ،
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

(المجاهد عن الدين) من ألقاب ملوك المغرب، ومعناه ظاهر أيضا .
 (المعنى ملوك آل ساسان، وبقياً فراسياب وخاقان) من ألقاب عظماء ملوك الأعاجم .
 وقد ذكره في "التعريف" في ألقاب صاحب الهند . والمعنى بتشديد الفاء المكسورة
 المالحى للأثر، يقال عفت الريح كذا بالتشديد إذا درسته ومحت أثره، وشددت للبالغة .
 وآل ساسان ملوك الأكاسرة وهم الطبقة الرابعة من ملوك الفرس
 الساسانية إلى أن غلبهم الإسلام وانتزع الملك من أيديهم ، يُنسبون إلى جدتهم
 ساسان : وهو ساسان بن أردشير بهمن بن كيستاסף من ملوك الطبقة الثانية
 فيهم ، على ماسياتي بيانه في الكلام على مكتبة ملوك إيران، في المقالة الرابعة
 إن شاء الله تعالى .

وفراسياب بقاء في أوله ثم سين مهملة بعدها ياء ثم ألف وباء موحدة ملك عظيم
 من ملوك الترك، ويقال إن أصله من أبناء ملوك الفرس، وهو فراسياب بن طوج
 ابن أفريدون ، من الطبقة الأولى من ملوك الفرس ، وإن ابن عمه منوشهر غلب
 عليه بعد أن قتل أباه طوجا ففر إلى بلاد الترك وتزوج منهم ، وأتته به الحال
 إلى أن ملكهم وعظم ملكه فيهم .

وخاقان بخاء معجمة وقاف ونون ملك من ملوك الترك أيضا كان في زمن
 كسرى أنوشروان فيما يقتضيه كلام أبي هلال العسكري في كتابه "الأوائل" حيث
 ذكر أنه كان بينه وبينه حرب .

(المواقف المقدسة) من ألقاب الخلفاء في مخاطبتهم في المكاتب ونحوها،
 والمراد الأماكن التي يقف فيها الخليفة ، كني بها عن الخليفة تنويهاً عن التصريح
 بذكره، والمقدسة المطهرة، والمراد طهارتها عن الأدناس المعنوية .

(إمام الأئمة) من ألقاب العلماء ، وربما قيل «إمام الأئمة في العالمين» .

(إمام البلغاء) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتّاب ومن في معناهم

(إمام المتكلمين) من ألقاب العلماء ، وهو بأهل المعقول أليق لإطلاق علم الكلام على أصول الدين ، وإنما سمي بذلك لأنه لما وقع القول بخلق القرآن في صدر الإسلام ممن وقع كثر الكلام والخوض في ذلك فأطلق على أصول الدين علم الكلام وبقي علماً عليه .

(أوحد الأشراف) من ألقاب الشرفاء ، وربما قيل «أوحد الأشراف في العالمين»

أو «أوحد الأشراف الطاهرين» أو «أوحد الأشراف المساجدين» ونحو ذلك .

(أوحد الأصحاب) من ألقاب الوزراء من أرباب الأقلام ومن في معناهم ككاتب

السّر ونحوه وإن كان صاحب يختص بالوزير في عُرف [كُتّاب الديار المصرية^(١)] على ما تقدم .

(أوحد الأكابر) من ألقاب التجّار الخوارجيّة ، وربما كُتِب به لغيرهم من

الرؤساء ، وربما قيل «أوحد الأكابر في العالمين» .

(أوحد الأئمة) من ألقاب العلماء ، وربما أُطلق على غيرهم .

(أوحد الأمناء في العالمين) من ألقاب الكُتّاب ، والأمناء جمع أمين وهو

خلاف الخائن .

(أوحد الأئمة العلماء في العالمين) من ألقاب العلماء ، وربما اقتصر على أوحد

العلماء .

(١) بياض بالاصول والتصحيح من لقب صاحب المتقدم في الألقاب المفردة .

(أَوْحَدُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أرباب الأَقلام، وربما قيل «أَوْحَدُ الْبُلْغَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك والْبُلْغَاءُ جمعُ بَلِيغٍ وقد تقدّم معناه .

(أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ) وربما قيل «أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» أو «أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْأَنَامِ» ونحو ذلك، ومعناه ظاهر .

(أَوْحَدُ الْحُقَاطِ) من ألقاب المَحْدِّثِينَ، وربما قيل «أَوْحَدُ الْحُقَاطِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك .

(أَوْحَدُ الْخُطَبَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب الْخُطَبَاءِ .

(أَوْحَدُ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ) من ألقاب العلماء، وربما قيل «أَوْحَدُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» .

(أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ) من ألقاب العلماء، وربما أَسْتُعْمِلَ في غيرهم من أرباب الأَقلام، وربما قيل «أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ الْمُفِيدِينَ» أو «أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ الْعَارِفِينَ» ونحو ذلك .

(أَوْحَدُ الْكِبَرَاءِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ، ويجوز أن يُسْتَعْمَلَ في غيرهم .

(أَوْحَدُ الْكُتَّابِ) من ألقاب الْكُتَّابِ سواء كُتَّابُ الْإِنْشَاءِ وغيرهم .

(أَوْحَدُ الْمُتَصَرِّفِينَ) من ألقاب الْوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(أَوْحَدُ الْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السُّيُوفِ .

(أَوْحَدُ الْمُحَقِّقِينَ) من ألقاب العلماء .

(أَوْحَدُ الْمُتَكَلِّمِينَ) من ألقاب العلماء، وهو بَعْلَمَاءُ الْمَعْقُولِ أَنْسَبُ .

(أَوْحَدُ الْمُفِيدِينَ) من ألقاب العلماء .

(أَوْحَدُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَةِ .

(أَوْحَدُ الْوَعَّاطِ) من ألقاب أهل التذكير والْوَعْظِ .

(أَوْحَدُ الْوَقْتِ) من ألقاب أرباب الأَقلام ، وربما قيل «أَوْحَدُ الْوَقْتِ وَالْأَوَّانُ» والوقت معروف، والأَوَّانُ الحَيْنُ، ويجمع على أَوْنَةٍ مثل زَمَانٍ وَأَزْمَنَةٍ .

حرف الباء

(بِرَكَّةُ الْأَنَامِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ، وقد تُسْتَعْمَلُ للعلماء أيضا .

(بِرَكَّةُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ أيضا، وقد يقال «بِرَكَّةُ الدَّوْلِ» على الجمع ، وربما كُتِبَ به لأرباب الأَقلام من العلماء وغيرهم . والمراد بالدولة المملكة القائمة، وأصلها من الدَّوْلَةِ في الحرب وهي النَّصْر والغَلَبَةُ .

(بِرَكَّةُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ، وقد تُسْتَعْمَلُ لأهل العلم أيضا .

(بَقِيَّةُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب بَقَايَا الْبُيُوتِ الرَّئِيسَةِ من أهل الأَقلام وغيرهم ، وربما قيل «بَقِيَّةُ الْأَكْبَارِ فِي الْعَالَمِينَ» .

(بَقِيَّةُ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ) من ألقاب الأَشْرَافِ ، وبه يُكْتَبُ إِلَى إِمَامِ الزَّيْدِيَةِ بِالْيَمِينِ .

(بَقِيَّةُ السَّلَفِ) من ألقاب العلماء والصُّلَحَاءِ، وربما قيل «بَقِيَّةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ» أو «بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكَرَامِ» والمراد بالسَّلَفِ الْآبَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ، أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِمْ سَلَفٌ إِذَا مَضَى، وربما أُطْلِقَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

(بَقِيَّةُ السَّلَالَةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الأَشْرَافِ، وقد يقال فيه بَقِيَّةُ السَّلَالَةِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ، وربما أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِمْ . وبذلك يُكْتَبُ لِصَاحِبِ تَوْحِيدٍ لَدَعَاةٍ أَنَّهُ مِنْ نَسْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَالسَّلَالَةُ فِي الْأَصْلِ مَا اسْتُئْتِلَ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْمُرَادُ هُنَا التَّنَظُّفُ لِأَنَّهَا مُسْتَلَّةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ .

(بَقِيَّةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب مَنْ له سَلَفٌ فِي الْمُلْكِ ، كصاحبِ حِصْنٍ كَيْفًا مِنْ بَقَايَا الْمُلُوكِ الْأَيُّوبِيَّةِ .

(بَقِيَّةُ الْأَصْحَابِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ أربابِ الْأَقْلَامِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(بَقِيَّةُ شَجَرَةِ الْفَخَّارِ) من ألقاب ذَوِي الْأَصَالَةِ الْعَرِيقِينَ فِي النَّسَبِ ، وَبِهِ يُكْتَبَ لِابْنِ الْأَحْمَرِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ .

(بَهَاءُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب أربابِ الْأَقْلَامِ ، وَبِهَاءِ الْحُسْنِ ، وَالْأَعْيَانُ جَمْعُ عَيْنٍ تَجْمَعُ عَلَى أَعْيُنٍ وَعُيُونٍ وَأَعْيَانٍ ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْخِيَارُ ، إِذْ عَيْنُ كُلِّ شَيْءٍ خِيَارُهُ .

(بَهَاءُ الْأَنْثَامِ) من ألقاب أربابِ السُّيُوفِ غَالِبًا ، وَرَبْمَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِمْ ؛ وَالْأَنْثَامُ الْخَلْقُ .

(بَهَاءُ الْعِصَابَةِ الْعَلَوِيَّةِ) من ألقاب الْأَشْرَافِ ، وَبِهِ يُكْتَبُ لِأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ الْمُشْرِفِّينَ ، وَالْعِصَابَةُ بِالْكَسْرِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ وَتَجْمَعُ عَلَى عِصَابٍ . وَالْعَلَوِيَّةُ نِسْبَةٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حرف التاء المثناة من فوق

(تَاجُ الْعِلْمَاءِ وَالْحُكَّامِ) من ألقاب الْقُضَاةِ ، وَالتَّاجُ مَا يُوضَعُ عَلَى الرَّأْسِ وَهُوَ مَعْرُوفٌ .

(تَاجُ الْأَمْنَاءِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ الْأَمْوَالِ أَيْضًا .

(تَاجُ الْمُتَصَرِّفِينَ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(تَاجُ الْفَضَلَاءِ) من ألقاب أربابِ الْأَقْلَامِ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الدَّسَائِرِ الشَّامِيَّةِ

« تَاجُ الْفَضَلَاءِ الْمُتَشَيِّينَ » وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِمَنْ هُوَ فِي أَوَّلِ تَشَايِهِ وَابْتِدَاءِ رِيَاسَتِهِ ، وَحَدَاثَةِ سَنَتِهِ .

(تاج المِلَّة) من الألقاب التي يَشْتَرِك فيها أربابُ السيوف والأقلام جميعًا .
والمِلَّة في أصل اللغة الدينُ والشريعة ، والمراد هنا مِلَّةُ الإسلام ، والألف واللام فيها
للعهد الذَّهْنِيّ .

حرف الثاء المثناة

(نِقَّة الدَّوَل) من ألقاب التُّجَّار الخَوَاجِكَةِ ، وربما قيل «نِقَّةُ الدَّوَلَتَيْنِ» والنِّقَّةُ
في اللغة الأَمِينُ وَخُصَّ ذلك بالتُّجَّار لترددهم في المَمَالِك ، ويحسُنُ أن يلقَّبَ به
المرتدِّون في الرسائل بين المُلُوك .

حرف الجيم

(جامعُ كلمةِ الإيمان) من الألقاب السلطانية .

(جامعُ طُرُق الواصفين) من ألقاب الصُّوفِيَّة وأهل الصَّلَاح ، وربما قيل
«جامعُ الطُّرُق» ويصلحُ أن يكون من ألقاب العلماء أيضا .

(جمالُ الإسلام) من ألقاب العلماء ، وربما قيل جمال الأكبر من ألقاب التُّجَّار
الخَوَاجِكَةِ ، وقد يستعملُ لأرباب الأقلام ، والجمال في اللغة الحُسْنُ .

(جمالُ الذُّرِّيَّة) والمراد ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الذُّرِّيَّةَ تشمل أولاد
البنات ، وقد عدَّ اللهُ تعالى عيسى عليه السلام [من ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام]^(١)
وهو ابنُ بَنْتِهِ .

(جمالُ الصُّدُور) من ألقاب أربابِ الأقلام ، والصُّدُور جمع صَدْر ، والمراد
صُدُور المَجَالِسِ .

(١) الزيادة لتنظيم الكلام وسقوطها سهو من الناسخ .

(جمال الأئمة) من ألقاب العلماء، وربما قيل «جمال الأئمة العارفين» .

(جمال البارعين) من ألقاب أرباب الأقلام، والبارعين جمع بارع وهو الناهض .

(جمال البلغاء) من ألقاب كتّاب الإنشاء ونحوهم .

(جمال الطائفة الهاشمية) من ألقاب الشرفاء، والطائفة في أصل اللغة اسم للقطعة من الشيء . قال ابن عباس وتطلق على الواحد فافوقه ، والهاشمية نسبة إلى هاشم : وهو هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم .

(جمال العترة الطاهرة) من ألقاب الشرفاء أيضا، وربما أقصر على جمال العترة فقط . وعترة الرجل نسله وأهله الأذنون، والمراد عترة النبي صلى الله عليه وسلم .

(جمال العصبة الفاطمية) من ألقاب الشرفاء أيضا، والعصبة بفتح العين والصاد واحدة العصابات ، وهى فى أصل اللغة البنون والقرابة للأب . قال الجوهري : سموا عصبة لأنهم عصبوا بالشخص بمعنى أنهم أحاطوا به : فالأثم طرف، والأب طرف ، والعم جانب ، والأخ جانب . والمراد هنا أبناء فاطمة رضى الله عنها وهم أحد أفراد العصبة . ولا يجوز أن يقال العصبة بضم العين وإسكان الصاد : لأن المراد بذلك الرجال ما بين العشرة والأربعين كما قاله الجوهري . وبنو فاطمة رضى الله عنها قد أربوا عن العدد فى الشرق والغرب .

(جمال العلماء) من ألقاب أهل العلم .

(جمال الفضلاء) من ألقاب أرباب الأقلام من العلماء والكتّاب، وربما قيل «جمال الفضلاء المفيدین» ونحو ذلك ويختص حينئذ بالعلماء .

(جمال الكتّاب) من ألقاب كتّاب الإنشاء وغيرهم من الكتّاب .

(جمال المملّكة) من ألقاب الكتّاب .

(جَمَالُ الْوَرَعَيْنِ) من ألقاب الصُّوفية وأهل الصِّلَاح .

(جمالُ أهل الإِفْتاء) من ألقاب أكابر العلّماء .

(جَلالُ الإسلام) من ألقاب أرباب الأَقلام، ويصلح أن يكون لقباً لبعض الملوك، وبه يُكْتَب لإمام الزَّيْدِيَّة باليمن، وربما قيل «جَلالُ الإسلام والمسلمين» .

(جَلالُ الأَئِمَّانِ) من ألقاب الوُزراء ومَن في معناهم .

(جَلالُ الأكابر) من ألقاب أرباب الأَقلام، وبه يُكْتَب لناظر الخِصَّص .

(جَلالُ الحُكَّام) من ألقاب أكابر القُضاة، والجَلال في اللغة العَظَمَة .

(جَلالُ العِترَةِ الطاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء، وبه يُكْتَب لِأَميرِ مَكَّة والمدينة المشرفَين .

(جَلالُ العلّماء في العالمين) من ألقاب أهل العلم، وربما قيل «جلالُ العلّماء العالمين» ونحو ذلك .

(جَلالُ الكُبراء) من ألقاب أكابر أرباب الأَقلام .

(جلالُ الأُسرةِ الزاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف . والأُسرة بضم الهمزة الرَّهْطُ، والمراد رَهْطُ بنى هاشِمٍ، والزاهرة المُضِيئة، وبه سَمِيَ الكَوَكَبُ المعروف بالزُّهْرَة .

(جَهَبَدُ الحُدَّاقِ) من ألقاب الكُتَّاب، وربما قيل «جَهَبَدُ الحُدَّاقِ المُتَصَرِّفين» والجَهَبَدُ بفتح الجيم وإسكان الهاء وفتح الموحدة النَّقَادُ لِلذَّهَبِ والفِضَّة، ولذلك يقال للصيرِفِيِّ جَهَبَدُ، والمراد هنا أَنَّهُ يَنْقُدُ الأُمُورَ فيستخرج جَيِّدَها من رديئِها كما يفعل الصيرِفِيُّ .

(١) ضبط في القاموس الفيروزبازى بالكسر ثم قال شارحه كزرج .

حرف الحاء المهملة

(حَاكِمُ الْحُكَّامِ) من ألقاب قُضاة القضاة .

(حَاكِمُ أُمُورِ وَلَاةِ الزَّمانِ) من ألقاب أرباب السُّيُوفِ ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .

(حَافِظُ الْأَسْرَارِ) من ألقاب كُتِبَ السِّرُّ .

(حُجَّةُ الْأُمَّةِ) من ألقاب قُضاة القضاة وأكابر العلماء ، والحُجَّةُ في اللغة البرهان ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ والأُمَّةُ في أصل اللغة الجماعة ، والمراد هنا أُمَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والمعنى أنه تقوم به الحجة لأهل الإسلام على غيرهم .

(حُجَّةُ الْأَئِمَّةِ) من ألقاب أكابر العلماء ، والأَئِمَّةُ جمع إِمَامٍ ، وقد تقدّم أنه الذي يُقْتَدَى به .

(حُجَّةُ الْبُلَغَاءِ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ ، وهو بالكُتَابِ أَمْسٌ .

(حُجَّةُ الْعَرَبِ) من ألقاب النُّحَاةِ واللُّغَوِيِّينَ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، كأنهم يحتجّون به لِلْغَنِيِّمْ .

(حُجَّةُ الْمَذَاهِبِ) من ألقاب أكابر العلماء ، وربما قيل « حُجَّةُ الْمَذْهَبِ » إذا أُريدَ مَذْهَبُهُ خَاصَّةً ، وهو دون الأول .

(حُجَّةُ الْمُفْتِينَ) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بِالْمُفْتِينَ مَنْ هُمْ أَهْلُ لِفَقْهٍ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ .

(حِرْزُ الإِمَامِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ من حَفَظَته الأُمُوالُ . والحِرْزُ في اللغة المَوْضِعُ الحَصِينُ ، والمراد بالإِمَامِ السُّلْطَانُ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ .

(حُسَّامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أرباب السيوف كَتُوبِ السُّلْطَانَةِ ونحوهم . والحُسَّامُ من أسماء السِّيفِ ، سُمِّيَ بذلك أَخْذًا من الحَسْمِ وهو القَطْعُ .

(حَسَنَةُ الأَيَّامِ) من ألقاب أكابر أرباب الأَقْلَامِ من الوُزَرَاءِ والقُضَاةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . والحَسَنَةُ خِلَافُ السَّيْئَةِ ، والمراد أَنَّ الأَيَّامَ أَحْسَنَتْ بِالْأَمْتِنَانِ بِهِ . وقد ذَكَرَ القَاضِي «شَهَابُ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ» فِي بَعْضِ دَسَاتِيرِهِ أَنَّهُ يَصْلُحُ لِكُلِّ مَنْ لَهُ سَلَفٌ فِي الْكِتَابَةِ ، وَهُوَ بَعِيدُ الْمَأْخَذِ .

(حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب قُضَاةِ الْقُضَاةِ ، وَالْحَكَمُ بِمَعْنَى الْحَاكِمِ .

حرف الخاء المعجمة

(خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ) من الألقاب السلطانية، والمراد حُرْمُ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ، والمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الْعِمْلَةِ وَالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ .

(خَالِصَةُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ ، وَالْخَالِصَةُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى الْخَالِصَةِ . يُقَالُ هَذَا لِي خَالِصَةٍ يَعْنِي خَالِصَةً . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَعَلَيْهِ [حَمَلٌ] قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ اأَسْتَخْلِفُهُ لِنَفْسِي ﴾ .

(خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ . قَالَ فِي "عُرْفِ التَّعْرِيفِ" : وَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَاكِمًا فِي مَقَامِ حَكَمِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ لِمَنْ هُوَ حَاكِمٌ .

(خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ .

(خالصة الإمام) من ألقاب الصوفية، وربما جعل من ألقاب العلماء أيضا، والمراد بالإمام الخليفة أو السلطان .

(خالصة سلف الأنصار) من الألقاب التي يكتب بها لابن الأحمر صاحب الأندلس : لأنه يذكر أنه من ذرية « سعد بن عبادة » الأنصاري رضي الله عنه ، ويصلح لكل من وافقه في ذلك ، وكان الأحسن أن يقال خلاصة بدل خالصة ، لما تقدم من أن المراد بالخالصة الخاصة . والمراد بالأنصار أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وهم الأوس والخزرج الذين هاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة . (خطيب الخطباء) من ألقاب أكابر الخطباء، وربما كتب به لقضاة القضاة، إذا أضيف له خطابة جليلة، كخطابة جامع القلعة بالديار المصرية ، وخطابة الجامع الأموي بدمشق .

(خلف الأولياء) من ألقاب أولاد الصالحين .

(خليفة الأئمة) من ألقاب الشيعة، والمراد من يعتقدونه من الأئمة المعصومين كالإمامية ونحوهم . وبه يكتب لإمام الزيدية باليمن .

(خليل أمير المؤمنين) من ألقاب أولاد السلطان ، وربما كتب به لبعض الملوك، والخليل بمعنى الصديق .

(خلاصة الخلافة المعظمة) من ألقاب بعض الملوك ، والخلاصة الذي خلص من الثقل ونحوه . ويقال فيه خلاص أيضا بغير هاء .

(خلاصة سلف القوم) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، والقوم يختص في اللغة بالرجال دون النساء قال تعالى : « لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ » ثم قال : « وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ » .

(خَيْرَةُ الْإِسْلَام) من ألقاب أهل الصَّلاح فيما ذكره في "عُرف التعريف" :
ويُصلِّح لأهل العلم أيضا . والخَيْرَةُ الْأَسْمُ من قولك أَخْبَرْتُ فُلَانًا فُلَانًا ، والمراد أَنَّ
الْإِسْلَامَ أَخْبَرَهُ .

حرف الدال المهملة

(دَلِيلُ الْمُرِيدِينَ إِلَى أَوْضَحِ الطَّرَاقِ) من ألقاب مشايخ الصُّوفِيَّةِ ، والمراد بِالْمُرِيدِينَ
طُلَّابُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(دَاعِيَ الدُّعَاةِ بِالْبَرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ إِلَى اسْتِعْلَامِ الْحَقَائِقِ) من ألقاب العلماء .

حرف الذال المعجمة

(ذُنُرُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب الملوك ، وبه يُكْتَبُ لصاحبُ ثُوْنَسٍ
وملك التُّكُرُورِ . والذُّنُرُ في اللغة مصدر ذَنَرْتُ الشَّيْءَ أَذْنَرُهُ بفتح الخاء إذا جعلته
ذخيرةً .

(ذُنُرُ الْأُمَّةِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبُ السُّلْطَنَةِ ونحوهم .
(ذُنُرُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أرباب السيوف ، وقد يقع في ألقاب الصُّلَحَاءِ
والعلماء .

(ذُنُرُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف أيضا .
(ذُنُرُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ والعلماء ، والمراد طَالِبُو الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ
أو نحو ذلك .

(ذُنُرُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب الملوك ، وبه يُكْتَبُ لإمام الزَيْدِيَّةِ بِالْيَمَنِ فيما ذكره
في "التعريف" .

- (دُنْخَرِ الْمِلَّةُ) من ألقاب أرباب السيوف، وقد تقدم معنى الْمِلَّةُ .
 (دُنْخَرِ الْمَمَالِكُ) من ألقاب بعض الملوك . وربما قيل دُنْخَرِ الْمَمْلَكَةِ .
 (دُنْخَرِ الْمُوحِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه ،
 وجعله في "عرف التعريف" خاصاً بالكافل دُونَ غيره .
 (دُنْخَرِ أُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب الملوك ، وهو دُونَ خَلِيلِ أمير المؤمنين .

حرف الراء المهملة

- (رَأْسُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أكابر كتّاب الإنشاء ككتاب السّرومن يجرى مجراه .
 (رَأْسُ الصُّدُورِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام في الجملة من أهل العلم
 والكتّاب وَمَنْ يَجْرِي مجراهم . والمراد رأس صدور المجالس .
 (رَأْسُ الْعُلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام من العلماء والوزراء . وَمَنْ
 في معنابهم ، ويصلح لكلّ على القدر في الجملة ، وبه يُكْتَبُ إلى إمام الزيدية باليمن .
 (رُحْلَةُ الْحُقَاطِ) من ألقاب المحدثين ، وقد تقدم أن الرُّحْلَةَ بضم الراء مأرُحَلٌ
 إليه ، والحُقَاطُ جمع حَافِظٍ ، والمراد حِفْظُ الحديث .
 (رُحْلَةُ الْقَاصِدِينَ) من ألقاب كبار أرباب الأقلام ، وهو بأهل الكرم والجود
 أخصّ ، والمراد مَنْ يُقْصَدُ بالترحال إليه .
 (رُحْلَةُ الْمُحْصِلِينَ) من ألقاب العلماء ، والمراد مَنْ يُرْحَلُ إليه لتحصيل العلم
 بالأخذ عنه .
 (رُحْلَةُ الْوَقْتِ) من ألقاب العلماء والمراد من انفرد في الوقت بالرحيل إليه
 لأخذ العلم عنه .

(رَضِيَ الدولة) من ألقاب الكُتَّاب، والمراد من يُرَضِّيه أعيانُ الدولة بالتقريب .
ثم الظاهر أنه بكسر الضاد بمعنى مَرْضَى عند أعيان أهل الدولة . ويجوز أن يكون
بفتح الضاد على جعله هو نفس الرضا تجوزا .

(رَضِيَ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب الأقلام . والكلام فيه كالللام
في الذي قبله .

(رُكْنُ الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف . وبه كان يُكْتَب
للتائب الكافل على ما هو مذكور في "التعريف" والركن واحد الأركان وهو معروف .
(ركن الأمة) من ألقاب الملوك، وبه يُكْتَب للملك التكرور .

(ركن الملوك والسلاطين) من الألقاب الملوكية وما في معنى ذلك من أرباب
السيوف . ونقل في "التثقيف" أنه كُتِبَ به لبعض مشايخ التصوف ثم أنكره
وقال : الأولى أن يكون بدله (بركة الملوك والسلاطين) وما ذكره واضح . على أنه
في "عرف التعريف" قد أورده في ألقاب الصلحاء، وكأنهم راعوا في ذلك أنه
رُكْنٌ لهم من حيث البركة والدعاء إلا أن الأول أظهر .

(رُكْنُ الأولياء) من ألقاب أهل الصلاح على أن المراد أولياء الله تعالى ويجوز
أن يكون من ألقاب أرباب السيوف وأرباب الأقلام أيضا على معنى أن المراد
أولياء الدولة .

(رئيس الكبراء) من ألقاب الوزراء من أرباب الأقلام ومن في معناهم . وأهل
الشام يستعملونه في أكابر أرباب الأقلام من قضاة القضاة ونحوهم، وقد تقدم^(١)
المراد بالصاحب في الكلام على الألقاب المفردة .

(١) أى في حرف الصاد المهملة وهذه الجملة غير مناسبة لشرح هذا اللقب .

حرف الزاى المعجمة

(زَعِيمُ الْجُنُودِ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف كالنائب الكافل، والزَّعِيمُ الكَفِيل . والمراد هنا التَّكْفُل بالجنود والقيام بأمرها . ويجوز أن يكون بمعنى السَّيِّد، يُقال لسيِّد القوم زَعِيمُهُمْ ، والأوَّل أليقُّ بالمقام ، والجنود جمع جُنْد وهم الأعوان على ما تقدَّم .

(زَعِيمُ الْجِيُوشِ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف كُنُتُاب السلطنة ونحوهم، والجيوش جمع جيش وهو العسكر .

(زَعِيمُ المَوْحِدِينَ) من ألقاب صاحب تُوسُّ على تخصيص المَوْحِدِينَ ، والمراد بالمَوْحِدِينَ فيه أتباعُ المَهْدِيِّ بْنِ تُوَمَرْت الذين من بقاياهم ملوكُ تُوسُّ ؛ كان المَهْدِيُّ المذكور قد سَمَّاهم المَوْحِدِينَ تعريضا بَدَم من كان قبله ببلاد المَغْرِب ممن يدعى التجسيم على ما سياتى ذكره فى الكلام على مكتبة صاحب تُوسُّ فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى . ويجوز أن يراد بالمَوْحِدِينَ هنا عامةُ أهل الإيمان ويكون المراد بالمَوْحِدِينَ جميع المؤمنين . ويصح وقوعُ هذا اللقب حينئذ على غير صاحب تُوسُّ من الملوك ونحوهم ، ولذلك يُكْتَب به لملك التُّكْرُور على ما ذكره فى "التعريف" .

(زَعِيمُ الْمُؤْمِنِينَ) من الألقاب التى يُكْتَب بها لإمام الزَيْدِيَّة بِالْمِنْ . ويصحُّ وَقُوعه على غيره من ملوك المسلمين أيضا كما فى « زعيم المَوْحِدِينَ » إذا جعل عامًّا فى حق كل موحد على ما تقدَّم بيَّانه .

(زَعِيمُ جُيُوشِ المَوْحِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف ، كُنُتُاب السلطنة بِحَلَبَ ، وبه يُكْتَب لصاحب حصن كَيْفَا فيما ذكره فى "التعريف" .

(زَيْنُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب أرباب الأعلام، والزَيْنُ في اللغة تَقْيِضُ الشَّيْنِ .

(زَيْنُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب أرباب الأعلام، والأَعْيَانُ جَمْعُ عَيْنٍ، وقد تَهْتَدِمُ الكلام عليه .

(زَيْنُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(زَيْنُ الْأَنْامِ) من ألقاب صِغَارِ أرباب السيوف، وربما كُتِبَ به لغيرهم .

(زَيْنُ الْأُئِمَّةِ) من ألقاب العلماء، وربما قيل «زَيْنُ الْأُئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ» .

(زَيْنُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب الْكُتَّابِ وَنَحْوِهِمْ .

(زَيْنُ الْحُكَّامِ) من ألقاب الْقَضَاةِ .

(زَيْنُ الدُّوَابِّ الْهَاشِمِيَّةِ) من ألقاب الشُّرَفَاءِ، والدُّوَابِّ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ جَمْعُ ذُوَابَةٍ بِالْهَمْزِ: وَهِيَ مَا يُرْخَى مِنَ الشَّعَرِ . قال الجوهري: وَكَانَ الْأَصْلُ ذَاتِبِ [لَأَنَّ الْأَلْفَ الَّتِي فِي ذُوَابَةٍ^(١)] كَالْأَلْفِ الَّتِي فِي رِسَالَةٍ حَقَّقَهَا أَنْ تُبَدَّلَ مِنْهَا هَمْزَةٌ فِي الْجَمْعِ، وَلَكِنْهُمْ آسَتْغَلُّوا أَنْ تَقَعَ أَلْفُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْهَمْزَتَيْنِ فَأَبْدَلُوا مِنَ الْأُولَى وَآوَا . وَإِنَّمَا أَخْصَصَ هَذَا اللَّقَبَ بِالشُّرَفَاءِ لِأَنَّهُمْ مِنْ صَمِيمِ عَرَبِ الْحِجَازِ، وَعَادَةً عَرَبِ الْحِجَازِ إِرْخَاءُ الرِّجَالِ الدُّوَابِّ .

(زَيْنُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

(زَيْنُ الْعِبَادِ) من ألقاب أَهْلِ الصُّلَاحِ أَيْضًا .

(زَيْنُ الْعِرَّةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الشُّرَفَاءِ، وَبِهِ يُكْتَبُ لِأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الْعِرَّةِ .

(١) الزيادة عن الصحاح للجوهري .

(زَيْنُ الْكُتَّابِ) من ألقاب كُتَّابِ الإنشاء وغيره .

(زَيْنُ الْمَجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل « زَيْنُ الْأُمَرَاءِ الْمَجَاهِدِينَ » وربما كُتِبَ به لبعض صغار الملوك ، كصاحب دُنُقَلَة ونحوه .
(زَيْنُ الْمُنْشَيْنِ) رأيتُه في بعض الدساتير الشامية في ألقاب الكُتَّاب ونحوهم ، وهو صالح لكل حَدِيثٍ مَرَّقٍ في العلو .

حرف السين المهملة

(سِدَادُ الثُّغُورِ) من ألقاب الوزراء ، وهو بكسر السين وتخفيف الدال بعدها ، بمعنى أنه الذي تُسَدُّ به الثُّغُورُ ، أخذًا من سِدَادِ الْقَارُورَةِ وهو ما يُسَدُّ به قُبُهَا ، ومنه قول الشاعر :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ قَتَّى أَضَاعُوا * لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ نَغَرِ

وَيُحْكِي أَنْتَ الْمَامُونُ نَطَقَ بِمَثَلِ ذَلِكَ بَفَتْحِ السَّيْنِ بِمَحْضَرَةِ النَّضْرِ بْنِ شَيْمِلٍ فَوَدَّهَ عَلَيْهِ فَأَمَرَ لَهُ بِثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فكان النضر يفتخر بذلك ويقول : أَخَذْتُ بِإِفَادَةِ حَرْفٍ وَاحِدٍ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

(سَفِيرُ الْأُمَّةِ) من ألقاب الدُّوَادَارِ وَكُتَّابِ السِّرِّ ، وقد تقدّم معنى السَّفِيرِ .

(سَفِيرُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب المذكورين .

(سَفِيرُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب من تقدّم ، وربما قيل « سَفِيرُ الْمُلْكَةِ » .

(سَفِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) كذلك .

(سُلْطَانُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(سُلْطَانُ الْأَوَانِ) من الألقاب السلطانية الجليلة .

(سُلْطَانُ الْبَسِيطَةِ) من الألقاب السلطانية، والبَسِيطَةُ الأرض أخذًا من البَسِطَةِ وهي السَّعَة ومنه قيل : تَبَسَّطَ فلانٌ في البلاد إذا سار فيها طولًا وعَرْضًا .

(سُلْطَانُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالتُّرْكِ) من الألقاب السلطانية أيضا . وهو غير محترز الوضع لأنَّ الْعَجَمَ في اللغة يقع على مَنْ عدا العرب في الجملة ولا يختص بالْفُرسِ على ما هو المعروف بين العامة وهو مقصودهم هنا ، فالْتُرْكُ من جملة العجم فكان يكفي أن يقال سلطان العرب والعجم ، وإنما حملهم على ذلك زيادة الإطراء والمدح .

(سَلِيلُ الْأَطْهَارِ) من ألقاب الشُّرفاء ، والسَّلِيلُ الولدُ ، والمراد بالأطهار المبرءون عن الأدناس .

(سَلِيلُ الْأَكْبَرِ) من ألقاب أولاد الأكابر والرؤساء .

(سَلِيلُ الطَّيِّبِينَ) من ألقاب أرباب الأقلام من ذَوِي الْأَصَالَةِ .

(سَلِيلُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب أولاد الملوك وَمَنْ مَضَى لَهُ سَلَفٌ فِي الْمُلْكِ .

(سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدِّمِينَ) من ألقاب الأمراء مقَدِّمِي الْأُلُوفِ ، في الرتبة المتوسطة .

(سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبِ السُّلْطَانَةِ ونحوهم ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك عن الأبواب السلطانية .

(سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أصحاب الأقلام ككاتب السرِّ ونحوه .

(سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَّامِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب الْقُضَاةِ .

(سَيِّدُ الْكُتُبَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام كمنظر الخاصِّ ونحوه .

- (سيدُ الوزراء في العالمين) من الألقاب الخاصة بالوزراء .
- (سيّدُ أمراء العالمين) من ألقاب النُّواب المتوسطين .
- (سيفُ الإسلام والمسلمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .
- (سيفُ الحق) من ألقاب العلماء وأهل النَّظر .
- (سيفُ الخِلافة) من الألقاب المملوكية ، وبه يُكتب ملك التُّرك .
- (سيفُ المناظرين) من ألقاب العلماء ، والمراد بالمناظرين أهلُ البحث والجدل ، أخذًا من النَّظر وهو الفكر المؤدّي إلى الدليل .
- (سيفُ النَّظر) بمعناه أيضا .
- (سيفُ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف كُنُوب السلطنة ، وهو في الرتبة المتوسطة .
- (سيفُ جماعة الشاكرين) من الألقاب الخاصة بصاحب تُوس ، وهذا اللقب رأيته واردا في "التنقيف" ولم أعرف له معنى ؛ وسألت «قاضى القضاة ولى الدين ابن خلدون» هل يعرف لذلك معنى ؟ فقال : لا .

حرف الشين المعجمة

- (شَرَفُ الأصفياء المقرّبين) من ألقاب كبار التجّار الخوارجية .
- (شَرَفُ الدُّول) من ألقاب بعض الملوك ، ويصلح لغير الملوك أيضا .
- (شَرَفُ الأمراء في العالمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل شَرَفُ الأمراء الأشراف في العالمين إذا كان شريفا ، أو شَرَفُ الأمراء العُربان في العالمين

إذا كان غير أمير عرب ، وربما قيل «شرف الأمراء المتقدمين» إذا كان مُقَدَّم ألف ، وقد يُقْتَصَر على شرف الأمراء فقط .

(شرف الرؤساء في العالمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام كوزير الشام ونحوه ، وربما أقتصر على «شرف الرؤساء» ويكون من ألقاب التجار الخواجكة ونحوهم .

(شرف الصالحاء في العالمين) من ألقاب أهل الصلاح .

(شرف العلماء العالمين) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم ، وربما قيل «شرف العلماء في العالمين» .

(شرف الكتّاب في العالمين) من الألقاب الكتابية .

(شرف الملوك والسلطين) من الألقاب الملوكية .

(شمس الأفق) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام ، وهو بالعلماء أليق ، لأن بهم يحصل النور كما يحصل بالشمس . وهو ما يُنْخَلِ أَنْطَبُ السَّاءِ على الأرض بالنظر في كل ناحية فيه . وأصل الأفق الناحية ومنه قيل للنواحي آفاق ، وإنما خُصَّ الشمس هنا بالإضافة للأفق لأنها عند مطلعها تكون في النظر أعظم صورة .

(شمس الشريعة) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بالشريعة هنا شريعة الإسلام ، استعيرت الشمس لها لمشابقتها لها في النور .

(شمس العُصْر) من ألقاب العلماء والصالحاء ونحوهم .

(شمس المذاهب) من ألقاب العلماء الأكابر ، والمذاهب جمع مذهب وهو ما يذهب إليه المجتهد ، وأصله في اللغة لموضع الذهاب .

(شيخ المشايخ) من ألقاب العلماء وأهل الصَّلاح، وربما قيل «شيخ شيوخ الإسلام» .

(شيخ الملوك والسلاطين) من ألقاب المُسنِّين من الملوك . وهذا اللقب رأيته في كتاب وقَّف عن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، بعث به نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين يوسف .

(شيخ شيوخ العارفين) من ألقاب الصُّوفية وأهل الصَّلاح، ومرادهم بالعارفين العارفون بالله تعالى .

حرف الصاد المهملة

(صالح الأولياء) من ألقاب إمام الزيدية باليمن، ويصَّح لأهل الصَّلاح أيضا .

(صَدْر المدرِّسين) من ألقاب العلماء .

(صَدْر مِصرَ والشَّام) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم، وإنما خُصَّ

هذان القطران بالذكر لكثرة علمائهما، وربما قيل «صَدْر مِصرَ والعِراقِ والشَّام» وربما اقتصر على صَدْر الشَّام فقط إذا كان برسم وظيفة في الشَّام ونحو ذلك .

(صَفْوَة الدَّولة) من ألقاب مَنْ في معنى الوزراء كناظر الخاَصَّ ونحوه .

(صَفْوَة الصُّلَحَاء) من ألقاب أهل الصَّلاح .

(صَفْوَة الأتقياء) من ألقاب الصُّلَحَاء أيضا .

(١) (صَفْوَة المُلُوك والسلاطين) من ألقاب أرباب الأقاليم كناظر الشَّام ونحوه، وربما كتب به للتَّجَار الخَوَاجِكَة .

(صَلَّاح الإسلام) من ألقاب الصُّوفية والعلماء .

(١) لعله كناظر الخاَصَّ أو ناظر الجيش .

(صلاح الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم ، كأوزراء
ومَن في معانهم .

(صَلَاحُ الدُول) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَب لصاحب تُوس .
ويصلح أيضا لأكابر أرباب الأقاليم من الوزراء وغيرهم .
(صلاحُ المِلَّة) من ألقاب العلماء والصلحاء .

حرف الضاد المعجمة

(ضياءُ الإسلام) من ألقاب العلماء والصلحاء ، ور بما قيل « ضياءُ الإسلام والمسلمين »
والضياءُ خلافُ الظلام . وهو مخصوص بما كان مُضيئاً لِدَاتِهِ ، بخلاف النور فإنه يقع
على ما هو مكتسبُ النور ، ولذلك قال تعالى : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا ﴾
نخصّ الضياءَ بالشمس لأنَّ نورها لِدَاتِهَا ، والنورَ بالقمر لأنَّ نوره مكتسب من
الشمس ، على ما هو مقرّر في علم الهيئة .

(ضياءُ الأنام) من ألقاب من تقدم ذكره .

حرف الطاء المهملة

(طَرَّازُ العِصَابَةِ العُلَوِيَّة) من ألقاب الأشراف كأمرئى مكة والمدينة المشرقيين .
والطَّرَّازُ في أصل اللغة عَلمُ الثوب . قال الجوهري : وهو فارسى معرّب ، كأن
صاحب اللقب جعل علماً لتلك الطائفة كما جعل الطَّرَّاز علماً للثوب .

حرف الظاء المعجمة

(ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ) من الألقاب السلطانية ، والظل ما يحصل عن الشاخص
في ضوء الشمس ، والمراد أن الخلق يستظلون بالسلطان من حرّ الجور كما يستظل

المستَظِلُّ بِظَلِّ الشَّجَرَةِ ونحوها من حرِّ الشمس . وقال ابن قتيبة في "أدب الكاتب" أصل الظِّلُّ السَّترُ ومنه قولهم : أنا في ظِلِّكَ أي في سِتْرِكَ ، ثم أَسَمُ الظِّلَّ مَخْصُوصٌ بما قَبْلَ الزَّوالِ ، أما بعد الزَّوالِ فإنه يَسْمَى فيثا لأنه يَرْجِعُ من جهة الغَرْبِ إلى جِهَةِ الشَّرْقِ أَخْذًا من قولهم فَأَ إِذَا رَجَعَ .

(ظهيرُ الملوك والسلطين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُنُوبِ السلطنة .
(ظهيرُ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف أيضا ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك كصاحب الأندلس ونحوه .
(ظهير الإمامة) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ إلى صاحب التَّكْوِينِ .

حرف العين المهملة

(عاقِدُ البُنُودِ) من ألقاب النَّائِبِ الكافِلِ ونحوه ، والعاقِدُ فاعِلٌ من العَقْدِ نَقِيضُ الحَلِّ ، والبُنُودُ جَمْعُ بَنْدٍ - بفتح الباء وإسكان النون - وهو العَلَمُ الكبير قال الجوهري - وهو فارسيٌّ معرب .

(عِزُّ الإسلام) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ إلى ملك التَّكْوِينِ .
(عِزُّ الإسلام والمسلمين) من ألقاب الرُّتَبَةِ الوُسْطَى من نُوَابِ السلطنة وَمَنْ في مَعْنَاهُمْ ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .

(عُدَّةُ الدنيا والدِّينِ) من ألقاب الملوك ، وبه يُكْتَبُ لصاحب نُوُسٍ .
والعُدَّةُ بالضم في اللغة ما أعدته لحوادث الدهر من المال والسَّلاح ونحو ذلك وهو المراد هنا ، وربما أُطْلِقَ على نَفْسِ الاستعداد .

(عُدَّةُ الملوك والسلطين) من ألقاب أصاغِرِ أرباب السُّيُوفِ .

(عَضُدُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب متوسّطي أرباب السيوف ، وقد تقدّم أن أصل العَضُد لما بين الساعد والكتف .

(عَضُدُ أمير المؤمنين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف من ثواب السلطنة وغيرهم . وربما كُتِبَ به إلى بعض الملوك كملك التُّكُور .

(عَلَمُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء والوزراء وَمَنْ فِي معناهم . وقد تقدّم معنى العَلَمِ ومعنى الدولة .

(عَلَمُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلاح ، وقد تقدّم أن المراد بالعلم الرأية وبالزُّهْدُ الإقْلَاعُ عن الدنيا .

(عَلَمُ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ) من ألقاب أكابر أهل العلم ، وربما قيل «عَلَمُ الْمُفَسِّرِينَ» أو «عَلَمُ النَّحَاةِ» ونحو ذلك .

(عَلَمُ الْهُدَاةِ) من ألقاب إمام الزيدية باليمن ، ويصلح لأكابر العلماء والصلحاء . والهُدَاةُ جمع هَادٍ وهو المرشد .

(عَلَمُ الْأَعْلَامِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، ويصلح لأرباب السيوف أيضا .

(عِمَادُ الْحُكَّامِ) من ألقاب أكابر القضاة ، وربما قيل «عِمَادُ الْحُكَّامِ الْبَارِعِينَ» أو «عِمَادُ الْحُكَّامِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك . وأصل العِمَادِ فِي اللُّغَةِ الْأَبْنِيَّةِ الرِّفْعَةُ وَاحِدُهَا عِمَادَةٌ ، ومنه قيل فلانٌ طَوِيلُ الْعِمَادِ كَأَنَّ بِنَاءَهُ بِالْأَرْتِفَاعِ صَارَ عَلَمًا لِزَائِرِيهِ .

(عِمَادُ الْعَرَبِ) من ألقاب أكابر أمراء العربان ، كأمير آل فُضْلٍ ونحوه .

(عِمَادُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء وأكابر الوزراء ونحوهم .

(عِمَادُ الْمَلَّةِ) كذلك .

(عِمَادُ الْمَمْلَكَةِ) نحوه ، وهو دونه في الرتبة .

(عِمَادُ الْمُحَدِّثِينَ) من ألقاب علماء الحديث النبويّ على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وبه يُكْتَبُ لِقَضَاةِ الْقَضَاةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(عُمْدَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب صغار أرباب السيوف ، وهو دُونَ عُدَّةِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ وَالْعُمْدَةُ فِي اللُّغَةِ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ .

(عَوْنُ الْعَسَاكِرِ) من ألقاب ناظرِ الجيش ونحوه ، وَالْعَوْنُ فِي اللُّغَةِ الظَّهِيرُ وَالْمَعَاوُنُ .

(عَوْنُ جِيُوشِ الْمُوحِّدِينَ) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ لِمَلِكِ التُّكُرُورِ ، وَيَصْلَحُ لِكِبَارِ أَرْبَابِ السِّيُوفِ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ أَيْضًا .

(عِلَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب العلماء والصلحاء ويصلح لأرباب السيوف أيضا .

(١) وَالْعِلَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدُّ مَصْدَرُ عِلَا فِي الشَّرَفِ وَنَحْوِهِ يَعْلُ بِفَتْحِ اللَّامِ .

(عَيْنُ الْمَمْلَكَةِ) من ألقاب أرباب الأقلام ونحوهم .

(عَيْنُ الْأَعْيَانِ) نحوه .

حرف الغين المعجمة

(غُرَّةُ الزَّمَانِ) من ألقاب أرباب الأقلام ، وَالْغُرَّةُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ بَيَاضٌ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ فَوْقَ الدَّرْهِمِ ، شُبَّهَ بِالْغُرَّةِ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ لظَهْوَرِهَا وَتَحْسِينِ الْفَرَسِ بِهَا .

(غَوْتُ الْأَنَامِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه .
وقد تقدّم معنى الغَوْتِ .

(١) قوله بفتح اللام أى فيها وهي لغة فى على يعلى من باب تعب أنظر المختار .

(غِيَاثُ الْأَنَامِ) من ألقاب أكابر الملوك كصاحب الهند ونحوه . وقد تقدم معنى الغِيَاث .
(غِيَاثُ الْأُمَّةِ) نحوه .

حرف الفاء

(فَاتِحُ الْأَفْطَارِ) من الألقاب السلطانية، والفَاتِحُ فاعِلٌ من الفتح وهو معروف،
والأَفْطَارُ جمع قُطْرٍ وهو الناحية والجانب، والمراد نواحي الممالك .
(فَارِسُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، ذكره ابن شيث من
كُتَابِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ فِي "مَعَالِمِ الْكُتَابَةِ" .
(نَخْرُ الْأَنَامِ) من ألقاب أرباب الأقلام، ويجوز أن يكون من ألقاب أرباب
السيوف أيضا .
(نَخْرُ الْأُسْرَةِ الزَّاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء كأميرى مكة والمدينة المشرفين،
وأُسْرَةُ الرَّجُلِ بضم الهمزة رهطه .
(نَخْرُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيَِّّةِ، ويصلح لغيرهم من الرُّؤَسَاءِ أيضًا .
(نَخْرُ الرُّؤَسَاءِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيَِّّةِ .
(نَخْرُ السَّلَالَةِ الزَّاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف، كأميرى مكة والمدينة المشرفين،
وَالسَّلَالَةُ الزَّاهِرَةُ تَقْدَمُ الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَاهَا .
(نَخْرُ الصُّدُورِ) من ألقاب أرباب الأقلام، ور بما كُتِبَ بِهِ لِلتُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيَِّّةِ .
(نَخْرُ الصُّلَحَاءِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَاهِلِ الصَّلَاحِ .

- (فَخَرُّ الْعِبَادِ) من ألقاب أهل الصَّلاح أيضا .
- (فَخَرُّ الْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف .
- (فَخَرُّ الْمُحَدِّثِينَ) من ألقاب أصحاب الحديث .
- (فَخَرُّ الْمُدَرِّسِينَ) من ألقاب العلماء، وبه يُكْتَبُ لِقُضَاةُ الْقُضَاةِ ونحوهم .
- (فَخَرُّ الْمُفِيدِينَ) من ألقاب العلماء أيضا .
- (فَخَرُّ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب بعض الملوك .
- (فَخَرُّ الشَّجَرَةِ الزَّكِيَّةِ) من ألقاب الشرفاء، والمراد شجرةُ نَسَبِهِمُ الشَّريف .
- (فَخَرُّ النَّسَبِ الْعَلَوِيِّ) من ألقاب الشرفاء أيضا، وبه يُكْتَبُ لِإِمَامِ الزَّيْدِيَّةِ بِالْيَمَنِ .
- (فَرْدُ السَّالِكِينَ) من ألقاب أهل الصَّلاح .
- (فَرْدُ الزَّمَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .
- (فَرْدُ الْوُجُودِ) من ألقاب العلماء وأهل الصَّلاح .
- (فَرْعُ الشَّجَرَةِ الزَّكِيَّةِ) من ألقاب الشرفاء .

حرف القاف

(قَامِعُ الْبِدْعَةِ) من ألقاب أكابر العلماء، وزبما قيل «قَامِعُ الْبِدْعِ» وقد يقال «قَامِعُ الْبِدْعِ وَمُخْفِي أَهْلِهَا» والقامع فاعلٌ من قَمَعَهُ إِذَا ضَرَبَهُ بِالْمِقْمَعَةِ : وهي مِجَنٌّ من حديد يُضْرَبُ بِهِ عَلَى رَأْسِ الْفِيلِ، وَالْبِدْعَةُ واحدةُ الْبِدْعِ : وهي خلافُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَمَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ .

(قُدْوَةُ الْأَوْلِيَاءِ) من ألقاب أهل الصلاح .

(قُدْوَةُ الْبَارِعِينَ) من ألقاب أرباب الأعلام، وهو بالكُتَّابُ أليق، والبارِعُ الماهر .

(قُدْوَةُ الْبُلَغَاءِ) من ألقاب أرباب الأعلام . وهو بَكَّتَابُ الْإِنْشَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ أَخَصُّ .

(قُدْوَةُ الْخَلَفِ) من ألقاب العلماء وأهل الصلاح، والخَلَفُ في اللغة الذي يَمُجِيءُ بعد غيره ويقوم مقامه؛ والمراد خَلَفَ مَنْ سَلَفَ من علماء الأمة أو صالحها .

(قُدْوَةُ الْعِبَادِ) من ألقاب أهل الصلاح، وربما قيل «قُدْوَةُ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ» أو نحو ذلك .

(قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أهل العلم، وربما قيل «قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ» ونحو ذلك .

(قُدْوَةُ الْفِرْقِ) من ألقاب العلماء، والمراد فِرْقُ أَهْلِ الْحَقِّ من أرباب المذاهب والعقائد الصحيحة، والفِرْقُ جمع فِرْقَةٍ .

(قُدْوَةُ الْفُضَلَاءِ) من ألقاب أكابر العلماء، والفُضَلَاءُ جمع فاضل وهو خلافُ الناقِصِ .

(قُدْوَةُ الْكُتَّابِ) من ألقاب أكابر الكُتَّابِ كالوُزَرَاءِ من أرباب الأعلام وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مَنْ كَاتَبَ السِّرَّ وَنَحْوَهُ .

(قُدْوَةُ الْمُجْتَهِدِينَ) من ألقاب كبار العلماء، وقد تقدّم في الألقاب أَنَّ الاجْتِهَادَ عبارةٌ عن استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسُّنَّةِ والإجماع والقياس .

(قُدْوَةُ الْمُحَقِّقِينَ) من ألقاب أكابر العلماء، وقد تقدّم معنى التحقيق .

(قُدْوَةُ الْمُسْلِكِينَ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلَاحِ ، والمراد بالمُسْلِكِينَ المعترفون الطريقَ إلى الله تعالى كما تقدّم بيانه .

(قُدْوَةُ الْمُشْتَغِلِينَ) من ألقاب أهل العلم ، والمرادُ الاشتغالُ بالعلم .

(قُدْوَةُ الْمُوَحِّدِينَ) من الألقاب الخاصة بصاحب تُوُس : لوقوع الموحِّدين في اصطلاحهم على أتباع المهديّ بن تُوَمَرْت ؛ وصاحب تُوُس الآن من بقاياهم كما تقدّم .

(قَسِيمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من الألقاب السلطانية ، وهو فعيلٌ بمعنى فاعلٍ فيكون معناه يُقاسِمُ أمير المؤمنين ، والمراد مقاسمته الأمر .

(قُطْبُ الزَّهَادِ) من ألقاب أهل الصلاح ؛ والقُطْبُ تقدّم معناه .

(قُطْبُ الْأَوْلِيَاءِ) من ألقابهم أيضا ، والأولياءُ جمع وَلِيٍّ وهو خلاف العَدُوِّ ، والمرادُ أولياء الله تعالى .

(قَوَامُ الْأُمَةِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معنَاهم ، والقَوَامُ بالكسر نظام الشيء وعمادُه ومِلاكُه ، يقال فلانٌ قَوَامُ أهل بيته ، ومنه قَوَامُ الأمر بمعنى نظامه .

(قَوَامُ الْجُمْهُورِ) قال في "عرف التعريف" : هو من ألقاب الوزراء ؛ والجُمُهور من الناس جُلُهم ، أخذنا من الجُمُهور وهي الرملة المجتمعة المُشْرِفة على ماحولها .

(قَوَامُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الكُتَّاب وهو بالكسر أيضا .

(قَوَامُ الْمَصَالِحِ) من ألقاب أكابر الكُتَّاب من الوزراء وَمَنْ في معنَاهم ، وهو بالكسر أيضا ، والمَصَالِح جمع مَصْلَحَةٍ وهي خلاف المَفْسَدَةِ .

(قَوَامُ الْإِسْلَامِ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وهو بالكسر كالذي قبله .

حرف الكاف

(كافِلُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب بَكَارِ النُّوَابِ كُتَّابِ دِمَشْقَ ، وقد تقدّم معنى الكافل في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف .

(كافِلُ الممالك الإسلاميّة) من ألقاب النائب الكافل : وهو النائب بحضرة السلطان .

(كَافِي الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي معناهم ، والكافي اسمُ فاعِلٍ من الكفاية .

(كَتَرُ التَّقِيّ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، والكَتَرُ في أصل اللغة المأل المدفون ، استعير لصاحب الألقب لأنه كالشيء المكنوز لذلك الباب .

(كَتَرُ الطالبين) من ألقاب العلماء .

(كَتَرُ العلماء) من ألقاب أهل العلم وربما قيل « كَتَرُ المُفَسِّرِينَ » أو « كَتَرُ المتفقهين » ونحو ذلك .

(كَتَرُ المُسْلِكِينَ) من ألقاب الصوفيّة وأهل الصّلاح .

(كَهْفُ الأُسْرة الزاهِرة) من ألقاب الشرفاء ، والكهفُ المَلْجَأُ ، ومنه قولهم : فُلَانٌ كَهْفٌ . والأصل في الكهف البيت المتقوّر في الجبل ويجمع على كُهُوف ؛ وقد تقدّم الكلام على الأُسْرة والزاهِرة .

(كَهْفُ الكُتَّابِ) من ألقاب أ كابر الكُتَّاب كالوزير من أرباب الأقلام وكاتب السرّ وَمَنْ فِي معناهم .

(كَوْفُ الْمَلَّةِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُنُوب السلطنة ونحوهم .

(كَوْكَبُ الْأُسْرَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف كأميرى مكة والمدينة المشرفين والكوكب واحد الكواكب وهو يقع على النجوم والشمس والقمر .

(كَوْكَبُ الذَّرِّيَّةِ) من ألقاب الشرفاء أيضا، والمراد الذَّرِّيَّةُ الْعَلَوِيَّةُ .

حرف اللام

(لِسَانُ الْحَقِيقَةِ) من ألقاب الصوفية ، واللسان هنا جارحة الكلام ، والحقيقة خلاف المجاز ، وهى فى الأصل عين الحق ، والمراد هنا معرفة الأمر على ما هو عليه .

(لِسَانُ الْحِفَاطِ) من ألقاب المحدثين والوعاظ ، والمراد المتكلم عنهم ، يقال فلان لسان القوم إذا كان متكلمًا عنهم ؛ ويجوز أن يكون المراد اللسان الذى هو جارحة الكلام ويكون المعنى 'آلتهم للكلام كما أن اللسان آلة الكلام للمتكلم' ؛ ويجوز أن يكون من اللسان بمعنى اللغة ، كما فى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ ويكون المعنى أنه المترجم عنهم والمتكلم بلغاتهم المختلفة .

(لِسَانُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب كاتب السر ومن فى معناه ، واللسان فيه يحتمل المعنيين .

(لِسَانُ السُّلْطَانَةِ) من ألقاب كاتب السر .

(لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ) من ألقاب العلماء ، والمتكلمون يجوز أن يراد بهم كل متكلم فى الجملة تعميما للدح ؛ ويجوز أن يراد العلماء بعلم الكلام وهو أصول الدين ، لأن أصحابهم هم أرباب النظر الدقيق والبحث لدقة متعلقه ، وهو الظاهر .

(لِسَانُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب كُتَّاب السِّرِّ، والممالك جمع مملكة وهو موضع الملك، والمعنى أنه يتكلم بلسان ملوك الممالك .
(لِسَانُ ملوكِ الأُمصارِ) من ألقاب كاتب السِّرِّ .

حرف الميم

(مَالِكُ زِمَامِ الْأَدَبِ) من ألقاب البُلغاء من الكُتَّاب ونحوهم، ويصلح لكاتب السِّرِّ وَمَنْ في معناه .

(مانحُ الممالكِ والأقاليمِ والأُمصارِ) من الألقاب السلطانية، والمانحُ المُعْطى، والممالكُ تقدّمُ بيانه، والأقاليمُ جمع إقليم، وله معنيان أحدهما واحدُ الأقاليمِ السبعة التي تُسمِّيها الحكماء، ممتدة في طول الأرض ما بين المغرب والمشرق . والثاني الواحد من الأقاليم العُرفيّة : كمصر والشَّام والعِراق وما أشبه ذلك وقد مرّ القولُ فيهما .

(متعمّد المصالح) من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معناه، والمراد بالمتعمّد المتقصد .

(مجدّ الإسلام) من ألقاب صغار أرباب السيوف .

(مجدّ الإسلام والمسلمين) من ألقاب متوسطيهم .

(مجدّ الأمراء) من ألقاب أصاغر أرباب السيوف كأمرء العِشرين ونحوهم .

(مجدّ الرؤساء) من ألقاب الثُّجَّار الخَوَاجِكَةِ .

(مُجَلَّى الْغِيَاهِبِ) من ألقاب أكابر العلماء، والمُجَلَّى بالتشديد الكاشف، يقال :

جَلَا الْأَمْرُ إِذَا أَوْضَحَهُ وَكَشَفَهُ، ومنه جَلَوْتُ السَّيْفَ ونحوه إذا كَشَفْتَهُ من الصِّدَأِ؛

وَالْغِيَاهِبُ جمع غَيْبٍ وهو الظُّلْمة الشديدة، يقال : فرَسٌ أَدْهَمُ غَيْبًا إِذَا أَشْتَدَّ

سَوَادُهُ .

(مَجْدُ الصُّدُور) من ألقاب التُّجَّارِ الخَوَاجِكَةِ .

(مُجَمِّلُ الْأَمْصَارِ) من ألقاب أَكْبَرِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ، والمُجَمِّلُ فاعِلُ الْجَمَالِ ،
والأَمْصَارُ جمعُ مَصِيرٍ وهو الإقليم .

(مُجْهِدٌ نَفْسَهُ فِي رِضَا مَوْلَاهُ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح [والمراد به]
المُعْمِلُ نَفْسَهُ لِلْغَايَةِ . يقال : أَجْهَدَ جَهْدَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَيْ أَبْلَغَ غَايَتِكَ ، والمراد
بِالْمَوْلَى هُنَا الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(مُحْيِي السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .

(مُحْيِي الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(مُدَبِّرُ الْجُيُوشِ) من ألقاب ناظر الجيش .

(مُدَبِّرُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب الوزراء ، وربما قيل «مُدَبِّرُ الدَّوْلَةِ» والمُدَبِّرُ فاعِلُ
التدبير ، وقد تقدّم معناه في الكلام على المُدَبِّرِيِّ فِي جُمْلَةِ الْأَلْقَابِ الْمَفْرُودَةِ .

(مُدَبِّرُ أُمُورِ السُّلْطَانَةِ) من ألقاب الوزراء وَكُتَّابِ السِّرِّ وَغَيْرِهِمْ .

(مُدَكِّرُ الْقُلُوبِ) من ألقاب الخطباء والوعاظ ، والمُدَكِّرُ فاعِلُ التذكير وهو الآخذ
بِالذِّكْرِ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُتَفَعُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(مُذِلُّ الْبِدْعَةِ) من ألقاب علماء السنة ، والمُذِلُّ تَقْيِيزُ الْمُعِزِّ .

(مُذِلُّ حِزْبِ الشَّيْطَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، والحِزْبُ الطائفةُ ،
وحِزْبُ الرَّجُلِ أَصْحَابُهُ .

(مُرَبِّي الْمُرِيدِينَ) من ألقاب الصلحاء .

- (مُرْتَب الْجِيُوش) من ألقاب ناظر الجيش .
- (مُرْتَضَى الدولة) من ألقاب الكُتَّاب، والمُرْتَضَى بمعنى المَرْضَى المقبول .
- (مُرْتَضَى الملوك والسلاطين) من ألقاب ارباب السيوف والأقلام جميعا .
- (مُسْتَحْدِمُ أربابِ الطَّبْلِ والعَلَم) من ألقاب النائب الكافل ونحوه .
- (مُشَيِّدُ الممالك) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي معنَاهُمْ، والمُشَيِّدُ فاعلُ التشييد وهو رَفَعَ البناء .
- (مُشِيرُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي معنَاهُمْ، والمُشِيرُ الذي يُشِيرُ على غيره بالرأى .
- (مُشِيرُ السلطنة) مثله .
- (مُشِيرُ الملوك والسلاطين) مثله .
- (مُظْهِرُ أَنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ) من ألقاب العلماء، وهو بضم الميم وإسكان الظاء على أنه فاعِلٌ من الظُّهُور^(١)، والأنباء جمعُ نَبَأٍ وهو الخبرُ، والمراد أنه يُظْهِرُ أخبارَ الشريعة ويُدَيِّعُهَا؛ ويجوز أن يكون بفتح الميم على أنه هو نفس المَظْهَر وهو أَبْلَغُ .
- (مُعِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ) من ألقاب النائب الكافِلِ وَمَنْ فِي معنَاهُ .
- (مُعِزُّ السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء، والسُّنَّةُ خلافُ البِدْعَةِ .
- (مُعِينُ الحَقِّ ونَاصِرُهُ) من ألقاب الحُكَّامِ من أرباب السيوف وغيرهم .
- (مُقَيِّدُ المُسْلِمِينَ) من ألقاب العلماء .
- (مُفِيدُ البُلَغَاءِ) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتَّاب وغيرهم .

(١) الأولى من الإظهار .

(مُفِيدُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب العلماء .

(مُفِيدُ الْمَنَاجِحِ) من ألقاب الوزراء ، وَالْمَنَاجِحُ جمع مَنَجَحٍ أخذنا من النَّجَاح وهو الظَّفَرُ بِالْحَوَائِجِ .

(مُفِيدُ أَهْلِ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ) من ألقاب العلماء .

(مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَاحٍ) من ألقابهم أيضا .

(مُقَرَّبُ الْحَضَرَتَيْنِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ إِذَا كَانَ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ مَمْلَكَتَيْنِ .

(مُقَرَّبُ الدُّوَلِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ ، وهو أَعْمُ من الْأَوَّلِ .

(مَلَجًا الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ) من ألقاب النَّائِبِ الْكَافِلِ وَنَائِبِ الشَّامِ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ آخِرًا .

(مَلَجًا الْمُرِيدِينَ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

(مَلِكُ الْبَحْرَيْنِ) من الألقاب السلطانية ، والمرادُ بِبَحْرِ الرُّومِ وَبِحَرِّ الْقُلُومِ : لِأَنَّهُمَا يَتَقَارَبَانِ بَيْنَ مِصْرَ وَالشَّامِ عَلَى الْقُرْبِ مِنَ الْعَرِيشِ .

(مَلِكُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ .

(مَمْلُكُ الْمَمَالِكِ وَالتُّخُوتِ وَالتَّيْجَانِ) من الألقاب السلطانية أيضا ، والمرادُ بِالتُّخُوتِ هُنَا تُخُوتُ الْمَلِكِ ، يريد أنه مَمْلُكُ الْمُلُوكِ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ .

(مُمَهِّدُ الدُّوَلِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبِ السُّلْطَنَةِ وَنَحْوِهِمْ ،

وَرَبِّمَا كُتِبَ بِهِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ أَيْضًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى التَّمْهِيدِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْمُمَهِّدِيِّ فِي جُمْلَةِ الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(مُنْبَه الخَوَاطِر) من ألقاب الخطباء والوعاظ ، والمُنْبَه المَوْقِظُ ، والخَوَاطِر جمع خَاطِرٍ .

(مُنْجِد الملوك والسلَاطِين) من ألقاب النَائبِ الكافِلِ ، وبه يُكْتَبَ لإمام الزيدية بايمن . والمُنْجِد المَعِين أَخْذاً من قولهم آسْتَنْجِدُنِي فَلانٌ فَأُنْجِدُهُ أَيْ آسْتَعَانَ بِي فَأَعْتَهُ .

(مُنْشَى العلماء والمُفْتِينَ) من ألقاب أكابر العلماء .

(مُنْصِف المظلومين من الظالمين) من الألقاب السلطانية .

(مَوْرِد الجُود) من ألقاب الكرماء .

(مَوْصِل السالكين) من ألقاب الصوفية والصلحاء .

(مَوْصِح الطَّرِيقَة) من ألقاب الصوفية والصلحاء أيضاً ، وربما قيل «مَوْصِح الطَّرَائِق» وقد تقدم أن المراد الطريقُ إلى الله تعالى .

(مُوَلَّى الإحسانِ) من الألقاب السلطانية ، والمراد بالمُوَلَّى المُنِيل .

(مُؤَمِّن الأرض المحيطة) من الألقاب السلطانية أيضاً ، وكأنهم يريدون الأرضَ المحيطةَ لآتساعها ، ويكون المرادُ أرضَ المملكة ، وإلا فالأرضُ محوطةٌ من حيثُ استدارةُ الماء عليها لا مُحِيطَةٌ بغيرها .

(مَلَأْد الطالِبِينَ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، والمراد المَلْجَأُ .

(مَلَأْدُ العُبَاد) من ألقاب الصلحاء ، وفيه نظر لأن العِبَاد لا يلودنون إلا بالله تعالى ولا يَلْجَأُونَ إلا إليه .

(مَلَأْدُ الكُتَّاب) من ألقاب أكابر الكُتَّاب ، ككاتب السرِّ ونحوه .

(مُؤَيِّدُ الْحَقِّ) من ألقاب أرباب السيوف وغيرهم ، والمُؤَيِّدُ الْمُقَوِّى أَخْذاً من الأَيْدِ وهو الْقُوَّةُ .

(مُؤَيِّدُ الْمِلَّةِ) من ألقاب العلماء .

(مُؤَيِّدُ أُمُورِ الدِّينِ) كذلك . وبه يُكْتَبُ لإمام الزيدية باليمن .

حرف النون

(ناصِحُ الْمُلُوكِ وَالسُّلاطِينِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ .

(ناصِرُ السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء .

(ناصِرُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائبِ الْكَافِلِ ونحوه ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك كملك التُّكُرُورِ ونحوه .

(ناصِرُ الشَّرِيعَةِ) من ألقاب العلماء ، والشريعةُ ما شرعه اللهُ تعالى من الدِّينِ . يقال شَرَعَ لهم شَرْعاً ، وأصله من الشَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ مَوْردُ الْمَاءِ .

(ناشِرُ لُؤَا الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) من الألقاب السلطانية .

(نَجَلُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب أولاد الملوك ، والمراد أنه وُلِدَ فِي السُّلْطَنَةِ .

(نَجَلُ الْأَكْبَرِ) من ألقاب ذَوِي الْأَصَالَةِ ، والنجل النسل . يقال نَجَلَهُ أَبُوهُ إِذَا وَلَدَهُ .

(نَسِيبُ الْإِمَامِ) من ألقاب الشرفاء كأميرى مكةَ والمدينةِ الْمُشْرِقَيْنِ ، والنَّسِيبُ الْقَرِيبُ . يقال فلان نَسِيبُ فلان أى قَرِيبُهُ ، وذلك أن مَرَجِعَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْعَلَوِيِّينَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ .

(نَسِيبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) مثله .

(نَصْرُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبُ السُلْطَنَةِ ونحوهم ، وهو عندهم [فَوْقَ] نَاصِرِ الْغَزَاةِ .

(نَصِيرُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) كذلك ، وهو عندهم دُونَ الْأَوَّلِ وفَوْقَ الثَّانِي ، وفيه كَلَامٌ يَأْتِي ذِكْرُهُ .

(نِظَامُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف وَالْكُتَّابِ ، وقد تقدّم الكلامُ على النِّظَامِ فِي الْأَلْقَابِ الْمُفْرَدَةِ .

(نِظَامُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَكُتَّابِ السِّرِّ ونحوهم .

(نِظَامُ الْمَنَاجِحِ) من ألقابهم أَيْضًا .

(نُورُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

حرف الهاء

(هُمَامُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أرباب السيوف وقد تقدّم في الكلام على الألقاب المفردة أن الهمام بمعنى الشجاع .

حرف الواو

(وَارِثُ الْمُلْكِ) من الألقاب السلطانية .

(وَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من الألقاب التي يَشْتَرِكُ فِيهَا أربابُ السيوف والأفلام : كالوزراء وَقُضَاةُ الْقُضَاةِ وَكُتَّابُ السِّرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَالْوَلِيُّ فِي اللُّغَةِ خِلَافُ الْعَدُوِّ .

حرف اللام ألف

(لَا يُسُّ تَوْبِ الْفَخَّارِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام .

(لَا فِتُّ الْغَوَاةُ إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ) من ألقاب الصلحاء والوعاظ، واللافِتُّ

الصارف، يقال لَفَتَ وَجْهَهُ عَنِ إِذَا صَرَفَهُ ، وَأَصْلُ اللَّفَتِ اللَّيِّ ، وَالْغَوَاةُ جَمْعُ غَاوٍ وَهُوَ الضَّالُّ ، يُقَالُ غَوَى يَغْوِي غَيًّا إِذَا ضَلَّ فَهُوَ غَاوٍ .

حرف الياء

(يَمِينُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) قَالَ فِي "عَرَفِ التَّعْرِيفِ" : يَخْتَصُّ بِالذَّوَادِرِ

وَكَاتِبِ السِّرِّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى 'مَعْنَى' ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْيَمِينِ فِي الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ ، وَأَنْ الْمُرَادُ يَمِينُ السُّلْطَانِ الَّتِي يَتَنَاوَلُ بِهَا ، وَإِلَّا فَمَجْلِسُ كَاتِبِ السِّرِّ عَنْ يَسَارِ السُّلْطَانِ وَالذَّوَادِرُ وَاقِفٌ أَمَامَهُ .

(يَمِينُ الْمَمْلَكَةِ) مثله .

(يَمِينُ الدَّوْلَةِ) كذلك .

الضرب الثاني

(من الألقاب المفردة المؤنثة ؛ ولأنها سببان)

السبب الأول

(الجمع)

بأن يجمع شيء من الألقاب المذكورة المفردة أو المركبة، فتنتقل من التذكير إلى

التأنيث ، فإنَّ المجموعَ كلُّها مؤنثةٌ على ما هو مقررٌ في علم النحو . ويتأتَّى ذلك

في المُطلَقات، مثل أن يجمع في صدر المُطلَق بين المَقَرِّ الكريم والجناب الكريم والجناب العالى والمَجْلِس العالى؛ ثم يُتَّبَعُهَا بالألقاب التى تليق بها مما يأتى ذكره، فيأتى بتلك الألقاب مجموعة بلفظ التأنيث مفردةً ومركبةً . مثل أن يكتب إلى المَقَرِّ والجناب الكريمين، والجنابات العاليتين، والمجلس العالى الأميرية، الكبيرة، العالمية العادلة، المؤيدية، الزعيمية، العونية، الغياثية، المثناعرية، المرباطية، المهدية، المشيدية، الظهيرية، الكافلية، الفلانية، إعزاز الإسلام والمسلمين، سادات الأمراء فى العالمين، أنصار الغزاة والمجاهدين، زعماء الجيوش، مقدّمى العساكر، مُمَهِّدى الدول، مشيدى الممالك، عمادات الملّة، أعوان الأُمّة، ظهيرى الملوك والسلطين، سيوف أمير المؤمنين، ونحو ذلك .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْقَابَ كُلَّهَا مِنْ جَمَلَةِ الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ وَالْمُرَكَّبَةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا، فَيَسْتَفْنَى عَنْ بَيَانِ مُشْكَلِهَا وَتَعْرِيفِ أَحْوَالِهَا هُنَا آكْتِفَاءً بِمَا تَقَدَّمَ، إِلَّا أَنَّ مِنْ الْأَلْقَابِ الْمَجْمُوعَةِ مَا يَقُومُ لَفْظُ الْإِفْرَادِ مَقَامَهُ بَأَن يَكُونُ اللَّقْبُ اسْمَ جِنْسٍ، مِثْلَ عَضُدٍ وَجَدٍّ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ جَمْعُهُ لِأَنَّهُ يُقْصَدُ بِهِ الْجِنْسُ . فَيَجُوزُ لِلكَاتِبِ حِينَئِذٍ أَنْ يَأْتِيَ بِذَلِكَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ وَلَفْظِ الْإِفْرَادِ الَّذِى مَعْنَاهُ الْجَمْعُ . وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْقَاضِى شِهَابُ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ فِي "التَّعْرِيفِ" فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَطْلَقَاتِ . فَقَالَ عِنْدَ ذِكْرِهِ اعْتِضَادَ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِ : وَيَجُوزُ فِيهِ أَعْضَادُ الْمُلُوكِ وَعَضُدُ الْمُلُوكِ، إِطْلَاقًا لِلْأَفْرَادِ عَلَى الْجَمْعِ .

السبب الثاني

(تأنيث اللقب الأصل الذي تفتّرع عليه الألقاب الفروع . وله حالتان)
الحالة الأولى — أن يكون اللقب الأصل لمؤنث غير حقيق كالْحَضْرَة وَالْيَدِ
والبَاسِطَة . فتأتى الألقاب المفترعة عليها مؤنثة بناء على أن الصفة تتبع الموصوف
في تذكيره وتأنيثه ، على ما هو مقرر في علم النحو . أما نعوتُ الحَضْرَة فمثل أن
يقال : « الحَضْرَة الشريفة ، العلية ، السنية ، العالمية ، العالمية ، العادلةية ، الأوحديّة ،
المؤيديّة ، المجاهديّة ، المرابطة ، المناغرية ، المظفرية ، المنصورية ، وما أشبه ذلك »
وأما نعوتُ الباسطة فمثل أن يقال : « الباسطة الشريفة ، العالمة ، المولوية ،
الأميرية ، الكبرى ، العالمية ، العادلةية ، المؤيدية ، المحسنية ، السيديّة ، المالكية ،
الفلانية » وفي معناها نعوت اليد . وألقاب هذه الحالة كلّها في معنى ما تقدّم من
الألقاب المذكورة لا تختلف الحال فيها إلا في التذكير والتأنيث ، وأنه ليس فيها ألقاب
مرّكبة ، فيستغنى بما تقدّم عن ذكر معانيها وأحوالها أيضا .

الحالة الثانية — أن يكون اللقب الأصل لمؤنث حقيق ، كالْدارِ وَالسِّتارة
وَالْجِهمَة إذا كُنِيَ بها عن المرأة في الكتابة إليها مثل أن يقال : « الدارُ الكريمة »
و « السِّتارة الرّفيعة » و « الْجِهمَة المصنونة » ونحو ذلك ، فتتبعها الألقاب المفترعة
عليها أيضا في التأنيث إلا أن لها معاني تخصها . وهى على ضربين : مفردة ومرّكبة
كما تقدّم في المذكورة ، وإن لم تبلغ شأوها في الكثرة . فأما المفردة فكالشريفة ،
والكبرى ، والعالمة ، والمعظمة ، والمكرّمة ، والمحبّة ، والمصنونة ، والخالونية ،
والخوند . وربما قيل الولديّة إذا كانت والدّة حقيقة أو في مقامها ، والولديّة إذا كانت
بنات حقيقة أو قائمة مقامها ، والحاجّة إذا كانت حاجّة ونحو ذلك .

ثم الألقاب المفردة تارة تكون مجرّدة عن ياء النسب ، كالألقاب المتقدّم ذكرها ؛ وقد تلحقها ياء النسب للبالغة في التعظيم فيما تدخل فيه ياء النسب في المذكر ، مثل أن يقال : المعظمية والمكرّمية ، والمحجّية ، وما أشبه ذلك . وهذه الألقاب أكثرها منقول عن المذكر ، فيستغنى عن ذكر معانيها وأحوالها ؛ وفيها ألقاب لم يتقدّم ذكر مثلها في المذكر كالمحجّية ، وهو مأخوذ من الحجاب كأنها محجوبةٌ عن أن يراها الناس ؛ ومنها المصونة وهو مأخوذ من الصيانة ، وهى جعل الشيء في الصّون وقايةً له عن مثل النظر والمسّ ونحو ذلك ؛ ومنها الخاتون ، وهو لفظ تركيّ معناه السيدة ؛ ومنها الخوند ، وهى لفظة عجمية بمعنى السيادة أيضا .

وأما المركّبة فمثل جلال النساء ، وسيدة الخواتين في العالمين ، وشرف الخواتين ، وجميلة المحجّبات ، وجميلة المصونات ، وقرينة الملوك والسلاطين ، وسليّة الملوك والسلاطين ، إذا كانت بنتاً لسلطان أو في معناها ، وكريمة الملوك والسلاطين إذا كانت أخت سلطان . ومعاني هذه الألقاب ظاهرة معلومة .

الصنف الثاني^(١)

(من الألقاب المفرّعة على الأصول ألقاب من يُكتب إليه

من أهل الكُفر ، مما أصطلح عليها لمكاتباتهم)

وأعلم أنه لم يكن ملك من ملوك الكفر ممن يُكتب له عن الأبواب السلطانية غير النصاريّ : لأنّه لم يكن لغيرهم من أهل الملل بالتقرب من هذه المملكة ملكةٌ نائمة ، بل اليهود ليس لهم ملكةٌ قائمةٌ في قطر من الأقطار بعد غلبة الإسلام ، إنما يؤدّون الجزية حيث حلّوا ، إذ يقول تعالى في حقهم : ﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَيْمَانًا يَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ .

(١) لعل الصواب "النوع الثاني" وبالجملة فالتراجم كثيرا ما يقع فيها السهو إما من الناشر أو المؤلف فتنبه .

ثم مَنْ يَلَقَّبُ من أهل الكفر في المكاتبات إن كان من متدينتهم كالإب والبَطْرَك، ناسبه من الألقاب ما فيه معنى التَنَسُّك والتَعَبُّد؛ وإن كان من الملوك ناسبه ما فيه معنى الشَّجَاعَة والرَّيَاسَة والقيامُ بأمر دينه وتحمُّله أعباء رعيته وما في معنى ذلك . فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هِرَقْلَ : ” مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ “ وفي كتب السيرة أنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى كِسْرَى : ” مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ “ وأنه كتب إلى الْمُقَوِّسَ : ” مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُقَوِّسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ “ فعبّر عن كلٍّ من الملوك الثلاثة بعظيم قومه لمناسبة ذلك لهم .

وبالجملة فالألقاب التي تُكْتَبُ إليهم على ضربين :

الضرب الأول

(الألقابُ المدَّكَّرة ، وهي نَمَطَان)

النمط الأول

(المفردة)

وأكثر ما تُبنى على صفات الشَّجَاعَة وما في معناها . وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا ، مَقْفَأة عليها .

حرف الألف

(الأسد) من الألقاب التي أصطلح عليها بمعنى الشجاعة، وهو في الأصل الحيوان المفترس، ثم استعمل في الرجل الشجاع مجازاً لعلاقة ما بينهما من الشجاعة .

(الأصيل) من الألقاب التي أصطلح عليها لمملوكهم أيضا، وقد تقدّم في الكلام على الألقاب الإسلامية نقلا عن "عرف التعريف" أنه يختصّ بكلّ من له ثلاثة آباء في الرياسة، وحينئذ فيكون هنا مختصّا بمن له ثلاثة آباء في الملك، على أنهم الآن لا يقيمون مع ذلك بل يُراعون من له أدنى نسب .

(الأنجالوس) من الألقاب التي أصطلح عليها لمملوكهم ، وهي لفظة يونانية معناها الملك واحد الملائكة ، وإنما كُتب إليهم بذلك مضاهاةً للكُتب الواردة عنهم ، ولعلّ الكاتب لم يعلم معنى ذلك ، وكذلك غيرها من الألقاب التي في معناها .

حرف الباء

(البالوغيّس) من الألقاب التي أصطلح عليها لمملوكهم ، وهي لفظة يونانية أصلها البالي لوغيّس ، ومعناها «الكلمة القديمة» .

حرف الجيم

(الجليل) من الألقاب التي أصطلح عليها لمملوكهم ، ومعنى الجليل في اللغة العظيم ، لكن قد استعمل في ألقابهم في المكاتبات لمملوكهم . فيقال «الملك الجليل» والمراد الجليل بالنسبة إلى ملوك الكُفر ، وإلا فالكافر لا يوصف بالعظمة . وكان الأحسن أن لا يكتب به إليهم ، لاسيّما وهو آسم من أسمائه تعالى .

حرف الخاء المعجمة

(الخالشع) من الألقاب التي أصطلح عليها لمتدينّتهم : كالباپ والبترك . وقد تقدّم في الألقاب الإسلامية أنه يكون من ألقاب الصلحاء والصوفية ، وأن معنى الخالشع المتدبّل .

(الخطير) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، والخطير في اللغة الكبير الجليل القدر ، ومنه قولهم : أمر له خطر أي مقدار كبير .

حرف الدال المهملة

(الدوقس) بضم الدال وكسر القاف من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم . وقد يقال (الضوقس) بالضاد بدل الدال ، وهي لفظة يونانية أصلها دقستين ، ومعناها المشكور .

حرف الراء المهملة

(الروحاني) من الألقاب التي أصطلح عليها للتدنيين منهم ، وهو بضم الراء نسبة إلى الروح التي بها مناط الحياة للخلوقين ، ومنه نُسب إلى الملائكة والجن روحاني ، وبالفتح نسبة إلى الروح بمعنى الرائحة ، والمعنى الأول أقرب إلى مراد الكتاب .

حرف السين

(السَّيِّدَع) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم . قال الجوهرى : وهو بضم السين وقال في "كفاية المتحفظ" بفتحها ، ومعناه السيد ، وكأن المراد سيّد قومه وزعيمهم .

حرف الضاد المعجمة

(الضَّغَام) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، وهو من أسماء الأسد ، لُقّب به ملوكهم لما فيه من معنى الشجاعة .

حرف الغين المعجمة

(الغَضَنُفُ) بفتح الغين والضاد المعجمتين وسكون النون وفتح الفاء من أسماء الأسد، أَصْطَلَحَ الكُتَّابُ عَلَى تَلْقِيهِمْ بِذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الشَّجَاعَةِ كَالْأَسَدِ وَالضَّرْغَامِ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الرَّجُلِ الْغَلِيظِ كَمَا حَكَاهُ الْجَوْهَرِيُّ . وَلَا بَأْسَ بِاسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي لَهَا كَامِلٌ بَارِلُهُ فِي الْمَكَاتِبَاتِ إِلَى الْكُفَّارِ .^(١)

حرف القاف

(الْقَدِّيسُ) بكسر القاف من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُنْدِيَّتِهِمْ مِنَ الْبَابِ وَالْبَطْرِ يَرْكَ وَنَحْوَهُمَا، وَأَصْلُهُ مِنَ التَّقْدِيسِ وَهُوَ التَّنْزِيهِ .

حرف الكاف

(الْكِرَارُ) بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ مِنَ الْأَلْقَابِ الَّتِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ، وَالْكَتْرَارُ صِغَةُ مِبَالِغَةٍ مِنَ الْكَتْرِ خِلَافِ الْفَرْ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَرْجِعُ فِي الْحَارَبَةِ عَلَى قِرْنِهِ الْمُرَّةَ بَعْدَ الْمُرَّةِ وَلَا يَنْهَزُ عَنْهُ .

(الْكَيْنِيُوسُ) مِنَ الْأَلْقَابِ الَّتِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ، وَهُوَ لَفْظٌ رُومِيٌّ مَعْنَاهُ
.....^(٢)

حرف الميم

(الْمَتَبَتَّلُ) مِنَ الْأَلْقَابِ الَّتِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُنْدِيَّتِهِمْ، وَمَعْنَاهُ الْمُنْقَطِعُ عَنِ الدُّنْيَا .

(الْمَتَخَتَّ) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ الْمَشْدُودَةِ مِنَ الْأَلْقَابِ الَّتِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ،

وَالْمُرَادُ أَنَّهُ مِمَّنْ يَجْلِسُ مِثْلَهُ عَلَى تَحْتَ الْمَلِكِ لِاسْتِحْقَاقِهِ لَهُ .

(الْمَتَوَجُّجُ) بِفَتْحِ الْوَاوِ الْمَشْدُودَةِ مِنَ الْأَلْقَابِ الَّتِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ

مِمَّنْ يَلْبَسُ التَّاجَ لِاسْتِحْقَاقِهِ لَهُ .

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ بِالْإِهْمَالِ مَعَ إِشَارَةِ التَّوْقُفِ وَالْمُرَادُ الْأَلْفَاظُ الَّتِي تَحْتَمِلُ التَّعْظِيمَ وَغَيْرَهُ .

(٢) يَبْضُ لَهُ فِي الْأَصُولِ وَأُورِدَهُ فِي الضُّوْءِ وَلَمْ يَفْسَرْهُ .

(الْمُحْتَشِم) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها تُنْجَارُ الروم والفرنج ، والمراد بالاحتشم هنا الرئيس الذي له حَشَمٌ وهم خَوَلُهُ وَخَدَمُهُ . وأصل الحِشْمَةِ في اللغة الغَضَبُ ، وسمى خَوَلُ الرجل وَخَدَمَهُ حَشَمًا لأنهم يَغْضَبُونَ له ؛ وبعضهم يُطلقُ المحتشم على المستعجى وعليه عُرِفَ العامة وهو المراد هنا ، وأنكره ابنُ قتيبة وغيره حتى قال النحاس إنه لا يُعرَفُ أَحْتَشَمٌ إلا بمعنى غَضِبَ وإن كان الجوهرى قد حكاه .

(الْمُعَزَّز) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها للملوكةم [وهو اسم مفعول من العز خلاف الذل .

(المجد) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها للملوكةم ^(١) وهو مُفْعَلٌ من المجد . وقد تقدّم الكلام عليه في الألقاب الإسلامية .

حرف الهاء

(الهَمَام) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها للملوكةم ، وقد تقدّم في الألقاب الإسلامية ان معناه الشجاع .

النمط الثاني

(من الألقاب التي يُكْتَبُ بها ملوك الكفر الألقاب المركبة)
وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا .

حرف الألف

(آخر ملوك اليونان) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها للملوكةم ، وهي تصلح لكل ملك ينتسب إلى اليونان أو قام مقامهم في الملك . واليونان أمةٌ معروفة مشهورة ، وكانت مملكتهم أولا في الجانب الشرقى من الخليج القُسْطَنْطِينِي المعروف الآن ببلاد

(١) الزيادة يقتضيا الكلام كما لا يخفى على المتأمل .

الروم ثم ملكوا بعدها العراق، والترك، والهند، وبلاد أرمينية، والشام، ومصر، والإسكندرية . ومنهم أكثر الحكماء والفلاسفة . وكانت دولتهم من أعظم الدول ؛ وأختلف في نسبهم : فنقل ابن سعيد عن البيهقي وغيره من المحققين أنهم من ولد أفريقش بن يونان، بن علجان، بن يافث، بن نوح عليه السلام . والمنقول عن التوراة أن يونان هو ابن يافث لصلبه، وأسمه فيها ياقان بقاء تقرب في اللفظ من الواو فعزبت يونان . وخالف كثير من المؤرخين فنسبوا يونان إلى عابر بن فالغ، فجعله أخا لقحطان جد العرب العاربة، وأنه خرج من اليمن مغاضبا لأخيه قحطان فقتل ما بين الأفرنجية والروم وأختلط نسبه بنسبهم . وقيل : بل اليونان من جملة الروم من ولد صوفر بن العيص، بن إسحاق، بن إبراهيم عليه السلام .

(أسوة الملوك والسلاطين) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم، والإسوة بكسر الهمزة وضمها بمعنى القدوة ومنه قولهم : لى فى فلان إسوةً يعنى قدوةً، وكأنهم جعلوه إسوةً لملوك الكفرة يقتدون به وإلا فلا يجوز إطلاق ذلك على الملوك من حيث هم لدخول ملوك الإسلام فيهم .

(العدل فى ملته) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم، وقد تقدم معنى العادل والملة فى الكلام على الألقاب الإسلامية .

(العدل فى مملكته) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم، وقد تقدم معنى العادل، والمملكة فى الأصل موضع الملك ثم أطلقت على الرعية مجازا .

(الريد أرغون) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض ملوكهم من يملك البلاد المعروفة بأرغون، وقد ذكر فى "الروض المعطار" بلاد أرغون، وقال : هو أسم بلاد غرسية بن شانجة، تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال، ولم يذكر فى أى حيز هى

ولا في أى قُطر . وقد رأيت هذا اللقب في ” التعريف “ : للقتز الشهابي بن فضل الله في ألقاب صاحب القُسطنطينية وفي ” التثقيف “ لابن ناظر الجيش ، في ألقاب الأذفونش صاحب طليطلة من الأندلس ، ويحتاج إلى تحقيق من يملك هذه الطائفة منهما فيكتب به إليه . والرّيد في لغتهم بمعنى الملك كما تقدّم في الكلام على ريد أفونس في ألقاب الملوك .

(المُنْصِف لرعيته) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والرعية من يسوسه الملك ، سُموا بذلك تشبيها لهم بالغنم وله بالراعي .

(أَوْحَدُ الْمُلُوكِ الْعِيسَوِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، ويصلح للملكانية واليعقوبية جميعا : لأنه لم يقيد بمذهب من مذاهب النصارى .

(أَوْحَدُ مُلُوكِ الْيَعْقُوبِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوك الحبشة : لأن ملكها من طائفة اليعقوبية .

حرف الباء

(بَطَلُ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهو صالح لكل واحد منهم ؛ ومعنى البطل في اللغة الشجاع ، سُمي بذلك لأنه يُبطل حركة قرنه .

(بَقِيَّةُ أَبْنَاءِ التُّخُوتِ وَالتَّيْجَانِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهي تصلح لكلّ منهم أيضا من الملكانية واليعاقبة جميعا .

(بَقِيَّةُ الْمُلُوكِ الْأَغْرِيْقِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض الملوك من بقايا طائفة الأغريقية من اليونان ، وهم طائفة من اليونان تنسب إلى أغريقش بن يونان المقدم ذكره ، وهم اليونان الأول . وقد ذكره في ” التعريف “ في ألقاب ملك الكرج ، ولعله أطلع على أنه من بقايا هذه الطائفة ، وهو مما يحتاج إلى تحرير .

(بَقِيَّةُ سَلَفٍ قَيْصَرٍ) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها لبعض ملوكهم من أنتسب إلى القَيَاصِرَةِ ملوكِ الروم أو قام مقامهم . وَقَيْصَرُ أَسْمٌ قَدِيمٌ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الروم ، وأصل هذه اللفظة في اللغة الرومية جَاشَرِيْجِم وشين معجمة فَعَرَّبَتْ قَيْصَرَ ، ولها عندهم معنيان : أحدهما الشيء المشقوق عنه ، والثاني الشَّعَر . وأختلف في أَوَّل مَنْ لُقِّبَ بِذَلِكَ منهم فقيـل : أغانيوش قَيْصَرُ ، أَوَّلُ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ من ملوك الروم : ماتت أمه وهو حَمَلٌ فَشَقَّ بَطْنُهَا وَأَخْرَجَ فَسَمَّى بِذَلِكَ لما فيه من الشق عليه ، وقيل يوليوش قَيْصَرُ ، وهو الذي ملك بعد أغانيوش المقدم ذكره ، وقيل أغشطش قَيْصَرُ وهو الذي وُلِدَ الْمَسِيحُ عليه السلام في زمانه ، فقد قيل إنه الذي ماتت أمه وهو حَمَلٌ فَشَقَّ جَوْفُهَا وَأَخْرَجَ فَسَمَّى بِذَلِكَ ، وقيل لأنه وُلِدَ وَلَهُ شَعْرَتَانِ فَسَمَّى قَيْصَرَ لوجود الشعر فيه حينئذ .

حرف الجيم

(جَامِعُ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ) من الألقاب التي تَصْلُحُ لِكُلِّ مَلِكٍ [مَمْلُوكَةٍ] مُتَسَعِّةٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كصاحب القُسْطَنْطِينِيَّةِ ونحوه .

حرف الحاء المهملة

(حَافِظُ الْبِلَادِ الْجَنُوبِيَّةِ) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها لِمَلِكِ الْحَبَشَةِ من النصارى . على أنه يَصْلُحُ لغيره من ملوك السُّودَانِ أَيْضاً مَنْ أَخَذَ فِي الْجَنُوبِ من المسلمين وغيرهم .

(حَامِلُ رَايَةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها لملوكهم ، وهي تَصْلُحُ لِكُلِّ مَلِكٍ كَبِيرٍ من ملوك النصارى ، والمراد بِالْمَسِيحِيَّةِ الْمَلَّةُ الْمَسِيحِيَّةُ ، فحذف

الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ، يريدون ملة المسيح وهو عيسى عليه السلام .
وأختلف في [سبب] تسميته بالمسيح : فقليل لأنه كان ممسوح القدمين بمعنى أنه لا أتمخص
له . وقيل لأنه مسح الأرض بالسيّاحة ، وقيل غير ذلك . أما تسمية الدجال بالمسيح
فلأنه ممسوح العين لأنه أعور . وقيل لأنه يمسح الأرض بالسيف فيها .

(حامي البحار والخُلجان) من الألقاب التي تصلح لكل من مملكته منهم على
البحر ، والبحار جمع بحر ، وأصله في اللغة الشق ، ومنه سميت البحيرة المذكورة
في القرآن : وهي الناقة التي تُشقُّ أذنّها فترسل فلا تُعارض ، والخُلجان جمع خليج
وهو الجدول الصغير ، والمراد ما يتشعب من البحر فكليج القُسطنطينية وجون
البنادقة ونحوهما .

(حامي حماة بني الأصفر) من الألقاب التي تصلح لملوك الروم والفرنج بالممالك
العظام : كصاحب القُسطنطينية وغيره ، والمراد ببني الأصفر الروم فإنهم من ولد
صوف بن العيص ، بن إسحاق ، بن إبراهيم عليه السلام ، والمؤرخون يعبرون عن
صوف بالأصفر . وإنما خصّه بحماية الحماة تفخيلاً له فإنه إذا حمى الحماة كان بحماية
غيرهم أجدر .

حرف الخاء المعجمة

(خالصة الأصدقاء) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والمراد بالخالصة
هنا من ليس في صداقته شائبة .

(خلاصة ملوك السريان) من الألقاب التي تصلح لكل من يُنسب إلى بقايا
السريانيين من الملوك . والسريان أقدم الأمم في الخليفة ، وكانوا يدينون بدين
الصائبة ، وينتسبون إلى صابئ بن إدريس عليه السلام . قال ابن حزم : ودينهم

أقدم الأديان على وجه الأرض، ومدار مذاهبهم على تعظيم الرُوحانيّات والكواكب، وكانت منازلهم أرض بابل من العراق . قال المسعودي : وهم أول ملوك الأرض بعد الطوفان .

حرف الذال المعجمة

(ذُئِرَ ملوك البحار والخلج) من الألقاب التي تصلح لكل ملك منهم على ساحل البحر، وقد تقدّم معنى الذُئِر والبحار، والخلج هي الخُلجان؛ وقد تقدّم معناها .

(ذُئِرَ الأمة النصرانيّة) من الألقاب التي تصلح لجميع ملوك النصرانية من المَلِكانيّة واليعاقبة، وقد تقدّم معنى الذُئِر والأمة في الكلام على الألقاب الإسلامية .

حرف الراء المهملة

(رَضِيَ الباب باباً رُومِيّة) يجوز أن يكون بفتح الراء وكسر الضاد بمعنى مَرْضَى الباب، ويجوز أن يكون بكسر الراء وفتح الضاد بمعنى أنه يُجْعَلُ نفسَ رِضا الباب وهو أبلغ . وهو من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم؛ وقد تقدّم في الألقاب الأصول معنى البابا، ورُومِيّة اسم لرُومِيّة التي بها البابُ مقيم، إضافة إليها لإقامته بها، وقد مرّ القولُ عليها في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية، وتأتى الإشارة إليها في الكلام على مكتبة الباب في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(رُكُنُ الأمة العيسويّة) من الألقاب التي أصطلح عليها لكبار ملوكهم كملك الحبشة ونحوه، ويصلح للملكانيّة واليعاقبة جميعاً .

حرف الشين المعجمة

(شَيْبُهُ مَرِيحًا مَعْمَدَانِ) من الألقاب التي تصلح ل كبار ملوكهم ، ومَرِيحًا بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وبعدها حاء مهملة ونون . ومعنى 'مَر السيد ، وَيَحًا بلغتهم يحيي' ، والمراد شبيه السيد يحيي' ، والمَعْمَدَانِ بيمين مفتوحتين بينهما عين مهملة صفة عندهم ليحيي' فهم يَزْعُمُونَ أن مريم عليها السلام خرجت بعيسى عليه السلام من الشام إلى مصر وعادت به إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، فلقاه يحيي' عليه السلام وهو ابن خالته ، فغمسه في نهر الأردن ، وهو عندهم أصل ماء المعمودية الذي لا يصح عندهم تنصّر نصراني إلا به فأطلقوا على يحيي' عليه السلام المَعْمَدَانِ لمعنى ذلك ، وكأنه شبهه به من حيث إنه أصل المعمودية بزعمهم .

حرف الصاد المهملة

(صَدِيقُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والمراد أن فيه صداقةً ووداً لملوك الإسلام وسلاطينهم .

حرف الضاد المعجمة

(ضَابِطُ الْمَالِكِ الرُّومِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية ، وهو نظير حافظ البلاد الجنوبية لملك الحبشة .

حرف الظاء المعجمة

(ظَهِيرُ الْبَابِ بَابًا رُومِيَّةً) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وقد تقدّم معنى 'الباب والبابا' .

حرف العين المهملة

(عِزُّ الْمَلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لأكابر ملوكهم .

(عِمَادُ بَنِي الْمَعْمُودِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لكبار ملوكهم ، والعماد في اللغة الأبنية الرفيعة ، يذَّكَّرُ وَيُؤنَّثُ . وقد مرَّ بيانُ معنى المعمودية في حرف الشين .

حرف الفاء

(فَارِسُ الْبَرْوَالْبَحْرِ) يصلح لمن يكون مجاورا للبر والبحر من الملوك كأصحاب الجزائر ، وقد يصلح لغيرهم أيضا .

(فَخْرُ الْمَلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وتصلح للإلحائية واليعاقبة منهم .

حرف الميم

(مُتَّبِعُ الْحَوَارِيِّينَ وَالْأَخْبَارِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْبَطَارِكَةِ الْقِدِّيسِينَ) من ألقاب عظماء ملوكهم ، والمراد بالحواريين أصحاب عيسى عليه السلام الذين بعثهم إلى أقطار الأرض للبشارة به وللدعاة إلى الله تعالى ، وعنهم أخبر تعالى بقوله : ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ وهم اثنا عشر نفسا أسماؤهم يُونَانِيَّةٌ .

أحدهم — بَطْرُس ، ويقال له تَمَعُون الصَّفا ، وهو الذي بَشَّرَ بِالْقُدْسِ وَأَنْطَاكِيَّةَ وما حولها .

والثاني — أُنْدَرَاوَس . وهو الذي بَشَّرَ بِلَادَ الْحَبَشَةِ وَالسُّودَانَ .

(١)

والثالث — يَفْقُوبُ بْنُ زِيرِي . وهو الذي بَشَّرَ بِمَدِينَةِ

- والرابع — يُوْحَنَّا الْإِنْجِيلِيّ . وهو الذى بَشَّرَ ببلاد أفسُس وما معها .
والخامس — فِيلِيس . ولم أقف على موضع بشارته .
والسادس — برتُلُوما . وهو الذى بشر فى الواحات والبربر .
والسابع — ثُوما ويعرف بثُوما الرسول . وهو الذى بَشَّرَ فى السِّند والهند .
والثامن — مَثْي . وهو الذى بَشَّرَ بأرض فِلَسْطِينَ ، وصور ، وصَيْدَا ،
ومصر ، وقرطاجنة من بلاد المغرب .
والتاسع — يَعْقُوب بن حلفا . وهو ممن بَشَّرَ ببلاد الهند أيضا .
والعاشر — سِمْعَان ويقال سَمْعُون الصِّفَا . وهو الذى بشر بِشِمَشَاط وحَلَب
ومَنْبِج وبَزَنْطِيَّة : وهى القُسْطَنْطِينِيَّة .
والحادى عشر — بُولس ويقال له تداوس ، وهو الذى بَشَّرَ بِدِمَشْق وبالقُدس
أيضا وبلاد الروم والجزائر ورومية .
والثانى عشر — يَهُوذَا الْأَنْخَرِيوطى : وهو الذى خرج عن طاعة الْمَسِيح ودَلَّ
عليه الْيَهُودَ لِيَقْتُلُوهُ فَأَلْقَى اللهُ تَعَالَى شَبَهَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ فَأَمْسَكَهُ الْيَهُودَ وَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ
ورفع الله تعالى الْمَسِيحَ إِلَيْهِ ، وليس هذا من المراد بالحواريين هنا : لأنه قد خرج عن
دائرتهم . فلفظ الحواريين مأخوذ من الحور وهو شدة البياض ، سُمُّوا بذلك لصفائهم
وتفانيهم فى اتِّباع الْمَسِيحِ عَنِ الدَّخْلِ ، وقيل لأنهم كانوا فى الأوَّل قَصَّارين يَبِيضُّون
التياب .

والأخبار جمع حَبَر — بفتح الحاء وكسرها وهو العالم .
والرَّبَّانِيُّونَ جمع رَبَّانَى وقد تقدّم معناه فى الألقاب الإسلامية .
والبَطَارِكَةُ جمع بَطْرِك وقد تقدّم الكلام عليه فى الألقاب الأصول وأن أصله
بَطْرِيْكُ ، وأنه يقال فيه فَطْرِك بالفاء بدل الباء ، وكان لهم خمسة كراسى : كرسى برومية ،

وهو الذى قعد فيه الباب، وكرسى الإسكندرية: وهو الذى استقر لبطرك يعقوبية الآن، وكرسى بيزنطية وهى القسطنطينية، وكرسى أنطاكية وكان فيه بطرك النسطورية، وكرسى بالقدس وهو أصغرها عندهم .

(محي طرق الفلاسفة والحكماء) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لأن مملكته منبع حكمة اليونان وفلاسفتهم . والفلاسفة جمع فيلسوف بكسر الفاء وهى لفظ يونانى مركب من مضاف ومضاف إليه، معناه محب الحكمة، فلفظ فيل بمعنى محب، وسوف بمعنى الحكمة، وهم يطلقون الفلسفة على من يحيط بالعلوم الرياضية . وهى : الهيئة والهندسة والحساب واللون وغيرها . والحكماء جمع حكيم، وهو من يحسن دقائق الصناعات ويقتنها أو من يتعاطى الحكمة، وهى معرفة أفضل الأشياء وأفضل العلوم، وأول ما صارت الحكمة فيهم فى زمن بختنصر، ثم آشتهرت فيهم بعد ذلك، ولذلك عبر بالفلاسفة القدماء إشارة إلى أول زمن الحكماء .

(محوّل الثخوت والتيجان) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لعظم مملكته فى القديم والحديث، والمحوّل المملك، والثخوت جمع تحت وهو كرسى الملك الذى يجلس عليه الملك فى مجلسه العام، والتيجان جمع تاج وهو الذى يوضع على رأس الملك إذا جلس على تخته، والمعنى أنه يعطى الملوك الممالك من تحت يده لسة مملكته وعظمتها، وقد كانت القسطنطينية قبل غلبة الفرنج وقوة شوكتهم ملوكا عظيما .

(مسيح الأبطال المسيحية) من الألقاب التى أصطلح عليها لأكابر ملوكهم كصاحب القسطنطينية . أضاف المسيح إلى الأبطال ثم وصفها به جمعا له بين رتبتي الشجاعة والتدين بدينه .

(مُصَافِي الْمُسْلِمِينَ) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها مُلُوكُهم ، والمُصَافِي مَفَاعِل من الصِّفَاء ، والمراد أَنه صَافِي النِّيةِ لِلْمُسْلِمِينَ والمُسْلِمُونَ صَافُونَ النِّيةِ لَهُ .

(مُعِزُّ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها لأكابر ملوكهم ، والمراد بالنصرانية ملة النصرانية ، حذف الموصوف وأقام الصفة مُقَامَهُ ، والنصرانيةُ في الأصل منسوبة إلى الناصرة وهي القريةُ التي نزلها المسيح وأمه عليهما السلام من بلاد القُدُس عند عودهما إلى مصر، وقيل مأخوذة من قوله تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلام ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ .

(مُعَظَّمُ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ) من الألقاب التي أَصْطَلَحَ عليها للملوكهم ، وربما زيدَ فيها فقيل «مُعَظَّمُ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ بَعْدَ النِّيةِ» لموافقة الروى في السَّجْعَةِ التي تقارنها ، ويصلح لكل ملك من ملوكهم لأن جميعهم يعتقدون تعظيم البيت المقدس ، والبيت المقدس معروف ، والتقديس التزييه والتطهير .

(مُعَظَّمُ كَنِيسَةِ صِهْيُونِ) من الألقاب المختصة بملك الحبشة لأنه يعقوبى ، وكَنِيسَةُ صِهْيُونِ بالإسكندرية : وهي كنيسة بطرك اليعاقبة الآن ، ومعتقدهم أنه لا يصح ولاية ملك منهم الا باتصال من هذا البطررك ، على أنه في ابتداء البطرركية في زمن الخواريين لم يكن بكرسى الإسكندرية أحد من الخواريين ، إنما كان بها مرقص الإنجيلي تلميذ بطرس الخوارى صاحب كرسى رومية ، والنصارى يومئذ على طريقة واحدة قبل ظهور المَلَكِيَّة واليعقوبية ، فلما افترق دين النصرانية إلى المَلَكَانِيَّة واليعاقبة وغيرهم ، كانت بطركية الإسكندرية يتداولها المَلَكِيَّة واليعقوبية تارةً وتارةً بحسب انتقال الملوك والميل إلى كلٍّ من المذهبين ، ثم استقرت آخرًا في بطرك اليعاقبة إلى زماننا ، وتبعه ملوك الحبشة لا تتحالم مذهب اليعاقبة ، كتابع الروم والفرنجية الباب

برومية : لانتحالم مذهب المَلِكَانِيَّة ، وسيأتى الكلام على طَرَف من ذلك فى الكلام على مكاتبة ملك الحبشة إن شاء الله تعالى .

(مَلِكُ مُلُوكِ السُّرْيَان) من الألقاب التى أصطَلَحَ عليها لصاحب القسطنطينية لعظمته عندهم ، وقد تقدّم ذكر السُّرْيَان فيما قَبْلُ .

(مُؤَادُ الْمُسْلِمِينَ) من الألقاب التى أصطَلَحَ عليها لملوكهم ، وهو بتشديد الدال أخذًا من المَوَدَّة .

(مُؤَيِّدُ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التى أصطَلَحَ عليها لملوكهم ، والمُؤَيِّدُ المَقْوَى ، والمراد بالمَسِيحِيَّةِ المِلَّةُ الْمَسِيحِيَّةُ كما تقدّم بيانه ، وربما قيل «مُؤَيِّدُ الْعِيسَوِيَّةِ» : والأمر فيهما كذلك .

حرف النون

(نَاصِرُ الْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التى أصطَلَحَ عليها لأَكْبَرِ ملوتهم ، وقد تقدّم معنى هذه الألقاب فى مواضعها .

حرف الواو

(وَارِثُ التَّيْجَانِ) من الألقاب التى أصطَلَحَ عليها لملوكهم . وقد تقدّم معنى التَّيْجَانِ ، والمراد أنه أنتقل إليه الملكُ وراثَةً من آبائه .

(وَارِثُ آبَائِهِ فِي الْأَسْرَةِ وَالتَّيْجَانِ) من الألقاب التى أصطَلَحَ عليها لمن يكون عَرِيقًا فِي الْمُلْكِ ، وهو قريب من اللَّقَبِ الذى قبله .

(وَارِثُ الْقِيَاصَةِ الْعُظْمَاءِ) من الألقاب التى أصطَلَحَ عليها لصاحب القسطنطينية التى هى قاعدة الْقِيَاصَةِ ، وقد تقدّم أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ قَيْصَرًا سَلَفَ من الألقاب .

الضرب الثاني

(من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة: بأن يكون اللقب الأصل مؤنثاً
فتتبعه الألقاب الفروع في التأنيث . ولها حالتان)

الحالة الأولى — أن يكون اللقب الأصل لمؤنث غير حقيقي كالحضرة مثلاً ،
فترد ألقابه مؤنثة ، وفي الغالب إنما يقع التأنيث في اللقب الأول ثم ينتقل إلى
الألقاب المذكورة ، مثل أن يقال : « الحضرة العالية أو السامية أو العلية ، حضرة
الملك الجليل » ويؤتى بما يناسبه من الألقاب بعد ذلك ، وربما أتى للحضرة بلقبين
فأكثر طلباً للتفخيم ، ثم يعدل إلى الألقاب المذكورة ، مثل « الحضرة العالية المكرمة »
ثم يقال « حضرة الملك الجليل » وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون اللقب الأصل لمؤنث حقيقي بأن يكون لامرأة كما إذا
كانت ملكة في بعض ممالكهم ، على قاعدة الأعاجم في إسناد الملك إلى بنات الملوك ،
فيؤتى بألقابها المفردة والمركبة مؤنثة ، فيكتب مثلاً « الملكة الجليلة المكرمة المبجلة
الموقرة المفخمة المعززة فلانة العادلة في مملكتها ، كبيرة دين النصرانية ، نصرمة الأمة
العيسوية ، حامية الثغور ، صديقة الملوك والسلاطين » وما أشبه ذلك ، ومعاني هذه
الألقاب معلومة مما تقدم .

قلت : قد أتيت من ألقاب أهل الإسلام وألقاب أهل الكفر : المفردة
والمركبة على ما تضمنه « التعريف بالمصطلح الشريف » للمفتي الشهابي بن فضل الله ،
و« عرف التعريف » في الإخوانييات له ، و« تثقيف التعريف » للقاضي تقي الدين
أبن ناظر الجيش لإلا مآشرد عنه القلم ، مع ما ضممته إلى ذلك مما وجدته في غيرها من

الدساتير المجموعة في السلطانيات والإخوانيات المصرية والشامية جارياً على عُرْفهم مما آسَتمَعله أهلُ الزمانِ ومن قاربه ؛ والكتابُ الماهرُ إذا فهِمَ أصلُها وعَرَفَ طُرُقَها، آخِرعَ ماشاءَ من الألقابِ والنُّعوتِ ؛ والضابطُ في وضعِ الألقابِ أن يراعى فيها أحوالُ المكتوبِ له ، فيؤتى منها بما يناسب حاله في الوظيفة والرياسة وسائر أوصافِ المَدحِ اللائقةِ به ؛ فيؤتى لصاحبِ السيفِ بالألقابِ المقتضية للشَّجاعةِ والبَسالةِ : مثل المجاهديِّ والمُناغريِّ والمرابطيِّ وما أشبه ذلك . وربما أُضيفَ له بعضُ الألقابِ المقتضية للعلمِ والصَّلاحِ ، كالعالميّ والعالميّ ونحو ذلك ، لاشتراك الناسِ في المَدحِ بمثل ذلك . ويؤتى للعالمِ والقاضي ونحوهما بالألقابِ المقتضية للعلمِ كالعالميّ والمُحقِّقِ والمدقِّقِ ونحو ذلك . وربما أُضيفَ إليها الألقابُ المقتضية للصَّلاحِ لتمدِّحِ العلماءِ به . ويؤتى للصوفيةِ وأهلِ الصَّلاحِ بالألقابِ المقتضية للصَّلاحِ والتعبُّدِ كالعابديِّ والزاهديِّ ونحوهما . ويؤتى لكتابِ الإنشاءِ بالألقابِ المقتضية للبلابةِ كالبلِيعِ والمُفَوِّهِ ونحوهما . ويؤتى للنساءِ بالألقابِ المقتضية للصَّيانةِ والعِفَّةِ كالمُصُونَةِ والمُحجَّبةِ وما أشبههما . ويؤتى لأهلِ الكُفْرِ من الملوكِ ونحوهم بما لا حرجَ فيه على الكاتبِ : كالشَّجاعةِ وما في معناها ، والتقدُّمِ على ملوكِ طائفتهِ وأهلِ ملتهِ وما في معنى ذلك . فإن اجتمع في شخصٍ واحدٍ أوصافٌ متعدِّدةٌ من المَدحِ جُمِعَتْ له . على أن أكثرَ ما يستعملُهُ الكُتَّابُ من الألقابِ غيرُ موجودةٍ في صاحبها ، وإنما هي ألقابٌ حَفِظُوها لرتبٍ معيَّنة لا يسعُهم الإخلالُ بشيءٍ منها وإن كانت كذبا محضاً و﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ . وقد كان في القديمِ قاعدةٌ مُستقرَّةٌ : وهو أنه لا يلقَّبُ أحدٌ بلقبٍ ولا يُكنى بكنيةٍ إلا أن يكون الخليفةُ هو الذي يلقَّبُ بذلك أو يكنى .

الجملة السابعة

(في تفاوتِ الألقابِ في المراتبِ ، وهي قسمان)

القسم الأول

(ما يقع التفاوتُ فيه بالصُّعودِ والهَبوطِ ، وهو نوعان)

النوع الأول

(ما يقع التفاوتُ فيه بحسبِ القِلَّةِ والكثرةِ ، وله حالتان)

الحالة الأولى — أن يكون المكتوبُ إليه من أتباع المكتوبِ عنه ، كمنُواب السلطنة فيما يُكتبُ عن الأبواب السلطانية من مكاتباتِ وولاياتِ ، فزيادةُ الألقابِ وكثرتها في هذه الحالة علُوٌّ وشرفٌ في حقِّ المكتوبِ إليه ، لأنها من باب المدح والإطراء ، ولا شكَّ أن كثرة المدح من المتبوع للتابع أعلى من قِلَّتِهِ ، ولذلك تقع الإطالةُ في ألقابِ كبارِ النُوابِ والاختصارُ في صغارهم ، وتأتى في غاية الاختصار في نحو ولاة النواحي ومن في معناهم .

الحالة الثانية — أن يكون المكتوبُ له أجنبياً عن المكتوبِ عنه ، كالملوك الذين تُكتبُ إليهم المكاتباتُ عن السلطان ، فقلةُ الألقابِ في حقِّه أرفعُ لأن الإكثار من ذلك يُرى أنه من باب الملقى المذموم بين الأكابر في المكاتباتِ فوجب تجنبه كما يجب تجنب المدح وكثرة الدعاء ، ولذلك يقع الاختصارُ في الألقابِ فيما يُكتبُ لهم عن السلطان إجلالاً لقدرهم عن رتبةِ رعاياه الذين يُكثر من ألقابهم .

النوع الثاني

(ما يقع فيه التفاوت في العلوّ والهبوط بحسب ما يقتضيه جوهر اللفظ
أو ما وقع الاصطلاح عليه . وهو صنفان)

الصنف الأول

(الألقاب المفردة . وهي على أربعة أنماط)

النمط الأول

(التوايح)

وهي التي تلي الألقاب الأصول كالتي تلي المقام والمقرّ والجناب والمجلس ؛ فيلي
المقام لفظ الأشرف ولفظ الشريف ولفظ العالی ، فالمقام يقال فيه « المقام
الأشرف العالی » و « المقام الشريف العالی » و « المقام العالی » . ويلى المقرّ
لفظ الأشرف ولفظ الشريف ولفظ الكريم ولفظ العالی ، فيقال « المقرّ الأشرف
العالی » و « المقرّ الشريف العالی » و « المقرّ الكريم العالی » و « المقرّ العالی » .
ويلى الجناب لفظ الكريم ولفظ العالی ، فيقال « الجناب الكريم العالی »
و « الجناب العالی » . ويلى المجلس لفظ العالی والسامی ، فيقال « المجلس العالی »
و « المجلس السامی » . والألفاظ التي تتبع وهي الأشرف والشريف والكريم
والعالی والسامی بعضها أرفع من بعض على الترتيب . فالأشرف أرفع من الشريف ،
لأن أشرف أفعّل تفضيل يقتضى الترجيح على غيره كما هو مقتدر في علم النحو ؛
والشريف أرفع رتبة من الكريم لما تقدّم عن ابن السكيت أن الكرم يكون في الرجل
وإن لم يكن له آباء شرفاء ، والشرف لا يكون إلا لمن له آباء شرفاء . ومقتضى ذلك
ترجيح الشريف على الكريم لاقتضائه الفضل في نفس الشخص وفي آبائه ، بخلاف

الكرم ؛ ولذلك آختر الشرف لأبناء فاطمة رضى الله عنها دون الكرم . والكريم أرفع رتبة من العالى ، لأن الكريم يحتمل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف اللؤم ويحتمل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف البخل وكلاهما مقطوع بأنه صفة مدح ، وإن الأقرب إلى مراد الكتاب المعنى الأول . والعالى يحتمل أن يكون من على بكسر اللام يعلى بفتحها علأ بفتح العين والمذ إذا شرف ؛ ويحتمل أن يكون من علأ يعلو علؤا إذا ارتفع فى المكان ، وليس العلؤ فى المكان مما يدل على صفة المدح إلا أن يستعار للارتفاع فى الشرف فيكون صفة مدح حينئذ على سبيل المجاز وإن كان مراد الكتاب هو المعنى الأول ؛ وما كان مقطوعا فيه بالمدح من الجانبين أعلى مما يكون مقطوعا فيه بالمدح من جانب دون جانب . وقد أصطلحوا على أن جعلوا العالى أرفع رتبة من السامى ، وهو مما أنكر على واضعه ، إذ لا فرق بينهما من حيث المعنى ، لأن السمو بمعنى العلؤ . والذى يظهر أن الواضع لم يحهل ذلك ولعله إنما جعل العالى أرفع رتبة من السامى وإن كان بمعناه لأن العالى لفظ واضح المعنى يفهمه الخاص والعام ، فيكون المدح به أعم باعتبار من يفهمه ، بخلاف السامى فإنه لا يفهم معنى العلؤ منه إلا الخاصة ، فيكون المدح به أخص لأقتصار الخاصة على معرفته دون العامة .

المنط الثاني

(ما يقع التفاوت فيه بحسب حقوق ياء النسب وتجرده منها)

قد تقدم أن الألقاب المفردة منها ما تلحق به ياء النسب ومنها ما يتجرّد عنها ، وأن الذى تلحقه ياء النسب منها ما هو منسوب إلى شيء خارج عن صاحب اللقب كالقضاء فإنه منسوب إلى القضاء الذى هو نفس الوظيفة ، فيكون النسب

فيه على بابيه ، ومنه ما هو منسوب إلى صاحب اللقب نفسه كالأميرى فإنه نسبة إلى الأمير وهو عين صاحب اللقب فدخلت فيه ياء النسب للمبالغة ، كما في قولهم لشديد الحجرة أحمري على ما تقدم بيانه .

وبالجملة فقد أصطلحوا على أن يكون ما لحقت به ياء النسب أرفع رتبة مما تجرد عنها ، سواء كان منسوباً إلى نفس صاحب اللقب أو غيره ، فيجعلون الأميرى أعلى رتبة من الأمير ، والقضائى أرفع رتبة من القاضى ، ثم يجعلون المنسوب إلى نفس صاحب اللقب أرفع رتبة من المنسوب إلى شيء خارج عنه ، ومن أجل ذلك جعلوا القاضوى أرفع رتبة من القضائى . أما كون ما لحقت به ياء النسب أرفع رتبة من المجرد عنها فظاهر : لأن المبالغة تقتضى الرفعة ضرورة ، وأما كون المنسوب إلى شيء آخر غير المنسوب إليه يقتضى الرفعة وإن لم يكن فيه مبالغة ، فللحاق بما فيه المبالغة استطراداً ، لئلا يلتبس الحال فى النسبتين على الضعيف الفهم فلا يفرق بين ما هو منسوب إلى هذا وبين ما هو منسوب إلى ذاك . على أنهم لم ينفوا مع الحكم فى كون ما دخلت عليه ياء النسب أرفع مما لم تدخل عليه فقد استعملوا الأجل ونحوه فى الألقاب السلطانية التى هى أعلى الألقاب ، فقالوا «السلطان الأجل العالم العادل» إلى آخر ألقابه المفردة من غير إلحاق ياء النسب بها ، ثم استعملوا مثل ذلك فى ألقاب السامى بغير ياء فما دونه مما هو أدنى الألقاب رتبة . وكأنهم اكتفوا بمكانة السلطان من الرفعة عن المبالغة فى ألقابه بإلحاق ياء النسب ، من حيث إن المعرف لا يحتاج إلى تعريف .

(١) أى التى للمبالغة كما يفيدہ التعلیل بعد .

النمط الثالث

(ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة غيرياء النسب)

فيكون أرفع رتبةً لمعنى المبالغة كما في الكفيل فإنه أرفع رتبةً من الكافل ، لأن صيغة فعيل أبلغ في المعنى من صيغة فاعل من حيث إن فعيلًا لا يصاغ إلا من فعل بضم العين إذا صار ذلك الفعل له سجيّة ، كما يقال كرم فهو كريم وعظم فهو عظيم وحلم فهو حليم ، بخلاف فاعل ، ومن أجل ذلك كان لفظ فقيه أبلغ من لفظ فاقه لأن فاقه يصاغ من فقه بكسر القاف إذا فهم ، ومن فقه بفتحها إذا سبق غيره إلى الفهم . وفقيه إنما يصاغ من فقه بضمها إذا صار الفقه له سجيّة كما مرّ القول عليه في الكلام على الفقيه والفقيهي في الألقاب الإسلامية المفردة .

النمط الرابع

(ما يقع فيه التفاوت بحسب ما في ذلك اللقب من اقتضاء

التشريف لعلو متعلّقه ورفعته)

كالمهديّ والمشيديّ ، فإن المراد ممهد الدول ومشيد الممالك على مامرّ في الألقاب المركبة ، فإن من ينتهى في الرتبة إلى تمهيد الدول وتشيد الممالك فلا نزاع في أنه من علو الرتبة بالمكان الأرفع ، وكذلك ما يجرى هذا الجرى كالمديريّ بالنسبة إلى الوزراء ومن في معناهم ، والمحقق بالنسبة إلى العلماء ، والأصيل بالنسبة إلى العريق في كرم الأصل ونحو ذلك .

الصف الثاني

(الألقابُ المركَّبةُ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يترتب بعضُه على بعضٍ لقباً بعد لقبٍ، وله اعتباران)

الاعتبار الأول

(أن يشترك في رعاية الترتيب أربابُ السيوف والأقلام وغيرهم،

وهو على ثلاثة أنماط)

النمط الأول

(ما يُضاف إلى الإسلام، وله ثلاثة أحوال)

الحال الأول — أن يكون ذلك في ألقاب أرباب السيوف . وقد اضطلح المقرُّ الشَّهَابِيُّ بنُ فضل الله على أن جعل أعلاها رُكنَ الإسلام والمسلمين فذكر ذلك في المكتبة إلى النائب الكافِل، ومكاتبته يومئذ بالجناب الكريم؛ ثم أبدل الكُتَّاب ذلك بعده بمُعزِّ الإسلام والمسلمين، وجعلوه مع المكتبة إليه بالمقرِّ الكريم على ما استقرَّ عليه الحال آنحرا في المكتبة إلى النائب الكافِل ونائب الشام؛ وجعلوا دُونَ ذلك عِزَّ الإسلام والمسلمين فأوردوه مع الجناب الكريم والجناب العالي على ما استقرَّ عليه مصطلحهم في السلطانيات . وجعل في ”عرف التعريف“ في الإخوانيَّات عِزَّ الإسلام والمسلمين أعلى الألقاب فأورده في ألقاب المقرِّ الشريف، ثم طَرَدَه فيما بعد ذلك من المقرِّ الكريم والمقرِّ العالي ولم يَعهُدْه إلى ما بعد؛

ثم جعل دُونَهُ مجد الإسلام والمسلمين ، فأورده مع المجلس العالى مُطلقاً مع الدعاء وصَدَرَتْ ؛ ثم جعل دُونَ ذلك مجد الإسلام فَقَطَّ من غير عطف المسلمين عليه ، فأورده فى المجلس السامى بالياء والسامى بغير ياء ، ولم يَعُدْهُ إلى مجلس الأمير بل أعاضه بمجد الأمراء على ما سيأتى ذكره ، وتابعه على ذلك فى التثقيف .

الحال الثانى — أن يكون ذلك فى ألقاب الوزراء من أرباب الأقاليم ومن فى معناتهم ككاتب السر ، وناظر الخيـش ، وناظر الخاص فمن دُونِهِم من الكُتَّاب . وقد ذكر المقر الشهابى بن فضل الله فى بعض دساتيره السامية أن أعلاها لهم ركن الإسلام والمسلمين ، وجعل فى "عرف التعريف" أعلاها للوزراء صلاح الإسلام والمسلمين ، ولمن فى معنى الوزراء عِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأجلال الإسلام والمسلمين وأورد ذلك مع المقر الشريف ومابعده : من المقر الكريم ، والمقر العالى ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، وجعل دُونَ ذلك مجد الإسلام مجرداً عن عطف المسلمين عليه ، وأورده مع المجلس العالى ، والمجلس السامى .

أما تخصيص صلاح الإسلام والمسلمين بالوزراء ، وعِزَّ الإسلام والمسلمين وجلال الإسلام والمسلمين بمن فى معناتهم فلا أن الصلاح فيه معنى السداد والقصد ، والعِزَّ والجلال فهما معنى العظمة والهيبة ، ولا شك أن وظيفة الوزارة التى مناطها تدبير الملك بالصلاح أجدر ؛ على أنه اذا حصل الصلاح تبعته العظمة والهيبة ضرورة . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام ، فلا مَرين أحدهما أن الجلال بمعنى العظمة والمجد بمعنى الشرف والعظمة أبلغ من الشرف لما فى العظمة من نقاذ الكلمة . والثانى أن الإضافة فى جلال الإسلام والمسلمين فى المعنى إلى شيئين وفى مجد الإسلام إلى أحدهما .

الحال الثالث - أن يكون في ألقاب القضاة والعلماء ، وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها حُجَّة الإسلام أوضياء الإسلام ، فأوردهما مع الجَنَاب الشريف الذى هو عنده أعلى الرُتَب لهذه الطائفة ، وجعل دُون ذلك بهاء الإسلام فأورده مع الجَنَاب الكريم ، وجعل دُونه بَجْد الإسلام فأورده مع المجلس العالى والسامى بالياء وبغيرياء .

أما كون حجة الإسلام وضياء الإسلام أعلى رتبة من مجد الإسلام فلأن الحجة فى اللغة بمعنى البرهان وهو الدليل القاطع ، وبه تتقرر قواعد الإسلام ومبانيه ؛ والضياء فى أصل اللغة خلاف الظلمة ؛ ثم استعير للهداية وما فى معناها ، ولا شك أن الوصف بهذين الأمرين أبلغ من الوصف بالمجد الذى هو بمعنى الشرف .

الحال الرابع - أن يكون فى ألقاب الصلحاء ، وقد جعل فى "عُرف التعريف" أعلاها صلاح الإسلام وأورده مع الحضرة ، ومع الجَنَاب الشريف ، والجَنَاب الكريم ، وجعل دُونه جَلال الإسلام وأورده مع الجَنَاب العالى ، ودونه ضياء الإسلام وأورده مع المجلس العالى ، وجعل دونه جلال الإسلام فأورده مع المجلس السامى بالياء فأورده .

أما كون صلاح الإسلام والمسلمين أعلى من جلال الإسلام والمسلمين فقد تقدم بيانه . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من ضياء الإسلام والمسلمين فلأن الجلال معناه العظمة وهى أعلى من الضياء على ما فيه من التعسف .

النمط الثانى

(من الألقاب المركبة ما يُضاف إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ،
من أرباب المراتب السنية ، وهو على الأحوال الأربعة
المتقدمة الذكر فيما يُضاف إلى الإسلام)

الحال الأول — أن يكون في ألقاب أرباب السيوف . قد جعل
في ”عرف التعريف“ أعلاها سيد الأمراء في العالمين ، وأورده مع المقتر الشريف ،
والمقر الكريم ، والمقر العالى . وجعل دونه سيد الأمراء المقدمين ، وأورده
مع الجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالى . ودونه شرف الأمراء
المقدمين ، وأورده مع المجلس العالى والدعاء . ودونه شرف الأمراء فى الأنام ،
وأورده مع السامى بالياء . ودونه زين الأمراء المجاهدين ، وأورده مع السامى
بغير ياء . ودونه مجد الأمراء ، وأورده مع مجلس الأمير .

والذى فى ”التثقيف“ بعد سيد الأمراء فى العالمين سيد أمراء العالمين ، وأورده مع
الجناب العالى . ودونه شرف الأمراء فى العالمين ، وأورده مع المجلس العالى والدعاء .
ودونه شرف الأمراء المقدمين ، وأورده مع صدرت العالى . ودونه شرف الأمراء
فقط ، وأورده مع السامى بالياء . ودونه نخر الأمراء ، وأورده مع السامى بغير ياء .
ودونه مجد الأمراء ، وأورده مع مجلس الأمير . ولا يخفى ما بينهما من الاختلاف .
ولا مشاحة فى الاصطلاح بعد فهم المعنى ، ولا نزاع فى أن الترتيب الذى
فى التثقيف أحسن . وإذا تأملت ذلك وعرضته على ما تقدم من التوجيه فى النمط
الأول ظهر لك حقيقة ذلك .

الحال الثانى — أن يكون فى ألقاب الوزراء ومن فى معناهم . فقد ذكر
فى ”عرف التعريف“ أن أعلاها للوزراء سيد الوزراء فى العالمين ، ولمن فى معناهم

من كاتب السرّ ونحوه سيّد الكبراء في العالمين ، وأورد ذلك مع المَقَرّ الشريف ، والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالى ، والجنّاب الشريف ، والجنّاب الكريم ، والجنّاب العالى ، وجعل دونه لمن دون هؤلاء من الكُتّاب نحر الأنام ، وأورده في المجلس العالى والدعاء مع ما بعده .

الحال الثالث — أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء .

وقد جعل في "عرف التعريف" : أعلاها شرف الأنام . وأورده مع الجنّاب الشريف الذى جعله أعلى المكاتبات لهم ، ومع الجنّاب الكريم والجنّاب العالى وجعل دونه نحر الأنام ، فأورده مع المجلس العالى بالدعاء . ودونه بهاء الأنام ، وأورده مع صدرت العالى ، ومع السامى بالياء والسامى بغير ياء .

الحال الرابع — أن يكون من ألقاب الصلحاء وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها خالصة الأنام ، وأورده مع الحضرة الشريفة التى جعلها أكبر رتبهم ، ومع الجنّاب الشريف ، والجنّاب الكريم ، والجنّاب العالى ، وجعل دونه شرف الأنام وأورده مع المجلس العالى . ودونه زين الأنام ، وأورده مع السامى بالياء وبغير ياء .

النَّسَبُ الثالث

(من الألقاب المركّبة ما يُضاف إلى الملوك والسلاطين ،

وهو على الأحوال الأربعة المتقدمة الذكر)

الحال الأوّل — أن يكون من ألقاب أرباب السيوف . وقد ذكر في "عرف التعريف" أن أعلاها ظهير الملوك والسلاطين ، وأورده مع المَقَرّ الشريف والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالى ، والجنّاب الشريف ، والجنّاب الكريم ، والجنّاب العالى ؛

وجعل دُونَهُ عَضُدَ الملوك والسلاطين ، وأورده مع المجلسِ العالى والمجلسِ السامى بالياء . ودُونَهُ عُمْدَةَ الملوك والسلاطين ، وجعله مع مجلسِ الأمير . والذى فى ”التثقيف“ لإيراد ظهير الملوك والسلاطين مع المَقَرِّ الكريم وما بعده إلى آخرِ المجلسِ العالى ؛ وجعل عَضُدَ الملوك والسلاطين مع السامى بالياء ، وعُمْدَةَ الملوك والسلاطين مع السامى بغير ياء ، وعُدَّةَ الملوك والسلاطين مع مجلسِ الأمير .

والحاصل أنه فى ”التثقيف“ زاد رُتَبَتَيْنِ فى ظهير الملوك والسلاطين ، فجعله فى المجلسِ السامى مع الدعاء ومع صدرتْ ، على أن التحقيق أن عَضُدَ الملوك والسلاطين أعلى فى الحقيقة من ظهير الملوك والسلاطين ؛ لأن العَضُدَ عُضْوٌ من أعضاء الإنسان : وهو ما بين المِرْفَقِ والكَيْفِ ، والظَّهير خارجٌ عنه ، وما كان من نفسِ الإنسان كيف يُجَعَلُ ما هو خارجٌ عنه أرفع منه بالنسبة إلى ذلك الشخص ؟ .

الحال الثانى — أن يكونَ من ألقابِ الوزراءِ وَمَنْ فى معناهم . وقد جعل فى ”عرف التعريف“ أعلاها ظهيرَ الملوك والسلاطين أيضاً ، وأورده مع المَقَرِّ الشريف ، والمَقَرِّ الكريم ، والمَقَرِّ العالى ؛ والجنابِ الشريف ، والجنابِ الكريم ، والجنابِ العالى ؛ وجعل دُونَهُ صَفْوَةَ الملوك والسلاطين ، وأورده مع المجلسِ العالى فما دُونَهُ .

الحال الثالث — أن يكونَ من ألقابِ القُضَاةِ والعُلماءِ . وقد جعل فى ”عرف التعريف“ أعلاها للقُضَاةِ حَكَمَ الملوك والسلاطين ، ولغيرهم من العلماءِ خالِصَةَ الملوك والسلاطين ، وهو عنده للجنابِ الشريفِ فما فَوْقَهُ . ودُونَهُ بَرَكَهُ الملوك والسلاطين ، وأورده مع الجنابِ الكريم ، والجنابِ العالى ، والمجلسِ العالى ، مع الدعاء . وجعل دُونَهُ صَفْوَةَ الملوك والسلاطين ، وأورده فى صدرتْ والعالى فما دُونَ ذلك .

الحال الرابع — أن يكون في ألقاب الصّالحاء . ولم يزد في ”عرف التعريف“ على أنه يُكتَب لهم بركة الملوك والسلاطين ، وحينئذ فيقتصر عليها لجميعهم ممن يستحق ذلك بحسب ما يقتضيه حال المكتوب بسببه .

النمط الرابع

(من الألقاب المركّبة ما يضاف لأمير المؤمنين ، وهو على الأحوال^(١) الأربعة المتقدّم ذكرها)

الحال الأوّل — أن يكون من ألقاب أرباب السيوف ، وأعلاها قسيم أمير المؤمنين ، وهو من الألقاب الخاصّة بالسلطان كما تقدّم ذكره في موضعه . ودونه خليل أمير المؤمنين ، وهو من ألقاب أولاد الملوك وألقاب بعض الملوك الأجانب المكتوب إليهم عن الأبواب السلطانية . ودونه عضد أمير المؤمنين ، وهو أعلى ما يُكتَب لنواب السلطنة عن الأبواب السلطانية ، وجعله في ”عرف التعريف“ مع المقرّ الشريف خاصّة . ودونه سيف أمير المؤمنين ، وأورده مع المقرّ الكريم والمقرّ العالی ، ودونه حسام أمير المؤمنين ، وجعله في ”عرف التعريف“ مع الجناب الشريف والجناب الكريم والجناب العالی ، ولم يُورد بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين بل اقتصر على ما يضاف إلى الملوك والسلاطين . وأما في التثنيف فجعله مع المقرّ الكريم والمقرّ العالی . ودونه حسام أمير المؤمنين ، وأورده مع المجلس العالی والدعاء ، ولم يُورد فيما بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين .

والحاصل أنه في ”عرف التعريف“ زاد رتبة فيما يضاف إلى أمير المؤمنين ، وهى حسام أمير المؤمنين .

(١) كذا في الاصول ولم يذكر الحال الرابع وهو ألقاب الصّالحاء فتأمل .

الحال الثانى — أن يكونَ من القاب الوزراء ومنَ في معنهم . ولم يزد في ”عُرف التعريف“ على وليّ أمير المؤمنين ، وأورده مع المقرّ الشريف ، والمقرّ الكريم ، والمقرّ العالى والجناب الشريف ؛ ويحسن أن يجرى مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالى صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، ولا يضاف إلى أمير المؤمنين مع المجلس العالى فما دونه شىء من الألقاب اكتفاء بما يضاف إلى الملوك والساطين كما تقدم فى أرباب السيوف .

الحال الثالث — أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء . فقد جعل في ”عُرف التعريف“ أعلاها وليّ أمير المؤمنين ، وجعله مع الجناب الشريف فما فوقه ، ويحسن أن يجرى مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالى صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، كما تقدم فى الوزراء ومنَ في معنهم ومنَ دونهم من الكُتاب .

الاعتبار الثانى

(فى الألقاب المركبة أن يختصّ الترتيبُ فى الألقاب بنوع من المكتوب لهم ، وهو أربعة أنماط)

النمط الأول

(ما يختصّ بأرباب السيوف ، وله حالان)

الحال الأول — أن تقع الإضافة فيه إلى الغزاة والمجاهدين . وقد جعل المقرّ الشهابى بن فضل الله فى ” التعريف “ ناصراً الغزاة والمجاهدين أعلاها ، فأورده فى المكتبة إلى نائب الشام ، والمكتبة إليه يومئذ دون المكتبة إلى النائب الكافل ؛

وهو خلاف مقتضى تركيب لغة العرب لما تقدم من أن صيغة فعيل أعلى من صيغة فاعل ، ولذلك جعلوا الكفيل أعلى من الكافل على ما تقدم بيانه . وحينئذ فيكون نصير الغزاة والمجاهدين أعلى من ناصر الغزاة والمجاهدين على خلاف ما ذكره .

أما في "عُرف التعريف" فإنه أعرض عن ذكر الألقاب المضافة إلى الغزاة والمجاهدين مع المَقَرَّ الشريف الذى هو أعلى الألقاب لأرباب السيوف من الثواب ومن في معناتهم ، وأتى بعده مع المَقَرَّ الكريم بنصير الغزاة والمجاهدين ، ثم أتى بعده مع الحَنَاب الشريف إلى آخر المجلس العالى بنصرة الغزاة والمجاهدين ، فجعل نصير الغزاة أبلغ من نُصرة الغزاة : لما فى نصير من لفظ التذكير وفى نُصرة من لفظ التأنيث ، والتذكير أعلى رتبة من التأنيث ؛ ثم أتى مع السامى بالياء بذخر الغزاة والمجاهدين ، ثم مع السامى بغير ياء بزَيْن الأمراء المجاهدين على وصف الأمراء بالمجاهدين دون عطف المجاهدين على الأمراء ؛ ثم مع مجلس الأمير بزَيْن المجاهدين .

وجعل فى "التثقيف" أعلاها ناصِر الغزاة والمجاهدين تبعاً "للتعريف" وأورده مع المَقَرَّ الكريم ؛ ودونه نُصرة الغزاة والمجاهدين ، وأورده مع الحَنَاب الكريم وما بعده إلى آخر المجلس العالى ؛ ثم أتى مع السامى بالياء بأوحد المجاهدين ، ومع السامى بغير ياء ومجلس الأمير بزَيْن المجاهدين ، والحال فى ذلك قريب .

الحال الثانى — أن يكون اللقب مضافاً إلى الجيوش . وقد جعل فى "التعريف" أعلاها أَتَايَك الجيوش ، وأورده فى ألقاب النائب الكافل ؛ وجعل دونه زعيم الجيوش وأورده فى ألقاب نائب الشام ، وهو يومئذ دُون النائب الكافل ؛ ثم جعل دونه زعيم جيوش الموحدنين ، وأورده فى ألقاب نائب حَلَب . وعلى نحو من ذلك جرى فى "عرف التعريف" بفعل أعلاها زعيم الجيوش وأورده مع المَقَرَّ الشريف ،

والمَقَرَّ الكَرِيمَ والمَقَرَّ العَالِي ؛ وَدُونَهُ زَعِيمَ جُيُوشِ المُوَحِّدِينَ ، وَأُورِدَهُ مَعَ الجَنَابِ الشَّرِيفِ والجَنَابِ الكَرِيمِ والجَنَابِ العَالِي ؛ وَلَمْ يُورَدْ شَيْئًا فِي هَذَا المَعْنَى فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَعَلَى نَحْوِ ذَلِكَ جَرَى فِي التَّثْقِيفِ .

النمط الثاني

(ما يَخْتَصُّ بِالْوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ : مَنْ كَاتَبَ السِّرَّ وَنَحْوَهُ
فَمَنْ دُونَهُمْ مِنَ الكُتَّابِ)

وَقَدْ ذَكَرَ فِي "عَرَفَ التَّعْرِيفَ" أَنَّ أَعْلَاهَا لِلْوُزَرَاءِ سَيِّدُ الوُزَرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، وَلَنْ فِي مَعْنَاهُمْ سَيِّدُ الكُتَّابِ فِي العَالَمِينَ ، وَأُورِدَ ذَلِكَ مَعَ المَقَرَّ الشَّرِيفِ والمَقَرَّ الكَرِيمِ والمَقَرَّ العَالِي والجَنَابِ الشَّرِيفِ والجَنَابِ الكَرِيمِ والجَنَابِ العَالِي ؛ وَجَعَلَ دُونَهُ لِمَنْ دُونَهُمْ مِنَ الكُتَّابِ شَرَفَ الرُّؤَسَاءِ ، وَأُورِدَهُ مَعَ المَجْلِسِ العَالِي ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَجِيءُ بَعْدَهُ أَوْحَدُ الكُتَّابِ أَوْ شَرَفُ الكُتَّابِ مَعَ المَجْلِسِ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ ، ثُمَّ جَمَالَ الكُتَّابِ لِلْسَّامِيِّ بِغَيْرِ اليَاءِ فَمَا دُونَهُ .

النمط الثالث

(ما يَخْتَصُّ بِالقُضَاةِ والعُلَمَاءِ)

وَقَدْ جَعَلَ فِي "عَرَفَ التَّعْرِيفَ" أَعْلَاهَا سَيِّدُ العُلَمَاءِ والحُكَّامِ ، وَلِغَيْرِهِمْ أَوْحَدُ العُلَمَاءِ الأَعْلَامِ ، وَجَعَلَهُ لِلجَنَابِ الشَّرِيفِ فَمَا فَوْقَهُ ، ثُمَّ لِلجَنَابِ الكَرِيمِ ، والجَنَابِ العَالِي ؛ وَجَعَلَ دُونَهُ تَابِجُ العُلَمَاءِ والحُكَّامِ ، أَوْ شَرَفُ العُلَمَاءِ والحُكَّامِ ، وَأُورِدَهُ مَعَ المَجْلِسِ العَالِي ؛ وَدُونَهُ جَمَالَ العُلَمَاءِ أَوْحَدُ القُضَلَاءِ ، وَأُورِدَهُ مَعَ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ ؛ وَدُونَهُ جَمَالَ الأَعْيَانِ مَعَ السَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ فَمَا دُونَهُ .

المَطَرُ الرابع

(ما يَخْتَصُّ بِالصُّلَحَاءِ)

وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها لهم شَيْخُ شُيُوخِ العارفين، وأورده مع الحَضْرَةِ الطَاهِرَةِ، وجعل دُونَ ذلك أَوْحَدَ المُحَقِّقِينَ، فأورده مع الجَنَابِ الكَرِيمِ؛ ودُونَهُ أَوْحَدَ النَّاسِكِينَ، فأورده مع الجَنَابِ العَالِي .

قلت : وليس وَضَعُ هذه الألقاب على الترتيب في العُلُوِّ والهَبُوطِ راجعاً إلى مجزء التَّشْمِي من غير تَقْصُّ لَعُلُوٍّ أو هَبُوطِ يَدُلُّ عليه جوهرُ اللفظ ، بل لا بد أن يكون لتَقْدِمِ كُلِّ لَقِبٍ منها على الآخر وَرَفْعَتِهِ عليه في الرُّتْبَةِ سَبَبٌ يَقْتَضِيهِ اللفْظُ وتَوَجُّبُهُ دَلَالَتُهُ الظَّاهِرَةُ أو الخَفِيَّةُ . وما وقع فيها مما يخالف ذلك فلعدم تأمل الواضح لذلك ، أو وَقُوعِهِ من بعض المُدَّعِينَ الظَّاهِرِينَ أن القَلَمَ في ذلك مطلق العنان ، يتصرف في وضعه كيف شاء من غير نظرٍ إلى ما يوجب تقدماً ولا تأخيراً . ومما يوضح ذلك ويبيِّنُه أنك إذا اعتبرت الألقاب المضافة إلى الإسلام المتقدمة الذكر في أرباب السيف مثلاً ، رأيت أعلاها رُكْنُ الإسلام والمسلمين ، على ما هو مذكور في "التعريف" وغيره من سائر دَسَائِرِ المَقَرِّ الشَّهَابِيِّ بن فضل الله ؛ وأعلاها على ما ذكره في "التثقيف" مُعِزُّ الإسلام والمسلمين ، ودُونَ ذلك في الرتبة عِزُّ الإسلام والمسلمين ، ودُونَهُ مَجْدُ الإسلام والمسلمين ، ودُونَهُ مجد الإسلام فقط من غير عَطْف ، على ما تقدم ذكره .

أما كَوْنُ رُكْنِ الإسلام والمسلمين أعلى من عِزِّ الإسلام والمسلمين ، فلأن رُكْنَ الشَّيْءِ في اللغة جَانِبُهُ الأَقْوَى ، وقد قال الأَصُولِيُّونَ : إن الرُّكْنَ ما كان داخل المَاهِيَّةِ ، وحينئذ فيكون رُكْنُ الشَّيْءِ بعضاً منه بخلاف العِزِّ فإنه معنًى من المعاني خارج عنه ، وما كان بعضاً للشَّيْءِ كان أَخَصَّ به مما هو خارج عنه .

وأما وَجْهُ إبداهم رُكنَ الإسلام والمسلمين بمِعْزِ الإسلام والمسلمين فلأنَّ
في الرُّكنِ معنى العِزِّ والقُوَّةِ ، وقد فسر قوله تعالى حِكَايَةً عن لُوطٍ عليه السلام :
(أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) بِالْعِزِّ وَالْمَنْعَةِ ، فُجِعِلَ المِعْزُ لهذا الاعتبار في الألقاب قائماً
مَقَامَ الرُّكنِ .

وأما كَوْنُ عِزِّ الإسلام والمسلمين أعلى من مَجْدِ الإسلام والمسلمين ، فلأنَّ العِزَّ
أَجْدَى في النَّفْعِ من المَجْدِ ، فقد تقدّم أن أَبْنَ السَّكَيْتِ قال : إن المَجْدَ لا يكون
إلا بِشَرَفِ الآبَاءِ ، ولا نِزَاعَ في أن العِزَّ في تَعَارُفِ المُلُوكِ أَكْثَرُ جَدْوًى وَأَوْفَرُ نَفْعاً
في تحصيل المَقَاصِدِ . وقد ذكر أبو جعفر النحَّاسُ في "صناعة الكُتَّابِ" أن الكُتَّابِ
في الزمن القديم كانوا يجعلون الدُّعَاءَ بِالْعِزِّ عَقِبَ الدُّعَاءِ بِطُولِ البَقَاءِ ، فإنه يكون بالعِزِّ
مُصَوِّناً عَالِياً آمِناً غَنِيّاً .

وأما كَوْنُ مَجْدِ الإسلام والمسلمين أعلى من مَجْدِ الإسلام ، فلأنَّ الشَّيْءَ كُلَّمَا تَعَدَّى
فَعَلَهُ إلى غيره كان أَرْفَعَ رَتَبَةً ، ومَجْدُ الإسلام والمسلمين يَتَعَدَّى إلى شَيْئَيْنِ : وهما
الإسلام والمسلمين ، ومَجْدُ الإسلام لا يَتَعَدَّى إلا إلى شَيْءٍ واحدٍ : وهو الإسلام .
فَلِذَلِكَ إِذَا أَعْتَبِرَتِ الألقاب المضافة إلى أمير المؤمنين ، رَأَيْتَ أَعْلَاهَا في أَرْبَابِ
السُّيُوفِ قَسِيمَ أمير المؤمنين ، ودُونَهُ خَلِيلَ أمير المؤمنين ، ودُونَهُ عَضُدَ أمير المؤمنين
ودُونَهُ سَيْفَ أمير المؤمنين ، ودُونَهُ حُسَّامَ أمير المؤمنين .

أما كَوْنُ قَسِيمِ أمير المؤمنين أعلى من خَلِيلِ أمير المؤمنين ، فلأنَّ القَسِيمَ بمعنى
المُقَاسِمِ ، والمراد أنه قَاسَمَ أمير المؤمنين المُلْكَ وسَاهَمَهُ في الأَمْرِ فصارا فيه مُشْتَرِكَيْنِ ،
وخليلُ أمير المؤمنين مأخوذ من الخِلَّةِ بضم الخاء وهي الصَّدَاقَةُ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ يُقَاسِمُ

(١) كذا في الأصول والأظهر وكذلك إذا اعتبرت الخ عطفاً على أنك إذا اعتبرت الخ المتقدم
في الصفحة قبل .

الخليفة فيصير عديله في الامر ، وبين من يكون خليله وصاحبه . على انه قد تقدم
أن الملوكة قد أربت بأنفسها عن هذا اللقب لاستبدادهم بالملك واستيلائهم عليه .

وأما كون خليل أمير المؤمنين أعلى من عضد أمير المؤمنين ، فلا أن العضد ليس
المراد منه العضو الحقيقي الذي هو بين الكتف والمرفق ، وإنما استعير للناصر وكأنه
ينصره بنفسه كما ينصره عضده ، ومثل هذا الوصف لا يكون إلا للاتباع ، بخلاف
الخليل والصادق فإنه لا تكاد رتبته عند الشخص تحط عن رتبة نفسه .

وأما كون عضد أمير المؤمنين أعلى من سيف أمير المؤمنين ، فلا أن العضد وإن
قصد به الناصر فإنه منقول عن العضو للناصر كما تقدم وعضو الإنسان عنده
في العزة وقوة النصر فوق سيفه في ذلك .

وأما كون سيف أمير المؤمنين أعلى من حسام أمير المؤمنين - وإن كان الحسام
متضمنًا لوصف القطع الذي هو المقصود الأعظم من السيف من حيث إنه مأخوذ
من الحسم : وهو القطع - فلا أن السيف مأخوذ من ساف إذا هلك كما صرح به
الشيخ "جمال الدين بن هشام" في شرح قصيدة كعب بن زهير ، ولا شك أن معنى
الإهلاك أبلغ من معنى القطع : لأن القطع قد يقع في بعض البدن مما لا يتضمن
الإهلاك ، وهذا مما يجب التنبيه له فإنه ربما توهم أن الحسام أبلغ من السيف
لتضمن وصف القطع كما تقدم .

وبالجملة فلا سبيل إلى استيعاب جميع ما يرد من هذا الباب بالتوجيه : لأن ذلك
يؤدي إلى الإسهاب والملل . والقول الجامع في ذلك أنه ينظر إلى الألفاظ الواقعة
في الألقاب وما تقتضيه من أصناف المدح ، وما تنتهي إليه رتبتهما فيه من أعلى

(١) لعله رأت بأنفسها أي ترفعت أو زمت بأنفسها أي شمت .

الدرجات أو أوسطها أو أدناها فيرتبها على هذا الترتيب ، ويوجِّهها بما يظهر له من التوجيه على نحو ما تقدّم . كما إذا اعتبرت رتبة الجلال والجمال فإنك تجد الجلال أعلى رتبة : لأن معنى الجلال العظمة ، ومعنى الجمال الحسن ، ولا نزاع في أن العظمة أبلغ وأعلى موقعاً من الحسن . وكما إذا اعتبرت الضياء والبهاء ، فإن الضياء يكون أبلغ لأن الضياء معناه النور الذاتي وهو متعدى النفع عام الفضيلة ، والبهاء معناه الحسن وهو قاصر على صاحبه . وفيما ذكر إرشاداً إلى ما لم يذكر .

القسم الثاني

(مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه بالتقديم والتأخير ، وهو نوعان)

النوع الأول

(الألقاب المفردة ، وهي على ستة أنماط)

النمط الأول

(الألقاب التي تلي الألقاب الأصول)

وهي التي تلي المقام والمقر والجناب والمجلس : كالأشرف والشريف والكريم والعالى والسامى : فالأشرف يلى المقام والمقر ، فيقال : المقام الأشرف ، والمقر الأشرف ، والشريف يلى المقام والمقر والجناب ، فيقال : المقام الشريف ، والمقر الشريف ، والجناب الشريف . والكريم يلى المقر والجناب ، فيقال : المقر الكريم ، والجناب الكريم . والعالى يلى المقام والمقر والجناب والمجلس ، فيقال : المقام العالى ، والمقر

العالى ، والجناب العالى ، والمجلس العالى . والسامى يلى المجلس خاصّةً ، فيقال :
المجلس السامى . والعالى يلى الأشرف والشريف والكريم ، فيقال : الأشرف العالى ،
والشريف العالى ، والكريم العالى .

النمط الثانى

(ما يلى العالى أو السامى من الألقاب)

وهو اللقب الذى يميّز نوع المكتوب له ، كالأميرى لأرباب السيوف ،
والصاحبى للوزراء من أرباب الأفلام ، والقضائى والقاضوى لسائر أرباب الأفلام ،
والشيوخى للصوفية وأهل الصلاح ، والصدرى للتجار ومن فى معانهم . مثل أن
يقال : المقرّ الكريم العالى [الأميرى^(١)] والجناب العالى الصاحبى ، أو الجناب العالى
القاضوى ، أو المجلس العالى ، أو المجلس السامى الشيوخى ، أو المجلس السامى
الصدرى ، وما أشبه ذلك . والمعنى فى وضع هذه الألقاب فى هذا الموضع أن يدلّ
أول لقب يُذكر بعد اللقب الأصل وتابعه على الوظيفة كما تدلّ براعة الاستهلال
على صورة الحال فى المكتبة أو الولاية أو غيرها ، وربما كان المحلّ مما يقتضى
التلقب بالمولوى فيقدم لقب المولوى على لقب الوظيفة . مثل أن يقال : المقرّ
الشريف العالى المولوى الأميرى ، فإن كان اللقب الأصل مضافاً لمجلس الأمير
أو مجلس القاضى أو مجلس الشيخ أو مجلس الصدر ، قام المضاف إليه مقام لقب
الوظيفة ، فيقوم الأمير من مجلس الأمير مقام الأميرى ، والقاضى من مجلس القاضى

(١) الزيادة متعينة وقد أخذناها من الضوء للولف .

مقام القضاى، والشيوخ من مجلس الشيخ مقام الشىخى، والصدر من مجلس الصدر مقام الصدرى. ثم لا ينع بعد ذلك فى هذه الحالة إلا بالأجل، ويؤى بعده بما يناسبه من الألقاب.

النمط الثالث

(ما يلى لقب الوظيفة)

وهو الكير أو الكيرى، فيؤى به تلو اللقب الدال على الوظيفة مثل أن يقال : المقر العالى الأميرى الكيرى، أو الجناى العالى القضاى الكيرى، أو المجلس السامى الكيرى إذا كان بالياء، أو الكير إذا كان بغير الياء.

النمط الرابع

(ما يقع قبل لقب التعريف الذى هو الفلانى أو فلان الدين)

وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة، كالكافلى والكفيلى للتواب، والوزيرى للوزراء، والحاكمى للقضاة. فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل الفلانى الكافلى أو الكفيلى بحسب ما يقتضيه الحال، وإن كان حاكماً كتب الحاكمى. قال فى "التثيف": وإن كان وزيراً كتب فى آخر ألقابه الوزيرى. والذى ذكره فى "عرف التعريف" أن الوزيرى يلى لقب الوظيفة، فإذا كان الوزير من أرباب السيوف كتب الأميرى الوزيرى؛ وإن كان من أرباب الأقلام كتب الصحاحى الوزيرى. وما ذكره فى "التثيف" متجه فيما إذا كان الوزير صاحب قلم، فإن التعريف فى الوظيفة يعرف أولاً من قوله الصحاحى.

وما ذكره في "التعريف" ظاهرٌ فيما إذا كان الوزيرُ من أرباب السيوف ، فإنه يتعين تقديمُ الوزيرِ فيذكر بعد الأميرِ ليدل من الابتداءِ على الوظيفة ، إذ مطلق الإمرة لا يدلُّ على وزارة ولا عدها ، فلو أُتْرُ إلى آخر الألقاب لما عُرف أنها ألقابُ وزيرٍ إلى حين ذكر هذا اللقب ، وإنما رُتِبَ هذا الترتيب ليدل باللقب الذي هو أول الألقاب بعد العالی أو السامی على حال صاحب تلك الألقاب هل هو من أرباب السيوف أو الأقلام أو غير ذلك ، وباللقب الذي هو آخر الألقاب المفردة على وظيفته الخاصة به .

النمط الخامس

(ما يقع فصلاً بين الألقاب المفردة والمركبة)

وهو لقب التعريف كالفلاني وفلان الدين ، فقد جعلوه فاصلاً بينهما .

النمط السادس

(ما ليس له موضعٌ مخصوص من الألقاب المفردة)

وهو ما بين اللقب الذي يقع به التمييز بين الأميرِ ونحوه ، وبين اللقب الذي قبل لقب التعريف كالعالمى والعادلى ونحوهما ، فالقلم في ذلك مطلق العنان بالتقديم والتأخير على ما يقتضيه الحال بحسب ما يراه الكاتب .

النوع الثاني

(مما تفتاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير الألقاب المركبة المعبر عنها بالثغوث، وهي على ثلاثة أنماط)

النمط الاول

(ما يلي لقب التعريف الذي هو الفلاني أو فلان الدين)

وهو ما يضاف إلى الإسلام مثل ركن الإسلام والمسلمين وعمر الإسلام والمسلمين وما أشبه ذلك ، فقد أصطلحوا على أن يكون ذلك أول الألقاب المركبة ، وتوجيهه ظاهر لأن المضاف يشرف بشرف المضاف إليه ، ولا أشرف عند أهل الإسلام من الإسلام فوجب تقديم ما يضاف إليه على غيره .

النمط الثاني

(ما يقع في آخر الألقاب المركبة)

ويختلف الحال فيه باختلاف حال المكتوب له ، فإن كان ممن يكتب له المجلس السامي بغيرياء فما دونه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى الملوك والسلاطين ، مثل أن يقال : صفوة الملوك والسلاطين ، أو اختيار الملوك والسلاطين وما أشبه ذلك . وإن كان ممن يكتب له السامي بالياء فما فوقه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى أمير المؤمنين : مثل عضد أمير المؤمنين ، وولي أمير المؤمنين ، وخالصة أمير المؤمنين ، وما أشبه ذلك على ما تقتضيه رتبة المكتوب له . والمعنى فيه أن حسن الاختتام بالإضافة إلى الملوك والسلاطين الذين هم ثاني رتبة الخلافة .

النمط الثالث

(مايين أول الألقاب المرغبة وبين آخرها)

فقد أصطلحوا على أن يكون المقدم منها مما يقتضى تقديم المكتوب له على أبناء جنسه . مثل : سيّد الأمراء في العالمين ، وسيّد العلماء والحكّام في العالمين ، وما أشبه ذلك ؛ ثم في حقّ كل أحد من أرباب الأقاليم والسيوف بحسب ما يقتضيه حاله على نحو ما تقدّم في الكلام على ما تتفاوت رتبته بالعلو والهبوط .

الجملة الثامنة

(في بيان محلّ اللقب المضاف إلى الملك ولقب التعريف الخاصّ به
الواقع تلوّ اللقب الملويّ ، مثل الملكيّ الناصريّ الزينيّ
وما أشبه ذلك ؛ وله ثلاثة أحوال)

الحالة الاولى — أن يكون ذلك في ألقاب السلطان نفسه ، كما يقع في التقاليد والمناسير ونحوهما . فوضعه بعد رُسم بالأمر الشريف ، أو خرج الأمر الشريف ، مثل أن يُكتب رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطانيّ الملكيّ الناصريّ الزينيّ ، أو فلذلك رُسم بالأمر الشريف الفلانيّ الفلانيّ ، أو خرج الأمر الشريف العالي المولويّ السلطانيّ الملكيّ الفلانيّ الفلانيّ ، وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون اللقب المضاف إلى الملك في ألقاب المكتوب له ، كما لو كتبت في تقليد أو نحوه . ومحلّه بعد ذكر اسم المكتوب له بعد الألقاب ، مثل أن يقال بعد انتهاء الألقاب : فلان الظاهريّ أو الناصريّ ونحو ذلك ، ولا يقال له الملكيّ حينئذ .

الحالة الثالثة — أن يكون في ألقاب المكتوب عنه كما يُكْتَب في أول المكاتبات المَلِكِي الفلاني، وقد اصطَلَحُوا على أن يُكْتَب ذلك تحت جَرَّة البسملة على ماسياتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة التاسعة

(في ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
على قدر طبقاتها، وهي قسمان)

القسم الأول

(الألقاب الإسلامية)

واعلم أن ترتيب الألقاب تارة يكون في السُّلْطَانِيَّات ، وتارة يكون في الإخْوَانِيَّات وما يُكْتَب عن الثَّوَاب . وقد كانوا في الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » يستعملون في الإخْوَانِيَّات وما يُكْتَب عن الثَّوَاب الثَّوَاتِ المَرْكَبَة كما في السُّلْطَانِيَّات، لا يَفْرِق بينهما إلا ما في الإخْوَانِيَّات وما في معناها من الألقاب التي لا تَصْلُح للسلطانيات، كالمَوْلَوِيّ والسَيِّدِيّ والمُخَدُّومِيّ ونحوها . أما الآن فقد وقع الاقتصارُ فيها على المُفْرَدَات دُونَ المَرْكَبَات، وصارت المَرْكَبَات مَخْصُصَةً بالسلطانيات .

ثم الألقاب الإسلامية الفروع المرتبة على الألقاب الأصول على سبعة
أضرب :

الضرب الأول

(الألقاب المتعلقة بالخلافة وما يلتحق بها، ومبناها على الاختصار؛
وهي ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء ، وهي صنفان)

الصنف الأول — أن تكون لنفس الخليفة . فكان يقال فيها في الزمن القديم
« عبد الله فلان أمير المؤمنين » [فإن كان اسم الخليفة عبد الله كلما مون كُرر الاسم
مرتين : مرة للاسم العلم ومرة للقب الخلافة ، فيقال : « عبد الله عبد الله
أمير المؤمنين »] ثم زيد فيها الكنية بعد ذلك ، ف قيل « عبد الله فلان أبو فلان
أمير المؤمنين » ثم زيد لفظ الإمام ف قيل « عبد الله فلان أبو فلان [الإمام]
الفلاني — بلقب الخلافة مثل المتوكل على الله ونحوه — أمير المؤمنين » ثم زيد ووليّه
بعد عبد الله ، ف قيل : « عبد الله وليّه فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين »
وهو ما استقر عليه الحال آنحرا .

الصنف الثاني — أن تكون الألقاب للديوان في مكتبة أو غيرها . والذي
أصطلح عليه أن يقال « الديوان العزيز المولوي السيدي النبوي الإمامي
الفلاني » بلقب الخلافة .

(١) الزيادة عن ضوء الصبح للؤلف ج ١ ص ٣٦٩ تمام الفائدة .

النوع الثانى

(ألقابُ وِلاَةِ العهد بالخِلافة)

وهى « الجَنَابُ الشَريفُ ، المَوَلَوِىُّ ، السَيِّدُ ، النَّبَوِىُّ ، الفُلَانِىُّ » بَلقبه المنسوب إلى الخِلافة . وربما قيل فيه الجَنَاب بدل الجَنَاب ، وبقية الألقاب على ما تقدم .

النوع الثالث

(ألقابُ إمام الزيدية باليمن)

وهى « الجَنَاب الكَريم ، العالى ، السَيِّدُ ، الإمامى ، الشَريفُ ، النَّسَبِىُّ ، الحَسَبِىُّ ، الفُلَانِىُّ » بَلقب التعريف « سَلِيل الأَطهار ، جَلال الإسلام ، سَيِّف الإمام ، بقية البيت النبوى ، نَحْر الحَسَب العلوى ، مُؤَيِّدُ أمور الدين ، خليفة الأئمة ، رأس العِلياء ، صالح الأولياء ، عَلم الهداة ، زَعيم المؤمنين ، دُخْر المسامِين ، مُجَدِّد الملوك والسلاطين » .

الضرب الثانى

(الألقابُ المُلوكية ، وهى نوعان)

النوع الأول

(الألقابُ التى أصطَلَحَ عليها للسلطان بالديار المصرية على ما الحالُ مستقر

عليه ، وقد ذكر فيها فى التعريف مذهبين)

المذهبُ الأول — أن يقال « السُّلطان السَيِّدُ الأَجَلُّ الملكُ الفُلَانِىُّ العالم

العادلُ المجاهدُ المَرباطُ المتناغرُ المؤَيِّدُ المظفرُ المنصورُ الشاهنشاهُ فلانُ الدنيا

والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، مُحيي العدل في العالمين، وارث المُلْك، مَلِك العرب والعجم والترك، ظل الله في أرضه، القائمُ بسُنَّتِه وفَرْضِه، إسكندرُ الزمان، مُمَلِّك أصحاب المنابر والأسرة والتيجان، واهبُ الأقاليم والأمصار، مُبِيد الطُغَاة والبُغَاة والكُفَّار، حامى الحرمين الشريفين والقبيلتين، جامعُ كلمة الإيمان، ناشِرُ لواء العدل والإحسان، سيِّدُ ملوك الزمان، أبو فلان فلان، ابن السلطان الشهيد الملك الفلاني، والد الملوك والسلاطين، أبي فلان فلان» .

أما في "التثقيف" فإنه ذكر ذلك بزيادةٍ وتغيير، وتقديم وتأخير - فقال :
«السلطان الأعظم، المالك الملك الأشرف السيد الأجل العالم العادل المؤيد المجاهد المرباط المناغر المظفر الشاهنشاه ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، مُنْصِفُ المظلومين من الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، فاتح الأقطار، مانح الممالك والأمصار، إسكندرُ الزمان، مولي الإحسان، جامع كلمة الإيمان، مُمَلِّك أصحاب المنابر والتُّخُوت والتيجان، مَلِك البحرين، مَسَلِّك سُبُل القبيلتين، خادمُ الحرمين الشريفين، ظلُّ الله في أرضه، القائمُ بسُنَّتِه وفَرْضِه، سلطانُ البسيطة، مؤمِّن الأرض المُحِيطَة، سيد الملوك والسلاطين، وَلِيّ أمير المؤمنين، أبو فلان فلان بن فلان» . وذكر أن الغالب أن مُتَحَدِّف الشاهنشاه، لأن معناها مَلِك الأملاك، وقد تقدّم النهي عن التسمي بذلك.
ثم قال : والواجب أن يكون بدل وَلِيّ أمير المؤمنين، قَسِيم أمير المؤمنين .

المذهب الثاني - أن يُكْتَبَ المقام الشريف أو الكريم أو العالی مجرداً عنهما، ويُقْتَصَرُ على المفردة دون المركبة . مثل أن يُكْتَبَ «المقام الشريف العالی،

المُولَوِيّ، السلطانيّ، المَلِكِيّ، الفلانيّ، ابو فلانٍ فلانٍ . قال في "التعريف" :
وإلى هذا ذهب المتأخرون من الكُتّاب ؛ ثم قال : وأنا على الأول أعمل .

النوع الثاني

(الألقاب التي يُكتَب بها عن السلطان لغيره من الملوك،
وهي على ثلاثة أصناف)

الصف الأول

(ألقابُ وُلاة العهد بالسلطنة)

« وهي المقام العالي ، العالِيّ ، العادِلِيّ ، المَلِكِيّ ، الفلانيّ ، الفلانيّ - بلقبِ
الملك واللقبِ المتعارف » . قال في "التثقيف" : فإن كان أخًا للسلطان زيد فيه
الأخويّ ، أو ولدا زيد فيه الولديّ .

الصنف الثاني

(ألقابُ الملوك المستقلين بصغار البلدان)

كما كان صاحبُ حماة في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وكان يُكتَب له :
«المقام الشريف العالي السلطاني المَلِكِيّ الفلانيّ ، بلقب المَلِك» . وربما كُتِب
له قبل لقب الملك «الأصيليّ» لعزّاقته في الملك .

الصنف الثالث

(ألقابُ المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب السلطانية، وهي نمطان)

النمط الأول

(ما يُصدَّر بالألقاب المذكورة. وهي على أربع طبقات)

الطبقة الأولى — ما يُصدَّر بالمقام. وأعلىها «المقام الأشرف» كألقاب صاحب الهند، وهي: «المقام الأشرف العالي المولوي السلطاني الأعظمي الشاهنشاهي العالمي العادل المجاهدي المثنوي المظفر المويدي المنصوري إسكندر الزمان، سلطان الأوان، منبع الكرم والإحسان، المعنى آل ساسان، وبقايا فراسياب وخاقان، ملك البسيطة، سلطان الإسلام، غياث الأنام، أوحده الملوك والسلطين» .

ودونه «المقام الشريف» كألقاب الشيخ حسن الكبير صاحب بغداد كان، وهي: «المقام الشريف العالي الكبير السلطاني العالمي العادل المجاهدي المويدي المرابطي المنصوري الملكي الفلاني الفلاني — بلقي الملك والتعارف» .

ودونه «المقام العالي» كألقاب القان ببلاد أذربك فيما ذكره في "التثقيف" وهي: «المقام العالي السلطاني الكبير الملكي الأكرمي الفلاني — بلقب التعريف — فلان الدنيا والدين مؤيد الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمشركين، ولي أمير المؤمنين» . وكألقاب صاحب المغرب فيما ذكره في "التعريف" وهي: «المقام العالي السلطاني السيد الأجل العالم العادل المجاهد المرابط المثنوي المظفر المنصور على أعداء الله أمير المسلمين، قائد الموحدين، مجيئ الغزاة والمجاهدين، مجند الجنود، عاقد البتود، مالي صُدُور البراري والبحار،

مُزْعِزِ اسِرَّةِ الْكُفَّارِ ، مُؤَيِّدِ السَّنَةِ ، مُعِزِّ الْمِلَّةِ ، شَرَفُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكَرِيمِ ، وَالتَّنَسُّبِ الصَّمِيمِ ، رَبِيبِ الْمُلْكِ الْقَدِيمِ ، أَبُو فُلَانٍ فُلَانٍ .

الطبقة الثانية — مَا يُصَدَّرُ بِالْمَقَرِّ ، وَأَعْلَاهَا فِيهَا رَأَيْتُ «الْمَقَرَّ الْكَرِيمِ» كَأَلْقَابِ صَاحِبِ هَرَّاءَ فِيهَا ذَكَرَهُ فِي "التعريف" وهى : «الْمَقَرَّ الْكَرِيمِ ، الْعَالِى الْعَالِمِ الْعَادِلِ الْمَجَاهِدِ الْمُؤَيِّدِ الْمُرَاطِطِ الْمُنَافِئِ الْأَوْحَدِ الْفُلَانِ» ، شَرَفُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَكَأَلْقَابِ صَاحِبِ كَرْمِينَانَ ^(١) [مِنْ بِلَادِ الرُّومِ] فِيهَا ذَكَرَهُ فِي "التثقيف" وهى : «الْمَقَرَّ الْكَرِيمِ الْعَالِى الْمَلِكِ الْأَجَلِّ الْعَالِمِ» [الْعَادِلِ] ^(١) الْمَجَاهِدِ الْمُؤَيِّدِ الْمُرَاطِطِ الْمُنَافِئِ الْمُنْظَرِ الْمَنْصُورِ الْفُلَانِ ، عِزُّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، نَحْرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، نَصِيرُ الْغُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ الْجِيُوشِ مُقَدِّمُ الْعَسَاكِرِ ظَهِيرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

ودونه «الْمَقَرَّ الْعَالِى» كَأَلْقَابِ صَاحِبِ مَالَى مِنْ بِلَادِ التُّكُرُورِ فِيهَا ذَكَرَهُ فِي "التعريف" وهى : «الْمَقَرَّ الْعَالِى السَّلْطَانِ الْجَلِيلِ الْكَبِيرِ الْعَالَمِ الْعَادِلِ الْمَجَاهِدِ الْمُؤَيِّدِ الْأَوْحَدِ ، عِزُّ الْإِسْلَامِ ، شَرَفُ الْمُلُوكِ الْأَنْامِ ، نَاصِرُ الْغُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ جِيُوشِ الْمُوَحِّدِينَ ، جَمَالُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، سَيْفُ الْخِلَافَةِ ، ظَهِيرُ الْإِمَامَةِ ، عَضُدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

الطبقة الثالثة — مَا يُصَدَّرُ بِالْجَنَابِ . وَأَعْلَاهَا «الْجَنَابُ الْكَرِيمُ» كَأَلْقَابِ مَلِكِ التُّكُرُورِ فِيهَا ذَكَرَهُ فِي "التثقيف" أَنَّهُ اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ ، وهى : «الْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِى الْمَلِكُ الْجَلِيلُ الْعَالَمُ الْعَادِلُ الْمَجَاهِدُ الْمُؤَيِّدُ الْمُنَافِئِ الْمُرَاطِطِ الْعَابِدُ الْخَاشِعُ النَّاسِكُ الْأَوْحَدُ فُلَانٌ ، دُخْرُ الْإِسْلَامِ» . وَكَأَلْقَابِ مَلِكِ الْبَرْزُو وَالْكَاتِمِ فِيهَا ذَكَرَهُ

في "التعريف" وهي : « الجَنَابُ الكريم العالى الملك الجليل الكبير العالم العادل
الغازى المجاهد الهمام الأُوحد المظفر المنصور عز الإسلام » . ثم بقية الألقاب
من نسبة ألقاب ملك التُّكُور .

الطبقة الرابعة - ألقاب المجلس . وأعلاها « المجلس العالى » كألقاب صاحب
حصن كَيْفَا فيما ذكره في "التعريف" وهو : « المجلس العالى المَلِكِيّ الفلانى الأَجَلِيّ
العالمِيّ العادل المجاهدِيّ المؤيدِيّ المربطِيّ المُنَاغِرِيّ الأُوحدِيّ الأَصِيلِيّ
الْفَلَانِيّ - بلقب التعريف - عز الإسلام والمسلمين ، بقية الملوك والسلاطين ،
نَصِير الغُزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، شرف الدول ، دُخْر الممالك ، خليل
أمير المؤمنين أو عضد أمير المؤمنين » على مخالفة فيه فيما أورده في "التثقيف" تأتي
في المكتبة إليه .

ودونه المجلس السامِيّ بالياء - كألقاب صاحب أَرْزَن ، وهي « المجلس السامِيّ المَلِكِيّ
الفلانى - بلقب المُلْك - الأَصِيلِيّ الكَبِيرِيّ العالمِيّ المجاهدِيّ المؤيدِيّ المربطِيّ
الأُوحدِيّ الفلانى - بلقب التعريف - عز الإسلام ، شرف الملوك فى الأنام ،
بقية السلاطين ، نُصْرَةُ الغُزاة والمجاهدين ، ولي أمير المؤمنين » .

ودونه المجلس بغير ياء فى ألقابه كألقاب صاحب دُنْقَلَة إذا كان مسلماً ،
فما ذكره فى "التعريف" وهي : « المجلس الكبير الغازى المجاهد المؤيد الأُوحد
العَضْد ، مجد الإسلام ، زين الأنام ، نخرُ المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين »
ولم يذكر فيه السامى ولا لقباً مضافاً إلى المَلِك ، وهو المَلِكِيّ إلا أنهم أوردوه
فى عدة الملوك .

قلت وأكثر هذه الألقاب يؤتى فيها بالألقاب المختصة بالملك : إما في المفردة كالملكى الفلانى ، وإما في المركبة مثل « بقية الملوك والسلاطين » ونحو ذلك ، لتدل على أن المكتوب له ملك فيمتاز عن غيره . وربما أتى فيها بالألقاب الإمارية دون الملوكية لوقوع اصطلاح أهل تلك المملكة على ذلك . كما يكتب في ألقاب صاحب تونس « أمير المؤمنين » لادعائه الخلافة ، وفي ألقاب صاحب فاس « أمير المسلمين » أتباعا ليوسف بن تاشفين صاحبها في القديم ، إذ كان أول من تلقب بذلك خضوعاً عن أن يتلقب بأمر المؤمنين ، لأختصاصه بالخلافة كما سيأتى الكلام عليه في المكتبة إليه إن شاء الله تعالى .

النمط الثانى

(ما يصدر بالألقاب المؤنثة ، وهى الحضرة)

ويختلف الحال فيها باختلاف الممالك . فالألقاب القان بمملكة إيران على ما كان عليه الحال فى أيام السلطان أبى سعيد وما قبله « الحضرة ، الشريفة ، العلية ، السلطانية ، الأعظمية ، الشاهنشاهية ، الأوحديّة ، القانية ، الفلانية » . قال فى " التعريف " ولا يخلط فيها الملكية لهوانها لديهم وإن كان صاحب " التثقيف " قد أثبت فيها الملكية أيضاً على ما سيأتى فى الكلام على المكتبة إليه فى موضعه إن شاء الله تعالى . وألقاب صاحب تونس فيما ذكره فى " التثقيف " « الحضرة ، العلية ، السنية ، السرية ، المظفرية ، الميمونة ، المنصورة ، المصونة ، حضرة الأمير العالم » إلى آخر الألقاب المذكورة .

الضربُ الثالثُ

(من الألقاب الإسلامية للألقاب العامة لسائر الطوائف مما يُكْتَب به
عن الأبواب [السلطانية^(١)] ، وهي ثمانية أنواع)

النوع الأول

(ألقابُ أربابِ السيوف من أهل المملكة وغيرهم : من الأمراء والعُربان
والأكراد والتُرُكمان. وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَقَر ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المَقَر الشريف . وهو مختص في عُرف الزمان
بما يُكْتَب عن نواب السلطنة .

وصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" : « المَقَر الشريف ، العالى ،
المَوْلوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، الممهّدى ، المشيّدى ، الزعيمى ،
المَقْدّمى ، الغوثى ، الغياثى ، المرائطى ، المُنَاغِرَى ، الظّهيرى ، المالكى ، المخدومى ،
الفلانى ، عزّ الإسلام والمسلمين ، سيّد الأمراء فى العالمين ، زعيمُ الجيوش ، مُقَدّم
العساكر ، عونُ الأمة ، غياثُ المِلَّة ، ممهدُ الدُّول ، مشيّدُ الممالك ، ظهيرُ الملوك
والسلاطين ، عَضُدُ أمير المؤمنين » .

المرتبة الثانية — مَرْتَبَةُ المَقَر الكريم . وهي مستعملة فى السُّلْطانيات وما يُكْتَب
عن الثُّواب .

فأما في السُّلْطَانِيَّاتِ فصورتهَا على ما أورده في "التثقيف" في الألقاب المستقرة للنائب الكافل ونائب الشام : «المَقَرُّ الكَرِيم ، العَالِي ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ، المؤَيَّدِي ، الزَّعِيمِي ، الغَوْنِي ، الغِيَاثِي ، الْمُتَاغِرِي ، المُرَابِطِي ، الْمُمَهَّدِي ، المَشِيدِي ، الظَّاهِرِي ، العَايِدِي ، النَّاسِكِي ، الْأَتَابِكِي ، الكَفِيلِي ، الْفُلَانِي ؛ مُعِزُّ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ أُمَرَاءِ الْعَالَمِينَ ، نَاصِرُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ جُيُوشِ الْمُوَحِّدِينَ ، مُمَهِّدُ الدُّوَل ، مَشِيدُ الْمَمَالِك ، عِمَادُ الْمِلَّة ، عَوْنُ الْأُمَّة ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِين ، عَضُدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .



وأما فيما يكتب عن الثَّوَابِ فقد ذكر في "التعريف" أنَّ ألقابها من نسبة ما تقدم في ألقاب المقر الشريف .

وصورتها على ما أورده شهاب الدين الفارقي في دُستوره عن نائب الشام : «المَقَرُّ الكَرِيم ، العَالِي ، المَوَلَوِي ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ، المؤَيَّدِي ، الْمُمَهَّدِي ، الغَوْنِي ، المَقْدَمِي ، الذُّخْرِي ، الغِيَاثِي ، الْفُلَانِي ؛ عِزُّ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، زَعِيمُ جُيُوشِ الْمُوَحِّدِينَ ، مَقْدَمُ الْعَسَاكِرِ الْمُجَاهِدِينَ ، ذُخْرُ الدَّوَلَةِ بِهَاءِ الْمِلَّة ، مُمَهِّدُ الْمَمْلَكَةِ ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِين ، عَضُدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما أورده الصَّلَاحُ الصَّفَدِي فِي دُستوره عن نائب الشام أيضا : «المَقَرُّ الكَرِيم ، العَالِي ، المَوَلَوِي ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ، المؤَيَّدِي ، الْمُجَاهِدِي ، الذُّخْرِي ، الْعَضُدِي ، النَّصِيرِي ، المَقْدَمِي ، الغَوْنِي ، الغِيَاثِي ، الْفُلَانِي ؛ رُكْنُ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، نُصْرَةُ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ ، غِيَاثُ الْمِلَّة ، كَهْفُ الْأُمَّة ، ذُخْرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِين » .

ثم قال : وإن كان المكتوبُ إليه نائبَ سلطنة زيد في ألقابه « المَهْدِيّ » ،
المُشِيدِيّ ، الزَّعِيمِيّ ، المدَبَّرِيّ ، الكافِيّ ، الفلانيّ » .

وصورتها على ما أورده غيره : « المَقَرّ الكريم ، العالِيّ ، المَوْلَوِيّ ، الأَمِيرِيّ ،
البَكِيرِيّ ، العالِمِيّ ، العادِلِيّ ، الغَوْنِيّ ، الغِيَاثِيّ ، الذُّخْرِيّ ، الزَّعِيمِيّ ، الفلانيّ ؛
عِزُّ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الأمراء في العالمين ، بَهِاءُ الدولة ، دُخْرُ المِلَّة ، زَيْنُ
المملكة ، عَيْنُ السلطنة ، سَفِيرُ الأُمّة ، ظَهِيرُ الملوك والسلاطين ، عَضُدُ أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير عن نائب حَلَبَ : « المَقَرّ الكريم ، العالِيّ ،
المَوْلَوِيّ ، الأَمِيرِيّ ، البَكِيرِيّ ، العالِمِيّ ، العادِلِيّ ، المؤَيَّدِيّ ، الذُّخْرِيّ ، المُشِيدِيّ ،
الزَّعِيمِيّ ، الظَّهِيرِيّ ، الفلانيّ ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الأمراء في العالمين ،
نَاصِرُ الغُرّة والمجاهدين ، زَعِيمُ الجيوش ، مَقْدَمُ العساكر ، عَوْنُ الأُمّة ، ظَهِيرُ الملوك
والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مَرْتَبَةُ المَقَرّ العالِيّ . وقد ذكر في ” عرف التعريف “ أن
ألقابها من نسبة ما تقدّم في المَقَرّ الشريف . وذكر الصّلاح الصّفديّ في دُستوره
عن نائب الشام في ألقابه ما تقدّم له في ألقاب المَقَرّ الكريم ثم قال : إلا أنه لا يقال
فيه الذُّخْرِيّ .

وصورتها على ما رأيته في توقيع نَقِيب الأشراف بحَلَبَ عن النائب بها : « المَقَرّ
العالِيّ ، الأَمِيرِيّ ، البَكِيرِيّ ، النَّقِيبِيّ ، الشَّرِيفِيّ ، الحَسِينِيّ ، السَّيِّبِيّ ، العَرِيقِيّ ،
الأَصِيلِيّ ، الفاضِلِيّ ، العالِمِيّ ، الحُجِّيّ ، القُدْوِيّ ، النَاسِكِيّ ، الزَاهِدِيّ ، العائِدِيّ ،
الفلانيّ ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين ، جلالُ العلماء العاملين ، بَهِاءُ الفضلاء البارعين ،
حُجَّةُ الأمراء الحاكِمين ، زَيْنُ العِترَةِ الطاهرة ، شَرَفُ الأُسرة الزاهرة ، حُجَّةُ العِصَابَةِ

الهاشمية، قُدوة الطائفة العلوية، نُحبة الفرقة الناجية الحسينية، شرف أولى المراتب،
نقيب أولى المناقب، ملاذ الطلاب الراغبين، بركة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة الجَنَاب الشريف . وليست مستعملة في السلطانيات،
وهي مستعملة فيما يُكْتَب عن الثَّواب .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « الجَنَاب الشريف العالى،
المَوْلَى، المجَاهِدَى، المؤيِّدَى، الممهِّدَى، الذَّخِرَى، الأَوْحِدَى، العَوْنَى،
الظَّهِيرَى، الفَلاَنَى، عِزُّ الإسلام والمسلمين، سَيِّدُ الأُمَرَاءِ المُقَدَّمِينَ، نُصْرَةُ الغُزَاةِ
والمجاهدين، عِمَادُ المِلَّةِ، عَوْنُ الأُمَّةِ، ذُخْرُ المِلَّةِ، ظَهِيرُ الملوك والسلاطين، سَيْفُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مستعملة في السُّلْطَانِيَّات
وما يُكْتَب عن الثَّواب .

فأما في السلطانيات فصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب النائب
الكافل في الزَّمن المتقدم : « الجَنَاب الكريم العالى، الأَمِيرَى، الأَجَلَى، الكَبِيرَى،
العالمى، العادلى، المؤيِّدَى، الممهِّدَى، المشيِّدَى، الزَّعِيمَى، الذَّخِرَى، المُقَدَّمَى،
العَوْنَى، الغِيَاثَى، المُرَاطَى، المُشَاغِرَى، المُظَفَّرَى، المنصورى، الأَتَابِكَى، رُكْنُ
الإسلام والمسلمين، سيد الأُمَرَاءِ فى العالمين، أَتَابِكُ الجُيُوشِ، مُقَدَّمُ العسَاكِرِ،
زَعِيمُ الجُنُودِ، عَاقِدُ البُنُودِ، دُخْرُ المُوَحِّدِينَ، نَاصِرُ الغُزَاةِ والمجاهدين، غِيَاثُ الأُمَّةِ،

عون الملة ، مشيّد الدول ، كافل الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب النائب الكافل أيضا على ما كان الحال عليه أولا : «الحنّاب الكريم العالى ، الأميرى ، الكيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الزعيمى ، العونى ، الغيائى ، المئاغرى ، المرابطى ، الممهّدى ، المشيّد ، الظهيرى ، الكافلى ، الفلانى ، مؤيد الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدّم العساكر ، ممهّد الدول ، مشيّد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، كافل السلطنة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب نائب الشام على ما كان الحال عليه أولا : «الحنّاب الكريم العالى ، الأميرى ، الأجلّى ، الكيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الممهّدى ، المشيّد ، العونى ، الغيائى ، الذخرى ، الزعيمى ، المقدّمى ، الظهيرى ، الكافلى ، الفلانى ، عزّ الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، نصرّة الغزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدّم العساكر ، عون الأمة ، غياث الملة ، ممهّد الدول ، مشيّد الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" فى المكتبة لنائب الشام على ما كان عليه الحال أيضا : «الحنّاب الكريم العالى ، الأميرى ، الكيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الزعيمى ، العونى ، الغيائى ، المئاغرى ، المرابطى ، الممهّدى ، المشيّد ، الظهيرى ، الكافلى ، الفلانى ، عزّ الاسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، نصرّة الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدّم العساكر ،

ممهد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في المكتبة إلى أحد الأمراء الأتوس بمملكة إيران في دولة السلطان أبي سعيد : «الجناب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الزعيمى ، العونى ، الغيائى ، المتأغرى ، المربطى ، الممهدى ، المشيدى ، التوينى ، الفلانى ؛ عون الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، ممهد الدول ، عماد الملة ، عون الأمة ، كافي الدولة القانية ، كافل المملكة الشرقية ، أمير التوامين ، أمير الأتوس ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب ابن مظفر اليزدى : «الجناب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، العونى ، الزعيمى ، الممهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، الغيائى ، المتأغرى ، المربطى ، التوينى ، الفلانى ؛ عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر ، ممهد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، حاكم أمور ولاية الزمان ، موضح قوانين العدل والإحسان ، اعتضاد صناديد الأوان ، مستنيب ملوك العجم ، مستخدم أرباب الطبل والعلم ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين .



وأما فيما يكتب عن النواب وما كان يكتب به في الإخوانيات في الزمن المتقدم ، فقد ذكر في "عرف التعريف" أن ألقابه من نسبة ما تقدم في ألقاب الجناب الشريف .

وصورتها على ما أورده القاضي شهاب الدين الفارقي في دُستوره عن نائب الشام :
« الجَنَابُ الكريم العالى ، المَوْلَى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ،
العُضْدَى ، النَّصِيرى ، المؤيِّدى ، المقَدِّمى ، الذُّخْرِى ، الفَلاَنى ، مَجْدُ الإسلام والمسلمين ،
شرفُ الأمراء فى العالمين ، نُصْرَةُ الغُزَاة والمجاهدين ، ظهيرُ الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده الصَّلاح الصفدى في دُستوره عن نائب الشام : « الجَنَابُ
الكريم العالى ، المَوْلَى ، الأميرى ، العالمى ، العادلى ، العَوْنى ، الغِيَاثى ،
الظَّهيرى ، المُقَدِّمى ، الفَلاَنى ، عِزُّ الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمراء فى العالمين ،
ناصرُ الغُزَاة والمجاهدين ، ظهيرُ الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَاب العالى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وما يكتب
عن التَّوَاب وما كان فى الإخوانيَّات قديما .

فأما فى السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى — مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وصورتها على ما أورده فى " التعريف " فى ألقاب نائب حلب على ما كان الحال
عليه أولا : « الجَنَابُ العالى ، الأميرى ، الأَجَلِّى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ،
المُهَدِّى ، المَشِيدى ، العَوْنى ، الذُّخْرِى ، الرَّعِىمى ، المقَدِّمى ، الظَّهيرى ، المُرابِطى ،
المُتَاغَرى ، الفَلاَنى ، عِزُّ الإسلام والمسلمين ، سيدُ الأمراء فى العالمين ، نصيرُ الغُزَاة
والمجاهدين ، زعيمُ جيوش الموحِّدين ، غمَّادُ الأُمة ، ذُخرُ الدولة ، ظهيرُ الملوك
والسلاطين ، سيفُ أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده فى " التنقيف " فى ألقاب نائب طرابلس ومن فى رُتبته :
« الجَنَابُ العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيِّدى ، العَوْنى ،

الرَّعِيمِيّ، الممهّديّ، المشيّدِيّ، الظّهيريّ، الكافِيّ، الفلانيّ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين، سيّدُ أمراء العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، زعيمُ جيوش الموحّدين مقدّمُ العساكر، ممهّدُ الدّول، مشيّدُ الممالك، عمادُ المِلَّة، عونُ الأُمّة، ظهيرُ الملوك والولاطين، سيفُ أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب قطلوبغا إيناق أحد امراء الألوّس بلاد أذربك : «الجناب العالي، الأميريّ، الكبيريّ، العالميّ، العادليّ، المؤيّدِيّ، العوّنيّ، الزعيميّ، الممهّديّ، المشيّدِيّ، الظّهيريّ، الثّوّينيّ، الفلانيّ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين، سيّدُ الأمراء في العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، زعيمُ الجيوش، مقدّمُ العساكر، كهفُ المِلّة، دُخْرُ الدّولة، ظهيرُ الملوك والولاطين، سيفُ أمير المؤمنين» .

الرتبة الثانية — مع الدعاء بدوام النعمة .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب مقدّم العسكر بغزة ومن في رتبته : «الجنابُ العالي، الأميريّ، الكبيريّ، العالميّ، العادليّ، المؤيّدِيّ، الأوحدِيّ، النّصيريّ، العوّنيّ، الهَماميّ، المقدّمِيّ، الظّهيريّ، الفلانيّ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين، سيّدُ الأمراء في العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، مقدّمُ العساكر، كهفُ المِلّة، دُخْرُ الدّولة، عمادُ المملكة، ظهيرُ الملوك والولاطين، حُسامُ أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب ممای : أحد الحُكّام بلاد أذربك كان : «الجناب العالي، الأميريّ، الكبيريّ، العالميّ، المجاهدِيّ، المؤيّدِيّ، الذّخريّ، النّصيريّ، الهَماميّ، المقدّمِيّ، الثّوّينيّ، الفلانيّ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين، سيّدُ الأمراء في العالمين، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين، مقدّمُ العساكر، دُخْرُ الدولة، عَضُدُ الملوك والولاطين، حُسامُ أمير المؤمنين» .



وأما ما يكتب عن التّوابع وما كان يكتب في الإخوانيات قديماً، فقد ذكر في "عرف التعريف" أن ألقابه من نسبة ماتقدم في ألقاب الجَناب الشريف .

وصورتها على ما أورده الصّلاح الصّفيّ في دُستوره عن نائب الشام في الرتبة الأولى منها : « الجَنابُ العالی ، الأمیری ، الأجلّی ، الکبیری ، المؤیّدی ، المجاهدی ، العوّنی ، المقدّمی ، الاسفَهَسَلاری ، الظّهیری ، الفلانی ، مجد الإسلام والمسلمین ، شرفُ الأمراء المقدّمین ، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين ، عَضُدُ الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الأمديّة" عن نائب الشام أيضاً في الرتبة الثانية من هذه المرتبة : « الجَنابُ العالی ، الأمیری ، الکبیری ، العَضُدی ، الذّخريّ ، النّصیری ، المؤیّدی ، المقدّمی ، الظّهیری ، الفلانی ، مجد الإسلام والمسلمین ، شرفُ الأمراء في العالمین ، نُصرةُ الغُزاة والمجاهدين ، ظهيرُ الملوك والسلاطين » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(مرتبة المجلس العالی)

وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب عن التّوابع وما كان يكتب في الإخوانيات قديماً .

فأما في السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى — مع الدعاء للمجلس .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب نائب الكرك : «المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى، المقدمى، الأوحدي، النصيرى، الهمامى، الظهيرى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر، كهف الملّة، دُخر الدولة، ظهير الملوك والسلاطين، حُسام أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" أيضا فى ألقاب وزير القان ببلاد أذربك : «المجلس العالى الأميرى، الكبيرى، الذخرى، الأوحدي، الاكلى، المتصرفى، العونى، الوزيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء والوزراء فى العالمين، بحال المتصرفين، أوحداً الأولياء المقرّبين، دُخر الدولة، مُشير الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" أيضا فى ألقاب حافظ أنحى على باشاه : «المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى، الأوحدي، النصيرى، العونى، الهمامى، المقدمى، الظهيرى، النوينى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدم العساكر، كهف الملّة، عماد الأمة، ظهير الملوك والسلاطين، حُسام أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" فى ألقاب أمير مكة المشرفة : «المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الشرفى، الحسبى، النسبى، العالمى، المجاهدى،

المُقدِّمى ، الأُوحدى ، النَّصيرى ، العَوْنى ، الهَمَامى ، الظَّهيرى ، الأصيلى ،
العريقى ، الشَّهائى ؛ عِزَّ الإسلام والمسلمين ، شَرَفُ الأُمراء الأشراف فى العالمين ،
نُصرة الغزاة والمجاهدين ، كهفُ المِلَّة ، عَوْنُ الأُمَّة ، فخرُ السَّلالة الزاهره ، زينُ العِترَةِ
الطاهره ، بهاءِ العِصَابَةِ العلويَّة ، جَمالُ الطائفة الهاشميه ، ظهير الملوك والسلاطين ،
سَيِّبُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده فى ” التثقيف ” فى ألقاب أمير آل فضل من عرب
الشام : « المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيِّدى ،
الأُوحدى ، النَّصيرى ، العَوْنى ، الهَمَامى ، المُقدِّمى ، الظَّهيرى ، الأصيلى ، الفلانى ؛
عِزُّ الإسلام والمسلمين ، شَرَفُ الأُمراء العُرَبان فى العالمين ، نُصرة الغزاة والمجاهدين ،
مقدَّمُ العساكر ، كهفُ المِلَّة ، دُخْرُ الدولة ، عمادُ العرب ، ظهير الملوك والسلاطين ،
حُسامُ أمير المؤمنين .

الرتبة الثانية — المجلس العالى مع صدرت .

وصورتها على ما أورده فى ” التثقيف ” فى ألقاب نائب الرَّحبة وَمَنْ فى رُبْنه :
« المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العَضدى ، الذُّخرى ، النَّصيرى ، الأُوحدى ،
المؤيِّدى ، العَوْنى ، الهَمَامى ، المُقدِّمى ، الظَّهيرى ، الفلانى ؛ مجدُ الإسلام والمسلمين ،
شَرَفُ الأُمراء المُقدِّمين ، نُصرة الغزاة والمجاهدين ، مقدَّمُ العساكر ، دُخْرُ الدولة ،
كهفُ المِلَّة ، ظهير الملوك والسلاطين .



وأما فيما يكتب عن الثَّواب وما كان يُكتَب فى الإخوانيات أولاً ، فصورتها على
ما أورده فى ” عُرْفُ التعريف ” : « المجلسُ العالى ، الأميرى ، الاسفَهسلارى ،

الأجلّي ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ، النصيرى ، الظهيرى ، الفلانى ؛
مجد الإسلام والمسلمين ، زين الأمراء المقدمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ،
عَضُدُ الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما أورده الصلاح الصفدى فى دُستوره عن نائب الشام "المجلس
العالى ، الأميرى ، الأجلّي ، الكبيرى ، المؤيدى ، المجاهدى ، الاسفَهْسلارى ،
العَوْنى ، الظهيرى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء المقدمين
نُصرة الغزاة والمجاهدين ، عَضُدُ الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما أورده فى "التذكرة الآمدية" عن نائب الشام : «المجلس العالى ،
الأميرى ، الكبيرى ، العضدى ، النصيرى ، المؤيدى ، المجاهدى ، الذُخْرى ؛
مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء المقدمين ، ذُخْرُ الغزاة والمجاهدين ،
عَضُدُ الملوك والسلاطين .

المرتبة الثانية

(مرتبة المجلس السامى بالياء)

وهو مستعمل فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورُتها على ما ذكره المقرئ الشهابى بن فضل الله فى بعض
دساتيره فى توقيع نقيب الأشراف : «المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ،
العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الشريفى ، الحسيبى ، النسيبى ، الذُخْرى ،
النصيرى ، الأوحدي ، الأصيلى ؛ عز الإسلام ، زين الأنام ، نسيب الإمام ،
شرف الأمراء ، نقيب الثُقباء ، جمال العترة الطاهرة ، جلال الأسرة الزاهرة ، ذُخْرُ
الغزاة والمجاهدين ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب الكُشَّاف بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية : «المجلس السامي ، الأميري ، الكبيرى ، الذُخْرَى ، النَّصِيرى ، الأُوحدى ، المؤيِّدى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرفُ الأمراء ، أُوحدُ المجاهدين ، عضدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض المراسيم لأمير آل مرا من عَرَب الشام : «المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيِّدى ، العَضْدَى ، الذُخْرَى ، النَّصِيرى ، الأُوحدى ، الأصِيلَى ، العَرِيقَى ؛ مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرفُ الأمراء ، زينُ القبائل ، نَغر العِشائر ، ملاذُ العرب ، عضدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب وزير الشيخ أويس ببغداد : «المجلس السامى ، الأَجَلَى ، الكبيرى ، الأُوحدى ، المقَدِّمى ، المتخَيِّمى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام ، بهاءُ الأنام ، شرفُ الرؤساء ، أُوحدُ الأعيان ، صَفوة الملوك والسلاطين» .

وصورتها في ألقاب أمراء العرب : «المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، الذُخْرَى ، المؤيِّدى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام ، بهاءُ الأنام ، زينُ القبائل ، نَغر العِشائر ، عمادُ الملوك والسلاطين» .



وأما فيما يُكْتَب عن الثَّوَاب ونحوهم ، فصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" : «المجلس السامى ، الأميرى ، الأَجَلَى ، الكبيرى ، المؤيِّدى ، العَضْدَى ، النَّصِيرى ،

الأوحدى، الهمامى، الفلانى؛ مجد الإسلام، زين الأمراء فى الأنام؛ دُحر الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده شهاب الدين الفارقى فى دُستوره عن نائب الشام :
«المجلس السامى، الأميرى، الأجلّى، الكبيرى، العضدى، النصيرى، المؤيدى،
الفلانى؛ مجد الإسلام، جمال الأمراء، نصره الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك
والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده الصّلاح الصّفى فى دُستوره عن نائب الشام أيضا :
«المجلس السامى، الأميرى، الأجلّى، الكبيرى، المؤيدى، المجاهدى، العضدى،
النصيرى، الهمامى، الفلانى؛ مجد الإسلام، شرف الأمراء، نصره الغزاة،
عمدة الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثالثة

(مرتبة المجلس السامى بغير ياء)

وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "التتقيف" فى ألقاب الولاية
الطبلخاناه بالوجهين القبلى والبحرى : المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير،
الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحد، المرتضى؛ فلان الدين، مجد الإسلام،
بهاء الأنام، نحر الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته فى بعض نسخ التّواقيع : ترتيب الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي : «المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الحسيب، النسيب،

الطاهر ، الكامل ، العالم ، العامل ، الفاضل ، الزاهد ، الورع ، الزكي ، التقي ،
فلان الدين ، جلال الإسلام ، شرف السادة الأشراف ، نحر العترة الطاهرة ،
زين السلالة الزاهرة ، نقيب نقباء الشرفاء ، مجد العصبة العلوية ، جمال العصبة الفاطمية ،
صدر الأئمة العلماء ، مجتبي الدولة ، بهاء الملة ، خالصة الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما في ألقاب النائب بالينيع : « المجلس السامي ، الأمير ، الأجل ،
المجاهد ، المؤيد ، الشريف ، الحسيب ، النسيب ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ،
زين العترة ، نحر الأسره ، جمال الدرّيه ، نحر الشجرة الزكية ، عمدة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في " التتقيف " في ألقاب أكابر عربان آل فضل من
عرب الشام : « المجلس السامي ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازي ، المجاهد ، المؤيد ،
الأوحد ، الأصيل ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، فخر القبائل ،
زين العشائر ، عماد الملوك والسلاطين » .



وأما فيما يكتب عن النّوَاب ومن في معنهم ، فصورتها على ما أورده
في "عرف التعريف" : « المجلس السامي ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازي ،
المجاهد ، المؤيد ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، زين الأمراء ، نحر الأنام ، دُحر الغزاة
والمجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمدية" عن نائب الشام : « المجلس السامي ،
الأمير ، الأجل ، الكبير ، المؤيد ، المجاهد ، العضد ، النصير ، فلان الدين ، مجد الأمراء ،
شرف الخوّاص ، زين الغزاة ، عُدّة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الرابعة (درجة مجلس الأمير)

وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها على مرتبة واحدة .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب الولاة العشرات بالوجهين القبلي والبحري : « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيد، الأوحده، المرتضى، فلان الدين، مجد الأمراء، زين المجاهدين، عدة الملوك والسلاطين » .



وأما فيما يكتب عن النُواب ومن في معناهم، فصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المرتضى، فلان الدين، فخر الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين » .
وصورتها على ما أورده الفارقي في دُستوره عن نائب الشام : « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الأخص، الأكل، الغازي، المجاهد، المرتضى، المختار، فلان الدين، مجد الأمراء، زين الغزاة، عدة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمدية" : « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، المؤيد، المجاهد، الأعز، الأخص، الأكل، المجتبي، المختار، فلان الدين، مجد الأمراء، زين الغزاة، عدة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الخامسة

(درجة الأمير مجتدا عن مضاف إليه)

وأكثر ما يأتي ذلك في الولايات أو فيمن يُكْتَبُ بسببه كتابٌ وما أشبه ذلك .
وصورتها في السلطانيات : « الأمير الأجل » وربما زيد على ذلك فقيل :
« الكبير الغازي » .

وصورتها في غير السلطانيات على ما أورده في " التذكرة الآمديّة " : « الأمير ،
الأجل ، الأخص ، الأكل » .

النوع الثاني

(من الألقاب الإسلامية الألقاب الديوانية . وهي أيضا على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المقر)

ولست مستعملة في السلطانيات جملة لأنه لا يُكْتَبُ لأحد من هذا النوع
عن السلطان بالمقر ، وهي مستعملة فيما يكتب عن الثواب ومن في معناهم ،
ولها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة المقر الشريف . وصورتها على ما أورده
في "عرف التعريف" في ألقاب الوزراء من أرباب الأعلام ، : « المقر الشريف ،
العالى ، المولوى ، الصاحى ، الوزيرى ، المنفدى ، العالمى ، المهدى ، المشيدى ،

العَوْنِيّ، الغِيَاثِيّ، المَالِكِيّ، المَخْدُومِيّ، الفَلَانِيّ؛ صَلَاحُ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الوُزَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، رَئِيسُ الْأَصْحَابِ، قَوَامُ الْأُمَّةِ، نِظَامُ الْمِلَّةِ، مَدَبَرُ الدَّوْلَةِ، دُنْحَرُ الْمَمَالِكِ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" أيضا في ألقاب غير الوزراء من الكُتَّاب : «المَقَرَّ الشَّرِيفُ، الْعَالِي، الْمَوْلَوِيّ، الْقَضَائِيّ، السَّيِّدِيّ، الْعَالِمِيّ، الْعَادِلِيّ، الْمَهْدِيّ، الْمَشِيدِيّ، الْعَوْنِيّ، الْغِيَاثِيّ، الْمَالِكِيّ، الْمَخْدُومِيّ، الْفَلَانِيّ؛ صَلَاحُ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، رَئِيسُ الْأَصْحَابِ، قَوَامُ الْأُمَّةِ، نِظَامُ الْمِلَّةِ، زَيْنُ الدَّوْلَةِ، دُنْحَرُ الْمَمَالِكِ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير عن نائب الشام في ألقاب بعض كُتَّاب السَّرِّ الْعُلَمَاءِ : «المَقَرَّ الشَّرِيفُ، الْعَالِي، الْمَوْلَوِيّ، الْقَاضِيّ، الْكَبِيرِيّ، الْعَالِمِيّ، الْعَامِلِيّ، الْعَلَامِيّ، الْأَكْبَلِيّ، الْأَفْضَلِيّ، الْمُفِيدِيّ، الْفَرِيدِيّ، الْقُدْوِيّ، الْمُحَقِّقِيّ، الْمُسْلِكِيّ، الْأَصِيلِيّ، الْعَرِيقِيّ، الْمَدَبَرِيّ، الْمُشِيرِيّ، الْيَمِينِيّ، السَّفِيرِيّ، الْمَالِكِيّ، الْمَخْدُومِيّ، الشَّيْخِيّ، الْعَلَامِيّ؛ ضِيَاءُ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْمَشَائِخِ فِي الْعَالَمِينَ، رَئِيسُ الْأَصْحَابِ، نَحْرُ الْكُتَّابِ، حَسَنَةُ الْأَيَّامِ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكَرَامِ، صَدْرُ مِصْرَ وَالشَّامِ، لِسَانُ السُّلْطَانَةِ، سَفِيرُ الْمَمْلَكَةِ، شَيْخُ شُيُوخِ الْعَارِفِينَ، جَامِعُ طُرُقِ الْوَاصِفِينَ، صَدْرُ الْمُدَرِّسِينَ، مُشِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

المرتبة الثانية — مَرْتَبَةُ الْمَقَرَّ الْكَرِيمِ . قال في "عرف التعريف" : والألقاب فيها من نِسْبَةِ مَا تَقَدَّمَ فِي ألقاب الْمَقَرَّ الشَّرِيفِ .

وصورتها على ما أورده الصَّلاحُ الصَّفَدِيُّ في دُسْتُورِهِ عن نَائِبِ الشَّامِ :
 « الْمَقَرُّ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي ، الْمَوْلِيُّ ، الْقَضَائِي ، الْعَالِمِي ، الْقَوَائِمِي ، النَّظَامِي ، الْمُدَبِّرِي ،
 الْمُسِيرِي ، الْمَلَاذِي ، الْفَلَانِي ؛ جَلَالُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الْأَكْبَارِ فِي الْعَالَمِينَ ،
 عَوْنُ الْأُمَّةِ ، دُنْحَرُ الْمِلَّةِ ، مَدْبِرُ الدُّوَلِ ، جَمَالُ الْمَالِكِ ، حَسَنَةُ الْوُجُودِ ، خَالِصَةُ
 الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مَرْتَبَةُ الْمَقَرِّ الْعَالِي . وقد جعلها في " عرف التعريف " من
 نسبة ماتقدم من ألقاب المقر الشريف أيضا .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير عن نائب الشام فيما كُتِبَ به للقاضي
 شرف الدين عبد الوهَّاب بن أبي الطيب كاتب السر بالشام : « الْمَقَرُّ الْعَالِي ،
 الْمَوْلِيُّ ، الْقَضَائِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِمِي ، الْفَاضِلِي ، الْكَامِلِي ، الْبَارِعِي ، الْأَوْحَدِي ،
 الْمَاجِدِي ، الْقَوَائِمِي ، النَّظَامِي ، الْمُفَوَّهِي ، الرَّئِيسِي ، الْأَمِيرِي ، الْأَثِيلِي ، الْأَصِيلِي ،
 الْعَرِيقِي ، الْفَلَانِي ؛ عِزُّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، أَوْحُدُ
 الْفَضْلَاءِ الْمَاجِدِينَ ، مُجَّةُ الْمُتَشَيْخِينَ ، صَدْرُ الرُّؤَسَاءِ ، رَأْسُ الصَّدُورِ ، عَيْنُ الْأَعْيَانِ ،
 خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

الدرجة الثانية

(درجة الحَنَابِ ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مَرْتَبَةُ الْحَنَابِ الشَّرِيفِ . وهي مستعملة ^(١) في غير السلطان دون
 السُّلْطَانِيَّاتِ . قال في " عرف التعريف " : وهي من نسبة الألقاب المتقدمة
 في الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ .

(١) عبارة الضَوْعُ ج ١ ص ١٨٠ «وهي مخصصة بما يكتب عن التَّوَابِ دون السُّلْطَانِيَّاتِ» وهي أوضح .

المرتبة الثانية — مرتبةُ الجَنَابِ الكَرِيمِ . وجعلها في ”عرف التعريف“ من نسبة ماتقدم في المقرّ الشريف .

وصورتها على ما أورده الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ في دُسْتُورِهِ عن نائب الشام : « الجَنَابِ الكَرِيمُ العَالِي ، المَوْلَى ، القَضَائِي ، العَالِمِي ، الأَوْحَدِي ، الرَّئِيسِي ، الأَجَلِّي ، الأَثِيرِي ، البَارِعِي ، المَاجِدِي ، الفَلَانِي ؛ مُجَدُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، جَمَالُ الْأَكْبَرِ ، خَيْرُ الْأَعْيَانِ ، أَوْحَدُ الْكُتَّابِ ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

وصورتها على ما رأيتُهُ في بعض الدَّسَاتِيرِ عن نائب الشام في توقيعٍ بِاسْمِ شِهَابِ الدِّينِ أَبْنِ أَبِي الطَّيْبِ بِكِتَابَةِ الدَّسْتِ بِالشَّامِ : « الجَنَابِ الكَرِيمِ ، العَالِي ، المَوْلَى ، القَضَائِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِمِي ، الْعَامِلِي ، الْبَارِعِي ، الْكَامِلِي ، الْمَاجِدِي ، الْقَوَامِي ، النَّظَامِي ، الرَّئِيسِي ، الْأَصِيلِي ، الْعَرِيقِي ، الْأَوْحَدِي ، الفَلَانِي ؛ جَلَالُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، تَاجُ الْفَضْلَاءِ الْمُتَنَشِّئِينَ ، جِهْدُ الْحُدَّاقِ الْمُتَصَرِّفِينَ ، سُلَالَةُ الْإِتْقَاءِ الْعَارِفِينَ ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبةُ الجَنَابِ العَالِي ، وهي مستعملةٌ في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما أورده في ”التثقيف“ في ألقاب الوزارة بالديار المصرية : « الجَنَابُ العَالِي ، الصَّاحِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِمِي ، الْعَادِلِي ، الْأَوْحَدِي ، الْأَكْبَلِي ، الْقَوَامِي ، النَّظَامِي ، الْأَثِيرِي ، الْبَلِيغِي ، الْمُتَفَذِّي ، الْمَسْدَدِي ، الْمُتَصَرِّفِي ، الْمُمَهِّدِي ، الْعَوْنِي ، الْمُدَبِّرِي ، الْمُشِيرِي ، الْوَزِيرِي ، الفَلَانِي ؛ صَلَاحُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الْوُزَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، رَئِيسُ الْكِبَرَاءِ ، كَبِيرُ الرُّؤَسَاءِ ، أَوْحَدُ الْأَصْحَابِ ، مَلَأْدُ الْكُتَّابِ ، قَوَامُ الدُّوَلِ ، نِظَامُ الْمُلْكَ ، مُفِيدُ

المَنَاجِح ، معتمد المَصَالِح ، مرتب الجُيُوش ، عمادُ المِلَّة ، عونُ الأُمَّة ، مُشيرُ الملوك
والسلاطين ، ولّى أمير المؤمنين . »



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما رأيتها في بعض الدساتير عن نائب الشام
في ألقاب كاتب دُست بالشام : « الجنابُ العالى ، القَضائى ، الكبيرى ، العالمى ،
الفاضلى ، الأكلى ، البارعى ، الأوحدى ، القَوامى ، النظامى ، المُفَوِّهى ، الرئيسى ،
الماجدى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الرؤساء فى العالمين ،
أوحدُ الفضلاء الماجدين ، قُدوةُ البلغاء ، جمالُ الكُتَّاب ، زين المنتشين ، خالصةُ
الملوك والسلاطين . »

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب كاتب السر
بالأبواب السلطانية : « المجلسُ العالى ، القاضى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ،
العلامى ، الأفضلى ، الأكلى ، البليغى ، المسددى ، المنفذى ، المشيدى ، العونى ،
المشيرى ، اليمينى ، السفيرى ، الأصيلى ، العريقى ، الفلانى ، صلاح الإسلام
والمسلمين ، سيدُ الرؤساء فى العالمين ، قُدوةُ العلماء العاملين ، جمالُ البلغاء ،

أوحد الفضلاء ، جلال الأصحاب ، كهف الكُتّاب ، يمين المملكة ، لسان السلطنة ،
سفير الأمة ، سليل الأكابر ، مشير الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في " التثقيف " في ألقاب ناظر الخوّاص الشريفة :
« المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدي ، الأكلى ،
الرئيسى ، البليغى ، البارعى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأميرى ، المنقضى ،
المسددي ، المتصرفى ، الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد الرؤساء فى العالمين ،
قوام المصالح ، نظام المناجى ، جلال الأكابر ، قدوة الكُتّاب ، رئيس الأصحاب ،
عماد الملة ، صفوة الدولة ، خالصة الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده فى ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة : « المجلس
العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الأصلى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ،
الأوحدى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المشيرى ، الفلانى ،
صلاح الإسلام والمسلمين ، سيد الوزراء فى العالمين ، رئيس الكُبراء ، كبير الرؤساء ،
بقية الأصحاب ، ملاذ الكُتّاب ، عماد الملة ، خالصة الدولة ، مشير الملوك والسلاطين ،
خالصة أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده فى ألقابه إذا لم يصرّح له بالوزارة ، بل كان ناظر النظار
بالمملكة الشامية : « المجلس العالى ، القضاى ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ،
الأوحدى ، الرئيسى ، الأثيرى ، القوامى ، النظامى ، المنقضى ، المتصرفى ، الفلانى ،
مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، أوحد الفضلاء ، جلال الكُبراء ،
حجة الكُتّاب ، صفوة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين » .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمدية" في بعض التواقيع من ترتيب المقرّ الشهابي بن فضل الله بكتابة الدّست بالشام : « المجلس العالى ، القضائى ، الأجلّى ، الكبيرى ، الرئيسى ، العالمى ، العالمى ، البارعى ، الأوحدى ، الماجدى ، الأئيرى ، الأئبلى ، الأفضلى ، الأصلى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، أوحّد الكبراء ، صدر الأعيان ، جمال الكُتاب ، جلال الحُساب ، صفوة الدولة ، خالصة الملوك والساطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات فلم يذكر صورتها فى "التثقيف" .

وصورتها على ما رأيتُه فى بعض الدساتير : « المجلس السامى ، القضائى ، الأجلّى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، الكافلى ، الرئيسى ، الأوحدى ، الأصلى ، الأئيرى ، البليغى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام ، شرف الرؤساء ، نحر الأنام ، زين البلغاء ، جمال الفضلاء ، أوحّد الكُتاب ، نحر الحُساب ، صفوة الملوك والساطين » .



وأما فى غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيتُه فى "التذكرة الآمدية" فى توقيع بكتابة الدّرج عن نائب الشام : « المجلس السامى ، القضائى ، الأجلّى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، البليغى ، الأصلى ، الرئيسى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام ، شرف الرؤساء ، أوحّد الكُتاب ، جمال البلغاء ، مرتضى الملوك والساطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيرياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فلم يذكر لها صورة في "التثقيف" أيضا .

وصورتها على ما رأيته في "التذكرة الآمديّة" في توقيع شريف بكتابة الدّرج :
المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، الأوحّد، البارّع،
الكامل، الأصيل، الفاضل، فلان الدين، جمال الإسلام، بهاء الأنام،
شرف الأكابر، زين الرؤساء، أوحّد الفضلاء، زين الكُتّاب، صفوة الملوك
والسلاطين .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيته في "التذكرة الآمديّة" في توقيع
كريم عن نائب الشام بكتابة الدّرج بالشام، ترتيب مؤلف "التذكرة" المذكورة :
« المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الفاضل، البارّع، الكامل، الأوحّد،
الرئيس، الأثير، فلان الدين، مجد الإسلام، شرف الصُّدور، أوحّد الفضلاء،
زين الكُتّاب، جمال الحُساب، صفوة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فلم يُورد لها في "التثقيف" أيضا صورة .

وصورتها على ما يقتضيه عُرف الديوان : « مجلس القاضي، الأجل، الكبير،
الفاضل، الأوحّد، الأثير، الرئيس، البليغ، العريق، الأصيل، فلان الدين،
مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء » .



وأما في غير السلطانيات، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الخامسة

(١)
(درجة القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات [وغيرها])

وصورتها فيهما : « القاضي الأجل » وربما زيد في تعظيمه فتيل « الكبير الصدر الرئيس » ونحو ذلك .

النوع الثالث

(من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف الدينية،

وهي على خمس درجات أيضا)

الدرجة الأولى

(درجة المقر)

وهي مختصة بغير السلطانيات، لأنه لا يكتب لأحد من أهل هذا النوع عن السلطان بالمقر أيضا، بل قال في «عرف التعريف» : إنه لا يكتب به لأحد من هذا النوع في غير السلطانيات أيضا ولكن رأيت مستعملا فيما يكتب عن الثواب بالمدالك . وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة المقر الشريف .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير في توقيع عن نائب الشام للقاضي جمال الدين إبراهيم بن العديم ببعض الأنظار والتدريس بالشام : «المقر الشريف، العالي، المولوي، القاضوي، الكبير، العالي، العادل، الأصلي، العريق، القوامي، النظامي، الإمامي، العلّامي، القدوي، المفیدی، الشیخی، الصاحي»

الحاكمي، المُحسني، الفلاني، جمال الإسلام والمسلمين، سيد الفضلاء العاملين،
قُدوة العلماء في العالمين، لسان المتكلمين، برهان المناظرين، صدر المدرسين،
جلال الطالبين، بقية السلف الكرام الدارجين، بركة الملوك والسلاطين، خالصة
أمير المؤمنين .

المرتبة الثانية — مرتبة المقر الكريم .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير عن نائب الشام في توقيع بعض الوظائف
الدينية بدمشق : « المقر الكريم العالی، المولوي، القضاي، الصاحبي، الإمامي،
العالمی، العاملی، العلامی، المفیدی، الفريدي، البليغي، الأوحدي، المحقق،
القوامي، النظامي، العريقي، الحاكمي، المحسني، الفلاني، جمال الإسلام
والمسلمين، جلال العلماء العاملين، أوجد المتكلمين، أكمل البلغاء في العالمين، قُدوة
المحققين، بركة الملوك والسلاطين . »

المرتبة الثالثة — مرتبة المقر العالی .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير عن نائب حلب بتدريس بها : « المقر
العالی، المولوي، الشيخی، الكبيری، الإمامي، العالمی، العلامی، المفیدی،
القُدوي، الفريدي، المحقق، القوامي، النظامي، الحاكمي، الفلاني، علاء الإسلام
والمسلمين، أوجد الفضلاء العارفين، رحلة الطالبين، نخبة المحققين، جمال العلماء
في العالمين، خالصة الملوك والسلاطين . »

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب)

وقد جعلها في "عرف التعريف" أعلى ما يُكْتَب لهذا النوع ، وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة الجَنَاب الشريف . وهي مختصة بغير السلطانيات .
وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" « الجَنَاب الشريف العالى ،
المولوى ، القضاى ، السيدى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ، العلامى ، الكاملى ،
الأصيلى ، الأوحدى ، المفيدى ، القدوى ، الفريدى ، المحجى ، المجتهدى ، الفلانى ،
مُجَّة الإسلام (أوضياء الإسلام) شرف الأنام ، أنير الإمام ، صدر الشام ، سيد العلماء
والحكَّام ، أو أوحُد العلماء الأعلام ، بقيَّة السلف الكرام ، شيخ المذاهب ، مجلّى
الغياهب ، قدوة الفرق ، رئيس الأصحاب ، مقي السُّنة ، مؤيد الملة ، شمس الشريعة ،
سيف النظر ، مفيد الطالبين ، لسان المتكلمين ، ولى أمير المؤمنين » .
فإن كان حاكما قبل الفلانى « الحاكى » وقبل ولى أمير المؤمنين « حَكَم
الملوك والسلطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مختصة بغير السلطانيات أيضا .
وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في توقيع القاضى جمال الدين
آبن أبى جرادة الحنفى ببعض الوظائف الدينية : « الجَنَاب الكريم العالى ، المولوى ،
القضاى ، الكبيرى ، الصاحبى ، الإمامى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الأريى ،
اللبيى ، الأصيلى ، العريقى ، القوامى ، النظامى ، الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ،
أوحُد الفضلاء فى العالمين ، أكمل نُجباء الأبناء العالمين ، خالصة الملوك والسلطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العالى . وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما آسَترَ عليه الحال فى ألقاب قاضى القضاة
الشافعى بالديار المصرية : « الجَنَابِ العالى ، القاضى ، الشيخى ، الكبيرى ،
العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكملى ، الأوحدى ، البليغى ، الفريدى ، المفيدى ،
التجيدى ، القُدوى ، الحُجّى ، المحقّق ، الورعى ، الخاشعى ، الناسكى ، الإمامى ،
العلامى ، الأصيل ، العريق ، الحاكمى ، الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ،
شرف العلماء العاملين ، أوحُد الفضلاء المُفِيدِينَ ، قُدوةُ البلاء ، حُجّةُ الأئمة ، عمدةُ
المحققين ، نحرُ المدرّسين ، مفتى المسلمين ، جلالُ الحُكّام ، بركةُ الدولة صدر مصر
والشام ، مُعزّ السّنة ، مؤيّد الملة ، شمسُ الشريعة ، رئيسُ الأصحاب ، لسانُ المتكلمين ،
حَكَمُ الملوك والسلاطين ، وَلِىُّ أمير المؤمنين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما رأيتُه فى بعض الدساتير فى توقيع عن
نائب الشام ببعض الوظائف الدينية لبعض العلماء : « الجَنَابِ العالى ، الشيخى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الأوحدى ، الماجدى ، القوامى ، النّظامى ،
الفلانى ، ضياءُ الإسلام والمسلمين ، أوحُد الفضلاء العارفين ، جلالُ الأئمة
فى العالمين ، خالصةُ الملوك والسلاطين » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
 فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب القضاة
 الثلاثة بالديار المصرية غير الشافعى : « المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى ،
 العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكملى ، الأوحدي ، البليغى ، الفريدى ، المفيدى ،
 النجيدى ، القدوى ، المحجى ، المحققى ، الإمامى ، الأصيلى ، العريقى ، الحاكى ،
 الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء العاملين ، أوحده الفضلاء المفيدين ،
 قدوة البلغاء ، محبة الأمة ، عمدة المحدثين ، نحر المدرسين ، مقبى المسلمين ، جلال
 الحُكَّام ، حكم الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "عرف التعريف" : « المجلس
 العالى ، القضاى ، الأجلّى ، الإمامى ، الصدرى ، الرئيسى ، الفقيهى ، العالمى ،
 العالمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الأوحدي ، الفلانى ، مجد الإسلام ، نحر الأنام ،
 تاج العلماء والحُكَّام (أو شرف العلماء والحُكَّام) جمال الأئمة ، أوحده الأئمة ، صدر
 المدرسين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات
 وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فلم يذكر لها فى "التثقيف" صورة .

وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع : « المجلس السامى ، القضاى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحى ، الرئيسى ، المفيدى ، البليغى ، القدوى ،
الأثيرى ، مجد الإسلام والمسلمين ، جمال العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء ، صدر
المدرسين ، عمدة المفتين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيت في بعض تواقيع بعض الخطباء « المجلس السامى ، القضاى ،
الشيخى ، الإمامى ، العالمى ، العابدى ، الزاهدى ، الخاشعى ، الناسكى ،
الخطيبى ، الفلانى ، ضياء الإسلام والمسلمين ، أوجد الخطباء فى العالمين ، جمال الأئمة
الفصحاء البارعين ، لسان البيان ، ترجمان الزمان ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "عُرْف التعريف" :
« المجلس السامى ، القضاى ، الأجلّى ، الإمامى ، الصدرى ، الفقيهى ، العالمى ،
الكاملّى ، الفاضلى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأئام ، جمال العلماء ، أوجد
الفضلاء ، شرف النبلاء ، صفوة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيرياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات
وغيرها .

فأما فى السلطانيات فلم يذكر لها صورة فى "التثقيف" .

وصورتها على ما رأيت فى بعض التواقيع : « المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ،
الكبرى ، الصدر ، الرئيس ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، فلان الدين ، مجد الصدور ،
زين الأعيان ، مُرضى الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في "عرف التعريف" :
«المجلس السامي ، القاضي ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحد ،
الاثير ، البارع ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نحر الصدور ،
جمال الأعيان ، مرتضى الدولة ، صفوة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في "التنقيف" .

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع : «مجلس القاضي ، الأجل ، الكبير ،
العالم ، الفاضل ، الأوحد ، الكامل ، الصدر ، الرئيس ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ،
زين الأعيان ، نحر الصدور ، مرتضى الملوك والسلاطين» .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الخامسة

(درجة القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : «القاضي ، الأجل» وربما زيد في التعظيم نحو «الكبير الصدر
الرئيس» ونحو ذلك .

النوع الرابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح ،

وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المقرّ، وليس لها استعمال في السلطانيات ؛ وفي غير السلطانيات

لها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المقرّ الشريف .

وصورتها : « المقرّ الشريف ، العالى ، المولوى ، الشيخى ، السيدى ، الإمامى ،

العالمى ، العالمى ، الكافى ، الفاضلى ، الورعى ، الزاهدى ، العابدى ، الناسكى ،

السالكى ، الخاشعى ، المسلكى ، المحققى ، المدققى ، الفلانى ؛ صلاح الإسلام

والمسلمين ، جمال الأصفياء العاملين ، خالصة الأنام ، صفوة الأتقياء ، قطب العباد ،

المملك على الحقيقه ، والمالك لأزمة الطريقه ، بقية السلف ، قدوة الخلف ،

مفيد الطالبين ، أوحّد المحققين ، ركن الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين » .

وقد تقدم أن الأحسن في اللقب المضاف إلى السلاطين هنا « بركة الملوك

والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المقرّ الكريم ، وألقابها من نسبة الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — مرتبة المقرّ العالى ، وألقابها نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(دَرَجَةُ الْجَنَابِ ، وفيها ثلاثُ مراتبِ)

المرتبة الأولى — مرتبةُ الجَنَابِ الشَّرِيفِ . وهي مختصةٌ بغير السلطانيات .

وصورتها : « الجَنَابُ الشَّرِيفُ ، العَالِي ، المَوْلَوِي ، الشَّيْخِي ، الإِمَامِي ، العَالِمِي ،
 العَامِلِي ، الكَافِلِي ، الفَاضِلِي ، الزَّاهِدِي ، العَابِدِي ، الخَاشِعِي ، النَّاسِكِي ، الوَرَعِي ،
 جَلَالُ الإِسْلَامِ ؛ سَيْفُ الإِمَامِ ، قُطْبُ الزُّهَادِ ، عِلْمُ الْعِبَادِ ، أَوْحَدُ النَّاسِكِينَ ،
 فَرْدُ السَّالِكِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثانية — مرتبةُ الجَنَابِ الْكَرِيمِ . وهي مختصةٌ بغير السلطانيات أيضا .

وصورتها على ما رأيتهُ في بعض التواقيع عن نائبِ الشام : « الجَنَابُ الْكَرِيمُ ،
 العَالِي ، الشَّيْخِي ، العَالِمِي ، العَامِلِي ، الْعَلَّامِي ، الْأَوْحَدِي ، الْقُدُّوِي ، العَابِدِي ،
 النَّاسِكِي ، الخَاشِعِي ، الْمَسَلِّكِي ، الْمُرَبِّي ، الرَّبَّانِي ، الْأَصِيلِي ، الْفَلَانِي ؛ مَجْدُ الإِسْلَامِ ،
 حُسْنَةُ الْأَيَّامِ ، قِدْوَةُ الزُّهَادِ ، مَلَاذُ الْعِبَادِ ، جَمَالُ الْوَرَعِيْنَ ، مُرَبِّي الْمُرِيدِينَ ،
 أَوْحَدُ الْمَسَلِّكِينَ ، خَلَفُ الْأَوْلِيَاءِ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبةُ الجَنَابِ الْعَالِي . وهي مختصةٌ بغير السلطانيات .

وصورتها على ما رأيتهُ في بعض التواقيع عن نائبِ الشام : « الجَنَابُ الْعَالِي ،
 الشَّيْخِي ، العَالِمِي ، العَامِلِي ، الْأَوْحَدِي ، العَابِدِي ، النَّاسِكِي ، الوَرَعِي ، الزَّاهِدِي ،
 الخَاشِعِي ، الْمَسَلِّكِي ، الْأَصِيلِي ، الْفَلَانِي ؛ مَجْدُ الإِسْلَامِ ، بهاءُ الْأَنَامِ ، قِدْوَةُ الْعِبَادِ ،
 جَمَالُ الزُّهَادِ ، أَوْحَدُ الْمَسَلِّكِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى " التثقيف " فى ألقاب شيخ
الشيوخ بخانقاه سرياقوس : « المجلس العالى ، الشيخى ، الكبيرى ، العالمى ،
العالمى ، السالكى ، الأوحدي ، الزاهدى ، العايدى ، الخاشعى ، الناسكى ،
المفيدى ، القدوى ، الإمامى ، النظمى ، الملاذى ، جلال الإسلام والمسلمين ،
شرف الصلحاء فى العالمين ، شيخ شيوخ الإسلام ، أوجد العلماء فى الأنام ،
قدوة السالكين ، بركة الملوك والسلطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى " عرف التعريف " : « المجلس
العالى ، الشيخى ، الأجلّى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ، الزاهدى ، العايدى ،
الورعى ، الخاشعى ، الناسكى ، القدوى ، الفلانى ، خيرة الإسلام ، شرف الأنام ،
زين العباد ، نور الزهاد ، دُخر الطالبين ، كثر التقي ، ملجأ المريدين ، بركة الملوك
والسلطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
أما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى " التثقيف " فى ألقاب الشيخ
شمس الدين الطوطى ممن كان يكتب إليه قديما : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الأجلّى ، العالمى ، العالمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الزاهدى ، الورعى ، العايدى ،
الخاشعى ، الناسكى ، القدوى ، الأوحدي ، الفلانى ، مجد الإسلام ، ضياء الأنام ،

بقية السلف الكرام ، نحر الصلحاء ، أوحُدُ الكبراء ، زين الزهاد ، عمادُ العباد ،
قُدوة المتورعين ، دُحر الدُّول ، ركنُ الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع الشريفة : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الكبرى ، الأوحدى ، الأكلى ، العابدى ، الخاشعى ، الناسكى ، جمالُ الإسلام ،
زينُ الأنام ، صَفوةُ الصلحاء ، نحرُ العباد ، بركةُ الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره المَقَرَّ الشَّهابى بن فضل الله
في بعض التواقيع عن نائب الشام : « المجلس السامى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ،
الخاشعى ، الورعى ، الناسكى ، السالكى ، العارفى ، القُدوى ، البليغى ، الأصيلى ،
الشيخى ، الفلانى ، مجدُ الإسلام ، شرفُ العلماء ، قُدوة الفضلاء ، نحرُ الصلحاء ،
جمالُ النَّسَّاك ، قُدوة السُّلَّاك ، أوحُدُ العارفين ، بركةُ الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغير ياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات
وغيرها .

فأما فى السلطانيات فلم يُورد لها صورةٌ فى "التتقيف" .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع الشريفة : « المجلس السامى ، الشيخ ،
الصالح ، الزاهد ، العابد ، الورع ، الخاشع ، الناسك ، السالك ، فلان الدين ،
مجدُ الصلحاء ، زينُ المشايخ ، قُدوة السالكين ، بركةُ الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على نحوٍ من ذلك .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس الشيخ)

وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

ولم يورد لها صورة في "التثقيف" . وصورتها على ما في بعض الدساتير: «مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد، العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الخامسة

(درجة الشيخ)

وهي «الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد» ونحو ذلك .

النوع الخامس

(ألقاب التجار الخوارجية، والمستعمل فيه أربع درجات)

الدرجة الأولى

(درجة الجَنَاب)

ولم أرفها غير مرتبة الجَنَاب العالی فيما عدا السلطانيات .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير الشامية فيما كُتب به لبعض الخوارجية: «الجَنَاب العالی، الصَدْرِي، الكبيرِي، المحترَمِي، المؤتمِنِي، الأوحَدِي، الأکملِي، الرئيسي، العارِفِي، المُقرَّبِي، الخوارجِي، الفلاني، مجد الإسلام والمسلمين،

شرف الأَكابر في العالمين، أُوحدُ الأُمَناءِ المقَرَّبِينَ، صدرُ الرُّؤساءِ، رأسُ الصُّدُورِ، عَيْنُ الأَعْيَانِ، كَبِيرُ الخَوَاجِكَةِ، نِيقَةُ الدَّوْلَةِ، مُؤْتَمِنُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ». . فَإِنْ أَتَفَقَ أَنْ يُكْتَبَ لِأَحَدٍ مِنَ الخَوَاجِكَةِ بِأَعْلَى مِنَ الجَنَابِ العَالِي، كُتِبَ لَهُ مِنْ نَظِيرِ هَذِهِ الأَلْقَابِ وَأَعْلَى مِنْهَا .

الدرجة الثانية

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالی، وهي مَحْتَصَةٌ بِغَيْرِ السُّلْطَانِيَّاتِ .

وصورتها على مارأيته في بعض الدساتير الشامية: « المجلس العالی، الصِّدْرِيّ، الرَّئِيسِيّ، الكَبِيرِيّ، المَحْتَرَمِيّ، الْمُؤْتَمِنِيّ، الْأَوْحَدِيّ، الْأَكْبَلِيّ، الْمُقَرَّبِيّ، الْخَوَاجِكِيّ، الْفُلَانِيّ، مُجْدُ الْإِسْلَامِ، شَرَفُ الْأَكْبَرِ، أُوحدُ الْأُمَنَاءِ، صدرُ الرُّؤساءِ، زَيْنُ الْأَعْيَانِ، نِيقَةُ الدَّوْلَةِ، مُؤْتَمِنُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ» .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامي بالياء، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما ذكره في "التتقيف" في ألقاب خَوَاجَا عَسَافِ بْنِ مُسَافِرٍ، ونظام الدِّينِ الإسْعَرْدِيّ: « المجلس السامي، الصِّدْرِيّ، الكَبِيرِيّ، الْكَامِلِيّ، الْمَاجِدِيّ، الْأَوْحَدِيّ، الْمُقَرَّبِيّ، الْمُتَخَيّ، الْأَمِينِيّ، الْأَثِيرِيّ، الْخَوَاجِكِيّ، الْفُلَانِيّ، مُجْدُ الْإِسْلَامِ، زَيْنُ الْأَنَامِ، شَرَفُ الرُّؤساءِ، أُوحدُ الْكُبرَاءِ، تَاجُ الْأُمَنَاءِ، نَخْرُ الْأَعْيَانِ، مُقَرَّبُ الْحَضَرَتَيْنِ، مُؤْتَمِنُ الدُّوَلِ، صَفْوَةُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ» .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على نحو من ذلك .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامي بغيرياء، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب بعض الخوارجية : «المجلس السامي، الصدر، الأجل، الكبير، الكامل، الماجد، الأوحد، المقرب، المنتخب، الأمين، الأثير، الخوارج، فلان الدين، مجد الرؤساء، زين الأكاير، مجد الصدور، جمال الأعيان، مقرب الدولة، صفوة الملوك والساطين» .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الثالثة

(درجة مجلس الصدر، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما ذكره في "التثقيف" : «مجلس الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوحد، فلان الدين» .



وأما في غير السلطانيات، فلا تخرج عن ذلك .

الدرجة الرابعة

(درجة الصّدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فصورُها على ما أشار إليه في "التثقيف" : « الصّدر ،
الأجل ، الكبير ، المحترم ، المقرب ، الأوحد ، فلان الدين » .



وأما في غير السلطانيات ، فلا تبعُد من ذلك .

النوع السادس

(من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الصناعات الرئيسيّة ،

كرئاسة الطب ، ورئاسة الكحّالين ، ورئاسة الجراحية ،

ونحو ذلك ، والمستعمل فيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الاولى — مرتبة المجلس العالي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فكألقاب رئيس الأطباء ، وهي «المجلس العالي» . [القضائي^(١) ،

العالمى ، الفاضلي ، الكاملى ، الأوحدي ، الفلاني ، جمال الإسلام والمسلمين ،

سيدّ الرؤساء في العالمين ، أوحّد الفضلاء المقربين ، خاصّة الملوك والولاة^(١)] .

(١) بيض لهذه العبارة في الاصول ، فنقلناها من ضوء الصبح للؤلؤف .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدرى ، الأجلّى ، الكبيرى ، الرئيسى ، الفلانى » .



وأما فى غير السلطانيات فعلى نحو منه .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيرياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدرى ، الأجل ، الكبير ، الرئيس ، المحترم » .



وأما فى غير السلطانيات ، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(درجة الصدر ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها)

وصورتها فهما : « الصدر الأجل » فإن زيد فى تعظيمه ، قيل : « الكبير المحترم » .

النوع السابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ، كـمِتهاريّة البيوت ،
ومُهندس العائر، ورئيس الحَرَاقَة ونحوهم ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة مجلس الصّدر، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في ” التتقيف “ في ألقاب المهندس
والرئيس : « مجلس الصّدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين » .
وفي ألقاب مِتهاريّة البيوت : من مِتهار الشّراب خاناه ، والطّشت خاناه ، والفراش
خاناه ، وإخوان سَلار ونحوهم : « مجلس الصّدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ،
الحاج فلان » .



وأما في غير السلطانيات ، فكذلك أو أزيد .

الدرجة الثانية

(درجة الصّدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : « الصّدرُ الأجلُّ » فإن زيدَ في رِعايته قيل بعد ذلك :
« الكبير المحترم » .

النوع الثامن

(من الألقاب الإسلامية ألقاب النساء ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة الجهة ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى — مرتبة الجهة الشريفة ، وصورتها على ما ذكره في "التثقيف"^(١) في ألقاب إلى بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون عن والدتها : «الجهة الشريفة ، العالية المحجبة ، المصونة ، الولدية ، العظيمة ، عصمة الدين ، جلال النساء ، شرف الخواتين ، سيلة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" أيضا في المكتبة إلى أم آتوك : زوجة السلطان الملك الناصر عنه : «الجهة الشريفة ، العالية ، المعظمة ، المحجبة ، المصونة ، الكبرى ، خوند خاتون ، جلال النساء في العالمين ، قرينة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في المكتبة إلى أخت السلطان الملك الناصر حسن عنه : «الجهة الشريفة ، العالية ، المكرمة ، المحجبة ، المصونة ، الكبرى ، الخاتون ، جلال النساء في العالمين ، جميلة المحجبات ، جليلة المصونات ، كريمة الملوك والسلاطين» .

(١) سقط لفظ إلى من الضوء وهي أوضح .

وصورتها على ما ذكره في ألقاب الستِّ حَدَقَ : «الجهة الشريفة، العالية،
الكبرى، المحجَّبة، المصُونَّة، الحاجَّة، الوالدِيَّة، جلالُ النساء في العالمين، بركةُ
الدولة، والدَةُ الملوك والسلطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدَّسائيرِ في ألقاب والدَةِ الأشرفِ شعبانَ
أبنِ حسين : «الجهة الشريفة، العالية، الكبرى، المعظَّمة، المحجَّبة، العِصْمَى،
الخاتُونِيَّة، جلالُ النساء في العالمين، سَيِّدَةُ الخواتين، جميلةُ المحجَّبات، جليلةُ
المَصُونات، والدَةُ الملوك والسلطين» .

المرتبة الثانية — مرتبة الجهة الكريمة .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب دلشاه : زوج الشيخ حسن الكبير
ببغداد : الجهة الكريمة، المحجَّبة، المصونة، العِصْمِيَّة، الخاتُونِيَّة، المعظَّمة، سيدةُ
الخواتين، زينةُ النساء في العالمين، جميلةُ المحجَّبات، جليلةُ المصونات، قرينةُ نُورَيْنِ
الملوك والسلطين .

الدرجة الثانية

(درجةُ الدار. وهي على نحو المرتبتين المتقدمتين في الألقاب السابقة)

الدرجة الثالثة

(درجةُ السَّتارة وهي لانكادُ تَخْرُجُ عما تقدَّم من المرتبتين المتقدمتين)

القسم الثاني

(من الألقاب المرتبة ألقاب أهل الكُفر ، وهى على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(ألقاب متدينهم ، وهى نواعب)

النوع الأول

(ألقاب بطارقة النصارى)

وصورتها على ما أورده فى "التثقيف" فى ألقاب الباب برومية : «الباب ، الجليل ، القديس ، الروحاني ، الخاشع ، العامل ، بابا رومية ، عظيم الملة المسيحية ، قُدوة الطوائف العيسوية ، مملك ملوك النصرانية ، حافظ البحار والخُلجان ، ملاذ البطارقة والأساقفة والقُسوس والرهبان ، تالى الإنجيل ، معرف طائفته التحريم والتحليل ، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره فى "التثقيف" فى ألقاب البطريرك بالديار المصرية : «البطريرك الجليل ، القديس ، الخاشع ، قُدوة النصرانية» . ثم قال : ومن نسبة ذلك . وصورتها على ما رأيت فى بعض التواقيع له : «الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس ، المبجل ، المكرم ، الكافى ، المعزز ، المفخر ، القديس ، شمس الرياسة ، عماد بنى المعمودية ، كثر الطائفة الصليبية ، اختيار الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيت فى بعض الدساتير الشامية عن نائب الشام للبطريرك بها : «البطريرك ، المحتشم ، المبجل ، العارف ، الحبر ، فلان ، العالم بأمور دينه ، المعلم لأهل ملته ، دُخر الملة المسيحية ، كثر الطائفة العيسوية ، المشكور بعقله عند الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب رؤساء اليهود)

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع لرئيس اليهود بالشام من إنشاء القاضي محيي الدين بن الزكي في سنة ست وعشرين وستمائة : «الرئيس، الأوحُد، الأعزُّ، الأخص، الكبير، شرفُ الطائفة الإسرائيلية فلان» .

الضرب الثاني

(ألقاب ملوكهم وتختص بالنصارى ، وهو نمطان)

النمط الأول

(الألقاب المذكورة، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ما يُصَدَّر بالألف واللام ، وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبةُ الحضرة العالِية .

وصورتها على ما أورده في " التعريف " في ألقاب ملك الحبشة : « الحضرةُ العالِيةُ ، حضرةُ الملك الجليل ، الهُمَام ، الضَّرغام ، الأسد ، الغَضَنفَر ، الخطير ، الباسل ، السَّمِيدَع ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ، المُنْصِف لرعيته ، المتَّبِع لما يجب في أقضيته ، عز الأمة النصرانية ، ناصر الملة المسيحية ، رُكن الأُمّة العيسويّة ، عِماد بنى المعمودية ، حافظ البلاد الجنُوبية ، مُتَّبِع الحواريّين ، والأخبار السُّريانيّين ،

والبطارقة القديسين، معظم كنيسة صهيون، أوحده ملوك اليعقوبية، صديق الملوك والسلطين .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" أيضا في ألقاب صاحب القسطنطينية :
« الحضرة العلية ، المكرمة ، حضرة الملك الجليل ، الخطير ، الهمام ، الأسد ،
الغضنفر ، الباسل ، الضرغام ، المعرق ، الأصيل ، المنجد ، الأثيل ، البلاوس ،
الريدأرغون ، ضابط الممالك الرومية ، جامع البلاد الساحلية ، وارث القياصرة القداماء ،
مُحيي طرق الفلاسفة والحكماء ، العالم بأمور دينه ، العادل في ممالكه ، مُعز النصرانية ،
مؤيد المسيحية ، أوحده ملوك العيسوية ، مُحول الثخوت والتيجان ، حامي البحار
والخلجان ، ملك ملوك السريان ، عماد بني المعمودية ، رضى الباب بابا رومية ، ثقة
الأصدقاء ، صديق المسلمين ، أسوة الملوك والسلطين فلان » .

المرتبة الثانية — مرتبة الحضرة العلية .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب ملك الكرج : « الحضرة العلية ،
حضرة الملك الجليل ، الهمام ، الباسل ، الضرغام ، السמידع ، الكرار ، الغضنفر ،
المتخت ، المتوج ، العالم في ملته ، العادل في رعيته ، بقية الملوك الاغريقية ، سلطان
الكرج ، ذخر ملوك البحار والخلج ، حامي جمى الفرسان ، وارث آبائه في الأسرة
والتيجان ، سياج بلاد الروم وإيران ، سليل اليونان ، خلاصة ملوك السريان ،
بقية أبناء الثخوت والتيجان ، مُعز النصرانية ، مؤيد العيسوية ، مسيح الأبطال المسيحية ،
معظم البيت المقدس بعقد النية ، عماد بني المعمودية ، ظهر الباب بابا رومية ،
مواد المسلمين ، خالصة الاصدقاء المقربين ، صديق الملوك والسلطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الحضرة السامية .

وصورتها على ما أورده في " التعريف " في ألقاب الأدفونش صاحب طُلَيْطَلَة وإِشِيلِيَّة من الأندلس : « الحضرة السامية ، الملك الجليل ، الهَمَام ، الأسد ، الباسل ، الضَّرغام ، الغَضَنفَر ، بَقِيَّة سلف قَيْصَر ، حامي حِمَاة بنى الأصْفَر ، المنع السلوك ، وارث لَذَرِيْق وذَرَارِي الملوك ، فارس البر والبحر ، ملك طُلَيْطَلَة ومايلها من البلاد الأندلسية ، بطل النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، حامل راية المَسيحية ، وارث التيجان ، شبيه مَرِيحَنَّا المَعْمَدان ، محب المسامين ، صديق الملوك والسلاطين » .

المرتبة الرابعة — مرتبة الحضرة المكرمة .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في ألقاب صاحب قُبْرَس : « الحضرة المكرمة ، حضرة الملك الجليل ، البطل ، الهَمَام ، السَمِيدَع ، الضَّرغام ، الغَضَنفَر ، القَمَقَام ، مؤيد الملة المسيحية ، عماد بنى المعمودية ، دُخْر الملة النصرانية ، حامي الجزائر القبرسية ، مؤاد المسامين ، صديق الملوك والسلاطين ، الملك فلان » .

المرتبة الخامسة — مرتبة الحضرة الموقرة .

وصورتها على ما ذكره في " التثقيف " في ألقاب الأدفونش المقدم ذكره : « الحضرة الموقرة ، الملك الجليل ، المكرم ، المبجل ، الخطير ، البطل ، الباسل ، الهام ، الضَّرغام ، الرِّيدَارْغُون ، نصر النصرانية ، نخر الأُمَّة العيسوية ، دُخْر الملة المسيحية ، حامي الثغور ، ممتلك السواحل والبحور ، عماد بنى المعمودية ، ظهير بابا رومية ، ملاذ القُرسان ، جمال الثخوت والتيجان ، صديق الملوك والسلاطين » .

النوع الثاني

(ما يُصَدَّر بحضرة مع الإضافة)

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب صاحب القُسطنطينية :
« حضرة الملك، الجليل، المكرم، المبجل، الأسد، الخطير، البطل، الباسل، الهمام،
الضّرغام، فلان، العالم في ملته، العادل في أهل مملكته، عزّ الأُمّة المسيحية، كثر
الطائفة الصليبية، بحال بني المعمودية، صمّصام الملوك اليونانية، حُسام المملكة
المالوصية، صاحب أمصار الروس والعلان، معزّ اعتقاد الكُرج والسريان، وارث
الأسرة والتيجان، الحاكم على الثغور والبحور والخُجان، الدوقس الانجالوس
الكينوس البالالوغس، صديق الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب ملك الكُرج : « حضرة الملك
الجليل، المكرم، الخطير، الباسل، القمقام، القديس، الروحانيّ، فلان، عزّ الأُمّة
المسيحية، كثر الطائفة الصليبية، نحر دين النصرانية، ملك الجبال والكُرج والجرجان،
صديق الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير في ألقاب ملك الكُرج أيضا : « حضرة
الملك الجليل، العالم في ملته، العادل في مملكته، المتوّج من الله فلان، سيد ملوك
النصرانية، أكبر زعماء الملة المسيحية، ضابط الممالك الكُرجية، ... (١) ... خليل
الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما ذكره في "التعريف" في ألقاب مُملّك سِيس قبل فتحها :
« حضرة الملك الجليل، البطل، الباسل، الهمام، السميّدع الضّرغام، الغصنفر

(١) بياض بالاصول بقدر كلفة .

فلان؛ فخر الملة المسيحية، دُخِر الأُمة النصرانية، عماد بنى المعمودية، صديقُ الملوك والسلطين .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب ممتلك سيس المذكور أيضا :
« حضرةُ الملك الجليل، المكرّم، المبجل، المعزّز، الهام، الباسل، فلان؛ عزّ دين النصرانية، كبير الطائفة الصليبية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلطين » .
وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" أيضا في ألقاب صاحب البندقيّة :
« حضرةُ الدوك الجليل، المكرّم، الخطير، الباسل، الموقّر، المفخّم، فلان؛ فخر الملة المسيحية، جمال الطائفة الصليبية، دوك البندقيّة والمانسية، فلان؛ زين بنى المعمودية، صديق الملوك والسلطين » .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب ملك السّرب والبُلغار : « حضرة الملك الجليل، المكرّم، المبجل، الهمام، الضّرغام، الباسل، الدوقس، الأثجاليوس، الكينيوس، فلان؛ عماد النصرانية، مالك السّرب والبُلغار، فخر الأُمة العيسويّة، دُخِر الملة المسيحية، فارس البحور، حامى الحصون والثغور » .

وصورتها على ما أورده في ألقاب ملك منفرد : « حضرة الملك الجليل، المكرّم، البطل، الهام، الأسد، الضّرغام، فلان؛ مجد النصرانية، فخر العيسويّة، عماد بنى المعمودية، جمال الطائفتين الرومية والقرنجيّة، ملك منفرد، وارثُ التاج، مُعزّ الباب » .

وصورتها على ما أورده في ألقاب لدوك البندقيّة غير ما تقدّم : « حضرة المحتشم، الجليل، المبجل، الموقّر، المكرّم، المفخّم، الباسل، الضّرغام، فلان؛ عزّ الملة المسيحية، جمال الطائفة العيسويّة، دُخِر الملة الصليبية، صديق الملوك والسلطين » .

النوع الثالث

(ما يُصَدَّرُ بِالْمَلِكِ وما في معناه)

وصورته على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب ملك الحبشة : «الملك الجليل ،
المكرم ، الخطير ، الأسد ، الضرغام ، الباسل ، فلان ؛ العالم في ملته ، العادل في مملكته ،
حطى ملك أنحرأ ، أكبر ملوك الحبشان ، نجاشى عصره ، سند الملة المسيحية ،
عضد دين النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، صديق الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما ذكر في "التثقيف" في ألقاب دوك البندقية غير مائقم : «الدوك
الجليل ، المكرم ، المبجل ، الموقر ، البطل ، الهام ، الضرغام ، الغضنفر ، الخطير ؛
مجد الملة النصرانية ، نحر العيسوية ، عماد بنى المعمودية ، معز بابا رومية ، صديق
الملوك والسلاطين فلان » .

النمط الثاني

(من ألقاب ملوك الكفر [الألقاب المؤنثة])

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب صاحبة بابل : «الملكة الجليلة ،
المكرمة ، المبجلة ، الموقرة ، المفخمة ، المعززة ، فلانة ؛ العالمة في ملتها ، العادلة
في مملكته ، كبيرة دين النصرانية ، نصيرة الملة العيسوية ، حامية الثغور ، صديقة
الملوك والسلاطين » .

الضرب الثالث

(ألقاب نواب ملوهم وكأصلتهم ومن في معنى ذلك . وهو على نوعين)

النوع الأول

(ألقاب النواب)

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب النائب بالأبواب : «النائب الجليل ، المبجل ، الموقر ، القديس ، الروحاني» والنعوت من نسبة ألقاب متملك سيس .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب صاحب دُنُقلة : «النائب الجليل ، المبجل ، الموقر ، الأسد ، الباسل ، فلان ، مجد الملة المسيحية ، كبير الطائفة الصليبية ، غرس الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب الكناصلة)

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب الكُنُصُل بالكفا كألقاب متملك سيس المنقولة عن التثقيف فيما تقدم .

وصورتها على ما أشار إليه في "التثقيف" في ألقاب المُطْران نائب الباب بالانصة : ^(١) وهي قُبُرس نحو ما تقدم في ألقاب البطرِكَ بالديار المصرية . قال : ويزاد عليه «المُطْران فلان» ويقال في نعوته «ناصح الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في ألقاب إبراهيم كرى : أحد كُتاب الفرنج عن نائب دمشق : «المُحتشم ، الكبير ، المخول ، الأسد ، الهمام ، الغضنفر ،

(١) كذا في الأصول بدون نقط .

مؤاد المسلمين، متبع الحواريين، جمال العيسوية، أوحّد بنى المعمودية، صاحب الملوك والسلاطين» .

قلت : قد تبين بما تقدّم من الألقاب والنعوت الإسلامية وألقاب أهل الكفر ونعوتهم أنها ليست واقفة عند حدّ، بل هي راجعة إلى اصطلاح الكتاب واختيارهم في زيادة الألقاب ونقصها، والإتيان بلقب دون لقب، مع رعاية المناسبة لكل مقام وما يحتمله من الألقاب، إلا أن لذلك (أصولاً يرجع إليها) وقوانين يوقف عندها، إذا اعتمدها الكاتب ومشى على نهجها ونسج على منوالها، أصاب سواء الثغرة من الصناعة، وطبق المفصل بالمفصل في الإتيان بالمتعدد، ومتى أهملها وفرط في مراعاتها ضلّ سواء السبيل، وخرج عن جادة الصواب : «ومن يُضِلِّ الله فإله من هادٍ» .

الأصل الأول — أن يقف على ما رتبته البلغاء من أرباب الصناعة من الألقاب والنعوت لكل صنف من دوى الألقاب والنعوت : لأهل الإسلام وأهل الكفر . ويجرى ذلك منه مجرى الحفظ والاستحضار، ليسهل عليه إيرادُه في موضعه، ولا يشدّ عنه شيء منها عند الاحتياج إليه . وقد تقدّم من ذلك جملة مستكثرة يهتدى بتجمّعها، ويستضاء في ظلمة اللبس بضوئها .

الأصل الثاني — أن يعرف ماهو من الألقاب والنعوت حقيقياً لصاحب اللقب الذى يستعمله فيه : كالعالمى لأهل العلم، والعابدى لأهل الصلاح، والعادى للحكام من أرباب السيوف وغيرهم، وما هو منها مجازى : كالعالمى لأرباب السيوف والكتاب حيث لا أتصاف لصاحب اللقب بالعلم، والأصيل لمن ليس له آباء في الرئاسة ولا عرافة في النسب، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

الأصل الثالث — أن يعرف الألقاب الخاصة ببعض دون بعض، كالشريفى، والحسينى، والنسبى، للأشراف أولاد فاطمة رضى الله عنها، والكافى لنائب

السلطنة أو وزير كبير، والتَّوَيْبِيّ لِأَمِيرِ التَّوَامِينَ بِالشَّرْقِ، وَالمَدْبَرِيّ لِلوزير ونحوه من ناظر الخِصَاصِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ، وَالمُشِيرِيّ لِمَنْ يُؤَخِّذُ رَأْيَهُ مِنْ أَكْبَرِ أَرْبابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ، وَالسَّفِيرِيّ لِلْحَاجِبِ وَالدَّوَادَارِ وَكَاتِبِ السَّرِّ، وَاليَمِينِيّ لِلدَّوَادَارِ وَكَاتِبِ السَّرِّ، وَالعَرِيقِيّ لَذِي العَرَاقَةِ فِي النِّسْبِ، وَالْأَصِيلِيّ لِمَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ آبَاءٍ فِي الرِّيَاسَةِ .

وَكَذَلِكَ النُّعُوتُ كَوَالِدِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ لِمَنْ يَكُونُ لَهُ أَوْلَادٌ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَوَلَدِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ لِأَوْلَادِ الْمُلُوكِ ، وَعَضُدِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ لِلْأَمْرَاءِ وَنَحْوِهِمْ ، وَكَافِلِ الْمَمَالِكِ لِلنَّائِبِ الْكَافِلِ ، وَسَفِيرِ الدَّوْلَةِ وَلِسَانِ الْمَمْلُوكَةِ لِلدَّوَادَارِ وَكَاتِبِ السَّرِّ ، وَيَمِينِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ لَهَا أَيْضًا ، وَوَالِدَةِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ لِمَنْ يَكُونُ مِنْ أَوْلَادِهَا مَلِكًا ، وَكَرِيمَةِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ لِمَنْ يَكُونُ مِنْ إِخْوَتِهَا سُلْطَانًا ، وَقَرِينَةِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ لِمَنْ تَكُونُ زَوْجَةً مَلِكًا ، وَصَدِيقِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، أَوْ مُوَادِّ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ لِمُلُوكِ الْكُفْرِ ، وَقَرِينِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ لِنُؤَابِهِمْ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى : فَيُوقَعُ كُلُّ لَقَبٍ أَوْ نَعْتٍ مِنْهَا فِي مَوْضِعِهِ وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ . وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مَا سَلَفَ مِنْ تَرْتِيبِ الْأَلْقَابِ وَالنُّعُوتِ عَلَى الْأَصُولِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، ظَهَرَ لَكَ مِنْهَا مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَرْتِيبِهَا وَإِقَاعِهَا مَوَاقِعَهَا .

الأصل الرابع — أَنْ يَعْرِفَ الْأَلْقَابَ وَالنُّعُوتَ الرَّفِيعَةَ الْمُقَدَّرَ ، فَلِيَحْقَقَهَا بِمَا يَنْسَبُهَا مِنَ الْأَلْقَابِ الْأَصُولِ ؛ كِلِ الْخَاقِ الْعَالِمِيَّ وَالْعَادِلِيَّ وَمَهَّدِ الدَّوْلَ وَمُشِيدِ الْمَمْلَكِ وَمَا شَا كُلَّ ذَلِكَ بِالْمَقَرِّ وَالْجَنَابِ الْكَرِيمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَيَعْرِفَ الْأَلْقَابَ النَّازِلَةَ ، فَيُخْرِجَ مِنْهَا مَا يَجُودُ عَنْ الْيَاءِ وَيَلْحَقُهُ بِالسَّامِيِّ بِغَيْرِ الْيَاءِ فَمَا دُونَهُ كَالْعَضُدِ وَالذُّخْرُومَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

الأصل الخامس — أَنْ يَعْرِفَ مَرَاتِبَ الْأَلْقَابِ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، مِثْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيفَ وَالْكَرِيمَ يَلِيَانِ الْمَقَرَّ وَالْجَنَابَ ، وَالْعَالِيَّ يَلِيهِمَا ؛ ثُمَّ الْعَالِيَّ يَلِي الْمَقَرَّ

والجنتاب والمجلس ، والسامى إلى المجلس حيث لا يليه العالى . وأن التعت المضاف إلى أمير المؤمنين مثل عضد أمير المؤمنين ، وسيف أمير المؤمنين ، وحسام أمير المؤمنين ، يكون آخر الثعوت . وأن المضاف إلى الملوك والسلاطين مثل عضد الملوك والسلاطين ، وظهير الملوك والسلاطين ، يكون قبله المضاف إلى أمير المؤمنين إن كان فى رتبة يثبت فيها ما يضاف إلى أمير المؤمنين ، وإلا يكون المضاف إلى الملوك والسلاطين هو آخر الألقاب . وأن يعلم أن لقب التعريف : وهو القلائى أو فلان الدين يكون واسطة بين الألقاب والثعوت ، فاصلاً بينهما . وأن لقب الوظيفة كالكا فى الحاكى وما أشبههما يكون قبل لقب التعريف غالباً على ما تقدم بيانه ، فيضع هذه الألقاب فى مواضعها ولا يخرجها عنها ، بخلاف ما يجوز فيه التقديم والتأخير من الألقاب والثعوت .

الجملة العاشرة

(فى ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت فى عرف الكتاب . وهى على ضربين)

الضرب الأول

(فيما يجرى من ذلك مجرى التفاضل ، ويختلف باختلاف الأحوال والوقائع ، ويتنوع إلى أنواع)

النوع الأول

(ما يوصف بالنصر ، كالجيوش والعساكر والقلاع والبريد ونحو ذلك)

فيقال فى الجيوش والعساكر : «الجيوش المنصورة» ، والعساكر المنصورة» ويقال فى القلاع المنصورة «وقلعة دمشق المنصورة وقلعة حلب المنصورة» ونحو ذلك ،

وكذلك يقال « القلاع المنصورة » على الجمع تَفَاوُلًا بحصول النَّصْرِ لها، ويقال في البريد: « البريد المنصور » على ما أَصْطَلَحَ عليه مُكْتَابُ الزمان. على أن في وصف البريد بالمنصور نظرا : لأنه إنما وُضِعَ ليُوَصِّلَ الأخبارَ ونحو ذلك ، وكان الأحسن أن يوصف بالسَّعيد ونحوه اللهم إلا أن يُراد أنه ربما وصل به خبرُ النصر على العدو، وهو من أهم المهمَّات ، وكأنه وُصِفَ بأشرف متعلقاته .

النوع الثاني

(ما يوصف بالحِراسَة ، كالمُدُن والثُّغُور)

فيقال في المُدُن « مِصرُ المحروسة » و « القاهرةُ المحروسة » و « دِمَشقُ المحروسة » و « حَلَبُ المحروسة » ونحو ذلك . ويقال في الثُّغُور « الثُّغُرُ المحروس » و « ثُغْرُ الإسكندرية المحروس » و « ثُغْرُ رَشِيدِ المحروس » و « ثُغْرُ دِمَاطِ المحروس » و « ثُغْرُ أسوانِ المحروس » ونحو ذلك تَفَاوُلًا بوقوع الحِراسَة فيها . على أنه لو وُصِفَت القلاع أيضا بالحِراسَة فقل « القلعةُ المحروسة » و « القلاعُ المحروسة » ونحو ذلك لكان له وَجْهٌ ظاهر . وبكل حال فكل ما كان محلَّ خوف مما ينبغي حِراسَتَهُ والاحتفاظ به ، حَسُنَ وصفه بالحِراسَة . وقد رأيت مَنْ يذكر ضابطا لذلك في البلاد : وهو أن كل مدينة مُسَوَّرة يُقال فيها محروسة وإلا فلا ، وهو بعيد ، والظاهر ما قدّمنا ذكره .

النوع الثالث

(ما يُوصَف بالعمارة، كالداوين)

وهى المواضع التى يجلس فيها الكُتَّاب على ما تقدم بيانه فى مقدِّمة الكتاب وغير ذلك . فيقال : «الديوان المعمور» و«الداوين المعمورة» تفاؤلا بأنها لاتزال معمورة بالكتاب، أو بدوام عز صاحبها وبقاء دولته .

النوع الرابع

(ما يوصف بالسعادة، كالداوين أيضا)

فيقال : «الديوان السعيد» و«الداوين السعيدة» تفاؤلا بدوام سعادتها بدوام سعادة صاحبها .

النوع الخامس

(ما يُوصَف بالقبول)

كالضحايا المقبولة تفاؤلا بأن الله تعالى يتقبلها، وهو فى الحقيقة بمعنى الدعاء، كأنه يقال تقبلها الله تعالى .

النوع السادس

(ما يُوصَف بالبر، كالصدقة والأحباس)

فيقال فى الأحباس : «الأحباس المبرورة» وفى الصدقة «الصدقة المبرورة» تفاؤلا بأنها تكون جارية مجرى البر الذى يلحق به الثواب . وتُكَّاب الجيش ونحوهم يستعملون ذلك فى وصف الرزقة أيضا : وهى القطعة من الأرض تُرصد لمصالح المسجد أو الرباط أو الشخص المعين . فيقولون : «الرزقة المبرورة» لجرانها مجرى الصدقة .

النوع السابع

(ما يوصف بالخذلان ، كالعدو ونحوه)

فيقال : « العدو المخذول » على الإجمال و « فلانُ المخذول » بالتصريح باسمه
« وأهل الكُفر المخذولون » ونحو ذلك تفاؤلا بأن الله تعالى يُوقع بالعدو الخذلان
ويرمي به .

الضرب الثاني

(ما يجري من ذلك مجرى التشریف ، ويختلف أيضا
 باختلاف الأحوال ، ويتنوع أنواعا)

النوع الأول

(ما يوصف بالعز ، كالكتاب بمعنى القراءن)

فيقال فيه : « الكتاب العزيز » ومن ثم يقولون في قارئ القرآن : « من حملة
كتاب الله العزيز » وربما وُصف بذلك الديوان أيضا ، كما يقال في ديوان الخلافة :
« الديوانُ العزيزُ » على ما تقدم ذكره في الكلام على الألقاب .

النوع الثاني

(ما يوصف بالشریف ، كالمُصحف والعلم)

فيقال في المُصحف : « المصحف الشريف » وفي العلم « العلم الشريف » ولذلك
يقولون « فلان من طلبه العلم الشريف » ونحو ذلك ، وكذا في الأماكن الرفيعة ،

مَكَّةَ والمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ وَالْقُدُسَ . فيقال : «مَكَّةُ الْمُشْرِفَةُ» و «المَدِينَةُ الشَّرِيفَةُ»
و «الْقُدُسُ الشَّرِيفُ» وَالْحَرَمُ الشَّرِيفُ تَارَةً لِحَرَمِ مَكَّةَ وَتَارَةً لِحَرَمِ الْمَدِينَةِ . فإذا
جُمِعَا قِيلَ : «الْحَرَمَانِ الشَّرِيفَانِ» وَرَبَّمَا أُطْلِقَ فِي عُرْفِ الْكُتُبِ الْحَرَمَانُ عَلَى
الْقُدُسِ الشَّرِيفِ وَمَقَامِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ مُرَادُ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ
فِي كِتَابِهِ «التَّعْرِيفُ» فِي قِسْمِ الْوَصَايَا بِنَظَرِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ دُونَ حَرَمِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ
الْمُشْرِفَتَيْنِ . وَقَدْ أَصْطَلَحَ كُتَّابُ الزَّمَانِ عَلَى أَنْ وَصَفُوا أَكْثَرَ مَا يُضَافُ إِلَى السُّلْطَانِ
بِالشَّرِيفِ ، فيَقُولُونَ فِيمَا يَصْدُرُ عَنِ السُّلْطَانِ مِنْ عَهْدٍ وَتَقْلِيدٍ وَتَوْقِيعٍ وَمَرْسُومٍ وَمِثَالٍ
وَتَذَكُّرَةٍ : «عَهْدُ شَرِيفٍ» وَ«تَقْلِيدُ شَرِيفٍ» وَ«تَوْقِيعُ شَرِيفٍ» وَ«مَرْسُومُ شَرِيفٍ»
و«مِثَالُ شَرِيفٍ» وَ«تَذَكُّرَةُ شَرِيفَةٍ» وَنَحْوُ ذَلِكَ .

النوع الثالث

(مَا يُوصَفُ بِالْكَرِيمِ ، كَالْقُرَّاءِ)

فيقال : «الْقُرَّاءُ الْكَرِيمُ» وَالْأَصْلُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرَّاءٌ كَرِيمٌ ﴾
وَقَدْ أَصْطَلَحَ كُتَّابُ الزَّمَانِ عَلَى أَنْ جَعَلُوهُ دُونَ الشَّرِيفِ فِي الْوَصْفِ ، فَوَصَفُوا بِهِ
مَا يَصْدُرُ عَنْ دُونَ السُّلْطَانِ مِنْ أَكْبَرِ الدَّوْلَةِ مِنَ الثُّوَبِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ :
مِنْ تَوْقِيعٍ وَمَرْسُومٍ وَمِثَالٍ وَتَذَكُّرَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ . فيَقُولُونَ : «تَوْقِيعُ كَرِيمٍ»
و«مَرْسُومُ كَرِيمٍ» وَ«مِثَالُ كَرِيمٍ» وَ«تَذَكُّرَةُ كَرِيمَةٍ» . وَقَدْ تُوصَفُ بِهِ الْمَكَاتِبَةُ
أَيْضًا فيَقَالُ : «إِنَّ مَكَاتِبَتَهُ الْكَرِيمَةَ وَرَدَّتْ» وَنَحْوُ ذَلِكَ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّنْزِيلِ :
﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَرْفَعَ رَتَبَةً
مِنَ الشَّرِيفِ لَوُرُودِ التَّنْزِيلِ بِوَصْفِ الْقُرَّاءِ بِهِ .

النوع الرابع

(ما يُوصَفُ بِالْعُلُوِّ ، وهو في معنى الكَرَمِ في اصطلاحهم)

فيقال : « تَوْقِيعٌ عَالٍ » و « مَرْسُومٌ عَالٍ » ونحو ذلك ، وقد يُوصَفُ به الرَّأْيُ .
فيقال : « الرَّأْيُ الْعَالِي » وقد يُوصَفُ به أَمْرُ السُّلْطَانِ أَيْضاً مِنْ ذِي الرُّتْبَةِ الرَّفِيعَةِ ،
مثل كِتَابَةِ الْوَزِيرِ عَلَى الْمَرَاسِمِ الشَّرِيفَةِ ونحوها « أَمْتَلُ الْأَمْرِ الْعَالِي » .

النوع الخامس

(ما يُوصَفُ بِالسَّعَادَةِ)

كـ « الرَّأْيُ السَّعِيدُ » و « الْآرَاءُ السَّعِيدَةُ » وربما وُصِفَ بِذَلِكَ الدِّيَوَانُ فَقِيلَ
« الدِّيَوَانُ السَّعِيدُ » ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُوصَفُ بِالْبَرَكَةِ ، كَالْكَعْبِ)

فيقال : « كَعْبٌ مُبَارَكٌ » وقد يُوصَفُ به الْمَنْزِلُ فيقال : « مَنَزِلٌ مُبَارَكٌ »
وقد يوصف به الْأَمْرُ لِمَنْ دُونَ الْعَالِي ، فيقال : « يَتَقَدَّمُ أَمْرُهُ الْمُبَارَكُ » وكذلك
الْمَكْتَابَةُ ، فيقال : « إِنَّ مَكْتَابَتَهُ الْمُبَارَكَةَ وَرَدَتْ » ونحو ذلك .

الباب الثاني من المقالة الثالثة

(في مقادير قطع الورق ، وما يناسب كل مقدار منها من الأقسام ،
ومقادير البياض في أول الدرج وحاشيته ، وبعد ما بين السطور
في الكتابات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول (في مقادير قطع الورق ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقادير قطع الورق في الزمن القديم)

قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" أن الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان . وذلك أنه يكتب الخلفاء في قراطيس من ثلثي طومار ، وإلى الأمراء من نصف طومار ، وإلى العمال والكتاب من ثلث ، وإلى التجار وأشباههم من ربع ، وإلى الحُساب والمُساح من سدس . فهذه مقادير قطع الورق في القديم : وهي الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس ، ومنها أستخرجت المقادير الآتية ذكرها . ثم المراد بالطومار الورقة الكاملة ، وهي المعبر عنها في زماننا بالفرخة ، والظاهر أنه أراد القطع البغدادي لأنه الذي يحتمل هذه المقادير ، بخلاف الشامي ، لاسيما وبغداد إذ ذاك دار الخلافة ، فلا يحسن أن يقدر بغير ورقها مع اشتماله على كمال الحسن . وقد تقدم في الكلام على آلات الكتابة في المقالة الأولى بيان الخلاف في أول من صنع الورق .

الطرف الثاني

(في بيان مقادير قَطْع الورق المستعمل في زماننا، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية

بالديار المصرية، وهي تسعة مقادير)

المقدار الأول — قَطْع البَغْدَادِيّ الكامل . وعَرَضُ دَرَجِه عَرَضُ البَغْدَادِيّ بكماله : وهو ذراعٌ واحد بذراع القَمَاشِ المِصْرِيّ ؛ وطولُ كُلِّ وَصَلٍ مِنَ الدَّرَجِ المذكور ذراعٌ ونصفٌ بالذراع المذكور . وفيه كان تُكْتَبُ عُهُودُ الخلفاء وبيعتهم . وفيه تُكْتَبُ الآنَ عُهُودُ أكابر الملوك ، والمكاتباتُ إلى الطبقة العليا من الملوك ، كأكابر القاناتِ من ملوك الشرق .

المقدار الثاني — قَطْع البَغْدَادِيّ الناقص . وعَرَضُ دَرَجِه دون عَرَضِ البَغْدَادِيّ الكامل بأربعة أصابع مطبوقَةٍ . وفيه يُكْتَبُ للطبقة الثانية من الملوك ، وربما كُتِبَ فيه [للطبقة العليا] لإِعْوَازِ البَغْدَادِيّ الكامل .

المقدار الثالث — قَطْع الثلاثين من الورق المِصْرِيّ . والمراد به ثُلثا الطُّومار من كامل المنصوريّ ، وعَرَضُ دَرَجِه ثُلثا ذراع بذراع القَمَاشِ المِصْرِيّ أيضا . وفيه تُكْتَبُ مَنَاشِيرُ الأمراء المُقَدِّمين ، وتقاليدُ الثُّوَابِ الكِبَارِ والوزراءِ وأكابر القضاةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . ولم تجر العادةُ بكتابة مكاتبةٍ عن الأبواب السلطانية فيه .

المقدار الرابع — قَطْع النصف . والمراد به قَطْع النصف من الطُّومار المنصوري؛ وعَرْضُ دَرَجِه نصف ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكْتَبُ مناشيرُ الامراءِ الطَّبَلْخَاناه ، ومراسيمُ الطبقة الثانية من التُّواب ، والمكاتبُ إلى الطبقة الثانية من الملوك .

المقدار الخامس — قطع الثلث . والمراد به ثلثُ القَطْع المنصوري؛ وعَرْضُ دَرَجِه ثُلُثُ ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكْتَبُ مناشيرُ أمراءِ العشرات ، ومراسيمُ صغار التُّواب ، والمكاتبُ إلى الطبقة الرابعة من الملوك .

المقدار السادس — القَطْع المعروف بالمنصوري . وعَرْضُه تقديرُ رُبْع ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكْتَبُ مناشيرُ الممالك السلطانية ومقدّمِي الحلقة ، ومناشيرُ عشرات التُّرُكَّان ببعض الممالك الشامية ، وبعضُ التواقيع وما في معنى ذلك .

المقدار السابع — القَطْع الصغير ، ويقال فيه قَطْع العادة . وعَرْضُ دَرَجِه تقديرُ سُدُس ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكْتَبُ عامةُ المكاتب لأهل المملكة وحُكَّامها ، وبعضُ التواقيع والمراسيم الصَّغار ، والمكاتبُ إلى حُكَّام البلاد بالممالك ، وما يجري هذا المجرى . وقد كان هذا القَطْع والذي قبله في أوّل الدَّولة التركية طَوْلُ كُلِّ وَصَلٍ منه شبران وأربعة أصابع مطبوعةً فما حَوَّلَ ذلك .

المقدار الثامن — قَطْع الشاميِّ الكامل . وعَرْضُ دَرَجِه عرضُ الطُّومار الشاميِّ في طَوْلِه ؛ وهو قليلُ الاستعمال بالديوان ، إلا أنه ربما كُتِبَ فيه بعضُ المكاتب ، كما كتب فيه عن الأشرف شعبان بن حُسين لوالدته حين سافرت إلى الحجاز الشريف .

المقدار التاسع — القَطْع الصغير . وهو في عَرْض ثلاثة أصابع مطبوعة من الورق المعروف بورق الطَّيْر، وهو صِنْف من الورق الشامي رقيق للغاية . وفيه تُكْتَب ملطّفات الكُتُب وبطاقق الحمام .

الجملة الثانية

(في مقادير الورق المستعملة بدواوين الإنشاء بالممالك الشامية :

دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحماة ، وصفد ، والكرك .

في المكاتب والولايات الصادرة عن الثواب بالممالك ،

وهي لاتخرج عن أربعة مقادير)

المقدار الأول — قطع الشامي الكامل : وهو الذي يكون عَرْضُه عَرْض الطومار الشامي الكامل في طوله على ما تقدّم فيه . وفيه يُكْتَب عن الثواب لأعلى الطبقات من أرباب التّواقيع والمّراسيم ليس إلّا .

المقدار الثاني — قطع نصف الحموي . وعَرْض دَرَجُه عَرْض نصف الطومار الحموي ، وطوله بطول الطومار . وفيه يُكْتَب للطبقة الثانية من أرباب التواقيع والمّراسيم الصادرة عن الثواب .

المقدار الثالث — قطع العادة من الشامي . وعَرْض دَرَجُه سدس ذراع بذراع القماش المصري في طول الطومار أو دُونَه . وفيه يُكْتَب للطبقة الثالثة من أرباب التواقيع والمّراسيم الصادرة عن الثواب وعمّة المكاتب الصادرة

عن النّوّاب إلى السلطان فَمَنْ دُونَهُ من اهل المملكة وغيرهم ، إلا أن نائب الشام ونائب الكرك قد جرّت عادتُهُما بصُدُور المكاتبات عنهما في الورق الأحمر دُونَ غيرهما من النّوّاب .

المقدار الرابع — قَطَعَ ورق الطير المقدم ذكره في آخر المقادير المستعملة بالأبواب السلطانية بالديار المصرية . وفيه تُكتب المَلَطَفَاتُ والبطائِقُ على ما تقدم .

قلت : هذه مقادير قَطَعَ الورق بالديار المصرية والبلاد الشامية . أما غير مملكة الديار المصرية من الممالك ، فالحال فيها يَخْتَلِفُ في مقادير الورق المستعمل بدواوينها . فأما بلاد المَشْرِقِ فعلى نحو المقادير المتقدمة . وأما بلاد المَغْرِبِ والسُّودان وبلاد الفَرَنْج ، فعادةُ كتابتهم في طُومارٍ واحد ، يزيدُ طولُهُ على عَرْضِهِ قليلاً ، ما بين صغير وكبير بحسب ما يَقْتَضِيهِ حال المكتوب .

الجملة الثالثة

(في مقادير قَطَعَ الورق الذي تجرى فيه مكاتباتُ أعيان الدّولة

من الأمراء والوزراء وغيرهم بالديار المصرية

والبلاد الشامية)

وهو قَطَعَ العادة من البلدى بالديار المصرية ، ومن الشامي بالبلاد الشامية .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الثالثة

(فى بيان ما يُناسبُ كلِّ مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر
من الأقلام ، ومقادير البياض الواقع فى أعلى الدَّرَج وحاشيته ،
وبعد ما بين السُّطور فى الكتابة . وفيه طَرَفَان)

الطرف الأول

(فيما يناسبُ كلِّ مقدار منها من قطع الورق من الأقلام)

قد ذكر المقرُّ الشَّهابيُّ بنُ فضل الله فى كتابه ” التعريف ” فى آخر القسم الثانى
ما يناسبُ كلِّ مقدار من مقادير الورق المستعملة بديوان الإنشاء بالديار المصرية
من أقلام الخَطِّ المنسوب فقال : إن لقطع البَغْدَادِيَّ قَلَمَ مختَصِر الطُّومار ، ولقطع
الثلاثين قَلَمَ الثلث الثقيل ، ولقطع النِّصْف قَلَمَ الثلث الخفيف ، ولقطع الثلاث قَلَمَ
التوقيعات ، ولقطع العادة قَلَمَ الرَّقَاع . ومن ذلك يُعلم ما يناسب كلِّ قطع من مقادير
القطع المستعملة بدواوين الإنشاء بالملك الشامية . فيناسبُ الشامى الكامل قَلَمُ
التوقيعات : لأنه فى مقدار قطع الثلاث البَلَدِيَّ أو قَرِيبُ منه ؛ ويناسبُ نصف
الحموى والعادة من الشامى قَلَمُ الرَّقَاع ، لأنهما فى معنى القطع المنصورى والعادة
بالديار المصرية . أما قَلَمُ الجَنَاح ^(١) لكتابة بطائق الحمام به . وأما ما كان يَكُتُب به الخلفاء

(١) عبارة الضوء لأؤلف ج ١ ص ٤١٥ ، ٤١٦ ” ويناسب قطع الحموى والعادة من الشامى قلم الرقاع

لأنهما فى معنى العادة ، ويناسب ورق الطير الذى تكتب فيه البطائق والمطلقات قلم الغبار ولذلك يسميه بعض
الكاتب قلم الجناح الخ ” وهى واضحة .

أسماءهم في الزمن القديم وبه يكتب الملوك أسماءهم الآن ، فقلم الطومار : وهو القلم الحليل الذي لا قلم فوقه . وقد تقدم الكلام على هذه الأقلام في بيان ما يحتاج إليه الكاتب في أواخر المقالة الأولى .

الطرف الثاني

(في مقادير البياض الواقع في أول الدرّج ، وحاشيته
وبعد ما بين السطور في الكتابة)

أما مقدار البياض قبل البسملة ، فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق ، فكلما عظم قطع الورق ، كان البياض فيه أكثر : فقطع البغدادى يترك فيه ستة أوصال بياضا ، وتكتب البسملة في أول السابع ، وقطع الثلاثين يترك فيه خمسة أوصال ، وقطع النصف يترك فيه أربعة أوصال ، وقطع الثلث يترك فيه ثلاثة أوصال ، وقطع المنصورى والعادة تارة يترك فيه ثلاثة أوصال ، وتارة يترك فيه وصلان ، بحسب ما تقتضيه الحال . وقطع الشامى الكامل في معنى قطع الثلث ، وقطع نصف الحموى والعادة من الشامى في معنى القطع المنصورى والعادة في البلدى . وربما اجتهد الكاتب في زيادة بعض الأوصال وتقصانها بحسب ما تقتضيه الحال . وفي المكاتبات الصادرة عن سائر أرباب الدولة مصرّا وشامّا يترك في جميعها قبل البسملة وصل واحد فقط . وفي كتابة الأدنى إلى الأعلى يترك بعض وصل .



وأما حاشية الكتاب ، فبحسب اجتهد الكاتب فيه في السعة والضيق . وقد رأيت بعض الكتب المعتبرين يقدر حاشية الكتاب بالربّع من عرض الدرّج ، وهو اعتبار حسن لا يكاد يخرج عن القانون .



وأما بُعد ما بين السطور ، فيختلف باختلاف حال المکتوب واختلاف قطع الورق : ففي السلطانيات كلها على اختلاف قطع الورق فيها تكتبُ البسملة في أول الفصل بعد ما يُترك من أوصال البياض في أعلى الدّرج بحسب ما تقتضيه الحال ؛ ثم يُكتب تحت البسملة سطرٌ ملاصقٌ لها بحسب ما يقتضيه وضع القلم المکتوب به في القُرب والبُعد ، بحسب الدّقة والغاظ ؛ ثم يُكتب السطر الثاني في آخر الوصل الذي كُتبت البسملة في أوله ، بحيث يبقى من الوصل ثلاثة أصابع مطبوقةً أو نحوها في القطع الكبير ، وقدرُ إصبعين في القطع الصغير ، وما بينهما بحسبه .

وقد قدر صاحبُ « موادّ البيان » البياض الباقي بين السطر الأول والثاني أيضا . وهذا إنما يُقارب في القطع الكبير . وقد ذكر ابن شيث في « معالم الكتابة » . - وكان في آخر الدولة الأيوبية فيما أُظنّ - أن مقدار ما بين كلّ سطرين يكون ثلاثة أصابع أو أربعة أصابع . والذي جرت به عادةُ الكُتّاب في زماننا أنه يكون في قطع العادة والمنصوريّ في كلّ وصل من أوصال الزمان ثلاثة أسطر ، وفيما عداه سطران . وربما وقع التفاوت في القطع الصغير بحسب الحال حتى يكون في التواقع التي على ظهور القصص ونحوها بين كلّ سطرين بُعد بيت العلامة قدرُ إصبعين ؛ وربما تواصلت الأسطر كما في الملطفات ونحوها .

أما ما يُكتب عن الثواب من الولايات والمكاتبات من سائر أعيان الدولة ، فدُونَ السلطانيات في مقدار خُلُو موضع العلامة ، وهو ما بين قدر نحس أصابع مطبوقةً ونحوها ؛ وقدرُ [بُعد] السطور فيما بُعد بيت العلامة من قدر إصبعين إلى مادونهما .

(١) عبارة الضوء. نقلا عن مواد البيان "بين السطر الأول والثاني بقدر شبر" .

(٢) لعله من أوصاله أى العادة أو المنصوري . انظر الضوء ص ٤١٧ .

الباب الثالث

من المقالة الثالثة

(في بيان المستندات، وكتابة الملخصات، وكيفية التعيين . وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في بيان المستندات : وهى التوقيع على القصص ومايجرى مجراه،

وما يحتاج فيه إلى كتابة المستندات ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(السلطانيات ، وهى صنفان)

الصنف الأول

(ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء : كولايات الثواب والقضاة وغيرهما

من أرباب الوظائف، والتواقيع التى تكتب فى المسامحات

والإطلاقات، ومكاتب البريد الخاصة بالأشغال السلطانية،

وأوراق الطريق وما يجرى مجرى ذلك)

وجميعها معدودة بنظر صاحب ديوان الإنشاء . فما كان منها جليلاً الخطر
كولايات الثواب والقضاة وأكابر أرباب الوظائف والمكاتب المتعلقة بمهمات
السلطنة ، فلا بد من مخاطبة صاحب ديوان الإنشاء فيها واعتماد مايرز به أمره .
وما كان منها حقيراً بالنسبة إلى مخاطبة السلطان فيه استقل فيه بما يقتضيه رأيه .

ثم من ذلك ما يكتب به صاحب الديوان رقاعاً لطيفة بخطه ويعيها على الكاتب
الذى يكتبها وتدفع إليه لتخلد عنده شاهداً له ، كالولايات والمسامحات والإطلاقات

والمُكَاتَبَاتِ المتعلّقة بأمور المملكة ونحو ذلك . ومن ذلك ما يبرز به أمرُ صاحب الديوان مشافهةً فيكتبه من غير شاهد عنده ، وذلك في الأمور التي لا دركَ فيها على الكاتب ، كتقاليد الثواب وبعض المكاتبات ، إذ لا تُهمّة تلحقُ كاتبَ الإنشاء في مثل ولاية نائب كبير أو قاضٍ حَفِيل : لأن مثل ذلك لا يخفى على السلطان ، فأشبهه خطابُ صاحب الديوان فيها الكاتبُ خطابَ السلطان صاحب الديوان حيث لا شاهدَ عليه إلا الله تعالى ، بخلاف الأمور التي يلحقُ كاتبها الدركُ ، فإنه لا بُدَّ في كتابتها من تخليدٍ شاهدٍ . وكان الواجب أن لا يكتبَ حَقِيرٌ ولا جليلٌ إلا بشاهدٍ من صاحب الديوان ، فإن الأمور تترام وتكثرُ ، والإنسانُ معرضٌ للنسيان ، وربما عرضَ إنكارٌ بسببِ ما يكتبه الكاتبُ ونسيه صاحبُ الديوان فيكون الكاتبُ قد عرضَ نفسه لأمرٍ عظيمٍ . ولا يُقاسُ الكاتبُ على صاحب الديوان في عدم أخذه شاهداً بخط السلطان ، فإن صاحب الديوان هو المتصرف حقيقةً ، والسلطانُ وكلُّ جميع أمور المملكة إليه ، فلا يُتهم في شيء منها ، بخلاف الكاتب .

وقد ذكر أبو الفضل الصوري في "تذكرته" أن المكتوبَ من الديوان إن كان مكتوبةً فالواجب أن يكون عنوانها بخط متولّي الديوان ، وإن كان منشوراً فالواجب أن يكون التاريخُ بخطه ليُدلَّ على أنه وقَفَ على المكتوب وأمضى حكمه ورَضِيه ، ويكون ذلك قد قام مقام كتابة أسمه فيه . ثم قال : وقد كان الرّسمُ بالعراق - وفيه الكتابُ الأفاضل - أن يكتبَ الكتابُ ما يكتبون ثم يقولون في آخره : « وكتب فلانُ بن فلان » بأسم متولّي ديوان الرسائل . وما ذكره عن أهل العراق قد ذكر نحوه أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" إلا أنه قد جعل بدلَ أسم متولّي الديوان أسم الوزير [فقال] ويكتب في آخر الكتاب « وكتب فلانُ بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه . وقد رأيتُ نسخاً عدّة من سِجِّلات الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية

مستشهداً فيها باسم الوزير على النهج المذكور . على أنه كان الواجب أن يكون
الاستشهاد في آخر كل كتاب باسم كاتبه الذى يكتبه ليعلم من كتبه ، فإن الخطوط
كثيرة التشابه ، لاسيما وقد كثُر كُتَاب الإنشاء فى زماننا وخرجوا عن الحد ، حتى إنه
لم يعرف بعضهم بعضاً فضلاً عن أن يعرف خطه . وقد كان كُتَاب النبى صلى الله
عليه وسلم إذا سَجَّلُوا عنه سَجْلاً أو نحوه كتب الكاتب فى آخره «وكتب فلان
ابن فلان» . وهذه الرقعة التى كتبها النبى صلى الله عليه وسلم لتيم الدارى بإقطاع
قُرَى من قُرَى الشام موجودة بأيدى التميميين إلى الآن مستشهداً فيها بخط أمير المؤمنين
على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وإنما عدلوا عن اسم الكاتب نفسه إلى اسم
متولى الديوان أو الوزير استصغاراً للكاتب أن يستشهد للكاتب باسمه فيما يكتب به
عن الخليفة . قال أبو هلال العسكري فى كتابه «الأوائل» : وقد قالوا إن أول
من كتب فى آخر الكتاب «وكتب فلان بن فلان» أبى بن كعب رضى الله عنه .

الصنف الثانى

(ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء : كالأمر التى يكتب بها من
الدواوين السلطانية غير ديوان الإنشاء وتلتمس الكتب من
ديوان الإنشاء على مقتضاها ، كالمكاتبات الخاصة بتعلقات
شئ من الدواوين المذكورة ، وبعض التواقيع
التي أصلها من ديوان الوزارة)

ويختصر ذلك فى أربعة دواوين :

الديوان الأول - ديوان الوزارة : وهو أعظمها خطراً ، وأجلها قدراً .

وقد جرت العادة أنه إذا دعت الضرورة إلى كتابة كُتَابٍ من ديوان الإنشاء يتعلّق بديوان الوزارة أن تُكتبَ به قائمةٌ من ديوان الوزارة في ورقة ديوانية بما مثاله : « رُسِمَ بالأمر الشريف - شرفه الله تعالى وعظمه - أن يُكتبَ مثلاً شريف إلى فلانٍ الفلاني بكذا وكذا » . وكيفية وضع هذه القائمة أن يكون السطر الأول في رأس الورقة من الوجه الأول منها، وآخره « شرفه الله تعالى وعظمه » وبينه وبين السطر الثاني قدرُ أصبعين معترّضين بياضاً، وباقي السطور مسترسلةً متقاربةً بقلم الرِّقَاعْ ؛ ويكتبُ الوزير في البياض الذي بين السطر الأول والثاني بقلم الثلث ماثله : « يُكتب » . ويوجّه بالقائمة إلى ديوان الإنشاء صحبةً مديرٍ من ديوان الوزارة أو غيره، فيكتبُ على حاشيتها يُكتبُ بذلك، ويُعيّنها على بعض كُتَابِ الإنشاء فيكتب مثلاً بما فيها، ويخلّد القائمة عنده شاهداً له ؛ وربما خلّدت بديوان الإنشاء في جملة ما يخلّد في الأضابير شاهداً لديوان الإنشاء، والأول هو الأليق .

وإن كان الذي يُكتب من ديوان الوزارة توقيعاً باطلاً أو نحوه مما أصله من ديوان الوزارة، كتب الوزير على حاشية قصة صاحبه ماثله « يكتب بذلك، أو يوقع بذلك » وتُبعت إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب ديوان الإنشاء بالتعيين . ثم إن كان التوقيع مُلصقاً بقصة فذاك ، وإلا خلّد الكاتبُ القصة شاهداً عنده على ذلك ؛ وربما كُتب بالإطلاقات من ديوان الوزارة مُربعاتٌ بخط مُستوفي الصُّحبة .

الديوان الثاني - ديوان الخاّص :

وهو في كتابة الأمثلة الشريفة على مامرة من كتابة القائمة ليخرج المثال على نظيرها، على ما تقدّم في ديوان الوزارة . فتكتب القائمة على الحُكم المتقدم من غير فرق،

ويكتب ناظرُ الخاص عليها نظيرَ كتابة الوزير السابقة، ويوجه بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها بالتعيين كما تقدم، ويخلد الكاتبُ القائمةَ عنده شاهداً له، أو يُخلدُ بديوان الإنشاء على ما تقدم في ديوان الوزارة. ولا يُكتب من ديوان الخاصّ توابعُ بإطلاقات ونحوها بل تُكتبُ بها مراسيمُ مرّبة في ورقٍ شامئ بخط مباشرٍ ديوان الخاصّ .

الديوان الثالث - ديوان الإستدّارية :

وحكمه في ذلك حكم ديوان الخاصّ من غير فرق ، ويكتب الإستدّار عليها كما يكتب الوزير وناظرُ الخاص ، ويبعث بها إلى ديوان الإنشاء ، فيجرى الحكم فيها على ما تقدم في الديوانين المذكورين .

الديوان الرابع - ديوان الجيش :

والذي يرد إلى ديوان الإنشاء منه ابتداءً هي المربعات التي تُكتب بالإقطاعات لتخرج المناشيرُ على نظيرها .

وصورتها أن يُكتب في نصف فرخة مكسورة في القَطْع البلديّ بعد البسملة الشريفة مأمثاله « المرسوم بالأمر العالي ، المولويّ ، السلطانيّ ، المملكيّ ، الفلانيّ ، الفلانيّ ، أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه ، أو أعلاه الله تعالى وأسماءه ، وشرفه وأمضاه ، أن يُقَطَّع باسم فلانٍ الفلانيّ - أحدِ الأمراء المقدمين ، أو الطبلخانات ، أو العشرات ، أو الخمسات - بالمكان الفلانيّ ، أو أحدِ الممالك السلطانية ، أو مقدمي الحلقة ، أو أجنادِ الحلقة ، بالمكان الفلانيّ المرسوم استقرّاره في أمراء العشرات ، أو الطبلخانات ، أو المقدمين ، أو نحو ذلك - وأرسم له به الآن من الإقطاع » .

فإن كان أميراً قيل بعد ذلك : « لخاصته ولمن يستخدمه من الأجناد الجياد للخدمة الشريفة ، والبرك التام ، والعدة الكاملة ، بمقتضى المثال الشريف ، أو الخطّ

العالى الكافلي؛ أو بمقتضى الإشهاد المشمول بالخطّ الشريف، أو الخط الكافلي على نظير ما تقدم» أو «بمقتضى المربعة المكتتة من الملكة الفلانية المشمولة بالخط الشريف» إن كان أصله مربعة من بعض المالك وما أشبه ذلك . فإن كان أميرا ذُكرت عِدته على ما سيأتى فى الكلام على المناشير فى المقالة الخامسة . ثم يقال : «حَسَب الأمر الشريف» ويكمل التاريخ «والحمد لله ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» ويُبعث بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب الديوان بالتعيين على بعض كُتّاب الإنشاء ، فيكتبها ويخلد المربعة شاهدا عنده .

الضرب الثانى

(ما يتعلق بالكُتُب فى المظالم ، والنظر فيه من وجهين)

الوجه الأول

(فيما يتعلّق بالقِصَص)

وهى تُرفع إلى ولاة الأمور بحكاية صورة الحال المتعلق بتلك الحاجة ، وُسِّيت قصصا على سبيل المجاز، من حيث إن القصة أسم للحكى فى الورقة لالنفس الورقة . وربما سُمِّيت فى الزمن القديم رقاعاً لصغر حجمها ، أخذاً من الرقعة فى الثوب .

ثم الذى يجب فى هذه القِصَص الإيجاز والاختصار مع تبليغ الغرض المطلوب والقرب من فهم المخاطب ، فإنها متى كانت خارجة عن الحد فى الطول ، أدت إلى الإبحار والسّامة المنفرّين للرؤساء . وربما كان فى ذلك حرمان الطالب ودفعه عن حاجته : إما للإعراض عنها استئقلا ، وإما لعدم فهم المقصود منها طولها واختلاط بعض مقاصدها ببعض . وأما كونها مبلّغة للغرض المطلوب وفهم المخاطب ،

فلانها إذا كانت بصدد الاختصار المجحف والتعقيد، نبأ عنها فهم الرئيس ومجها سمعه :
فإما أن يعرض عنها فيؤت على صاحبها المطلوب، وإما أن يسأل غيره عن معناها
فيكون سبباً لتزله عن عز الرئاسة إلى ذل السؤال، وكلاهما غير مستحسن .

وقد جرت العادة في مثل ذلك أن يخلى من أول الورقة قليلا ، ويجعل لها هامش
بحسب عرضها ، ويتبدأ فيها بالبسملة ثم يكتب تحت أول البسملة : « المملوك
فلان يقبل الأرض ، وينهى كذا وكذا » إلى آخر إنشائه : ثم يقال : « وسؤاله كذا
وكذا » فإن كان السؤال للسلطان قال : « وسؤاله من الصدقات الشريفة كذا وكذا »
وإن كان السؤال لغير السلطان قال : « وسؤاله من الصدقات العيمة كذا وكذا » .
ثم إن كان المسؤل كتابا : فإن كان عن السلطان قال : وسؤاله مثال شريف بكذا
وكذا ، وإن كان عن غير السلطان قال : « مثال كريم بكذا وكذا » ثم يقول إن شاء
الله تعالى ، ويحمد الله تعالى ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويحسب . وربما
كتب « المملوك فلان » بحاشية القصة ، خارجا عن سمت البسملة . وربما أبدل
لفظ المملوك بلفظ الفقير إلى الله تعالى . ويقال حينئذ بدل « يقبل الأرض »
« يتيسر إلى الله تعالى بالأدعية الصالحة » أو « يواصل بالأدعية الصالحة »
ونحو ذلك .

وقد جرت العادة في كتابة القصص أن صاحبها إن كان أميرا ونحوه كتب تحت
البسملة « الملكي الفلاني » بلقب سلطانه ، مخليا بياضا من جانبيها . على أنه قد
تصدى لكتابة القصص من لا يفرق بين حسنها وقبيحها ، ولا ينظر في دلائها ،
ولا يراعى مدلولها . وذلك كسنة الزمان في أكثر أحواله .

قلت : وقد جرت عادة أكثر الناس في القصص أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة القصة يقطع قليلا من زاويتها اليمنى من الجهة السفلى، مستندين في ذلك إلى كراهة التربع .

(١)

ومن غريب ما يُحكى في ذلك أن بعض الوزراء قال يوما يجلس
وأنا وليت الوزارة رابع ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربعمائة - فقال له بعض جلسائه : إن تفاعلت أنت به فقد تطيرنا نحن به . ولا شك أن مستندهم في ذلك التشاؤم بالتربع في القرآن التجمي، ولا يعول عليه . وقد ورد أن حوض النبي صلى الله عليه وسلم في القيامة زواياه على التربع ، ولولا أن التربع أحسن الأشكال لما وُضع عليه حوض النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثاني

(فيما يتعلق بالنظر في المظالم ، وما يكتب على القصص ،

وما ينشأ عنها من المساءلات وغيرها)

وهو أمر مهم، به يقع إنصاف المظلوم من الظالم ، وخلاص الحق من المبطل، ونصرة الضعيف على القوى، وإقامة قوانين العدل في المملكة . وقد نبه أبو الفضل الصوري في "تذكرته" على جلالة هذا القدر وخطره، ثم قال : ومن المعلوم أن أكثر المتظلمين يصلون من أطراف المملكة ونواحيها ، وفيهم الحرم والمقطعات

والأيتام والصَّعَالِك ، وكلُّ من يَفِدُ منهم معتقداً أنه يصير إلى مَنْ ينصره ويَكْشِفُ ظُلَامَتَهُ وَيُعِدِّهِ عَلَى خَصْمِهِ . فيجب أن يُتَلَقَّى كُلُّ مَنْهُم بِالترَّحُّابِ وَاللُّطْفِ ، وَيُنْدَبَ لَهُمْ مَنْ يَحْفَظُ رِقَاعَهُمْ وَيَنْتَجِزُ التَّوْقِيعَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ التَّمَّاسِ رَشْوَةً وَلَا فَائِدَةٍ مِنْهُمْ ، وَأَنْ تَكُونَ التَّوْقِيعَاتُ لَهُمْ شَافِيَةً فِي مَعَانِيهَا ، مُسْتَوِعَةً لِكَشْفِ ظُلَامَاتِهِمْ ، مُؤَذِّنَةً بِإِنجَاحِ طَلِبَاتِهِمْ .

قال أبو هلال العسكري : في كتابه ” الأوائل ” : كان المهديُّ يَخْلِسُ لِلظَّالِمِ وَتَدْخُلُ الْقِصَصُ إِلَيْهِ ، فَارْتَشَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ بِتَقْدِيمِ بَعْضِهَا ، فَاتَّخَذَ بَيْنَهُ شُبَّانُ حديدٌ عَلَى الطَّرِيقِ تُطْرَحُ فِيهِ الْقِصَصُ ، وَكَانَ يَدْخُلُهُ وَحده فَيَأْخُذُ مَا يَقَعُ بِيَدِهِ مِنَ الْقِصَصِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا فَيَنْظُرُ فِيهِ لِمَا يَقْدُمُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضِ .

قال : وقدم عليه رجل فتظلم فأنصفه فاستخفَّه الفرج حتى غشي عليه ، فلما أفاق قال : ما حسبت أني أعيش حتى أرى هذا العدل فلما رأيته داخلني من السرور مازال معه عَقْلِي - فقال له المهدي : كان الواجب أن تُنْصِفَكَ فِي بَلَدِكَ ، وَكَانَ قَدْ صَرَفَ فِي نَفَقَةِ طَرِيقِهِ عَشْرِينَ دِينَارًا فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا وَتَحَلَّلَ مِنْهُ .

قال أبو الفضل الصُّورِيُّ : ومهما كان من الرِّقَاعِ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَرْضِ عَلَى السُّلْطَانِ ، عَرْضُهُ عَلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ السَّفَارَةِ وَالتَّلَطُّفِ فِيهِ ، وَوَقَعَ بِمَا يُؤْمَرُ بِهِ ، فَقَدْ تَحَدَّثَ فِي هَذِهِ الرِّقَاعِ الْأُمُورَ الْمَهْمَةَ الَّتِي تَنْفَعُ بِهَا الدَّوْلَةُ ، وَتَسْتَضِرُّ بِتَأْخِيرِ النَّظَرِ فِيهَا ، وَيَفْهَمُ مِنْ طَيِّ هَذِهِ الرِّقَاعِ مَنْ جَوَّرَ بَعْضَ الْوَلَاةِ وَالْمُسْتَخْدِمِينَ مَا تُوجِبُ السِّيَاسَةُ صَرْفَهُمْ عَمَّا وَلَّوْهُ مِنْهَا . ومهما كان منها مِمَّا يَشْكُ السُّلْطَانُ فِي صِحَّتِهِ ، نَدَبَ مَنْ يَثِقُ بِهِ لِلْكَشْفِ مَعَ رَافِعِهِ ، فَإِنْ صَحَّ قَوْلُهُ أَنْصِفْ مِنْ خَصْمِهِ ، وَإِنْ بَانَ تَحْمُلُهُ قُوِيلَ بِمَا

يَرَدُّعُ أمثاله عن الكَذِبِ والتمرُّدِ؛ ويعلم الوَلَاةُ والمشارِفُونَ وسائرُ المستخْدَمِينَ أن السلطانَ متفرِّغٌ للنظرِ في قِصَصِ الناسِ وشكاوِيهِمْ ، وقد نصبَ لذلكَ من يتفرَّغُله ويطلعه بالمُهَمِّ منه فيُكفِّ أيديهم عن الظلم ، ويحذرونُ سُوءَ عاقبة فعلهم ، ويَقِلُّ المتظلمونَ قولاً واحداً ، وتحسُنُ سُمْعَةُ الدولة بذلك فيكونُ لها به الجمالُ الكبير .

قلت : والذي يُرَفَّعُ من القِصَصِ في معنى ذلك في زماننا على ستة أنواع .

النوع الأول

منها

(ما يرفع إلى السلطان في آحاد الأيام)

وقد جرت العادةُ فيه أن يُقرأَ على السلطان : فما أمضاه منه كُتِبَ على ظهر القِصَّةِ ما مثاله « يَكْتَبُ » ثم تحمل إلى كاتب السر فيعيِّنُها على بعض كُتَّاب الإنشاء ، فيكُتِبُ بمقتضاها ويخلِّدها عنده شاهداً له .

النوع الثاني

(ما يُرَفَّعُ لصاحب ديوان الإنشاء)

وقد جرت العادةُ في ذلك أن رافع القِصَّةِ والمحتاج إلى الأمثلة الشريفة السلطانية في مُهِمَّاته ومتعلقاته إن كان من الأعيان والمعتبرين كأحد من الأمراء أو المماليك السلطانية وأكابر أرباب الأقلام ، بَعَثَ بقِصَّتِهِ لـديوان الإنشاء ، فيقف عليها صاحبُ ديوان الإنشاء ويتأمَّلُها وينظر ما تَضَمَّنَتْه ، فإن كان مما يُحتاج فيه إلى مخاطبة السلطان ومُؤامَرَتِهِ ، أخذها ليقراها عليه عند حُضُوره بين يديه ، ويمثِّلَ

ما يأمر به فيها ، فيكتب بمقتضاها ، سواء طابق سؤال السائل أم لا ، ويعينها على كاتب من كُتَّاب الإنشاء ، فيكتب بمقتضاها ويخلد القصة شاهداً عنده . وهذه المثالات ورقها من ديوان الإنشاء من المرتب السلطاني . وإن كان رافع القصة من غير المعتبرين كأحد الناس ، دفع القصة إلى مدير من مدراء ديوان الإنشاء فيجعل عليها علامة له ، ويجمع كل مدير مامعه من القصص ، وترفع إلى صاحب ديوان الإنشاء ، فما كان منها غير سائغ للكتابة عليه قطعه أو رده ؛ وما كان منها سائغاً كتب عليه وعينه . وربما استشكل بعضها فأخبره ليقراه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه فيعتمده . وإذا عينها على كاتب من كُتَّاب الإنشاء كتب بمقتضاها وخلد القصة عنده شاهداً .

النوع الثالث

(ما يُرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان للحكم في المواكب)

وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ترتب مجلس السلطان على ماتقدم في ترتيب المملكة أن القصص تُفترق على كاتب السر ومن حضر من كُتَّاب الدست ، فيقرأ كاتب السر منها ما عن له قراءته ؛ ثم يقرأ الذي يليه من كُتَّاب الدست ، ثم الذي يليه إلى آخرهم ؛ ويشير السلطان برأسه أو يده بإمضاء ما شاء منها ؛ فيكتب كاتب السر أو كاتب الدست على تلك القصة بما فيه خلاص قلمه ، ثم تُحل إلى ديوان الإنشاء فيعينها على من يشاء من كُتَّاب الإنشاء فيكتبها ، ويخلد تلك القصص عنده شاهداً .

النوع الرابع

(ما يُرْفَعُ مِنْهَا لِلنَّائِبِ الْكَافِلِ ، إِذَا كَانَ تَمَّ نَائِبٌ)

وقد جرتِ العادةُ أن النائب يكونُ عنده كاتبٌ من كُتَّاب الدَّسْتِ يجلسُ بين يديه لقراءة القصصِ عليه ، وتنفيذ ما يُكْتَبُ عنه . فإذا رُفِعَت القصةُ إلى النائب الكافل قرأها عليه كاتبُ الدَّسْتِ وأمثل أمره فيها ، وأصلح في القصة ما يجب إصلاحه ، وضرب على ما يجب الضربُ عليه ، وزاد بين سطوره ما تقتضيه الزيادة ؛ ثم تُدْفَعُ القصةُ إلى النائب الكافل ، فيكُتَبُ على حاشيتها في الوسطِ آخذاً من جهة أسفلها إلى جهةٍ أعلاها بقسَمٍ مختصر الطومار مأمثاله «يُكْتَبُ» ثم تحملُ بعد ذلك إلى كاتب السرفيعينها على بعض كُتَّاب الإنشاء فيكتبها .

النوع الخامس

(ما يُرْفَعُ مِنَ الْقِصَصِ إِلَى الْأَتَاكِ ، إِذَا كَانَ فِي الدَّوْلَةِ)

أَتَاكِ عَسْكَر : وهو الأمير الكبير)

وغالب ما يكون ذلك إذا كان السلطان طفلاً أو نحو ذلك . وقد جرتِ العادةُ أن يكون عند الأتاك كاتبٌ من كُتَّاب الدَّسْتِ أيضاً ، فإذا رُفِعَت القصةُ إلى الأتاك : فإن كان الأمرُ فيها واضحاً بخلاص حقٍّ أو نحوه ، كتب كاتبُ الدَّسْتِ على حاشيتها ما تقتضيه الحال في ذلك من غير قراءتها على الأتاك . وإن كان الأمرُ فيها غير واضح كما إذا كان الأمرُ راجعاً إلى مُنَازَعَةٍ خَصْمَيْنِ ونحو ذلك ، قرأها على الأتاك وأمثل أمره فيها ، وكتب عليها ما برز به مرسومه . وفي كلتا الحالتين جرتِ العادةُ في زماننا [أنه يعتمد] إلى أشهر حريف في أسم الأتاك فيرقه في آخر ما يكتبه أو تحته ؛ كما كان يُكْتَبُ عن برقوق قبل السلطنة (ق) وعن إيتمش (ش) وعن نوروز (ن) ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُرْفَعُ منها للدَّوَادارِ لُتَعْلَقَ عنه الرسالةُ عن السلطان به)

وأعلم أن العادة كانت جاريةً في الزمن المتقدم أن السلطان إذا أمر بكتابة شيء على لسان أحد من الدَّوَادارية ، حملَ بريدٌ من البريدية الرسالةَ لذلك عن ذلك الدَّوَادارِ إلى كاتب السرِّ فيسمعُ كلامَ البريدِ ويكتبُ على القصَّة إن كانت أو ورقةً مفردةً مأمثاله : « حضرت رسالةً على لسان فلان البريدِ بكذا وكذا » ويعينه على من يكتبه من كُتَّاب الإنشاء . ولم يزل الأمرُ على ذلك إلى الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » فأورد المقرُّ الشَّهابيُّ بن فضل الله صاحبُ ديوان الإنشاء كاتبًا من كُتَّاب الإنشاء لتعليق الرسالة ؛ فصار يكتب ما كان كاتب السرِّ يكتبه من ذلك على القصص أو الورقة المفردة ثم تُرْفَعُ إلى كاتب السرِّ فيكتب عليها بالأمر بكتابتها ؛ ويعينه على من يكتب بمقتضاها ، وتُحْلَدُ القصَّة أو الورقة التي علقت فيها الرسالةُ عنده شاهداً له . وآسَمَتِ ذلك إلى مباشرة القاضي فتح الدين بن شاس أحد كُتَّاب الدست عند الدَّوَادارِ ؛ والدَّوَادارُ يومئذ الأميرُ يونس النُّورُوزي ، فأذن له كاتب السرِّ في تعليق الرسالة عن الأميرِ يونس الدَّوَادارِ على ظهور القصص وغيرها ففعل . وكان يكتبُ على حواشي القصص في وَسَطِ القصَّة أخذًا من جهة اليمين إلى جهة اليسار بمِثْلَةِ إلى الأعلى بقلمٍ دقيقٍ متلاصقٍ الأسطر مأمثاله : « رُسم برسالة الجناب العالي الأميري الكبير الشرفي يونس الدَّوَادار الظاهري - ضاعف الله تعالى نعمته - أن يكتب مثلاً شريف بكذا أو توقيع شريف بكذا » وما أشبه ذلك ، ويؤرخه بيوم الكتابة ، ثم تحمل إلى كاتب السرِّ فيكتب عليها بالأمر بالكتابة ، ويعينه

على كاتبٍ من كُتَّاب الإنشاء، فيكتب بمقتضاها ويخلدها شاهداً عنده . وجرى الأمرُ على ذلك بعده إلى آخر وقتٍ .

قلت : وقد كان في الدولة الفاطمية كاتبٌ مفرد لتعليق الرسالة عن الخليفة، يسمّى صاحبَ القلم الدقيق، يعلّق ما تبرز به أوامر الخليفة في الرّقاع وحواشي القصص، وتحمل إلى ديوان الوزارة، فيعتمدُها الوزيرُ، ويبرز أمره إلى ديوان الإنشاء باعتمادها وكتابة ما فيها، على ما تقدّم ذكره في ترتيب الخلافة الفاطمية بالديار المصرية في المقالة الثانية .

الفصل الثاني

(في التعيين وكيفية كتابة ديوان الإنشاء على الرّقاع)

والقصص، وتعيينها على كُتَّاب الإنشاء)

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال الكاتب المعين عليه وحال الرقعة المعينة . فأما اختلافه باختلاف حال من يعين عليه . فإنه إن كان المعين عليه كاتباً من كُتَّاب الدّست، كتب له كاتبُ السرّ في التعيين : « المولى ، القاضي ، فلان الدين ، أعزّه الله تعالى » وربما رفع قدره على ذلك فيكتب له : « المولى ، الأخ ، القاضي ، فلان الدين ، أعزّه الله تعالى » . وإن كان من كُتَّاب الدّرج : فإن كان كبيراً كتب له : « المولى فلان الدين » . وإن كان صغيراً ، كتب له : « الولد فلان الدين » وربما وقع التمييز لبعض كُتَّاب الدّست أو كُتَّاب الدّرج للتقدم بالفضل فكتب له : « المولى ، الشيخ فلان الدين » أو « الشيخ فلان الدين » تارة مع الدعاء وتارة دونه .



واما اختلافه باختلاف حال المكتوب الذى يعين ، فإنه إن كان قصّة بظاهرها
خط السلطان «يُكتب» فوضع كتابة التعيين تحت خط السلطان بظاهر القصّة ،
ولا كتابة له عليها غير ذلك .

وإن كان رُفعةً جميعها بخط كاتب السرّ ، فإنه يكتب فيها «يكتب بكذا وكذا»
ثم يكتب التعيين بأول ذيلها .

وإن كان قصّة رفعت إلى كاتب السرّ ، فإنه يكتب على حاشيتها في أعاليها
أخذاً من جهة أسفل القصّة إلى أعلاها ما مثاله : «يُكتب بذلك» أو «يكتب
بكذا وكذا» ثم يُكتب التعيين بحاشيتها أسفل ذلك في عرض الحاشية مُميلاً للكتابة
إلى جهة الأعلى قليلاً .

وإن كان قصّة عليها خطّ النائب الكافل ، فإنه يكتب عليها بالتعيين ليس إلا ،
وموضع التعيين فيها بحاشية القصّة أسفل خط النائب .

وإن كان قصّة قد كتب بهامشها مرسوم الأتابك أو علّق بحاشيتها رسالة
الدّوادار، كُتب في جهة أعلى القصّة : «يكتب بذلك» وعلى القُرب منه التعيين .
وإنما يُكتب هنا في جهة أعلى القصّة وفيما عليه خطّ النائب الكافل في جهة أسفلها
لأن التعليق الذى على الهامش فيما علّق عن مرسوم الأتابك أو رسالة الدّوادار بخط
كاتب الدّست الذى في خدمته ، بخلاف ما عليه خطّ النائب بنفسه .

وإن كان الذى يقع فيه التعيين قائمةً من ديوان الوزارة ، أو ديوان الخاصّ
أو ديوان الإستدار، كتب بهامش القائمة من أعلاها مقابل كتابة المتحدّث على ذلك
الديوان ما مثاله : «يُكتب بذلك» ثم يكتب التعيين تحته على القُرب منه .

وإن كان الذى يَقَع فيه التعمين مَرَبَّعةً إقطاع من ديوان الجيش، كَتَبَ بالتعيين فى آخرها مقابلَ التاريخ من الجهة اليمنى، ولا كتابة له عليها غير ذلك .

قلت : وقد جرت عادةُ كُتَّاب السِّرِّ فى زماننا أنه يُكْتَب على الفِصص ونحوها، "يُكْتَب بذلك" أو "يُكْتَب بكذا وكذا" على ما تقدّم بيانه بغير لام فى أوّله . وكذلك الوزير وناظر الخاص والإستدار يكتبون بغير لام فى الأوّل . أما القُضاة فى الإذن بكتابة المحاضر ونحو ذلك فإنهم يكتبون "لِيُكْتَب" بأبواب اللام فى أوّله ، وهذه اللام تسمى لام الأمر . وقد صرح الإمام أبو جعفر النحاس فى "صناعة الكُتَّاب" أنه لا يجوز حذفها . وعلى ذلك ورد لفظُ القرآن الكريم كما فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوُّوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ . وقوله : ﴿ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِنَ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴾ ونحو ذلك . وحكى جمال الدين ابن هشام فى المغنى [جواز حذفها فى الشعر كقوله :

فَلَا تَسْتَطِلْ مِنِّي بَقَائِي وَمُدَّتِي * وَلَكِنْ يَكُنْ لِلْخَيْرِ مِنكَ نَصِيبُ !

وقوله :

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ * إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَّالًا !]^(٢)

الطَّرَفُ الثَّانِي^(٢)

(فى كتابة المُلَخَّصات والإجابة عنها من الدواوين السلطانية)

قد تقدّم فى الكلام على ما ينظر فيه صاحب الديوان أنه لما كان صاحب ديوان الإنشاء يَضِيقُ زَمَنُهُ عن أستيعاب حال الكُتُب الواردة من المملكة لوُفورها وأتساع

(١) بيض فى الأصول لهذه الجملة ، وقد نقلناها من المغنى (ج ١ ص ٣٢٢) والشاعر يتأطّب ابنه لما تمّ موته .

(٢) لم يتقدّم له تقسيم بالأطراف فى هذا الباب ولم يذكر الأوّل حتى يكون هذا ثانياً له نعم قال فى عنوان الباب انه يتكلّم فيه على كتابة المُلَخَّصات فهو مما وعد به وجل من لا يدعوه .

الدولة وكثرة المكاتيبين ، ناسب أن يتخذ كاتباً يتصفح الكتب الواردة ويتأملها ، ويلخص مقاصدها ؛ قال أبو الفضل الصوري في "تذكرته" : والرسم في ذلك أن الكاتب الذى يُقيمه صاحب الديوان يتسلم الكتب الواردة ويُخرج معانيها على ظهورها ، ملخصاً الألفاظ الكثيرة في اللفظ القليل ، غير محلّ بشيء من المعنى ولا محزفٍ له ، مُسقطاً فضول القول وحشوه ، كالدعاء والتصدير والألفاظ المترددة .

قال : ويُخرج أيضاً ما يخصّ بديوان الخراج ، من الأمور التى تردّ ضمن الكتب فى معنى الخراج فى أوراق يُعين فيها الكتب التى وصلت فيها وتاريخها والجهة التى وردت منها ، وينصّها على هيئتها ، ويوجهها إلى ديوان الخراج ، فيجاب عنها منه ، ويستدعى من متولّى ديوان الخراج الجواب عنها ؛ ثم يُعرض جميع ذلك على الملك ، ويستخرج أمره بإمضاء المكتبة به أو بغيره . فإن كان بخط مخالف للعربى : كالرومى والفرنجى والأرمينى وغيرها ، أحضر من يعرف ذلك الخطّ من يوثق به لترجمه فى ظهره ، فإن كان ذلك المترجم يُحسن الخطّ العربى ، كتب بخطه فى ظهر الكتاب ما مثاله « يقول فلان : إني حضرتُ إلى ديوان الإنشاء وتسلمتُ الرقعة أو الكتاب الذى هذا الخطّ بظاهره ، وسئلتُ عن تفسيره فذكرتُ أنه كذا وكذا » ويسرّده إلى آخره « وبذلك أشهدتُ على نفسى » ويشهد عليه شاهدان : « هذا الذى ذكره بلا زيادة ولا نقص » .

وإن كان الكتاب مشحوناً بالكلام بطناً وظهراً ، نقله بخطه بالقلم الذى هو مكتوب به ، وترجمه على ظاهره بخطه بالعربى . وإن لم يحسن الكتابة بالعربى ، كتب عنه الكاتب بمحضر من الشاهدين وأشهد عليه ليهاب أو يُحجّم فيما يقول ، أو يغيره أو ينقصه لأن أكثر من يترجم على مذهب صاحب الخط ، فربما كتم عنه أوداجه فيه . فإذا خوّف بالإشهاد عليه وخشى أن غيره قد يقرؤه على غير الوجه

الذى أشهد به على نفسه ربما أدى الأمانة فيه . فإذا لُحِصَتِ المكتبة بظاهرها ،
سُلِّمَت إلى متولَّى الديوان ليقابل ظاهرها بباطنها : فإن وجده أخلَّ فيها بشيء ،
أضافه بخطه وأنكر عليه إهماله ليتنبَّه في المستقبل . فإن لم يكن فيها خلل عرضه
على الملك وأعتمد أمره فيه ، وكتب تحت كل فصل منها ما يجب أن يكون جوابا
عنه على أحسن الوجوه وأفضلها ؛ ثم يسلمها إلى مَنْ يكتب الجواب عنها ممن يعرف
أصْطِلَاعه بذلك ؛ ثم يقابل الجواب بالتخريج وما وُقِعَ به تحتَه : فإن وجد فيها خلا
سده ، أو مُهْمَلًا ذَكَرَه ، أو سَمَوا أصلحه . وإن رآها قد كُتِبَت على أفضل الوجوه
وأسدّها ، لم يفوت فيها معنى ولم يزد إلا لفظا يُتِمُّق به كتابه ويُؤكِّد به قوله ، عرضها
على الملك حينئذ ليُعْلَم ؛ ثم استدعى مَنْ يتولَّى الإلصاق فالصقها بحضرته ، وجعل
على كلٍّ منها بطاقةً يُشِير فيها إلى مضمونها : لئلا يُسأل عن ذلك بعد إلصاقها
فلا يَعْلَم ما هو ؛ ثم يسلمها إلى مَنْ يتولَّى تنفيذها إلى حيث أهلت له ؛ وتسلم النسخ
المُخَصَّصة إلى مَنْ يُؤَهِّلُه لحفظها وترتيبها .

قلت : قد تبيّن بما تقدّم من كلام أبي الفضل الصوريّ [ما كان عليه الحال
في زمنه] والذي عليه حال الديوان في زماننا فيما يتعلق بذلك أن الكُتُبَ الواردة
إلى الأبواب السلطانية من أهل المملكة وغيرها من سائر الممالك يتلقّاها أكبر
الدوادرية : وهو مقدّم ألف على ما تقدّم ذكره في الكلام على ترتيب الديار المصرية ؛
ويحضّر القاصد المُحْضَر للكتاب من بریدی أو غيره ، ثم يناوله للسلطان فيفُضُّ ختامه ،
وكتب السرّ جالس بين يديه ، فيدفعه السلطان إليه ، فيقرؤه عليه ويستضحّجه معه
إلى الديوان : فإن كان الكتاب عربيا دفعه كاتب السرّ إلى نائبه أو من يُخَصُّه
بذلك ليُلَخِّص معناه : فيُنِعم النظر فيه ، ويستوفى فصوله ، ويلخّص مقاصدها ،

(١) في الاصول ثم عرضها ولكن زيادة ثم في الكلام تنقصه والظاهر أنها زيادة من فلم النسخ تأمل .

ويكتب لكل ديوان من الدواوين التي يرفع إليها متعلق ذلك الكتاب ملخصاً بالفصول المتعلقة به في ورقة مفردة، ليجاوب عليها متولى ذلك الديوان بما رُسم له من الجواب عنها .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي تُكْتَبُ لَهُ الْمُلَخَّصَاتُ فِي زَمَانِنَا مِنَ الدَّوَاوِينِ السُّلْطَانِيَّةِ خَمْسَةٌ دَوَاوِينَ . وَهِيَ : دِيَاوُنُ الْإِنْشَاءِ ، وَدِيَاوُنُ الْوِزَارَةِ ، وَدِيَاوُنُ الْجَيْشِ ، وَدِيَاوُنُ الْخَاصِّ ، وَدِيَاوُنُ الْإِسْتَدَارِيَّةِ : وَهُوَ الدِّيَاوَانُ الْمَفْرَدُ .

وَالطَّرِيقُ إِلَى كِتَابَةِ الْمُلَخَّصَاتِ أَنْ يَحْذِفَ مَا فِي صَدْرِ الْكُتُبِ مِنَ الْحَشْوِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي كَلَامِ أَبِي الْفَضْلِ الصُّورِيِّ ، ثُمَّ يَعْمِدَ إِلَى مَقَاصِدِ الْكِتَابِ فَيَسْتَوْفِي فُصُولَهُ وَيَتَصَوَّرُهَا بِذَهْنِهِ ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي مُتَعَلِّقَاتِ تِلْكَ الْفُصُولِ ، وَيَكْتُبُ لِكُلِّ دِيَاوَانٍ مِنَ الدَّوَاوِينِ الْمُتَقَدِّمَةِ مَلْخَصًا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْفُصُولِ فِي فَصْلٍ وَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرَ ، بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ قَلَّةُ الْكَلَامِ وَكَثْرَتُهُ .

وَكَيْفِيَّةُ كِتَابَتِهِ أَنْ يَتْرَكَ مِنْ رَأْسِ الْوَصْلِ قَدْرَ ثَلَاثَةِ أَصَابِعٍ بَيَاضًا ، ثُمَّ قَدْرَ إِصْبَعَيْنِ بَيَاضًا عَنْ يَمِينِهِ ، وَقَدْرَ إِصْبَعَيْنِ بَيَاضًا عَنْ يَسَارِهِ ، وَيَكْتُبُ فِي صَدْرِهِ مَا مِثَالُهُ : « ذَكَرَ فُلَانٌ فِي مَكَاتِبَتِهِ الْوَارِدَةِ عَلَى يَدِ فُلَانٍ الْمُوَرَّخَةِ بِكَذَا وَكَذَا » يَمُدُّ لَفْظَ « ذَكَرَ » بَيْنَ جَانِبِي الْوَصْلِ ، وَيَكْتُبُ بَاقِيَ الْكَلَامِ تَحْتَهَا مِنْ أَوَّلِ الْوَصْلِ إِلَى آخِرِهِ فِي الْعَرَضِ مِنْ غَيْرِ خُلُوعِ بَيَاضٍ « أَنَّهُ آتَفَقَ مِنَ الْأَمْرِ مَا هُوَ كَذَا وَكَذَا » أَوْ « أَنَّهُ سَأَلَ فِي كَذَا وَكَذَا » . ثُمَّ يَخْلِي بَيَاضًا قَدْرَ أَرْبَعَةِ أَصَابِعٍ مِثْلًا وَيَكْتُبُ فِي وَسْطِ الدَّرَجِ بِخُلُقِ بَيَاضٍ مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، « وَذَكَرَ » عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ ، ثُمَّ يَكْتُبُ بَاقِيَ الْكَلَامِ مِنْ أَوَّلِ الْوَصْلِ إِلَى آخِرِهِ ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُلِّ فَصْلٍ فِي الْكُتُبِ يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ الدِّيَاوَانِ الْمُخْتَصِّ بِذَلِكَ الْمُلَخَّصِ ، وَيَكْتُبُ فِي آخِرِ كُلِّ فَصْلٍ « وَقَدْ عُرِضَ عَلَى الْمَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ » وَ« مَهْمَا بَرَزَتْ بِهِ الْمَرَاسِيمُ الشَّرِيفَةُ كَانَ الْعَمَلُ بِمَقْتَضَاهُ » وَنَحْوَ ذَلِكَ .

ثم إن كان الملخص لديوان الإنشاء، كُتِبَ بأعلى الوصل من ظاهره من الجانب الأيسر منه مأمثاله «ديوان الإنشاء». وإن كان لديوان الجيـش كتب هناك مأمثاله «ديوان الجيـش». وكذا ديوان الخاص وسائر الدواوين المتقدمة الذكر. فإذا كُتِبَ الملخصات، وقف عليها كاتب السر: فما كان منها متعلقاً بديوان الإنشاء عرضه على السلطان وأستمطر جوابه عنه، فيكتب مقابله في الملخص «يُكْتَبَ بذلك» أو «يكتب بكذا وكذا» أو «رُسم بذلك» أو «رُسم بكذا وكذا». وما كان منها متعلقاً بديوان الوزارة بعث به إلى الوزير؛ وما كان منها متعلقاً بديوان الجيـش بعث به إلى ناظر الجيـش؛ وما كان منها متعلقاً بديوان الخاص بعث به إلى ناظر الخاص: ليقرا كل منهم ملخصه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه، فما كان كُتِبَ به بجانب الفصل الذي كُتِبَ به في الملخص «أُمِضَ ذلك» أو «لم يمض» أو «رسم بكذا وكذا» ونحو ذلك: وسائر الدواوين على هذا النمط.

وإن كان الكتاب غير عربي: فإن كان بالتركية المغلية ونحوها كالكتاب الواردة عن بعض القانات من ملوك الشرق، فإنه يتولى ترجمتها من يؤثق به من أخصاء الدولة: من الأمراء أو الخاصيكة ونحوهم، ممن يعرف ذلك اللسان؛ ثم يقرأ ترجمته على السلطان، ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به. وإن كان بالرومية أو الفرنجية ونحوهما من اللغات المختلفة، تُرجم على نحو ما تقدم، وتكتب ملخصه وقرئ على السلطان وأُلتمس جوابه؛ وكتب كاتب السر على الملخص بما رُسم فيه.

الباب الرابع

من المقالة الثالثة

(في الفَوَاتِحِ وَالْخَوَاتِمِ وَاللَّوَاخِقِ ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في الفَوَاتِحِ ، وفيه ستة أطراف)

الطَّرْفُ الْأَوَّلُ

(في البسملة ، وفيه ثلاث جُمَل)

الجملة الأولى

(في أصل الافتتاح بها)

كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كُتُبها « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » والسبب في كتابتهم ذلك ما ذكره المسعودي في « مروج الذهب » عن جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف : كابن دأب ، والهيثم بن عدي ، وأبي مخنف لوط بن يحيى ، ومحمد بن السائب الكلبي : أن أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيَّ خرج إلى الشام في نفر من ثَقِيفٍ وقُرَيْشٍ في غير لهم ، فلما قفلوا راجعين [نزلوا منزلاً واجتمعوا لعشائهم ، إذ] أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم فخصبها بعضهم بحجر في وجهها فرجمت ، فشدوا سفرتهم ، ثم قاموا فشدوا على إيلهم وارتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا من المنزل ، أشرفت

(١) في الاصول وغيرهم ، وهو تصحيف والتصحيح عن المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ .

(٢) الزيادة عن مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ لينضج الكلام .

(١)
عليهم عجوزٌ من كَثِيبٍ رملٍ متوَكِّئَةٌ على عَصَا، فقالت : مامَنَعَكُم أن تُطْعِمُوا رَحِيبَةَ
اليَتِيمَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي بَاتَتْ لَطْعَامَكُمْ عَلِيلَةً؟ قالوا : وما أنتِ؟ قالت أمُّ العوامِ، أَرَمَلْتُ
مُنْذُ أَعْوامٍ ، أما ورَبَّ العبادِ ، اُتَفَرَّقَنَّ في البِلادِ ! ثم ضَرَبَتْ بعصاها الأرضَ
وأثارت بها الرَّمْلَ ، وقالت : أَطِيلِي لِإِياهُمْ ، وفَرِّقِي رِكاِبَهُمْ ! فوثبتَ الإِبِلُ كَأَنَّ عَلَى
ذِرْوَةِ كُلِّ مِنْهَا شَيْطَانًا ، ما يَمْلِكُونَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى أَفْتَرَقَتْ في الوادِي ، بَجَمْعِها
من آخرِ النَّهارِ إلى غُدْوَةٍ ، فلما أَنَاخُوا الرِّواحِلَ طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الْعَجُوزُ وفَعَلَتْ
كَمَا فَعَلَتْ أَوَّلًا وعادتْ لِمَقَالِها الأَوَّلِ ، فخرَجَتِ الإِبِلُ كما خَرَجَتْ في اليَوْمِ الأَوَّلِ ،
بَجَمْعِها من غَدٍ . فلما أَنَاخُوها لِيَرَحُلُوها ، فَعَلَتِ الْعَجُوزُ مِثْلَ فِعْلِها في اليَوْمِ الأَوَّلِ
والثَّانِي فَفَرَّتِ الإِبِلُ ، وَأَمْسَوْا في لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ وَيُسُورٍ مِنْ ظُهُورِهِمْ ، فَقَالُوا لِأُمِّيَّةَ
ابنِ أَبِي الصَّلْتِ : أَيْنَ ما كُنْتَ تُخْبِرُنَا بِهِ عَنْ نَفْسِكَ وَعِلْمِكَ ؟ [فقال : أَذْهَبُوا أَتَمُّ
فِي طَلَبِ الإِبِلِ وَدَعُونِي] . فتوجَّهَ إلى الكَثِيبِ الَّذِي كَانَتْ تَأْتِي مِنْهُ الْعَجُوزُ حَتَّى هَبَطَ
مِنْ نَبِيئَتِهِ الأُخْرَى ، ثُمَّ صَعِدَ كَثِيبًا آخَرَ حَتَّى هَبَطَ مِنْهُ ، ثُمَّ رُفِعَتْ لَهُ كَنِيسَةٌ فِيها قَنادِيلُ
وَرَجُلٌ مَعْتَرِضٌ مَضْطَجِعٌ عَلَى بَإِها ، وَإِذا رَجُلٌ جالِسٌ أبيضُ الرِّاسِ واللَّحْيَةِ ،
قال أُمِّيَّةَ : فَلَمَّا وَقَفْتُ قال لي : [إِنَّكَ لَمَتَّبِعُوعَ ، قُلْتُ أَجَلْ ، قال فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ
صاحبُكَ ؟ قلت : مِنْ أَذْنِي اليُسْرَى . قال : فبأيِّ الثَّيابِ يَأْمُرُكَ ؟ قلت : بالسَّوَادِ .
قال : هَذَا خَطِيبُ الحَنِّ ، كَدَّتْ وَاللهُ أَنْ تُكُونَهُ وَلَمْ تَفْعَلْ . إِنْ صاحِبَ النُّبُوَّةِ
يَأْتِيهِ صاحِبُهُ مِنْ قَبْلِ أَذْنِهِ اليمْنَى ، فَيَأْمُرُهُ بِلِبَاسِ البَيَاضِ ، فَمَا حاجَتُكَ ؟ فحَدَّثَتْهُ
حَدِيثَ الْعَجُوزِ . فقال : هِيَ أَمْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ هَلَكَ زَوْجُها مِنْذُ أَعْوامٍ ، وإِنها لَنْ تَرَالَ

(١) في المسعودي ج ١ ص ٣٣ "رحيمة البخارية اليَتِيمَةِ" وفي الاغانى "رحيمة" بالميم .

(٢) الزيادة عن الأغانى .

(٣) الزيادة عن المسعودي ج ١ ص ٣٤ ، وهو على هذا النحو في الاغانى .

تَفْعَلُ بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى تُهْلِكَكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعَتْ - قَالَ أُمَيَّةٌ : قُلْتُ فَمَا الْحِيلَةُ ؟ - قَالَ :
 أَجْمَعُوا ظَهْرَكُمْ فَإِذَا جَاءَتْكُمْ وَفَعَلَتْ مَا كَانَتْ تَفْعَلُ ، فَقُولُوا سَبْعًا مِنْ فَوْقُ وَسَبْعًا مِنْ
 أَسْفَلُ ” بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ “ ، فَإِنِهَا لَنْ تَضُرَّكُمْ . فَرَجَعَ أُمَيَّةٌ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قِيلَ لَهُ
 وَجَاءَتْهُمْ الْعِجُوزُ فَفَعَلَتْ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ فَقَالُوا سَبْعًا مِنْ فَوْقُ وَسَبْعًا مِنْ أَسْفَلُ بِاسْمِكَ
 اللَّهُمَّ فَلَمْ تَضُرَّهُمْ . فَلَمَّا رَأَتْ الْإِبِلَ لَا تَتَحَرَّكُ ، قَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ صَاحِبَكُمْ ،
 لِيُبَيِّضَنَّ اللَّهُ أَعْلَاهُ وَلِيَسْوَدَّنَّ أَسْفَلَهُ . وَسَارُوا فَلَمَّا أُدْرِكُهُم الصُّبْحُ ، نَظَرُوا إِلَى أُمَيَّةَ
 قَدْ بَرَصَ فِي غُرَّتِهِ وَرَقَبَتِهِ وَصَدْرِهِ وَأَسْوَدَّ أَسْفَلَهُ . فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ ذَكَرُوا هَذَا
 الْحَدِيثَ ، فَكَتَبَتْ قُرَيْشٌ فِي أَوَّلِ كُتُبِهَا ” بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ “ فَكَانَ أَوَّلَ مَا كَتَبَهَا أَهْلُ
 مَكَّةَ وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ .

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : ولم تزل الكتب تُفتَحُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ حَتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ
 تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فَاسْتَفْتَحَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَارَتْ سُنَّةً بَعْدَهُ . وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ ،
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْتُبُ كَمَا تَكْتُبُ قُرَيْشٌ ” بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ “
 حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ ﴿ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَمْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ . فَكَتَبَ بِاسْمِ اللَّهِ ،
 حَتَّى نَزَلَ ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ . فَكَتَبَ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ » حَتَّى نَزَلَ
 ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فَكَتَبَ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .
 وَذَكَرَ فِي ” مَوَادِّ الْبَيَانِ “ نَحْوَهُ .

وعن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْتُبَ شَيْئًا حَتَّى يَكْتُبَ
 « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » . وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَكْتُبَ

(١) فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ ج ١ ص ٣٤ ” عَذَابِيهِ “ وَكَذَلِكَ فِي الْأَغَانِي .

كُتِبَ أَوْ غَيْرِهِ حَتَّى يَبْدَأَ بِ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» . وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَا يَصْلُحُ كِتَابٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَوَّلُهُ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

وهذه الأحاديث والآثار كلها ظاهرة في استحباب الابتداء بالبسملة فيما يُكْتَبُ به من أصناف المكاتبات والولايات وغيرها ؛ وعلى ذلك مصطلح كُتِبَ الإنشاء في القديم والحديث ، إلا أنهم قد اصطَلَحُوا على حذفها من أوائل التواقيع والمراسيم الصغار ، كالتى على ظهور القصاص ونحوها ؛ وكأنهم أخذوا ذلك من مفهوم ما رواه أبو داود وابن ماجه في سنتهما وأبو عوانة الأسفرايينى في مُسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ» يعنى ناقص البركة ، وما يُكْتَبُ في التواقيع والمراسيم الصغار ليس من الأمور المهمة فناسب ترك البسملة في أولها . لكن قد ذكر محمد بن عمر المدائنى في كتاب «القلم والدواة» أن أهل العلم كرهوا حذف البسملة من التواقيع والسراحات وذمموه . وقد كان القاضي علاء الدين الكركى كاتب السر في الدولة الظاهرية «برقوق» في أول سلطته الثانية أمر بأن يُكْتَبَ في أولها بسملة بقلم دقيق ، ثم بطل ذلك بعد موته وبقى الأمر على ما كان عليه أولا . ثم قد اختلف في كتابتها أمام الشعر : فذهب سعيد بن المسيب والزهرى إلى منع ذلك ، وذهب سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي إلى جوازه . ويروى مثله عن ابن عباس رضى الله عنه . قال أبو جعفر النحاس في «صناعة الكتاب» : «ورأيت على بن سليمان يميل إليه . قال محمد بن عمر المدائنى : ولا بأس إن يكن بين الشعر وبينها كلام ، مثل أنشدنى فلان الفلانى وشبه ذلك ، فأما أن يصله بها فلا يجوز .

(١) في الاصول أن يكون ولكن ياباه المعنى وبقية الكلام تأمل .

الجملة الثانية

(في الحث على تحسينها في الكتابة وما يجب من ترتيبها في الوضع)

أما الحث على تحسينها في الكتابة، فينبغي للكاتب أن يُبالغ في تحسينها في الكتابة ما استطاع تعظيماً لله تعالى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَتَبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ خَسَنَهُ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ » . وعن واصل مولى أبي عيينة قال : سمعتُ حمّادا يقول : كانوا يُجَبُّونَ أن يُحَسِّنَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .



وأما ما يجب من ترتيبها ، فأقول ما يجب من ذلك إطالة الباء لتدلّ على الألف المحذوفة منها لكثرة الاستعمال ، ثم إثبات السين بألسانها الثلاث ، غير مُرسِلٍ لها إرسالا كما يفعله بعضُ الكُتّاب فقد كره ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزيد بن ثابت والحسن وأبن سيرين ، حتى يروى أن عمر رضي الله عنه ضرب كاتباً على حذف السين منها - ف قيل له : فيم ضربك عمر ؟ - فقال : في سين ، بجرى مثلاً . ويروى أن غلاماً لعمر بن عبد العزيز كتب إليه من مصر كتاباً ولم يجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سينا ، فكتب إليه عمر يأمره بالقدوم عليه ، فلما قدم قال : أجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سينا وأنصرف إلى مصر . وكذلك لا يمدّ الباء قبل السين ثم يكتب السين بعد المدة ، كما يفعله بعضُ كُتّاب المغاربة فقد روى محمد ابن عمر المدائني من حديث شعيب بن [أبي] الأشعث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إِذَا كُتِبَ أَحَدُكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَلَا يَمُدُّهَا قَبْلَ السَّيْنِ . يَعْنِي الْبَاءَ " وعن ليث عن مجاهد يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . ويروى مثله عن ابن عمر ، وابن سيرين . وعن عبد العزيز بن عبد الله وعبد الله بن دينار وغيرهما

أن العلماء كانوا يَكْرَهُونَ ذلك وَيَنْهَوْنَ عنه أَشَدَّ النَّهْيِ حَتَّى رُويَ عن الضَّحَّاكِ
 ابنِ مزاحمٍ أَنه قال : وَدِدْتُ أَنِّي لَوْ رَأَيْتُ الْأَيْدِيَ تَقْطَعُ فِيهِ . نَعَمْ يَسْتَحَبُّ الْمَدِينِ
 السَّيْنِ وَالْمِيمِ كَمَا هُوَ عَادَةُ كُتَّابِ الْمِصْرِيِّينَ وَأَهْلِ الْمَشْرِقِ . وَكَذَلِكَ اسْتَحْسَنُوا مَدَّ الْحَاءِ
 مِنَ الرَّحْمَنِ قَبْلَ الْمِيمِ وَقَالُوا : إِنَّهُ مِنْ حُسْنِ الْبَيَانِ ، حَتَّى يَرَوْنَ أَنَّ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ
 كَتَبَ إِلَى عَمَلِهِ إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَلْيَمُدِّ الرَّحْمَنَ . وَهَذَا مِمَّا
 يَتَعَاطَاهُ كُتَّابُ الْمَغْرِبِ دُونَ كُتَّابِ مِصْرَ وَأَهْلِ الْمَشْرِقِ . أَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ
 التَّحْسِينِ فَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْخَطِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الجملة الثالثة

(في بيان موضعها من المكتوب ، ويتعلَّق به أمران)

الأمر الأول

(تَقَدُّمُهَا فِي الْكِتَابَةِ)

فِيَجِبُ تَقْدِيمُهَا فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ الْمَقْصُودِ : مِنْ مَكَاتِبَةٍ أَوْ وِلَايَةٍ أَوْ مَنْشُورٍ إِقْطَاعِ
 أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، تَبَرُّكًا بِالْأَبْتِدَاءِ بِهَا وَتَيَمُّنًا بِذِكْرِهَا ، عَمَلًا بِالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الْجُمْلَةِ
 الْأُولَى . عَلَى أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ بَلْقَيْسَ حِينَ أُلْقِيَ إِلَيْهَا
 كِتَابُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ : فَذَهَبَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ
 ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ مِنْ كَلَامِ بَلْقَيْسَ ، وَإِنَّمَا حَكَتِ الْكِتَابَ بِقَوْلِهَا : وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

(١) قد مضى الكلام على الخط في أوائل الجزء الثالث من هذا الكتاب وبين هناك أوضاع البسطة وكيفية

كتابتها أوضح بيان فاعل ما هنا سهو عما فات .

الرحمن الرحيم إلى آخر الآية، فيكون ابتداء الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، ويكون ذلك احتجاجاً على وجوب تقديمها. وذهب آخرون إلى أن قوله ((إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ)) بداية كتاب سليمان، فيكون سليمان عليه السلام قد بدأ في كتابه باسمه. فإن قيل كيف ساغ على ذلك تقديم اسمه على اسم الله تعالى في الذكر مع أن الأنبياء عليهم السلام أشد الناس أدباً مع الله تعالى؟ فالجواب ما قيل: إنه كان عادة ملوك الكُفر أنه إذا ورد عليهم كتاب بما يكرهون ربما مزقوا أعلاه أو تفلقوا فيه، فجعل سليمان عليه السلام اسمه تقيّةً لاسم الله تعالى فذكره أولاً. ومن هنا اصطلاح الكتاب في الكتب الصادرة عن ملوك الإسلام إلى ملوك الكُفر بكتابة القاب الملك المكتوب عنه في وصل فوق البسملة، تأسياً بسليمان عليه السلام.

أما ما يكتب في طرة الولايات من العهود والتقايد وغيرها، فإنه في الحقيقة جزء من المكتوب، فلا يوصف بأنه شيء مقدّم على البسملة. وأما الطغرة التي كانت توضع في مناشير الإقطاعات في وصل بين وصل الطرة والبسملة فيها ألقاب السلطان على ما سيأتي في الكلام على كتابة المناشير في موضعه إن شاء الله تعالى، فإنها كتابة أجنبية مكتوبة بخط غير الكاتب فلم تُنسب في الحقيقة إلى التقديم. على أن ذلك قد بطل في زماننا. وهاتان المسئلتان المتعلقتان بالطغرة المكتوبة في المناشير ومكاتب أهل الكفر مما سأل عنه الشيخ جمال الدين بن نباتة في رسالته التي كتبها إلى كتاب ديوان الإنشاء بالشام، في مباشرة الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، حين بلغه أن بعضهم وقع فيه.

الأمر الثاني

(إفرادها في الكتابة)

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب "الْقَلَمَ والدواة" : ينبغي للكاُتِب أن يُفرد البسملة في سطر وحدها ، تجيلاً لآسم الله تعالى وإعظماً وتوقيراً له ؛ ثم ساق بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "نهى أن يُكْتَبَ في سَطْرِ بسم الله الرحمن الرحيم غَيْرُهَا" . وعلى هذه الطريقة جرى كُتَاب الإنشاء في مكاتبتهم وسائر ما يصدر عنهم . أما النُّسَاخ وكُتَاب الوثائق فربما كُتِبوا بعدها في سطرها « الحمد لله » أو « الصَّلَاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم » ونحو ذلك . وكذلك يُكْتَبُ القضاة « الحمد لله » في علامات الثبوت في المكاتيب الشرعية .

الطرف الثاني

(في الحمدلة)

لما كان الحمد مطلوباً في أوائل الأمور طلباً للتيمن والتبرك ، عملاً بما رواه الراوون لحديث البسملة المتقدم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْدَمُ» أَصْطَلَحَ الْكُتَّاب على الابتداء به في الكثير مما يكتبونه من المكاتبات والولايات وغيرها مما له شأن وبالأل : كمكاتبات أكثر الملوك من قانات الشرق ، وكل ما تضمن نعمة من المكاتبات ونحو ذلك ، وكالبيعات والعهود والتقاليد على رأي من يرى افتتاحها بالخطب ، وغير ذلك مما يأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى . بل ربما كُتِبَ الحمد المرات المتعددة إلى السبع في الخطبة الواحدة ، على ما سيأتي ذكره في موضعه

إن شاء الله تعالى . وأتوا بالحمد لله بعد البسملة تأسيًا بكتاب الله تعالى ، من حيث إن البسملة آية من الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه ، أو فاتحة لها - وإن لم تكن منها - كما هو مذهب غيره . أما سائر المكتبات والولايات المفتحة بغير الحمد ، فإنما حذف منها الحمد استصغارا لشأنها ، إذ كان الابتداء بالحمد إنما يكون في أمر له بال كما دل عليه الحديث المتقدم ، وسيأتي الكلام على كل شيء من ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . قال في "الصناعين" : وإنما أفتتح الكلام بالحمد لأن النفوس تتشوق للثناء على الله تعالى ، والافتتاح بما تتشوق النفوس إليه مطلوب . وربما أتى الكتاب بالحمد بعد البعديّة : « فكتبوا » أما بعد حمد الله ، أو « أما بعد فالحمد لله » فأما الصيغة الأولى فالحمد مقدم فيها معنى وإن لم يذكر لفظا لأن قوله أما بعد حمد الله يقتضى تقدّم حمد الله ، وأما الصيغة الثانية فإنها تقتضى تقدّم شيء على الحمد ، ولا شك أنّ المقدم هنا هو البسملة على ماسياتي في الكلام على أما بعد فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم قد يستعمل الحمد بصيغة الفعل كقولهم في المكتبات : فإني أحمّد إليك الله . وقد اختلف في أيّ الصيغتين أبلغ : صيغة الحمد لله ، أو صيغة أحمّد الله : فذهب المحققون إلى أنّ صيغة الحمد لله أبلغ : لما فيها من معنى الاستغراق والثبوت والاستمرار على ما هو مقرر في علم المعاني . وذهب ذاهبون إلى أن صيغة أحمّد الله أبلغ : لأن القائل الحمد لله حالك لكون الحمد لله ، بخلاف القائل أحمّد الله فإنه حامد بنفسه ، ولذلك يُرتى بالتحميد ثانيا في الخطب بصيغة الفعل .

وله في الاستعمال ثلاث صيغ :

الصيغة الأولى — «يَحْمَدُهُ أمير المؤمنين» فيما إذا كان ذلك صادراً عن الخليفة في مكتوبة أو غيرها .

الصيغة الثانية — «نَحْمَدُهُ» إما بنون الجمع الحقيقية كما إذا كان ذلك صادراً عن
 (١) مثل أن يُقَوَّى بذلك في بيعة خليفة أو نحوها، أو بنون الجمع للتعظيم كما إذا كان ذلك صادراً عن السلطان نحو ما يقع في خطب التقاليد والتواقيع في زماننا .

الصيغة الثالثة — «أَحْمَدُهُ» بلفظ الإفراد ، كما إذا كان ذلك صادراً عن واحد فقط حيث لا تعظيم له .

الطرف الثالث

(في التشهد في الخطب)

قد جرت عادة المتأخرين بالإتيان بالتشهد بعد التمجيد في الخطب ويكون تابعاً لصيغة التمجيد : فإن كان قد قيل يَحْمَدُهُ أمير المؤمنين ، قيل بعده : وَيَشْهَدُ ؛ وإن كان قد قيل نَحْمَدُهُ ، قيل بعده : وَلْيَشْهَدُ ؛ وإن كان بُعداً عما بعد حمد الله ، قيل والشهادة له بالجزء عطفًا على حَمْد . على أن الخطب الموجودة في مكاتبات المتقدمين لا تشهد فيها . ومستند المتأخرين في ذلك ما رواه أبو داود والترمذي وصححه البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشْهَدُ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ» .

الطـرف الرابع

(في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله

وصحبه في أوائل الكتب)

لا نزاع في أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة في الجملة ، وناهيك في ذلك قوله تعالى في مُحْكَم التزيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ والأحاديث الواردة في الحث على ذلك أكثر من أن تُحْصَرَ ، فناسب أن تكون في أوائل الكتب ، تيمناً وتبرُّكاً . وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أن المعنى ما ذُكِرْتُ إلا وذُكِرْتَ معي . فإذا أُتِيَ بالحمد في أول كتاب ، ناسب أن يُؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أوله ، إتياناً بذكره بعد ذكر الله تعالى . وقد روى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الصَّلَاةُ جَارِيَةً لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ ” . قال الشيخ عماد الدين في تفسيره : إلا أنه ضعيف ، ضعفه المحدثون . قال محمد بن عمر المدائني في ” كتاب القلم والدواة ” : وقد رأينا بعض الكتب لا يرى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب ، فباءوا بأعظم الوزر مع ما فاتهم من الثواب .

وأما السلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة ، فقد قال الشيخ محي الدين النووي في كتابه ” الأذكار ” : وإذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما فلا يقال صلى الله عليه فقط ، ولا عليه

السلام فقط . قال الشيخ عماد الدين بن كثير : وهذا منتزع من قوله تعالى :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ الآية .

وأما الصلاة على الآل والصحب بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد
 نقل الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره الإجماع على جواز الصلاة على غير الأنبياء
 عليهم السلام بطريق التبعية ، مثل أن يقال : اللهم صل على سيدنا محمداً وعلى آله
 وصحبه وأزواجه وذريته ونحو ذلك . ثم قال : وعلى هذا يخرج ما يكتبونه من قولهم :
 وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه فلا نزاع فيه ، وإنما الخلاف في جواز إفراد
 غير الأنبياء عليهم السلام بالصلاة : فأجازه قوم محتجين بنحو قوله تعالى :
 ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم : ” اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى “ . ومنعه
 آخرون احتجاجاً بأن الصلاة صارت شعاراً للأنبياء عليهم السلام فلا يلحق بهم
 غيرهم ، فلا يقال : أبو بكر صلى الله عليه وسلم وإن كان المعنى صحيحاً ، كما لا يقال :
 محمد عز وجل ، وإن كان عزيزاً جليلاً .

ثم الصحيح من مذهب الشافعي رضي الله عنه أن ذلك لا يجوز في غير التبعية .
 وحكى النووي في ” الأذكار “ فيه قولاً بأنه كراهةٌ تحریم ، وقولاً بأنه كراهةٌ تنزيه ،
 وقولاً بأنه خلاف الأولى ، ورجح كونه كراهةً تنزيه ، لأنه شعار أهل البدع .

وأما السلام على غير الأنبياء ، فحكى النووي عن أبي محمد الجويني منعه في الغائب
 من حيٍّ وميتٍّ وأنه لا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال : على عليه السلام ، بخلاف
 الحاضر فإنه مخاطب به .

إذا علمت ذلك فالصلاة وتوابعها في أوائل المكتب قد تكون بعد التحميد في الخطبة
 كما في الولايات [والمكاتبات] المفتحة بالخطب من البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض

والتواقيع والمراسيم وغيرها، وكما في الكتب المفتحة بالخطب . وقد تكون في صدور المكاتبات المفتحة بغير الخطب ، كما كان يكتب في القديم في صدور المكاتبات « وأسأله أن يصلي على عهد عبده ورسوله » وهو مما أحدثه الرشيد في المكاتبات . قال في « ذخيرة الكتاب » : وكان ذلك من أجل مناقبه . وكان الخلفاء الفاطميون بمصر يقولون عن لسان الخليفة : ويسأله أن يصلي على جدّه محمد ، ويخصون الصلاة بعده بأمر المؤمنين على رضى الله عنه على طريقة الشيعة .

الطرف الخامس

(في السلام في أول الكتب)

إنما جعل السلام في ابتداء الكتب وصدورها لأنه تحية الإسلام المطلوبة لتأليف القلوب ، فكما أنه يفتتح به الكلام طلباً للتأليف كذلك تفتتح به المكاتبات وتصدر طلباً للتأليف ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ! أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » . قال في « الصناعتين » : وتقول في أول كتابك : « سلام عليك » وفي آخره « والسلام عليك » والمعنى فيه أن الأول نكرة إذ لم يتقدم له ذكر والثاني معرفة يشار به إلى السلام الأول على حد قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَرَعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ فاتى في الأول بتكثير الرسول وفي الثاني بتعريفه . وكذلك قال تعالى في سورة مريم في قصة يحيى عليه السلام : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ لعدم تقدم ذكر السلام ، ثم قال بعد ذلك في قصة عيسى عليه السلام : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ وإلى ذلك يشير أحمد بن يوسف بقوله : اكتب في أول كتابك

سلام عليك وأَجْعَلُهُ تَحِيَّةً ، وفي آخره « والسلام عليك » وأَجْعَلُهُ وَدَاعًا . وذلك أن سلام التحية يكون ابتداءً فيكون نكوةً ، وسلام الوداع يكون انتهاءً فيكون معرفةً لرجوعه إلى الأول . وقد كره بعض العلماء أن يقال في الابتداء : عليك السلام ، احتجاجاً بما روى عن أبي مُكَيْمٍ الأَسَدِيِّ أنه قال « أُتِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْشَدْتُهُ :

يَقُولُ أَبُو مُكَيْمٍ صَادِقًا : * عَلَيْكَ السَّلَامُ أَبَا الْقَاسِمِ !

فقال : يَا أَبَا مُكَيْمٍ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى . وجعل ابن حَاجِبِ النُّعْمَانِ من ذلك قول عَبْدِ بْنِ الطَّيِّبِ :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْحَمَهَا

قال ابن حَاجِبِ النُّعْمَانِ : وَيَكْتَبُ السَّلَامُ بِاسْقَاطِ الْأَلْفِ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ وَتَحْجُزُهُ . قال أبو جعفر النحاس : وقولهم في أول الكتاب سلامٌ عليك ، بالرفع ويجوز فيه النصب والاختيارُ الرفع وإن كان النجاة قد قالوا : إِنَّ مَا كَانَ مُشْتَقًّا مِنْ فِعْلِ فَلَا اخْتِيَارَ فِيهِ النَّصْبُ نَحْوَ قَوْلِكَ سَقِيًّا لَكَ : لِأَنَّ مَعْنَى السَّلَامِ فِي الرَّفْعِ أَعْمٌ ، إِذْ لَيْسَ يَرِيدُ أَفْعَلٌ فِعْلًا ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى تَحِيَّةً عَلَيْكَ بِنَصْبِ تَحِيَّةٍ . وَقِيلَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ بِمَعْنَى سَلَامٌ لَكَ . وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى إِتْبَاعِ السَّلَامِ الرَّحْمَةَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْخَوَاتِمِ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطَّرَفُ السَّادِسُ

(في أما بعد)

اعلم أن « أما بعد » تُستعمل في صُذور المكاتبات والولايات وربما استُعملت في ابتدائها . وهي مركبة من لفظين أحدهما أما والثاني بعد . فأما « أما » فحرف شرط و « بعد » ظرف زمان إذا أُفرد بني على الضم ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ ﴾ وأجاز الفراء أما بعداً بالنصب والتنوين ، وأما بعدُ بالرفع والتنوين . وأجاز هشام أما بعد بفتح الدال ومنعه النحاس وقال : إنه غير معروف .

ثم أما تقع في كلام العرب لتوكيد الخبر ، والفاء لازمة لها : لتصل ما بعدها بالحرف الملاصق لما قبلها ، فتقول أما بعد أطلال الله بقاءك ! فإنني قد نظرتُ في الأمر الذي ذكركه . ويجوز أما بعد فاطال الله بقاءك إني نظرتُ في ذلك ، فتثبت الفاء في أطلال وإن كان معترضا لقربه من أما ، ويجوز أما بعد فاطال الله بقاءك فإنني نظرت ، ويجوز أما بعد ثم أطلال الله بقاءك فإنني نظرت حكى ذلك كله النحاس ، ثم قال : وأجودها الأول وهو اختيار النحويين . قال : وأجودُ منه أما بعدُ فإنني نظرت أطلال الله بقاءك . فان أضيفت بعدُ إلى ما بعدها فتحت فتقول أما بعد حمد الله ونحو ذلك . قال في « ذخيرة الكتاب » وإذا كانت بعد البسملة فعناه أما بعد قولنا « بسم الله الرحمن الرحيم » فقد كان كذا وكذا .

وقد اختلف في أول من قال أما بعد : ف قيل داود عليه السلام ، وبه فُسر فصل الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ على أحد الأقوال ، وقيل أول من قالها كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل أول من قالها قُيس بن ساعدة الإيادي . قال سيبويه : ومعناها مهما يكن من شيء .

الفصل الثاني

(في الخَوَاتِمِ وَاللَّوْحِ ، وفيه سبعة أطراف)

الطرف الأول

(في الاستثناء بالمشيئة : بأن يكتب إن شاء الله تعالى ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الحث على كتابة إن شاء الله تعالى)

اعلم أنه يُسْتَحَبُّ للكاتب عند آتِهاء ما يكتبه : من مكتبة أو ولاية أو غيرها أن يكتب " إن شاء الله تعالى " تبركا ورغبة في نجاح مقصد الكتاب ، فقد ورد الحث على التعليق بمشيئة الله تعالى والنَّدْبُ إليه ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ . وذهب قوما [على ترك الاستثناء] ^(١) فقال : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْحُنَّ مِنْهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَنْوُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ إلى آخر القصة . قال أصحاب السير : كان باليمن رجل له جنة يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي ، وكان يترك للمسكين ما أخطأ المنجل من الزرع أو القطف من العنب والنخل وما بقي على البساط الذي يسط تحت النخلة ، فلمّا مات تبع بنوه على المسكين بما كان يتركه أبوهم وحلفوا على قطعها في الغلس كيلا يدرّكهم الفقراء ، فأصابها نار في الليل فاحترقت وأصبحت كالصريم يعني الليل المظلم . قال المفسرون : والمراد بقوله : ﴿ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴾ أنهم لم يقولوا إن شاء الله تعالى . قال الزمخشري :

وُسَمِيَ استثناءً وإن كان بمعنى الشرط لأنه يؤدي مؤدًى الاستثناء من حيث إن معنى قولك لأُخرجَنَّ إن شاء الله ولا أُخرج إلا أن يشاء الله واحد .


وَأَعْلَمُ أَنَّ الاستثناء لا يدخل على ما ض فلا يقال ما فعلت ذلك إن شاء الله ، وإنما يدخل على مستقبل فتقول لا أفعل ذلك إن شاء الله ، على حدّ قوله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ . وكذلك كل ما فيه معنى الاستقبال ، كما قال تعالى حكايةً عن يُوسُفَ عليه السلام : ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ ونحو ذلك .

أما ما ورد من ذلك بلفظ المضى مثل قول القائل لزوجته أنت طالق إن شاء الله فإنه وإن لم يكن مستقبلاً لفظاً ، فإنه مستقبلٌ معنىً ، إذ معناه الإنشاء وإلا لما وقع به الطلاق . إذا علمت ذلك ، فلفظ ”إن شاء الله تعالى“ في آخر المكاتبة أو الولاية ونحوهما يكون معلقاً بآخر المكتوب مما يناسب ذلك ، كتعلقها بالتأييد من قوله والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى ، ونحو ذلك .

الجملة الثانية

(في محل كتابتها وصورة وضعها في الدرج)

لَا تَزَاحُ فِي أَنَّهَا أَوَّلُ خَاتَمَةٍ تُكْتَبُ مِنْ خَوَاتِمِ الْمَكْتُوبِ ، فَحُلَاهَا مِنَ الدَّرَجِ أَسْفَلُ الْمَكْتُوبِ ، فِي وَسْطِ الْوَصْلِ ، مَكْتَتِفَةٌ بَيَاضٍ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّطْرِ الْآخِرِ مِنَ الْمَكْتُوبِ كَمَا بَيْنَ سَطْرَيْنِ أَوْ دُونَهُ .

وقد جرت عادة الكُتَّابِ فِي كِتَابَتِهَا بِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ بِقَلَمِ الرَّقَاعِ كَمَا فِي الْقَطْعِ الصَّغِيرِ ، كَتَبَتْ مَعْلُوقَةً مُسَلَّسَةً عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ  أَوْ مَا قَارِبَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ بِقَلَمِ

جليل كالثلث ونحوه ، كُتِبَتْ واضحة مبينة ، والغالب فيها أن تكونَ على هذه الصورة **ان شاء الله تعالى** قال جمال الدين بن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يُضِيف الكاتبُ إليها شيئاً في سطرها ، بل تكون مفردةً في سطرٍ واحد .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(في التاريخ ، وفيه ثمانُ جمل)

الجملة الأولى

(في معناه)

وقد اختلف في أصل لفظه : فذهب قومٌ إلى أنه عربيٌّ ، وأن معناه نهايةُ الشيء وآخره ، يقال فلانٌ تاريخُ قومه إذا انتهى إليه شرفُهم ، وعليه يدلُّ كلامُ صاحب "موادِّ البيان" وأبنِ حاجب النعمان في "ذخيرة الكُتَّاب" ونقل الشيخ علاء الدين بن الشاطر في "زيجه" عن بعض أهل اللغة أن معناه التأخير فيكون مقلوباً منه . وذهب آخرون إلى أنه فارسيٌّ ، وأن أصله «ماه زور» فعزَّب مورخ ، ثم جعل أسمه التاريخ ، وإليه يرجع كلام السلطان عماد الدين صاحب حماة رحمه الله في تاريخه ، ويقال منه أرختُ وورَّختُ بالهمزة والواو لغتان ، ولذلك قالوا في مصدره تاريخٌ وتورِخٌ ، كما يقال تأكيدٌ وتوكيدٌ . قال في "ذخيرة الكُتَّاب" : أرختُ لغةً قيس ، وورَّختُ لغةً تميم . قال أبو هلال العسكري في كتاب "الأوائل" : ولا تكاد ورَّختُ تستعمل اليوم ، وكأَنَّ الكُتَّاب كانوا قد رفضوا هذه اللغة في زمانه وإلا فهي لغةٌ مستعملةٌ إلى الآن ، إلا أنها لما غلبت في ألسنة العوامِّ

ابْتَدَلْتُ . قال الشيخ « أثير الدين أبو حيان » في شرح التسهيل : والتاريخ هو عدد الليالي والأيام بالنظر إلى ما مضى من السنة أو الشهر وإلى ما تبقى منهما ، قال في ” مواد البيان “ : وهو محقق للخبر ، دالٌّ على قُرب عهد الكتاب وبعده .

الجملة الثانية

(في وجه الاحتياج إليه)

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب ” القلم والدواة “ : أجمعت العلماء والحكماء والأدباء والكتّاب والحُساب على كتابة التاريخ في جميع المكتبات . قال صاحب ” نهاية الأرب “ : ولا غنية عنه ، لأن التاريخ يُستدلُّ به على بُعد مسافة الكتاب وقُرْبها ، وتحقيق الأخبار على ما هي عليه . وقد قال بعض أئمة الحديث : لما استعملوا الكذب استعملنا لهم التاريخ . وقد اصطَلَحَ الكتّاب على أنهم يؤرِّخون المكتبات والولايات ونحوها مما يصدر عن الملوك والثواب والأمرء والوزراء وقضاة القضاة ومن ضاهاهم ، بخلاف المكتبات الصادرة عن آحاد الناس ، فإنه لم تجرِ العادة فيها بكتابة تاريخ .

الجملة الثالثة

(في بيان أصول التواريخ)

قال القُضاعي في ” عيون المعارف في تاريخ الخلائف “ : كانت الأئمة السالفة تُورِّخ بالحوادث العظام وبملك الملوك : فكان التاريخُ بهبوط آدم عليه السلام ، ثم بمبعث نوح ، ثم بالطوفان ، ثم بنار إبراهيم عليه السلام .

ثم تفرق بنو إبراهيم : فأزخ بنو إسحاق بنار إبراهيم إلى يوسف ؛ ومن يوسف إلى مَبْعَثِ موسى عليه السلام ؛ ومن موسى إلى ملك سليمان عليه السلام . ثم بما كان من الكوائن . ومنهم من أترخ بوفاة يعقوب عليه السلام ، ثم بخروج موسى من مصر بنى إسرائيل ، ثم بحراب بيت المقدس .

وأما بنو إسماعيل ، فأزخوا ببناء الكعبة ، ولم يزلوا يؤرّخون بذلك حتى تفرقت بنو معدّ ، وكان كلّمّا خرج قومٌ من تِهامة أترخوا بخروجهم . ثم أترخوا بيوم الفجار ، ثم بعام الفيل .

وكان بنو معدّ بن عدنان يؤرّخون بغلبة جرهم العالقي وإخراجهم إياهم من الحرم . ثم أترخوا بأيام الحروب : كحرب بني وائل ، وحرب البسوس ، وحرب داحيس .

وكانت خمير وكهلان يؤرّخون بملوكهم التّبايع ، وبنار ضرار : وهى نارٌ ظهرت ببعض خراب اليمن ؛ وبسبل العرم ؛ ثم أترخوا بظهور الحبشة على اليمن .

وأما اليونان والروم ، فكانوا يؤرّخون بملك بُحْتَنَصْر ؛ ثم أترخوا بملك دقلطيانوس القبطي .

وأما الفرس فكانوا يؤرّخون بآدم عليه السلام ؛ ثم أترخوا بقتل دارا وظهور الإسكندر عليه ، ثم بملك يزدجرد . والذي ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه في دائرة اتصال التواريخ القديمة بالهجرة عشرون تاريخاً ، ذكر ما بينها وبين الهجرة من السنين ، إلا أنه لم يراع الترتيب في بعضها ، وأهمّل منها تاريخ يزدجرد لوقوعه بعد الهجرة .

وبالحيلة فالتواريخ على قسمين :

القسم الأول

(ما قبل الهجرة ، وقد أوردت منه تسعة عشر تاريخاً)

الأول — من هبوط آدم عليه السلام . وقد اختلف فيما بينه وبين الهجرة
اختلافاً فاحشاً : فمقتضى ما في التوراة اليونانية على اختيار المؤرخين أن بينهما
سنة آلاف سنة ومائتين وست عشرة سنة ، وعلى اختيار المنجمين أن بينهما
خمسة آلاف وسبع مائة وتسع وستين سنة .

ومقتضى ما في التوراة السامرية على اختيار المؤرخين خمسة آلاف ومائة وسبع
وثلاثون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك .

ومقتضى ما في التوراة العبرانية ، على اختيار المؤرخين أن بينهما أربعة آلاف
وسبع مائة وإحدى وأربعين سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص مائتين وتسعاً
وأربعين سنة .

الثاني — من الطوفان . وبينه وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع
وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ، وعلى اختيار المنجمين ثلاثة آلاف وسبع مائة
وخمس وعشرون سنة وثلاثمائة وستة أيام .

الثالث — من تبلل الألسن . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ثلاثة
آلاف وثلاثمائة وأربع وستون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين
وتسعا وأربعين سنة .

(١) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وتسعمائة .

(٢) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وأربع سنين .

الرابع — من مولد إبراهيم عليه السلام . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثماني مائة وثلاث وتسعون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين وتسعا وأربعين سنة .

الخامس — من بناء إبراهيم الكعبة . وبينه وبين الهجرة ألفان وسبع مائة وثلاث^(١) وسبعون سنة .

السادس — من وفاة موسى عليه السلام . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثلاث مائة وثمان وأربعون سنة .

السابع — من عمارة سليمان عليه السلام بيت المقدس . وبينه وبين الهجرة ألف^(٢) وثمان مائة وستون سنة .

الثامن — من ابتداء ملك بختنصر . وبينه وبين الهجرة ألف وثلث مائة وتسع وستون سنة . قال صاحب حماة : بلا خلاف .

التاسع — من تخريب بختنصر بيت المقدس . وبينه وبين الهجرة ألف وثلث مائة ونحسون سنة .

العاشر — من ملك فيلبس أبي الإسكندر . وبينه وبين الهجرة تسعمائة وخمس وأربعون سنة ومائة وسبعة عشر يوماً .

الحادى عشر — من غلبة الإسكندر على ملك فارس وقتل دارة ملك الفرس . وبينه وبين الهجرة تسعمائة^(٣) وأثنان وثلاثون سنة ومائتان وتسعون يوماً .

(١) في المختصر وتسعون .

(٢) في المختصر وقريب سنتين والظاهر أنه تصحيف .

(٣) في المختصر وأربع وثلاثون .

الثاني عشر — من مولد المسيح عليه السلام . وبينه وبين الهجرة ستمائة وإحدى وثلاثون سنة .

الثالث عشر — من ملك أرديالونص ^(١) . وبينه وبين الهجرة خمسمائة وتسع وستون سنة .

الرابع عشر — من ملك أردشير أول ملوك الأكاسرة من الفرس . وبينه وبين الهجرة أربعمائة وأثنان وعشرون سنة .

الخامس عشر — من نحراب بيت المقدس المرة الثانية . وبينه وبين الهجرة ^(٢) ثلثمائة وست وأربعون سنة .

السادس عشر — من ملك دقلطيانوس : آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم على القبط . وبينه وبين الهجرة ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وأحد وعشرون يوما .

السابع عشر — من غلبة أغشطش ملك الروم على قلوبطرا ملكة اليونان ومصر . وبينه وبين الهجرة مائتان وخمسون سنة ومائتان وستة وأربعون يوما . ^(٣)

الثامن عشر — من عام الفيل ، وهو العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم . وبينه وبين الهجرة ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام .

(١) في المختصر أدريانس وبالجملة في المختصر المطبوع لابي الفداء ج ١ ص ١٢٥ مخالفة لما في أصولنا المخطوطة فتنه .

(٢) في مختصر أبي الفداء ج ١ ص ١٢٥ خمسمائة وثمانية وخمسون وكان لمضى أربعين سنة من رفع المسيح .

(٣) في المختصر ستمائة واثنان وخمسون سنة وهو أشبه بالضواب لان غلبة أغشطش على قلوبطرا قبل مولد المسيح بأحدى وعشرين سنة .

التاسع عشر - من مَبِيتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وبينه وبين الهجرة
ثلاث عشرة سنة^(١) وشهران وثمانية أيام .

القسم الثاني

(ما بعد الهجرة)

وفيه تاريخ واحد، وهو من هلاك يَزْدَجَرْدٍ آخرِ ملوك الفُرس . وكان بعد الهجرة
بعشر سنين وثمانية وسبعين يوما .

الجملة الرابعة

(في أصل وضع التاريخ الإسلامي وبنائه على الهجرة دون غيرها)

وقد اختلف في أصل ذلك : فحكى أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" عن محمد بن جرير : أنه روى بسنده إلى ابن شهاب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قَدِمَ المدينة - وقدمها في شهر ربيع الأول - أمرَ بالتاريخ . وعلى هذا فيكون ابتداء التاريخ في عام الهجرة . قال النحاس : والمعروف عند العلماء أن ابتداء التاريخ بالهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ثم اختلف في السبب الموجب لذلك : فذكر النحاس أن السبب فيه أن عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه باليمن قدم عليه فقال : أما تورخون كتبكم؟ فاتخذوا التاريخ . ووافقه على ذلك صاحب "مواد البيان" . وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" أن السبب فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب

(١) في الأصل ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية أيام وهو تحريف والصحيح من مختصر أبي الفداء .

رضى الله عنه : إنه يأتينا من قِبَل أمير المؤمنين كُتِبَ لاندري على أيها نعمل قد قرأنا :
 [كُتِبَ منها] ^(١) محله شعبان ، فاندري في أى الشَّعْبَانَيْنِ الماضى أو الآتى ، فأحدث
 عمر التاريخ . وتبعه على ذلك ابن حبيب النعمان في " ذخيرة الكُتَاب " . وذكر
 صاحبُ حماة في تاريخه : أنه رُفِعَ إلى عمر رضى الله عنه صكُّ محله شعبان فقال :
 أى شعبان ، لاندري الذى نحن فيه أم الذى هو آتٍ ، ثم جمع وجوه الصحابة وقال :
 إنَّ الأموال قد كُثِرَتْ ، وما قَسَمناه منها غير مؤقَّت فكيف التوصل إلى ما يُضبطُ به
 ذلك ؟ - فقالوا : يجب أن نعرف ذلك من أمور الفُرس ، فاستحضر الهرمزان
 وسأله - فقال : إن لنا حساباً يُسميه (مَاهُ زُور) ومعناه حساب الشُّهور والأيام
 فعمل عمر التاريخ .

الجملة الخامسة

(في بيان صورة ابتدائهم وضع التاريخ من الهجرة)

قال في " ذخيرة الكُتَاب " : لما أراد عمر التاريخ ، جمع الناس للمشورة ، فقال
 بعضهم : نُورِّخْ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم - وقال بعضهم : بل بوفاته - وقال
 بعضهم : بل بهجرته من مكة إلى المدينة : لأنها أوَّل ظهور الإسلام وقوته . فصوبه
 عمر واجتمع رأيُه عليه ؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وُلِدَ في عام الفيل المقدَّم
 ذكره في التواريخ القديمة . قال في " ذخيرة الكُتَاب " : وكان وقوع ذلك في اليوم
 الثَّانِي عَشَرَ من شُباط سنة ثمانمائة وأثنتين وثمانين لذي القَرْنَيْنِ . وبعث النبي صلى الله
 عليه وسلم على رأس أربعين سنة من ولادته ، وأقام بمكة بعد النبوة عَشْرَ سِنِينَ ؛

(١) بياض بالاصول والتصحيح من الضوء للؤلف .

(٢) ينظر ذلك مع ما تقدم من أن بين المبعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول بعد عَشْرٍ^(١) من النبوة، وقَدِمَ المدينة لاثنتي عشرة ليلةً منه .

ثم بعد اتفاقهم على التأريخ من الهجرة اختلفوا في الشهر الذي تقع البُداء به : فأشار بعضهم بالبُداء برمضان لشرفه وعظمه - فقال عمر بل بالمحرم : لأنه مُنْصَرَفُ الناس من حَجَّهِمْ ، فرجعوا القَهْقَرَى ثمانية وستين يوماً، وهي القدر الذي مضى من أول المحرم [إلى ذلك الوقت]^(٢) وأستقر تأريخ الإسلام من الهجرة .

قال القضاعى فى ”عيون المعارف“ : وكان ذلك فى سنة تسع عشرة أو ثمانى عشرة من الهجرة .

قلت : وأستقرت تواريخ الأمم على أربعة تواريخ ، ابتداء بعضها مقدّم على ابتداء بعض .

أولها - غلبة الإسكندر على الفُرس . وعليه تاريخ السريان والروم إلى زماننا .
والثانى - ملك دقلطيانوس ملك الروم على القبط . وعليه تاريخ القبط إلى زماننا .

والثالث - الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وعليها مدار التاريخ الإسلامى .

والرابع - هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس . وبه تؤرخ الفُرس إلى زماننا ، وقد تقدّم بيانُ بعد ما بين تاريخ كلٍّ من غلبة الإسكندر وملك دقلطيانوس وبين الهجرة فى القبلىة ، وبعْد ما بين تاريخ يزدجرد وبين الهجرة فى البعديّة فى الكلام

(١) ينظر ذلك مع ما تقدم من أن بين المبعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

(٢) الزيادة من الضو .

على أصول التواريخ، مع ما سبق في المقالة الأولى في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من ذكر مقدار سنة كل منها وعددها من الأيام، وسيأتي الكلام على استخراج بعضها من بعض فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(في كيفية تقييد التاريخ في الكتابة بزمن معين ، وهو ضربان)

الضرب الأول

(التاريخ العربي)

ومدَّاره الليالي دون الأيام : لأن سني العرب قمرية ، والقمر أول ما يظهر للأبصار هلالاً في الليل ، فتكون الليالي بهذا الاعتبار سابقةً للأيام ، إذ اليوم عندهم عبارة عن النهار ، وهو إما من طلوع الفجر على ماورد به الشرع في الصوم ونحوه ، وإما من طلوع الشمس على رأى المنجمين . قال أبو إسحاق الزجاجي في كتابه ” الجمل ” : وإنما حُمل على الليالي دون الأيام لأن أول الشهر ليله ، فلو حُمل على الأيام سقطت منه ليلة . قال الشيخ أنير الدين أبو حيان في ” شرح التسهيل ” : واستغنى بالليالي عن الأيام للعلم أن مع كل ليلة يوماً ، فإذا مضى عدد من الليالي مضى مثله من الأيام ، فيجوز أن يُستغنى بذكر أحدهما عن الآخر . وقد ذكر جمال الدين عبد الرحيم ابن شيث في كتابه ” معالم الكتابة ” : أن كتب السلطان والأعيان تؤرخ بالليالي ، والكتب من الأدنى إلى الأعلى تؤرخ بالأيام . ولم أعلم من أين أخذ ذلك ولا ماستند فيه .

إذا علم ذلك فلكتابه التاريخ ثلاثة اعتبارات :

الاعتبار الأول

(أن يُؤرخ ببعض ليالى الشهر، وله ست حالات)

الحالة الأولى

(أن تقع الكتابة في الليلة الأولى من الشهر، أو في اليوم الأول منه)

فإن كانت الكتابة في الليلة الأولى منه فقد ذكر أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" أنه يُكتب «كُتِبَ غُزَّة شهر كذا، أو [أول] ليلة من كذا، أو مُسْتَهْل شهر كذا، أو مُهَلَّ شهر كذا». وحكى الشيخ أثير الدين أبو حيان مثل ذلك عن بعضهم، وزاد أنه يُكتب أيضا «كُتِبَ أول شهر كذا».

قال النحاس : ولا يجوز حينئذ ليلة خلت ولا مضت لأنهم في الليلة بعد . قال في "ذخيرة الكتاب" : وربما كتب بعض الكتاب ليلة الاستهلال «ليلة [تخلو]» .

وإن كانت الكتابة في اليوم الأول وهو النهار الذى يلى الليلة الأولى من الشهر، كُتِبَ «ليلة خلت أو مضت من شهر كذا» . قال النحاس : ويجوز كُتِبَ «لغزّة الشهر أو لأول يوم من الشهر» ومنع أن يقال حينئذ : أول ليلة من شهر كذا، أو مُسْتَهْل شهر كذا، أو مُهَلَّ شهر كذا، موجهها لذلك بأن الاستهلال إنما يقع في الليل . وتبعه على ذلك ابن حجب النعمان في "ذخيرة الكتاب" وصاحب "موادّ البيان" وبه جزم الشيخ جمال الدين بن هشام في ورقاته في الوراقة . وكلام ابن مالك في التسهيل يؤهم جواز ذلك فإنه قد قال : فيقال أول الشهر، كُتِبَ لأول

(١) الزيادة من الضوء .

(٢) يياض بالاصول، والتصحيح عن الضوء للؤلّف .

ليلة منه، أولُغُرتَه أو مُهَلَّة أو مُسْتَهَلَّة . وأوَّلُ الشهر أعمُّ من اليوم واليلة بل هو إلى اليلة أقربُّ، لأن اليلة سابقةٌ بالأولية .

قال الشيخ أنير الدين : ومفتَّحُ الشهر أوَّلُ يوم منه . ومقتضى كلامه أنه يؤرَّخ بالمفتَّح في اليوم الأول من الشهر دُونَ اليلة وفيه نظر، بل الظاهر جوازُ استعماله فيهما، بل اليلة بالمفتَّح أولى لسبقها اليوم كما تقدَّم، أللهم إلا أن يُراعى فيه موافقةُ المفتَّح لليوم في التذكير دُونَ اليلة لتأنيثها . قال في ”موادِّ البيان“ : والعرب تُسمي أوَّل ليلة من الشهر النجيرة، ولكن لا تستعمله الكُتَّاب في التواريخ .

الحالة الثانية

(أن تقع الكُتابة فيما بعد مِضى اليوم الأول من الشهر إلى آخر العَشر)
فإن كان قد مضى منه ليلتان ، كُتِبَ « لليلتين خلتا من شهر كذا، أو لليتين مَضَتَا منه » قال في ”ذخيرة الكُتَّاب“ : ولا يُكُتَبَ يومَ خَلَا ولا ليومين خَلَا : لأن ذكر الليالي في باب التاريخ أغلب، كما تقول ليلة السبت وليلة الأحد، فتُضيف اليلة إلى اليوم لأنها أسبقُ، ولا تُضيف اليوم إلى اليلة .

وحكى الشيخ أنير الدين أبوحيان أنه إذا مضى من الشهر يومٌ كُتِبَ «ليوم مضى» وإذا مضى يومان «كُتِبَ ليومين مَضَيَا» . والتحقيق في ذلك أنه يختلف الحال فيه باختلاف الكُتابة في الليل والنهار : فإن كُتِبَ في اليلة الثانية، ناسب أن يُكُتَبَ «ليوم خَلَا من شهر كذا» لأنه إن كُتِبَ لليتين خَلَتَا فهو في اليلة الثانية بعدُ، وإن كُتِبَ ليلةٍ خَلَتْ لم يظهر الفرقُ بينه وبين الكُتابة في اليوم الأول من الشهر . وإن كُتِبَ في اليوم الثاني من الشهر، ناسب أن يُكُتَبَ لليتين خَلَتَا أو مَضَتَا . وإن كان

قد مضى من الشهر ثلاث ليال، كَتَبَ لثلاثِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ من شهر كذا،
أو لثلاثِ ليالٍ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ . ويجوز فيه لثلاثِ خَلَتْ أو لثلاثِ ليالٍ خَلَتْ على
قَلَّة . وكذا في الباقي إلى العشر فتقول : لعشرِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ ، أو لعشرِ ليالٍ خَلَوْنَ
أو مَضَيْنَ ، أو لعشرِ ، أو لعشرِ ليالٍ خَلَتْ أو مَضَتْ على اللغة القليلة .

الحالة الثالثة

(ان تقع الكتابة فيما بعد العشر إلى النصف)

فَيَكْتُبُ لإحدى عشرة خَلَتْ أو مَضَتْ من شهر كذا . أو لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ
أو مَضَتْ ، ويجوز فيه لإحدى عشرة خَلَوْنَ أو لإحدى عشرة ليلة خَلَوْنَ على قلة .
وكذا في الباقي إلى النصف من الشهر . قال الشيخ أنير الدين أبو حيان : فإن صَرَّحَ
بالمُيَزَّ وكان مُدَّكَّرًا ، أُعِيدَ الضميرُ عليه فيقال : لاحدَ عشرِ يومًا خَلَا أو مضى
ونحو ذلك .

الحالة الرابعة

(أن تقع الكتابة في الخامس عشر من الشهر)

فَيَكْتُبُ « كَتَبَ لِنِصْفِ شهر كذا » . قال النحاس : وأجازوا لخمس عشرة ليلة
خَلَتْ أو مَضَتْ . وكلام ابن مالك في "التسهيل" يُشير إلى جواز لخمس عشرة ليلة
خَلَتْ أو مَضَتْ [أو بَقِيَتْ^(١)] على رأى من يُجَوِّز التاريخَ بالباقي . ولو حَذَفَ ذِكْرَ الليلة
فقال : لخمس عشرة خَلَتْ أو مَضَتْ أو بَقِيَتْ صَحَّ . قال في "التسهيل" والتاريخ
بالنصف أجود .

(١) الزيادة لازمة ليصح الكلام .

الحالة الخامسة

(أن تقع الكُتَابُ فيما بعد النّصف من الشهر إلى الليلة الأخيرة منه)

وفيه لاهل الصّناعة مذهبان :

المذهب الاول — أن يُؤرّخ بالماضي من الشهر كما في قبل النصف ، فيقال : لِسِتَّ عشرة خَلَتْ أو مَضَتْ ، أو لِسَتْ عشرة لَيْلَةً خَلَتْ أو مَضَتْ . وكذا إلى العشرين فيقال : لِعِشْرِينَ خَلَتْ أو مَضَتْ ، أو لِعِشْرِينَ لَيْلَةً خَلَتْ أو مَضَتْ ، وكذا في البواقي إلى آخر التاسع والعشرين ، فيكون التاريخ في جميع الشهر من أوله إلى آخره بالماضي دُونَ الباقي فِرَارًا من المجهول إلى المحقق ، وهو مذهب الفقهاء لأنه لا يُعرَف هل الشهر تَامٌ أو نَاقِصٌ . قال النحاس : ورأيتُ على بَنِ سَليمان يختاره . قال في ” ذخيرة الكُتَاب “ : وهو أثبتٌ ومُجْتَنَبٌ أقوى . ثم لا شكَّ أنَّ من يرى التاريخ باليوم يجوز لِسِتَّةَ عشريومًا خَلَا أو مَضَى من شهر كذا ، وكذا فيما بعده .

المذهب الثاني — أن يُؤرّخ بما بَقِيَ من الشهر . وللؤرخين فيه طريقتان :

الطريق الأول — أن يُجْزَم بالتاريخ بالباقي فيكتب لأربع عشرة ليلةً بَقِيَتْ من شهر كذا ، ثم لثلاث عشرة ليلةً بَقِيَتْ ، وهكذا إلى الليلة الأخيرة من الشهر ؛ فيكتب لليلةٍ بَقِيَتْ ، وهو مذهب الكُتَاب . قال النحاس : ورأيت بعض العلماء وأهل النظر يصوّبونه ، لأنهم إنما يكتبون ذلك على أن الشهر تَامٌ ، وقد عُرف معناه وأن كاتبه وقارئه إنما يُريد إذا كان الشهر تَامًا فلا يحتاج إلى التلفُّظ به . قال محمد بن عمر المدائني : وأحتجُّوا لذلك بأن مُعاويةَ بنَ أبي سُفيانَ رضى الله عنه : حين كَتَبَ عن النبيّ صَلَّى الله عليه وسلم لأبْنِ الحَضْرَمِيِّ كَتَبَ في آخر الكُتَاب :

«وكتب معاوية بن أبي سفيان ثلاث ليالٍ بَقِينَ من ذى القعدة بعد فتح مكة سنة ثمان» ثم قرأه عثمان بن عفان رضى الله عنه والناس حوله . قال النحاس : وقد وقع مثل ذلك فى كلام النبوة . فقد ورد فى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى ليلة القدر : ” أَلْتَمِسُوهَا فى العَشرِ الأَوَاخِرِ لسابعةِ تَبْقَى أوْ لخامسةِ تَبْقَى “ . وهذا الحديث الذى أَسْتَشْهَد به النحاس ثابتٌ فى الصحيح فلا نزاعَ فى العمل به .

الطريق الثانى — أن يُعَلَّقَ التاريخُ بالباقي على شَرَطٍ . فيكتبُ لأربعِ عشرةَ إن بَقِيَتْ ، أو لأربعِ عشرةَ ليلةٍ إن بَقِيَتْ ، وعلى ذلك فى الباقي ، فراراً من إطلاق التاريخ بما لا يُعْلَمُ تمامه أو نقصه وتعليقاً له على حُكْمِ التمام ، وكأنه يقول : لأربعِ عشرةَ ليلةٍ بَقِيَتْ من الشهر إن كان تماماً . ومن يرى التاريخ بالأيام يجوز لأربعةَ عشرَ يوماً تَبْقَى من شهر كذا ، وكذا فى الجميع .

الحالة السادسة

(أن تَقَعَ الكُتَابَةُ فى الليلةِ الأخيرةِ من الشهر أو فى اليوم الأخير منه)

فإن كان فى الليلةِ الأخيرةِ منه كُتِبَ «لَاخِرَ لَيْلَةٍ من شهر كذا ، أو فى سَلَخِ شهر كذا ، أو فى آتِيسِلَاخِهِ» . وإن كان فى اليومِ الآخِرِ منه كُتِبَ «لَاخِرَ يَوْمٍ من شهر كذا ، أو فى سَلَخِهِ أو آتِيسِلَاخِهِ أيضاً» . ولم يختلفوا هنا فى جواز التاريخ باليوم . قال ابن حَاجِب النعمان : وذلك أن الشهر يتبدى بابتداء اللَّيْلِ وينقضى بانقضاء النهار . وذكر صاحب ”مَوَادِّ البَيَان“ أن الذى كان كُتِّبَ مصرى يستعملونه بالديار المصرية أن يُجْعَلَ شهرٌ ثلاثين يوماً وشهرٌ تسعةً وعشرين ، وهذا جنوح منهم إلى الاعتبار النجومى ، ولا مَعُوَّلَ على ذلك فى الشريعة .

قلت : وَكُتِّبَ زَمَانُنَا قَدْ أَهْمَلُوا النَّظَرَ فِي ذَلِكَ بِجُمْلَةٍ وَعَوَّلُوا عَلَى التَّارِيخِ بِالْأَيَّامِ ،
 وَاقِفِينَ عِنْدَ حَدِّ الْيَوْمِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْعَدَدُ مِنَ الشَّهْرِ عِنْدَ الْكُتَابَةِ فَيَكْتُبُونَ فِي الْيَوْمِ
 الْأَوَّلِ : كُتِّبَ فِي مَسْتَهْلٍ شَهْرٍ كَذَا ، ثُمَّ فِي ثَانِي شَهْرٍ كَذَا أَوْ ثَالِثِهِ إِلَى الْعَشْرِ ؛
 ثُمَّ فِي حَادِي عَشْرِهِ وَثَانِي عَشْرِهِ إِلَى الْعَشْرِينَ ، ثُمَّ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ،
 أَوْ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ ، وَالثَّانِي وَالْعَشْرِينَ إِلَى التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ . وَفِي الْيَوْمِ الْآخِرِ
 مِنَ الشَّهْرِ يَكْتُبُونَ فِي سَلَخٍ شَهْرٍ كَذَا لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ ذَلِكَ .

ثُمَّ مِمَّا يُسْتَحْسَنُ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَتِ الْكُتَابَةُ فِي يَوْمٍ مَشْهُورٍ - كَأَيَّامِ
 الْمَوَاسِمِ - أُرِّخَ بِهِ ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ عَدَدِ مَا مَضَى مِنَ الشَّهْرِ أَوْ بَقِيَ مِنْهُ . فَيَكْتُبُ
 فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ « كُتِّبَ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ » وَفِي تَاسِعِ ذِي الْحِجَّةِ
 « كُتِّبَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ » وَفِي عَاشِرِهِ « كُتِّبَ فِي يَوْمِ عِيدِ النَّجْرِ ، أَوْ فِي يَوْمِ
 عِيدِ الْأَصْحَى » وَفِي حَادِي عَشْرِهِ « كُتِّبَ فِي يَوْمِ الْقَرِّ » - بَفَتْحِ الْقَافِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ
 لِأَنَّ النَّاسَ يَسْتَقِرُّونَ فِيهِ مِنْمًى ، وَفِي ثَانِي عَشْرِهِ « كُتِّبَ فِي يَوْمِ النَّفْرِ الْأَوَّلِ » لِأَنَّ
 الْحَجَّاجِينَ يَنْفِرُونَ فِيهِ مِنْ مِثْنًى ، وَفِي ثَالِثِ عَشْرِهِ « كُتِّبَ فِي يَوْمِ النَّفْرِ الثَّانِي » .

الاعتبار الثاني

(أَنْ يُؤَرَّخَ بِجُمْلَةٍ مِنْ أَيَّامِ الشَّهْرِ)

فَإِنْ أُرِّخَ بَعَشْرٌ مِنَ الشَّهْرِ ، بَنَاهُ عَلَى الثَّانِيَةِ : فَيَكْتُبُ « كُتِّبَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِي ،
 أَوْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ - بَضْمِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الْوَاوِ جَمْعِ أَوَّلَةٍ ^(١) . أَوْ كُتِّبَ فِي الْعَشْرِ الْوُسْطَى
 أَوْ فِي الْعَشْرِ الْوُسْطِ - بَضْمِ الْوَاوِ وَفَتْحِ السَّيْنِ جَمْعِ وُسْطَى ، أَوْ كُتِّبَ فِي الْعَشْرِ الْآخِرَى

(١) لعل الصواب "جمع أولى" .

أوفى العشر الآخر - بضم الهمزة وفتح الخاء جمع آخره . قال الشيخ أبي الوديع :
 « ولا يُكْتَبُ العَشرُ الأوَّلُ ولا الأوسطُ ولا الآخرُ . وقال بعض النحويين يُكْتَبُ
 « وكتب في العَشرِ الآخِرَةِ أو الأَوَاخِرِ » ولا يُكْتَبُ الأُخْرَى ولا الأُخَرُ : لئلا يلتبس بالآخر
 بمعنى الثاني أو الآخر بمعنى التواني . وقد تقدّم في الكلام على أيام الشهر أن العرب
 تسمي ليالي الشهر كُلَّ ثلاث منها باسمٍ ، وقد تقدّم ذكرُ أسمائها هناك . فإذا وقعت
 الكتابةُ في ثلاثٍ منها ، كالغُررِ : وهي الثلاث الأولى من الشهر ، والدَّادِي : وهي الثلاث
 الأخيرة منه ، كان للكتاب أن يُورِّخَ بها كما يُورِّخُ بعشر من الاعشار الثلاث ، بل
 الثلاث أقربُ لمعرفة التاريخ من العشر . وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبي الوديع
 في «شرح التسهيل» فقال : وإن أرخ بالثلاث الأخيرة من الشهر كَتَبَ الدَّادِي .
 وإذا كان في السَّنة أيام مشهورة^(١) ، أرخ بها كالأيام المعلومات : وهي العَشرُ الأوَّلُ
 من ذى الحِجَّةِ ، والأيام المَعْدُودَاتِ : وهي أيامُ التشريق على ما تقدّم ذكره في موضعه ،
 كان للكتاب أن يُورِّخَ بها .

الاعتبار الثالث

(أن يُورِّخَ بأجزاء اليوم أو الليلة)

وأكثر ما يحتاج الكاتب إلى ذلك في تاريخ بطائق الحمام ، وقد سبق في الكلام
 على الأيام أن كُلَّ واحدٍ من الليل والنهار اثنتا عشرة ساعةً زمانيةً ، تطولُ بطول
 أحدهما وتقصُرُ بقصره ، ولكل ساعةٍ منها اسمٌ يُخصَّصُها ، كالشروق : وهو أوَّلُ ساعاتِ
 النهار ، والغروب : وهو آخر ساعاته ، والشَّفَقُ : وهو أوَّلُ ساعاتِ الليل ، والصَّباح
 وهو آخر ساعاته . فينبغي للكاتب إذا كتب بِطَاقَةً من بطائق الحمام أن يكتب

(١) عبارة الضو. ص ٤٠١ : « ولا نزاع في أنه يجوز التاريخ بالأيام المشهورة في السنة كالأيام المعلومات الخ »
 وهي أوضح .

الساعة التي كُتِبَتْ فيها من ساعات النهار ، أما ساعات الليل فلا يتأتَّى فيها ذلك ، لأن الحمام لا يُسْرَحُ في الليل ، اللهم إلا أن تدعوَ الضرورة إلى التاريخ بساعة من ساعات الليل في بعض المكاتبات فيؤرّخ بها .

قلت : وهذا الترتيب قد تركه كُتّاب زماننا ، وصاروا يؤرّخون بالساعات المشهورة عندهم ، كالأولى من النهار ، أو الثانية ، أو وقت الظهر ، أو وقت العصر ، ونحو ذلك .

الضرب الثاني

(التاريخ العجمي)

ومداره الأيام دون الليالي ، لأن سنتهم مع اختلافها في الشهور ومبادئها ومقاطعها شمسية ، والشمس محل ظهورها النهار دون الليل ، فلذلك أرّخوا بالأيام . قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : قال أحمد بن يحيى البلاذري : حضرت مجلس المتوكل ، وإبراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي أنشأه في تأخير النوروز ، والمتوكل يتعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك ، فدخلتني نفاسة ، فقلت : يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ ! فأعادوا النظر ، وقالوا : ما نراه فما هو ؟ - قلت : أرّخ السنة الفارسية بالليالي ، والعجم يؤرّخ بالأيام ، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تشتمل على الليل والنهار ، وهو جزء من ثلاثين جزءاً من الشهر ، والعرب يؤرّخ بالليالي ، لأن سنينهم وشهورهم قمرية ، وأبداءُ الهلال بالليل - قال : فشهدوا بصحة ماقلته ، وأعترف به إبراهيم . وقال : ليس هذا من علمي .

قلت : وأكثر ما يُحتاج إلى ذلك في تحويل السنين وتقل النيروز عند دوران السنين ، كما في كتاب إبراهيم بن العباس المقدم ذكره ، وكذلك في كتابة الهدن فسيأتى أنه يجمع فيها بين التاريخ العربى والعجمى جميعاً ، ويجب فيه تقديم العربى على العجمى ، مثل أن يكتب « كُتِبَ لعشر خلون من المحرم سنة ثمانمائة » ، موافقاً للعاشر من ثوب من شهور القبط « أو العاشر من تشرين الأول من شهور السريان ، أو العاشر من ينير من شهور الروم ، أو العاشر من أفرودين ماه ، من شهور الفرس ونحو ذلك .

الجملة السابعة

(فى تقييد التاريخ بالسنة)

قد علمت أن فائدة التاريخ إنما تتحقق بذكر السنة بعد اليوم والشهر ، وإلا فلا يعلم من أى السنين . فإذا كتب يوم كذا من شهر كذا كتب بعد ذلك ، سنة كذا ، سواء كان التاريخ عربياً أو عجمياً ، أو مرّجاً منهما ، مثل أن يكتب سنة كذا من الهجرة الموافق لكذا من سني الروم أو سني الفرس .

ثم للكتاب فى كتابة تاريخ السنة مصطلحان .

المصطلح الأول — أن يكتب « سنة كذا » فيحتاج إلى حذف الهاء من العدد ، على قاعدة حذفها من عدد المؤنث ، مثل أن يكتب سنة ست وثمانمائة ونحو ذلك ، وعلى هذا اصطلاح كتاب الديار المصرية وبلاد المشرق .

المصطلح الثانى — أن يكتب « عام كذا » فيحتاج إلى إثبات الهاء فى العدد على قاعدة إثباتها فى عدد المذكر ، مثل أن يكتب « عام ست وثمانمائة » وعلى نحو ذلك

يَجْرَى كُتَابُ الْعَرَبِ غَالِبًا ، لما يقال : إن العام يَخْتَصُّ بِالْحِصْبِ والسنة
تَخْتَصُّ بِالْمَحَلِّ عَلَى ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى السَّنِينَ فيما يحتاج إليه الكاتبُ
فِي الْمَقَالَةِ الْأُولَى .

الجملة الثامنة

(فِي مَعْرِفَةِ بَعْضِ التَّوَارِيخِ مِنْ بَعْضِ)

قد ذكر في "موادّ البيان" أن من جملة أدب الكاتب العِلْمُ بتواريخ سِنِي الْعَالَمِ
وَأَسْتِخْرَاجُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ فِيهِ مِنْ كُلِّ
شَهْرٍ وَسَنَةٍ مِنْ سِنِي الْأُمَمِ . وقد تقدّم أيضا أن المستعمل من التواريخ في زماننا بين
الأمم أربعة تَوَارِيخَ ، بعضها أقدم من بعض .

أولها — تاريخُ غَلْبَةِ الْإِسْكَندَرِ . وهو التاريخ الذي تُؤَرِّخُ بِهِ السُّرِّيَّانِ وَالرُّومُ
وَالْفَرَنْجَةُ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ إِلَى الْآنَ ، وهو بعد الطُّوفَانِ فيما حَرَّرَهُ الشَّيْخُ علاء الدين
ابن الشاطر في "زيجه" بثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وثلاثين سنةً وثلاثمائة
وعشرين يوما .

الثاني — التاريخ من مَلِكِ دَقْلَطِيَانُوسِ . وهو الذي يُؤَرِّخُ بِهِ الْقِبْطُ إِلَى الْآنَ ،
وربما عَبَّرُوا عَنْهُ بِتَارِيخِ الشُّهَدَاءِ ، إشارةً إِلَى تَسْمِيَّتِهِمُ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ دَقْلَطِيَانُوسُ
مِنَ الْقِبْطِ شُهَدَاءَ ، وهو بعد غَلْبَةِ الْإِسْكَندَرِ بِخَمْسَمِائَةٍ وَأَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً وَثَلَاثَةً
وَاثْنِينَ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا .

الثالث — التاريخ من الهجرة ، وعليه تاريخُ الْإِسْلَامِ . وهي بعد مَلِكِ دَقْلَطِيَانُوسِ
بِثَلَاثَةِ وَسِتِّ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَثَلَاثَةً وَأَحَدٍ وَعَشْرِينَ يَوْمًا .

الرابع — التاريخ من هلاك يَزْدَجَرْد آخر ملوك الفُرس . وقد تقدّم أنه بعد الهجرة بعشرين سنين وثمانية وسبعين يوماً .

فأما التاريخ السرياني والرومي وهو الذي مبدؤه من غلبة الإسكندر فقد تقدّم أن شهور السريانيين اثنا عشر شهراً ، وهي : تشرين الأول — تشرين الثاني — كانون الأول — كانون الثاني — شباط — آذار — نيسان — أيار — حزيران — تموز — آب — أيلول . منها سبعة أشهر كل شهر منها أحد وثلاثون يوماً ، وهي : تشرين الأول ، وكانون الأول ، وكانون الثاني ، وأذار ، وأيار ، وتموز ، وآب ، وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوماً ، وهي : تشرين الثاني ، ونيسان ، وحزيران ، وأيلول . ومنها واحدٌ ثمانية وعشرون يوماً : وهو شباط ، فتكون أيام سنيه ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ، ويضاف إليها ربع يوم مراعاةً للسنة الشمسية ، فتصير ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم ينقص جزءاً يسيراً . ومن أجل ذلك يعدّون ثلاث سنين بسائط ^(١) يكون شباط فيها تسعة وعشرين يوماً : لإضافة ربع اليوم في السنين الأربع إليه ، وتكون السنة فيها ثلثمائة وستة وستين يوماً .

وقد تقدّم أيضاً أن شهور السنة الرومية تُضاهى شهور السنة السريانية في عدد الأيام ، بل هي هي ، إلا أن الروم يُسمّون أشهرهم بأسماء غير أسماء شهور السريان ، ويكون أول شهورهم موافقاً لكانون الثاني ، وهو الشهر الرابع من شهور السريان ، ويكون آخر شهورهم موافقاً لكانون الأول .

(١) كذا في الاصول ويظهر أن فيه سقطاً من النسخ والاصل "يعدّون ثلاث سنين بسائط" وستة كيسة يكون الخ كما يؤخذ من نظيره في التاريخ القبطي تأمل .

وأسماء شهورهم : ينير، فبراير، مارس، ابريل، مايو، يونيه، يوليه، أغسطس،
سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر . ولا فرق في شيء منها سوى اختلاف الأسماء
وأبتداء رأس السنة، وحيثذ فيكون الكل فيها في التاريخ واحدا .



وأما التاريخ القبطي : وهو الذي مبدؤه من ملك دقلطيانوس ، فقد تقدم أن
شهور السنة القبطية اثنا عشر شهراً . وهي : توت، بابه، هتور، كيهك، طوبه،
أمشير، برمهاث، برمودة، بشنس، بشونه، أبيب، مسرى . وكل شهر منها ثلاثون
يوماً من غير اختلاف ، ثم بعد مسرى خمسة أيام يسمونها أيام النسيء، فتكون أيام
سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوماً، وتزيد بعد ذلك ربع يوم في كل سنة كما في التاريخ
الرومي ، وقد أصطلحوا على أن يعدوا منها ثلاث سنين بسائط ، كل سنة منها ثلثمائة
 وخمسة وستون يوماً لا زيادة فيها ، والرابعة كبيسة تكون أيام النسيء فيها ستة أيام
وزيادة ربع يوم ، وتصير أيام تلك السنة ثلثمائة وستة وستين يوماً، على نحو ما تقدم
في السرياني والرومي .



وأما التاريخ العربي : وهو الذي مبدؤه الهجرة ، فقد تقدم في الكلام على الشهور
في المقالة الأولى أن شهور سنة العرب اثنا عشر شهراً . وهي : المحرم، صفر،
ربيع الأول، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، شعبان،
رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة . وأنها قرية مدارها رؤية الهلال ، إلا أن
المتجمين اعتمدوا فيها على الحساب دون الرؤية لتصحيح حساب التواريخ ونحوها،
وجعلوا فيها شهراً تاماً عدده ثلاثون يوماً ، وشهراً ناقصاً عدده تسعة وعشرون يوماً ،
على ترتيب شهور السنة ، فالمحرم عندهم تام ، وصفر ناقص ، وربيع الأول تام ،

وربيع الآخر ناقص، ومجدي الأولى تام، ومجدي الآخرة ناقص، ورجب تام،
 وشعبان ناقص، ورمضان تام، وشوال ناقص، وذو القعدة تام، وذو الحجة ناقص .
 فيكون من السنة ستة أشهر تامة وستة أشهر ناقصة، وتكون السنة حينئذ ثلثمائة يوم
 وأربعة وخمسين يوما، ويلحقها بعد ذلك كسر في كل سنة، وهو خمس يوم وسدس
 يوم، فتصير السنة ثلثمائة يوم وأربعة وخمسين يوما وخمس يوم وسدس يوم مفترقة^(١)
 في ثلاثين سنة، ويعملون الكبيسة سنة بعد سنة ثم سنة بعد سنتين، ثم سنة بعد
 سنة، وعلى هذا الترتيب إلى آخر الثلاثين، فتكون الكائنات هي: الثانية، والخامسة،
 والسابعة، والعاشر، والثالثة عشرة، والخامسة عشرة، والثامنة عشرة، والحادية
 والعشرين، والرابعة والعشرين، والسادسة والعشرين، والتاسعة والعشرين . فتكون
 كل سنة منها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما، ويجعل الزائد فيها في ذي الحجة، فيكون
 فيها ثلاثين يوما وباقي سني الثلاثين بسائط، كل سنة منها ثلثمائة وأربعة وخمسون
 يوما، وذو الحجة فيها تسعة وعشرون يوما، بناء على الأصل في أن يكون شهر تاما
 وشهر ناقصا .



وأما التاريخ الفارسي : وهو الذي مبدؤه من هلاك يزدجرد، فقد تقدم في الكلام
 على الشهور أن سني الفرس اثنا عشر شهرا، كل شهر منها ثلاثون يوما . وهي :
 افرودين ماه، أرديهشماه، حردادماه، تيرماه، تردماه، شهريرماه، مهرماه، أبان ماه،

(١) كذا في الأصول عبارة الضوء ص ١٥٦ "ويجتمع من هذا الخمس والسادس يوم في كل ثلاث
 سنين فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ويبقى من ذلك بعد اليوم الذي اجتمع شيء فيجتمع منه ومن
 خمس اليوم وسدسه في السنة السادسة يوم واحد وكذلك إلى أن يبقى الكسر أحد عشر يوما عند تمام ثلاثين
 سنة وتسمى تلك السنين بكائنات العرب" وهي أوضح .

أدرياه، ذى ماه، بهمن ماه، اسفندارماه . وبين ابان ماه وأدرياه خمسة أيام تسنى المسترقة بمثابة أيام النسيء في آخر سنة القبط ، وبمقتضى ذلك تكون سنتهم ثلاثمائة وخمسة وستين يوما ، وليس فيها زيادة ولا نقص . فلا بد من معرفة هذه الأصول لاستخراج تواريخ بعض السنين المذكورة من بعض .

ثم مما يجب تعرفه بعد ذلك أن تعلم أن التاريخ السرياني والرومي سنونه سريانية أو رومية على ما تقدم ، فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين السريانية والرومية من عدد الأيام والكجائس ، والتاريخ القبطي سنونه قبطية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين القبطية من الأيام والكجائس ، والتاريخ العربي سنونه عربية فيكون على ما تقدم في السنين العربية من عدد الأيام والكجائس ، والتاريخ الفارسي سنونه فارسية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين الفارسية من عدد الأيام ، ولا كيسة فيها .

إذا علمت ذلك فإذا أردت استخراج بعض هذه التواريخ من بعض ، فانظر التاريخ المعلوم عندها عندك ، كالتاريخ العربي مثلا عند الإسلاميين فاجعل السنين الساتمة من التاريخ المعلوم أياما ، وزد عليها ماضى من السنة المكسورة من الشهور والأيام إلى اليوم الذى تريد أن تعلم موافقته لمثله من التاريخ المجهول ، ثم أنظر : فإن كان التاريخ المعلوم أقدم من التاريخ المجهول ، فانقص من أيام التاريخ المعلوم ما بين التاريخين من الأيام فما بقي فهو أيام التاريخ المجهول . وإن كان التاريخ المجهول أقدم ، فزد ما بين التاريخين من الأيام فما بقي فهو أيام التاريخ المعلوم ، فما بلغ فهو أيام التاريخ المجهول . فإذا علمت أيام التاريخ المجهول بزيادة ما بين التاريخين على أيام التاريخ المعلوم أو نقصانها منه على ما تقدم ، فاجعل ما حصل معك من أيام التاريخ المجهول الذى تريد استخراجها ، فما كان فهو السنون الساتمة

للتاريخ الذى تريد أستخرجه ، فإن بَقَى شَيْءٌ من الأيام بعد السنين التامة ، نخذ منها لكل شهر عددَ أيامه ، ومابقى من الأيام دُونَ شهر فهو الماضى من أيام الشهر الذى يلى ذلك .

مثال ذلك إذا أردت ان تستخرج التاريخ السريانى أو الرومى الموافق لآخر سنة ثمانمائة من الهجرة ، فقد تقدم لك أن التاريخ السريانى والرومى مبدؤه من غلبة الإسكندر على الفُرس ، وهو قبل الهجرة بتسعمائة سنةٍ وأثنتين وثلاثين سنة ومائتين وسبعة وثمانين يوما ، وذلك ثلثمائة ألف يوم وأربعون ألف يوم وسبعائة يوم ، فاحفظ ذلك ، ثم أبسط الماضى من سنى الهجرة وهو ثمانمائة سنة أياما ، بأن تضرب الثمانمائة فى عشرة آلاف وستمائة وأحد وثلاثين يوما ، وهى بسط السنة العربية من حين كسرها الزائد على أيامها ، وهو خمس يوم وسدس يوم ، يكون ثمانية آلاف ألف وخمسمائة ألف وأربعة آلاف وثمانمائة ، فاقسمه على ثلاثين وهى مخرج الكسر الذى هو الخمس والسدس ، يخرج بالقسمة مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون ، وهو عدد أيام الثمانمائة سنة ، فأضفه على ما بين غلبة الإسكندر والهجرة من الأيام ، وهو ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعائة يوم ، يكون الجميع ستمائة ألف وأربعة وعشرين ألفا ومائة وثلاثة وتسعين ، فاجعل تلك الأيام سنين سريانية ، بأن تضرب تلك الأيام فى أربعة ، يحصل منها ألفا ألف وأربعمائة ألف وستة وتسعون ألفا وسبعائة وأثنان وسبعون يوما ، فاقسمه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف وسبعائة وثمانية ، وهى سنون تامة ، ويفضل بعد ذلك ألف وثلثمائة وأربعة وثمانون ، فاقسمها على أربعة ،

(١) الذى تقدم له " ومائتين وتسعين يوما " .

يخرج ثلثمائة وستة وأربعون يوما ، يكون ذلك أحد عشر شهرا ، من أول تشرين الأول وأحد عشر يوما من الشهر الثاني عشر من الشهور السريانية وهو أيلول ؛ فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة هجرية موافقا لليوم الحادى عشر من أيلول سنة ألف وسبعمائة وتسع من السريانية .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ القبطى لآخر سنة ثمانمائة ، فقد تقدم أن التاريخ القبطى ابتدأه من ملك دقلطيانوس على القبط ، وهو قبل الهجرة بثلثمائة وسبع وثلاثين سنة وثلثمائة وعشرين يوما ، وحمله أيامه مائة ألف يوم وثلاثة وعشرون ألف يوم وأربعمائة يوم وتسعة أيام ، فأضيف أيام الماضى من سنى الهجرة : وهو مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون على ما تقدم فى التاريخ السريانى [على ما قبل الهجرة^(١)] وهو مائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وأربعمائة وتسعة أيام ، يكون المجموع أربعمائة ألف وستة آلاف وتسعمائة يوم ويومين ؛ فاجعله سنين قبطية ، بأن تضرب ذلك فى أربعة عدد تخرج كسر السنة القبطية ، وهو الربع الزائد على الخمسة وستين ، يكون ألف ألف وستمائة ألف وسبعة وعشرين ألفا وستمائة وثمانية ؛ فاقسمه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف ومائة وأربعة عشر ، وهو عدد السنين القبطية التامة ، ويبقى بعد ذلك أربعة وخمسون ؛ فاقسمه على الأربعة المذكورة يخرج بالقسمة أربعة عشر ، وهى أيام من الشهر الأول من السنة القبطية الناقصة ، فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة للهجرة موافقا لربع عشر شهر توت سنة ألف ومائة وخمس عشرة من السنين القبطية .

(١) الزيادة لازمة لتوضيح المتام وهى مرادة للألف .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ الفارسي لآخر سنة الثمانمائة المذكورة ، فقد تقدم أن ابتداء التاريخ الفارسي بعد الهجرة بعشر سنين وثمانين يوما ، وجملة أيامه ثلاثة آلاف يوم وستمائة يوم وأربعة وعشرون يوما ، فأسقطها من الحاصل من أيام النسيء الماضي من الهجرة إلى آخر الثمانمائة ، يكون الباقي بعد ذلك مائتي ألف وتسعة وسبعين ألفا وثمانمائة وتسعة وستين يوما ، فاقسمها على ثلثمائة وخمسة وستين ، يخرج لك سبعمائة وستة وستون سنة ، وهو عدد السنين الفارسية النامة ؛ ويفضل بعد ذلك مائتان وتسعة وسبعون يوما ، نخذ لكل شهر عدد أيامه : وهو ثلاثون يوما ويبقى تسعة أيام ، منها خمسة أيام في نظير الخمسة الأيام الزائدة في آخر أبان ماه المعروفة بالمسترفة ، يبقى أربعة أيام من شهر ذى ماه : وهو الشهر العاشر من شهورهم ، فيكون آخر يوم من ثمانمائة من الهجرة موافقا لليوم الرابع من ذى ماه من شهور الفرس سنة سبعمائة وسبع وستين .

فلو فرض أنه مضى من سنة إحدى وثمانمائة ستة أشهر مثلا ، فاجعل الأشهر شهرا تاما وشهرا ناقصا على ما تقدم ، تكون أيامها مائة وسبعة وسبعين يوما فأضفها على أيام الثمانمائة ، وأعمل فيها ما تقدم ذكره ، لا يتغير العمل في شيء من ذلك .

مثال ذلك : إذا أردت استخراج التاريخ السرياني في آخر جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانمائة ، فأضف مائة وسبعة وسبعين : وهي أيام ستة أشهر على أيام الثمانمائة ، وهي مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون ، يكون المجموع مائتي ألف وثلاثة وثمانين ألفا وستمائة وستين يوما ، فأضف إليه ما بين الهجرة والتاريخ السرياني : وهو ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة ، يحصل

من ذلك ستمائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وثلاثمائة وسبعون ؛ فاضربه في أربعة يخرج لك ألف وستمائة وتسعة ، ويفضل من الأيام مائة وثمانية وخمسون يوماً ، تكون سابع أدار من شهور السريان ، فيكون آخر يوم من جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانمائة موافقاً للسابع من شهر أدار سنة ألف وسبعائة وعشر من سنى السريان .

قلت : وفي كُتب الزيجات وغيرها طرق مختلفة لاستخراج التواريخ ، وجدّ أول موضوعاً لا يحملها هذا الكتاب فليراجعها من أحتاج إلى زيادة على ذلك .

الجملة الثامنة

(في موضع كتابة التاريخ من الكتاب ، وصورة وضعه في الكتابة)

أما موضعه من الكتاب ، فقال محمد بن عمر المدائني في كتاب ” القلم والدواة “ :
رسموا تاريخ الكتب في آخرها ، وجعلته العامة في صدورهم . والتحقيق في ذلك ما ذكره صاحب ” مواد البيان “ وغيره أن الكُتب التي تؤرخ على ضربين :

الضرب الأول — الكتب السلطانية ، ولها حالان :

الحالة الأولى — أن يكون الكتاب في أمر نتشوف النفوس إلى معرفة اليوم الذي وقع ذلك الأمر فيه : كالحوادث العظام ، والفتوحات والمواسم ونحوها ، فيؤرخ الكتاب في صدره ، مثل أن يكتب في صدر الكتاب « كتاب أمير المؤمنين إليك ، أو كتابنا إليك يوم كذا من سنة كذا » كما كان يكتب في الزمن المتقدم في مثل ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون الكتاب في أمر لا نتشوف النفوس إلى معرفة اليوم الذي يقع ذلك الأمر فيه ، فيؤرخ الكتاب في آخره .

الضرب الثاني — كُتب الأتباع إلى الرؤساء .

والرسم فيها أن تُؤرَّخ في صدورها . قال في "موادّ البيان" : وذلك مثل أن يقال : كتب العبد من مَقَرَّ خدمته يوم كذا .

قلت : والذي أَسْتَقَرَّ عليه حال كُتَّاب الزمان كتابَةُ التاريخ في آخر الكتاب بكل حال ، سواء كان المكتوب ولايةً أو مكاتبةً أو غير ذلك ؛ ولعلَّ الولايات وما في معناها لم يقع الاختلاف في كتابتها في آخر المكتوب في زمن من الأزمان .



وأما صورةُ وضع التاريخ في الكتابة ، فقد أصطلح الكُتَّاب على أن جعلوا التاريخ بعد كتابة إن شاء الله تعالى في سطرين : فيكتبون « كُتِبَ في كذا من شهر كذا » في سطرٍ ، ثم يكتبون « سنة كذا » في سطر تحته ؛ وفي الكُتُب عن قضاة القضاة يجعل كُتَّابهم جميع التاريخ في سطر واحد .

الطَّرَف الثالث

(في المستندات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في صورة ما يُكْتَب ، وهو على ضربين)

الضربُ الأوَّل

(أن يُضَافَ إلى مرسوم السلطان ، وله خمس حالات)

الحالة الأولى — أن يكون بتلقّي كاتب السرّ، إما بما يأمر به السلطان عند قراءته القصّة عليه ، أو بما يكتبه كاتب السرّ ويُمضيه من نفسه ، كما في خلاص الحقوق ونحوها ؛ فيكتب فيه « حَسَبَ المرسوم الشريف » في سطرٍ واحد لا غير .

الحالة الثانية — أن يكون بتلقى كاتب السرّ أو أحد من كتّاب الدّست بدار العدل ، عند جلوس السلطان في المواكب بالإيوان وقراءة كاتب السرّ وكتّاب الدّست قصص المظالم ونحوها عليه . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من دار العدل الشريف » سطرين أحدهما تحت الآخر ، ويكون في السطر الأول « حسب المرسوم الشريف » والباقي في السطر الثاني .

الحالة الثالثة — أن يكون برسالة الدّوّادّار . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » سطرا واحدا ، ثم يكتب تحته « برسالة الجناح العالى الأميرى الدّوّادّار ، الفلانى » باللقب المضاف إلى الملك كالتاميرى ونحوه « ضاعف الله تعالى نعمته » ويكون آخر السطر الأول « الأميرى الفلانى » .

الحالة الرابعة — أن يكون من ديوان الخاص . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من ديوان الخاص الشريف » ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرا ، وباقي الكلام سطرا .

الحالة الخامسة — أن يكون بخط السلطان بظاهر قصّة . فيكتب « حسب المرسوم الشريف بالخطّ الشريف » سطرين ، ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرا على ما تقدّم ، وما بعده سطرا .

قلت : وما يجب التنبيه له أنّ لفظ حسب الواقع في المستندات منقول اللغة فيه بفتح السين كما تقول : فعلت ذلك حسب أمرى ، ولا يجوز تسكينها بحال كما أطبق عليه تلماء اللغة ، إلا ما حكاه الجوهرى في « صحاحه » من جواز تسكينها في ضرورة الشعر ، على أن جلّ كتّاب الزمان يغلطون في ذلك فلا ينطقون بها إلا ساكنة السين ، وربما ضبطوه كذلك في الكتابة .

الضرب الثاني

(أن يجعل مستندَه الإشارة، وله ثلاث حالات)

الحالة الأولى — أن يكون بإشارة النائب الكافل . فيكتب « بالإشارة العالية الأُميرية الكبيرة الكافلية، كافِل الممالك الشريفة الإسلامية، أعلاها الله تعالى ! » سطرين ، ويكون آخر السطر الأول الكافلية الفلانية .

الحالة الثانية — أن يكون بإشارة الوزير . فيكتب « بالإشارة العالية الوزيرية الفلانية، مدبر الممالك الشريفة أعلاها الله تعالى ! » سطرين، ويكون آخر السطر الأول الوزيرية الفلانية .

الحالة الثالثة — أن يكون بإشارة الإستدار . فيكتب « بالإشارة العالية الأُميرية الكبيرة الفلانية، إستدار العالية، أعلاها الله تعالى ! » سطرين، ويكون آخر السطر الأول الكبيرة الفلانية . وقد تقدّم في الكلام على الألقاب ماجرى عليه الكُتّاب في لفظ إستدار من التحريف، واستعملوه بلفظ إستادار، أو استاد الدار، وتجب موافقتهم عليه وإن كان خطأ جرياً على المصطلح .

الجملة الثانية

(في موضع كتابة المستند)

وقد أصطلح الكُتّاب على أن يُكتب المستند في الغالب بعد التاريخ، ويكون الظرف أو الجارّ والمجرور فيه متعلّقاً من التاريخ بلفظ كتب، وكأنه يقول : كُتب في تاريخ كذا، حسب الأمر الشريف، أو بالإشارة الفلانية . وربما كتب بحاشية المكتوب في المراسيم الصّغار التي تُكتب على ظهور القِصص ونحوها، وكذلك

أوراق الطریق؛ وموضع كتابته يقابل بين السطرين الأولين أخذاً من جهة الأسفل إلى جهة الأعلى بحيث يكون آخر كتابة المستند مسامناً للسطر الأول، فإن كان «حَسَبَ المرسوم الشريف» فقط، كتبه سطراً واحداً، وإن كان «من دار العدل» كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» سطراً، ومن «دار العدل الشريف» سطراً تحته، وكذلك إن كان «من ديوان الخاص» كما يُكتب في أسفل الكتاب. وإن كان برسالة الدوادار، فقد جرت العادة أن يكتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في أسفل الكتاب تحت التاريخ سطراً واحداً، ويكتب «رسالة الجنب العالی، الأمیری، الکبری، الفلانی، الدوادار، الفلانی ضاعف الله تعالى نعمته!» بالهامش في المحل المتقدم سطرین كما كان يُكتب بآخر الكتاب. وإن كان المستند الإشارة كتب جميعه بحاشية الكتاب في المحل المتقدم ذكره سطرین علی ما تقدم بيانه.

الطرف الرابع

(في الجملة في آخر الكتاب، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الاصل في كتابتها)

والأصل في ذلك أن الله سبحانه كما جعل الحمد مفتاحاً للأُمور تيمناً بالافتتاح به، جعله ختاماً لها تيمناً بالاختتام به قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال جلَّت قدرته: ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأُخِرَ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع من السفر قال: «آتِيُونَ تَائِبُونَ لِرَبَّنَا حَامِدُونَ». قال السهيلي: ومن ثم سُمي النبي صلى الله عليه وسلم (أحمد) إشارة إلى أنه خاتم الأنبياء وآخر المرسلين.

ولما كان الأمر كذلك ، أصطلح الكُتَّاب على آختام الكتب بالحمد تبرُّكا .
قال ابن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يُحْتَم بالحمد لله في التواقيع في المَظَالِم ؛ وربما
خُتِم بها في تواقيع الإطلاقات . وقد أصطلح كُتَّاب الزمان على حذفها من آخر
مالا تُكْتَب في أوله البسملة : كالتواقيع الصَّغار ونحوها ، على ما سياتى في موضعه
إن شاء الله تعالى . وكأنهم يُشيرون بذلك إلى أنَّ مثل ذلك لا يُهْتَم بشأنه ، فكما حذفوا
البسملة من أولها حذفوا الحمدلة من آخرها إشارة إلى عدم الأهتمام بها كما حذفت
من أول الكلام الذى لا يُهْتَم به لأجل ذلك على ما تقدم بيَّانه .

الجملة الثانية

(فى بيان ما يُكْتَب وصورة وضعه فى الكتابة)

أما ما يُكْتَب ، فقد أصطلحوا على أن يكتبوا فى حمدلة آخر الكتاب « الحمد لله
وحده » وربما كتبوا : « الحمد لله رب العالمين » . على أنهم لو أطبقوا على كتابتها
لكان أولى . فقد ذكر النووى فى كتابه "الأذكار" أنها أفضل صيغ الحمد ومن
أجل ذلك أفتتحت بها فاتحة الكتاب التى هى أم القرآن .



وأما وضعها فى الكتابة ، فقد أصطلحوا على أن جعلوها بعد كتابة المستند عن يمينه
الدرج ، على بُعد قدر ما بين إن شاء الله تعالى والسطر الآخر من المكتوب . قال
فى "معالم الكتابة" وقد تحتل الخروج عن سمت السطور .

الطرف الخامس

(في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب ،
وما يلحق بذلك ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أصل إثباتها في آخر الكتب)

والأصل في ذلك مع ما تقدم في الكلام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أول الكتب في الكلام على الفوائح أنه كما ذكرت في أوائل الكتب تبرُّكا ، كذلك ذكرت في آخرها تبرُّكا . وقد قال تعالى في حقِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فإن معناه ما ذكرتُ إلا ذكرتُ معي ، ولما اخْتُبِمَتِ الكتبُ بالحمد لله ، ناسب أن يُقرن الحمد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جمعاً بين ذكره وذكر الله تعالى . وقد ذكر ابن هشام في "سيرته" : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في آخر عهده لعمر بن حزم حين وجهه إلى اليمن «صلى الله على محمد» .

ثم الكلام في الجمع بين الصلاة والسلام ، والصلاة على الآل والصَّحْبِ بعده صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب على ما مرَّ في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أول الكتب .

قلت : فلو كُتِبَ كتابٌ لسلطانٍ أو غيره من المسلمين إلى أحد من أهل الكُفْرِ ، فهل يُؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يُؤتى بها في الكتاب إلى المسلم

(١) في الأصول "آخر" وهو خطأ من النسخ ، وعادة الضو. على ما مر في الفوائح ، وهي أظهر .

إرغاماً للكافر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، أولاً يُؤتى بها صيانةً لاسمه صلى الله عليه وسلم عن حُصوله في يد كافرٍ ، كما يمنع من السَّفر بالمصحف إلى بلاد الكُفر ؟ لم أرَ مَنْ تعرَّض له ، والظاهر أنه يُؤتى بها إرغاماً للكافر ، ومواجهةً له بما يَذكره .

وقد حكى أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن عبد الملك بن مروان ، حين أحدث كتابَ سورة الإخلاص وذكر النبي صلى الله عليه وسلم على الدنانير والدراهم ، كتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم ، فأتروكه وإلا أتاكم في دنانيرنا ذكر ماتركهون ؛ فعظم ذلك في صدر عبد الملك ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية يستشيره في ذلك ، وكان أديباً عالمياً فقال له خالد : فرِّحْ رَوْعَكَ^(١) يا أمير المؤمنين ، حَرِّم دنانيرهم وأَضْرِب للناس سِكَكاً فيها ذِكرُ الله تعالى وذِكرُ رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تُعَفِّهم مما يَكْرَهُون في الطَّوامير ، ففعل .

الجملة الثانية

(في بيان ما يُكْتَب في التَّصْلِيَةِ في آخر الكُتُب ، وصورة وضعه في الكُتَابَة)

أما صورة ما يكتب ، فقد أَسْطَح الكُتَّاب على أن يكتبوا في التَّصْلِيَةِ في آخر الكُتَاب بعد الحمد لله وحده ما صورته « وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » . وهي صيغة مستَحْسَنَةٌ للإتيان بالصلاة فيها بصيغة الجمع ، والجمع بين الصلاة والسلام ، وإتباع الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بالصلاة والسلام على الآل والصَّحْب . وربما أتى بعض الكُتَّاب بالصلاة بلفظ الأفراد ، فيكتب وصلاته .

(١) أى أذهب فزعك ورعبك ، ووقع في الأصول فرج بالجيم وهو تصحيف .

وأعلم أن الصلاة يجوز كتابتها بالألف على هذه الصورة "الصَّلَاة" ويجوز كتابتها بالواو على هذه الصورة "الصَّلوة" إلا أن محل ذلك ما إذا لم تُضَف إلى ضمير نحو صلاته وصلاته . فإن أُضِفَتْ إلى الضمير تعيّن كتابتها بالألف دون الواو ، وربما غلط فيها بعض الكُتّاب فكتبها بالواو .



وأما موضعها في الكتابة ، فقد اصطَلَحُوا على أن يكتبوا ذلك تِلْوَ الحمد لله وحده ، يفضل بياض بينهما لتكون الحمدلة في أول السطر ، والتصلية في آخره .

الطرف السادس

(في الحسبة في آخر الكتاب ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أصل كتابتها)

والأصل في ذلك ما دلّ عليه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ فجعل قولهم : حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل سبباً لحسن المنقلب والصّون عن السوء . وقد قيل : مَنْ قال حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل لم يَخِبْ في قصده .

الجملة الثانية

(في بيان ما يكتب في ذلك ، وكيفيّة وضعه في الكتابة)

أما ما يكتب ، فقد اصطَلَحَ الكُتّاب على أن يكتبوا «حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل» بلفظ الجمع ، على أن المتكلم يتكلّم بلسانه ولسان غيره من الأمة ، لا أن الجمع للتعظيم : لأنه

ليس بلائق بالمتام . وكان بعض الكُتَّاب يَسْتَحِبُّ أن يكتب «حَسْبِيَ الله» بلفظ الوحدة فراراً من اللَّبْس في لفظ الجمع بين التَّعْظِيم والجمع الحقيقي . وقد أشار في «صناعة الكُتَّاب» إلى بعض ذلك . قال ابن شيث في «معالم الكتابة» : وقد يتأدب الأدنى مع الأعلى ، فيأتى بالآية على نصها فيقول : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ فراراً من نُون الجمع التي هي للعظمة . قال : وقد يقال في مكانها : ﴿ وَنَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ثم قال : فأما الأعلى إذا كَتَبَ للأدنى فلا يخرج عن «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» . ثم بعض الكُتَّاب قد يكتب مع الحَسْبِلة واوا بأن يكتب : وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، ولا معنى للواو هنا ، إذ لا علاقة بين الحَسْبِلة وما قبلها حتى يسوغ العطف عليه ، فالواجب حذفها كما نبه عليه الشيخ جمال الدين بن هشام في «ورقاته في الوراق» .



وأما موضع وضعها في الكتابة ، فقد اصطَلَحُوا على أن يكتبوها سطراً واحداً بعد سطر الحمدلة والتصاية ، ويكون بينهما في البعد قدر ما بين إن شاء الله تعالى وبين السطر الآخر من البياض . قال ابن شيث : وموضعها ثلث السطر من الجانب الأيمن إلى حيث يُنْتَهَى .

وأعلم أن الكُتَّاب قد اصطَلَحُوا على أن يكتبوا تحت الحَسْبِلة صورة حاء لطيفة منكبة على هذه الصورة «حر» ولا معنى لها ، إذ هي في الأصل إشارة إلى الحَسْبِلة نفسها ، وكأنَّ بعض الكُتَّاب كان يكتفي بها عن الحَسْبِلة ، ثم ألْبَس ذلك على بعض الكُتَّاب فائتبا مع الحَسْبِلة على ظَنِّ أن فيها قدراً زائداً عليها ، ويحتمل أنها إنما وُضِعَتْ في الأصل لسد البياض كما يُكْتَب بعض التواتر لسد البياض أو الفصل بين الكلامين وغير ذلك .

الطرف السابع

(في اللواحق ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الترتيب ، ويتعلق به أمران)

الأمر الأول

(في النذب إلى الترتيب)

لا نزاع في أن ترتيب الكتاب بعد الفراغ منه بإلقاء الرمل ونحوه عليه مطلوبٌ ، وفيه معنيان :

المعنى الأول — التبرُّك طلباً لِنَجْحِ القصد ؛ فقد روى محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" بسنده عن إسماعيل بن محمد بن وهب عن هشام بن خالد وهو أبو مَرْوان الأزديّ ، عن بَقِيَّة بن الوليد ، عن عطاء ، عن ابن جُرَيْج ، عن ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال : " تَرَبُّوا الْكِتَابَ وَنَحْوَهُ مِنْ أَسْفَلِهِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ وَأَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ " . وفي حديث " إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ كِتَابًا فَلْيَتَرَبَّهُ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ وَهُوَ أَنْجَحُ لِحَاجَتِهِ " .

ومن كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ^(١) تَرَبُّوا الْكِتَابَ تَنْجَحُوا . ويؤيد ذلك ما روى أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم كتب كتابين إلى أهل قريتين فَرَبَّ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُتَرَبَّ الْآخَرُ ، فَاسَلِمَتِ الْقَرْيَةُ الَّتِي تُرَبُّ كِتَابُهَا . وهذا المعنى موجود في المكتبات والولايات وغيرها لطلب البركة والنجاح في جميع ذلك .

(١) رواية كتب اللغة " تَرَبُّوا الْكِتَابَ " .

وقد حكي ان أبادُهمان مريض مريضاً أشفى فيه ، فأوصى وأملى وصيته على ابنه ، فكتبها وأتربها فقال : نَعَمْ تَرَبَّها فإنه أَنجحُ للحاجة . ولا فرق في ذلك بين أن يكون المكتوبُ قد جَفَّ أم لا : لأن القصد إنما هو النجح والبركة .

المعنى الثاني : التجفيف لما كتبه بطرُح التراب عليه كي لا يَمْحَى بما يُصيبه قبل الجفاف ، وهذا المعنى أضعف من الأول ، ومقتضاه أنه إذا جَفَّ الكتاب لا يُتَرَّب ، وعليه عملُ كُتَّاب الزمان . ومن هنا يَضَعُونَ الترابَ على آخر الكتاب من حيث إنه أقربُ عهداً بالكتابة فيحتاجُ إلى التجفيف ، بخلاف أول الكتاب فإنه يكون قد جَفَّ عند نهاية الكتاب غالباً ، لاسيما في الزمن الحاضر ، أومع طول الكتاب وأمتداد زمن كتابته . على أن صاحب ” مواد البيان “ وغيره من قُدماء الكُتَّاب قد صرَّحوا بأنه يَسْتَحَبُّ وضع التراب أولاً على البَسْملة ، ثم يَمْرُ الكاتِبُ منها على سائر المكتوب ليُعَمَّ الكتابَ بركةُ البَسْملة . ولقائل أن يقول إن الترتيب من آخر الكتاب إلى أعلاه لا يخلو أيضاً من بركة ، لملاسة التراب أولاً الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة . وربما يَلْغُ بالتراب من أسفل الكتاب إلى البَسْملة ثم أعاده فيجمع فيه بين البركتين .

الأمر الثاني

(فيما يُتَرَّب به الكتاب)

وقد أصطلح كُتَّاب الزمان على الترتيب بالرَّمْل الأحمر . أما تخصيصهم الترتيب بالرمل فلائنه لا غبار فيه يعلَق بالكتاب فيذهبُ بهجة الورق . وأما اختيارُهم الأحمر دون غيره فلائنه أبهج إذا لَصِق بالكتاب . قال محمد بن عمر المدائني : وَكَرِهُوا وَنَهَوْا

عن تراب الحيطان، ومأوا إلى النشارة والأشنان . قال : وإبنا أن بعض الأئمة من أهل العلم كان يُترَّب الحديث بالصنَدل ويقول : لا أطرحُ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب . وكان حيوة بن شريح يخرج إلى الصحراء فيأخذ الطين الأسود فيدقُّه ويخله فيترَّب به . وقد صرح الرافعي وغيره من أصحابنا الشانعية أنه يحرم التريب من جدار الغير، ومعناه ظاهر لما فيه من الاغتصاب والإعتداء . وقد سبق في المقالة الأولى في الكلام على الخط ذكر أنواع الرمل، وأن من أحسنه رملاً يؤتى به من صحراء ماريدين ، فيه شُدُورٌ صُفْرُ كَشْدُور الذهب ، يلقي في الرمل الأحمر فيترَّب به الأمراء والوزراء ومن في معناهم .

الجملة الثانية

(في نظر الكاتب في الكتاب وتأمله بعد القَراغ منه)

قد نصَّوا على أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة الكتاب ينبغي له أن يتأمله من أوله إلى آخره ويتتبع ألفاظه ويتأمل معانيه ويصلح منها ما لعله وهم فيه الفكر أوسبق إليه القلم : ليسلم من قدح القادح وطعن الطاعن . وقد تقدّم في مقدّمة الكتاب أن صاحب الديوان لا يكتفي بنظر الكاتب في ذلك ، بل يكله إلى نظر كاتب كامل ينصبه لذلك ، ثم يتأمله هو بنفسه بعد ذلك ليتنقح الكتاب ويتهذب .

المقالة الرابعة

في المكتبات ، وفيها بابان

الباب الأول

(في أمورٍ كُلِّية في المكتبات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في مقدمات المكتبات ، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في أصول يعتمدها الكاتب في المكتبات)

(١) ويتعلّق المقصود منها بعشرة أصول :

الأصل الأول

(أن يأتي الكاتب في أول المكتبة بحُسن الافتتاح المطلوب في سائر أنواع

الكلام : من تَرَوَّظَ مما يوجب التحسين : ليكون داعيةً لاسْتِمَاعِ

مابعد ، على ما تقدّم بيّنه في الكلام على علوم البلاغة في المقالة الأولى)

ويرجعُ حُسنُ الافتتاح في المكتبات إلى معنيين .

المعنى الأول — أن يكون الحُسن فيه راجعاً إلى المبتدأ به . إما بالافتتاح بالحمد لله

كما في بعض المكتبات : لأن النفوس تتشوّف إلى الثناء على الله تعالى ، أو بالسلام الذي

جعله الشارع مفتَحَ الخطاب أو نحو ذلك . وإما بالافتتاح بما فيه تعظيم المكتوب

(١) المحدود اثنا عشر كما ستقف عليه .

إليه : من تقبيل الأرض أو اليد أو الدعاء له أو غير ذلك ، فإنَّ أمر المكاتبات منبئاً على التملُّق واستجلاب الخواطر وتألف القلوب ، إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى ، على ما يقتضيه اصطلاحُ كلِّ زمن في الابتدآت .

المعنى الثانى — أن يكون الحُسْنُ فيه راجعاً إلى ما يوجب التحسين : من سُهولة اللفظ ، وصحَّة السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات التحسين ؛ كما كتب الأستاذ أبو الفضل بن العميد عن ركن الدولة بن بويه ، إلى مَنْ عصى عليه ، مفتتحاً كتابه بقوله : ” كِتَابِي إِلَيْكَ ، وأنا متردد بين طمع فيك وإيأس منك ، وإقبال عليك وإعراض عنك ؛ فإنك تُدُلُّ بِسَالِفِ خَدَمِ أَيْسَرُهَا يُوجِبُ رِعَايَهُ ، وَيَقْتَضِي مَحَافِظَةً وَعِنَايَهُ ؛ ثُمَّ تَشْفَعُهَا بِحَادِثِ غُلُولٍ وَخِيَانَةٍ ، وَتُنْبَعِهَا بِأَلْفِ خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ ، أَذْنَى ذَلِكَ يُحِيطُ أَعْمَالُكَ ، وَيُسْقِطُ كُلَّ مَا يُرْعَى لَكَ “ .

وكما كتب أبو حفص بن برد الأندلسى عن ملكه إلى مَنْ عصى عليه ثم عاد إلى الطاعة كتاباً أفتتحه بقوله : ” أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْغَلْبَةَ لَنَا وَالظُّهُورَ عَلَيْكَ جَلْبَاكَ إِلَيْنَا عَلَى قَدَمِكَ ، دُونَ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ يَمْنَعَانِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمِكَ ؛ وَلَكِنَّا لَمَّا وَهَبَ اللَّهُ لَنَا مِنَ الْإِشْرَافِ عَلَى سِرَائِرِ رِيَاسِهِ ، وَالْحِفْظِ لَشَرَائِعِ السِّيَاسَةِ ؛ تَأَمَّلْنَا مَنْ سَاسَ جِهَتَكَ قَبْلَنَا ، فَوَجَدْنَا يَدَ سِيَاسَتِهِ نَحْرَقَاءَ ، وَعَيْنَ خِدَامَتِهِ عَوْرَاءَ ، وَقَدَّمَ مُدَارَاتِهِ شَلَاءً : لِأَنَّهُ مَالَ عَنْ تَرْغِيْبِكَ فَلَمْ تَرْجُهُ ، وَعَنْ تَرْهِيْبِكَ فَلَمْ تَخْشَهُ ؛ فَأَذَّنَكَ حَاجَتَكَ إِلَى طِلَابِ الْمَطَاعِمِ الدِّينِيَّةِ ، وَقَلَّةِ مَهَابَتِكَ إِلَى التَّهَالُكِ عَلَى الْمَعَاصِي الْوَيْيَةِ “ ونحو ذلك من الافتتاحات البهجة ، والابتدآت الرائقة ، مما ستقف على الكثير منه فى خَلَالِ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الأصل الثاني

(أن يأتي في ابتداء المكاتبة ببراعة الإستهلال المطلوبة

في كل فن من فنون الكلام)

بأن يأتي في صدر المكاتبة بما يدل على عجزها . فإن كان الكتاب بفتح ، أتى في أوله بما يدل على التهنئة . أو بتعزية ، أتى في أوله بما يدل على التعزية . أو في غير ذلك من المعاني ، أتى في أوله بما يدل عليه : ليُعلم من مبدأ الكتاب ما المراد منه . كما يحكى أن عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه أن يكتب إلى الخليفة كتابا يعرفه فيه أن بقرة ولدت عجلا وجهه وجه إنسان ، فكتب : ”أما بعد حمد الله خالق الأنام ، في بطون الأنعام “ . وفُضلاء الكتاب وأئمتهم يعتنون بذلك كل الاعتناء ، ويرون تركه إخلالا بالصنعة ، ونقصا في الكتابة ، حتى إن الوزير ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر قد عاب أبا إسحاق الصابى على جلالة قدره في الكتابة ، وآءترافه له بالتقدم في الصناعة ، بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك فقال في أوله :

”الحمد لله رب العالمين ، الملك الحق المبين ؛ الوحيد الفريد ، العلي المجيد ؛ الذى لا يوصف إلا بسلب الصفات ، ولا يُنعت إلا برفع النعوت ؛ الأزلى بلا ابتداء ، الأبدى بلا انتهاء ؛ القديم لا منذ أمد محدود ، الدائم لا إلى أجل معدود ؛ الفاعل لا من مادة امتدتها ، الصانع لا بآلة استعملها ؛ الذى لا تُدرّكه الأعين بالحاطها ، ولا تُحده الألسن بالفاظها ، ولا تُحقيقه العصور بمرورها ، ولا تُهزمه الدهور بمرورها ؛ ولا تُجاريه أقدام النظراء والأشكال ، ولا تُزاحمه مناكبُ اقترناء والأمثال ؛ بل هو الصمد الذى لا كُفء له ، والفرد الذى لا توأم معه ؛ والحي الذى لا تحترمه المنون ، والقيوم الذى لا تشغله الشؤون ؛ والقدير الذى لا تُؤدّه المضلات ، والخبير الذى

لا تُعْيِيهِ الْمَشْكَلاتُ“ ثم قال : إن هذه التَّحْمِيدَةَ لَا تُتَّاسِبُ الْكِتَابَ الَّذِي أَفْتَحَهُ
بِهَا، وَلَكِنَّا تَصْلُحُ أَنْ تُوضَعَ فِي صَدْرِ مُصَنَّفٍ مِنْ مَصَنَّفَاتِ أَصُولِ الدِّينِ : كَكِتَابِ
”الشَّامِلِ“ لِلْجُؤِينِيِّ، أَوْ كِتَابِ ”الْاِقْتِصَادِ“ لِلْغَزَالِيِّ، وَمَا جَرَى بِجَمْرَاهُمَا . فَمَا أَنْ
تُوضَعَ فِي أَوَّلِ كِتَابٍ فَتَحَ فَلَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَرَاعَةَ الِاسْتِمَالِ فِي الْمَكَاتِبَاتِ قَدْ تَقَعَّ مَعَ الْإِبْتِدَاءِ بِالتَّحْمِيدِ ،
كَمَا فِي كِتَابِ عَمْرِو بْنِ مَسْعُودَةَ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ، وَكَمَا كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الطَّائِعِ
إِلَى بَعْضِ وَلَدَةِ الْأَطْرَافِ ، عِنْدَ زَوَالِ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُمَرَاءِ ، وَوُقُوعِ الصُّلْحِ
وَالِاتِّفَاقِ : ”أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ نَازِمِ الشَّمْلِ ، بَعْدَ شَتَاتِهِ ، وَوَاصِلِ الْحَبْلِ ، بَعْدَ بَنَاتِهِ ؛
وَجَابِرِ الْوَهْنِ إِذَا انْتَلَمَ ، وَكَاشِفِ الْخُطْبِ إِذَا أَظْلَمَ“ .

وَقَدْ تَقَعَّ مَعَ الْإِبْتِدَاءِ بِالتَّقْيِيلِ : كَمَا كَتَبْتُ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ بِشَرْعِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ،
مُلَوِّحًا إِلَى التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِالنَّغْرِ ، وَعَنِ الرِّيحِ الَّتِي تَهْبُ عَلَيْهِ مِنْ جَانِبِ الْبَحْرِ بِالْمَلْتَمِ ،
وَعَنِ مُسْتَنْزِهِ مِنْ مُسْتَنْزَهَاتِهِ بِالرَّمْلِ ، وَعَنِ الْمَسَاكِينِ الَّتِي بِهِ بِالنُّقُصُورِ مَعَ قُرْبِهِ مِنَ
الْبَحْرِ ، وَمُنَاسِبَةً ذِكْرَ النَّسِيمِ بِالنَّغْرِ بِمَا صُورَتْهُ : ”يُقْبَلُ أَرْضَ نَغْرٍ قَدَرَقَ مَلْتَمِهِ ،
وَرَأَى مَبْسَمَهُ ؛ بَأَنَّا لَشُكْرٍ يَعْتَرِفُ الرَّمْلُ بِالنُّقُصُورِ عَنْ حَدِّهِ ، وَتَقِفُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ
الْمَحِيْطِ دُونَ عَدِّهِ“ .

وَقَدْ تَقَعَّ مَعَ الْإِبْتِدَاءِ بِالْإِعْدَاءِ ، وَتَكُونُ بَرَاعَةُ الِاسْتِمَالِ فِي الدُّعَاءِ الْمَعْطُوفِ عَلَى
الْمُبْتَدَأِ بِهِ : بِأَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ مُنَاسِبًا لِلْحَالَةِ الْمَكْتُوبِ فِيهَا ، كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ صَاحِبُ
”الْمَثَلِ السَّائِرِ“ وَغَيْرُهُ ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى أَمْثَلِ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) عبارة الضوء ”وَيَلْوَحُ بِذِكْرِ مُسْتَنْزِهِ لَمْ عَلَى الْبَحْرِ يَسْمَى بِالرَّمْلِ وَمَسَاكِينُ لَمْ فِي ذَلِكَ الْمُسْتَنْزَهُ تَسْمَى
الْقُصُورَ“ وَهِيَ أَوْضَحُ .

(١) ثم من المكاتبات ما يعسر معه الإتيان ببراءة الاستهلال فيما يلي ذلك من الكلام في مقدمة المكتبة قبل الخوض في المقصود ولا يهملها جملة . على أن الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله قد ذكر في كتابه "حسن التوسل" أنه إن عسر عليه براءة الاستهلال، أتى بما يقارب المعنى . وبكل حال فإذا أتى ببراءة استهلال في أول مكاتبه أستصحبها إلى الفراغ من الخطبة إن كان الكتاب مفتتحاً بخطبة ، وإلا أستصحبها إلى الفراغ من مقدمة الكتاب الآتي بيانها .

الأصل الثالث

(أن يأتي في المكتبة المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدمة يصدر بها تأسيساً لما يأتي به في مكاتبه)

مثل أن يأتي في صدور كتب الحث على الجهاد بذكر افتراضه على الأمة ، وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه ، وخذلان أعدائه ، وإعزاز الموحدين ، وقمع الملحدين . وفي صدور كتب الفتح بإنجاز وعد الله الذي وعده أهل الطاعة من النصر والظفر ، وإظهار دينه على الدين كله . وفي صدور كتب جباية الخراج ، يصدر بحاجة قيام الملك وأسس السلطنة إلى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان في عمارة الثغور ، وتحصين الأعمال ، وتقوية الرجال ، ونحو ذلك مما يجري على هذا النمط مما سيأتي بيانه في مقاصد المكاتبات في الكلام على الابتدآت والجوابات فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فقد قيل : إنه لا يحسن بالكتاب أن يُحلي كلامه - وإن كان وجيزاً - من مقدمة يفتتحه بها وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة ، ليوافق التأليف حقّه . قال

(١) لعله الاستهلال في البداية فيأتي بها فيما يلي ذلك ... الخ كما هو ظاهر من بقية الكلام .

في "مواد البيان" : وعلى هذا السبيل جرت سنة الكتاب في جميع الكتب : كالفتوح ، والتّهاني ، والتّعازي ، والتّهادي ، والاستخبار ، والاستبطاء ، والإجماع ، والإذمام ، وغيرها : ليكون ذلك بساطا لما يريد القول فيه ، وحجةً يستظهر بها السلطان ؛ لأن كل كلام لأبد له من فرش يُقرش قبله : ليكون منه بمنزلة الأساس من البنيان .

قال : ويرجع في هذه المقدمات إلى معرفة الكاتب ما يستحقه كل نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي تُشاكلها . ثم قال : والطريق إلى إصابة العرْمى في هذه المقدمات أن تُجعل مشتملةً على ما بعدها من المقاصد والأغراض ، وأن يُوضع للأمر الخاص مقدمة خاصة ، وللأمر العام مقدمة عامة ، ولا يطول في موضع الاختصار ، ولا يقصر في موضع الإيجاز ، ولا يجعل أغراضها بعيدة المآخذ ، مُعْتَصَةً على المتصفح . وذلك أن الكاتب ربّما قصد إظهار القدرة على الكلام والتصرف في وجوه المنطق ، فخرج إلى الإملال والإجبار الذي نتبّر منه النفوس ، ولا سيما نفوس الملوك وذوى الأخطار الحليّة .

أما الأمور التي لا تشتمل على المقاصد الحليّة : كرقاع التحف والهدايا ونحوهما . فقد ذكر في "مواد البيان" أنه لا يجعل لها مقدمة تكون أمامها فإن ذلك غير جائز ولا واقع موقعه . قال : ألا ترى أنهم استحسّوا قول بعضهم في صدر رُقعة مقترنة بـتُحف في يوم مِهْرَجَان أو نحوه : «هذا يومٌ جرت فيه العادة ، بأن تُهدى فيه العبيد إلى السادة» واستظرفوا الكاتب لإيجازه وتقريب المآخذ .

الأصل الرابع

(أن يَعْرِفَ الفرقَ بين الألفاظ المستعملة في المكاتبات

فيضعها في مواضعها)

قال في "ذخيرة الكتاب" : يجب على الكاتب الرئيس أن يَعْرِفَ مرتبة الألفاظ ومواقعها : ليرتبها ويفرق بينها فرقا يَقْفُهُ على الواجب ويتهي به إلى الصواب ، فيخاطب كلاً في مكاتبته بما يَسْتَحِقُّه من الخطاب ؛ فإنه قَبِيحٌ به أن يكون خطابُهُ أولاً خطابَ الرئيس للمرءوس ، ويُذَيِّعَ ذلك بخطاب المرءوس للرئيس ، أو يبدأ بخطاب المرءوس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرءوس .

قال : ومتى استمر الكاتب على هذه المخالفة من الألفاظ والمناقضة ، نقصت المعاني ، ورذلت الألفاظ ، وسقطت المقاصد ، وكان الكاتب قد أدخل من الصناعة بمُعْظَمِها ، وترك من البلاغة غايةً مُحْكَمَها . بل يجب أن يبدأ بخطاب رئيس أو نظير أو مرءوس ، ويكون ما يتخلل مكاتبته من الألفاظ على اتساق إلى آخرها وأطراد من غير مخالفة بينها ولا مُضَادَّةٍ ولا مناقضة .

فمن ذلك الفرق بين أصدرنا هذه المكاتبه أو أصدرناها ، وبين أُصْدِرَتْ ، وبين صَدَرَتْ . فأصدرناها أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس التي صَدَرَتْ المكاتبه عنه ، إذ الشيء يُشْرَفُ بشرف متعلقه . ويلي ذلك في الرتبة أُصْدِرَتْ ، لاقتضاءها إصداراً في الجملة ، والإصدار لا بُدَّ له من مُصْدِرٍ ، وذلك المُصْدِرُ هو الرئيس الصادرة عنه في الحقيقة . وإنما كانت دون الأولى للتصريح بالضمير هناك دون هنا . ودون ذلك في الرتبة صَدَرَتْ : لاقتضاء الحال صدورها بنفسها دون دلالة على المُصْدِرِ أصلاً .

ومن ذلك الفرق بين «ونبدى لعلمه» وبين «وضَّح لعلمه» : فنبدى لعلمه أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : لأن الإبداء يرجع في المعنى إلى إظهار شيء خفى ، والإيضاح يرجع إلى بيان مُشْكِل ، وحصول الإشكال المحتاج إلى الإيضاح ربما دلَّ على بُعد فهم المخاطب عن المقصود ، بخلاف إظهار الخفى فإنه لا يأتى إلى هذا الحد .

ومن ذلك الفرق بين «علمه الكريم» وبين «علمه المبارك» فالكريم أعلى من المبارك ، لأن في الكريم عراقة أصل وشرف قد تُوجد في المبارك وقد تختلف عنه .

ومن ذلك الفرق بين «ومرَّسومنا لفلان بكذا» وبين « والمرَّسوم له بكذا » : فرسومنا أعلى بالنسبة إلى المكتوب عنه لاشتماله على نون الجمع المقتضية للتعظيم ، ولذلك اختصَّت بالملوك دون ذيرهم ؛ بخلاف والمرَّسوم له بكذا فإنه دارج عن ذلك . ومن ذلك الفرق بين «والمسؤول» وبين « والمستمَد » : فإن المسؤول أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه ^(١) ، فإن المسؤول يتضمَّن نوع ذلة بخلاف الاستمداد فإنه لا يستلزم ذلك .

ومن ذلك الفرق بين « بلغنا » وبين « أنهى إلى علمنا » وبين « اتصل بنا » : فاتصل بنا أعلى من أنهى إلى علمنا ، لما في معنى الاتصال من الاصق ، بخلاف الإنهاء ؛ وأنهى إلى علمنا أعلى من بلغنا : لأن البلوغ قد يكون على لسان أحاد الناس .

(١) في الاصول « عنه » والتصحيح من الضوء .

ومن ذلك الفرق بين «أنهى فلان كذا» وبين «عرفنا كذا» : فعرفنا أعلى بالنسبة إلى رافع الخبر ، لأن في التعريف مزية قُرب من الرئيس ، بخلاف الإنهاء فإنه لا يقتضى ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «وردت مكاتبته» وبين «وردت علينا مكاتبته» : فوردت علينا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبه الواردة : لتخصيصها بالورود على الرئيس بخلاف الورود المطلق .

ومن ذلك الفرق بين «عُرِضَتْ علينا مكاتبتك» وبين «وَقَفْنَا على مكاتبتك» فوقفنا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبه : لأن الوقوف عليها يكون بنفسه ، والعرض يكون من غيره .

ومن ذلك الفرق بين «وشكرتُ الله تعالى على سلامته» وبين «وتَوَالَى شُكْرِي لله تعالى» : فتوالى شُكْرِي أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : لما فيه من معنى التكرار ومزِيد الشكر المَعْدُوق بالاحتفال .

ومن ذلك الفرق بين «وَرَغِبْتُ إلى الله تعالى» وبين «وَضَرَعْتُ إلى الله تعالى» : فَضَرَعْتُ أعلى مِنْ رَغِبْتُ : لما في الضراعة من مزيد التأكيد في الطلب ، بخلاف الرغبة فإنها لا تبلغ هذا المبلغ .

ومن ذلك الفرق بين «وقابلتُ أمره بالطاعة» وبين «وَأَمْتَلْتُ أمره بالطاعة» : فَأَمْتَلْتُ أمره أعلى مِنْ قابلتُ أمره ، لما في الأمثال من معنى الإذعان والانقياد ، بخلاف المُقابَلَة .

ومن ذلك الفرق بين «وَشَفَعْتُ لَهُ» وبين «وَسَأَلْتُ فِيهِ» : فالسؤال أعلى في حق المسئول من الشفاعة : لما في الشفاعة من رفعة المقام المؤدى إلى قبول الشفاعة .^(١)
ومن ذلك الفرق بين «وخاطبْتُ فلانا في أمره» وبين «وتحدّثْتُ في أمره» : فتحدّثت أشد في تواضع المتكلم من خاطبت ، لأن الخطاب من الألفاظ الخاصة التي لا يتعاطاها كل أحد بخلاف التحدّث .

ومن ذلك الفرق بين «تَشْرِيفِي بكذا» وبين «إِسْعَافِي بكذا» [وبين «إِتْحَافِي بكذا»]^(٢) فالإسعاف أعلى رتبة من التشريف لما فيه من دعوى الحاجة والفاقة إلى المطلوب ، بخلاف التشريف ؛ وإِتْحَافِي دون تشْرِيفِي لأن الإِتْحَاف قد لا يقتضى تشريفا .

ومن ذلك الفرق بين قوله : «نَزَلَ عِنْدَهُ» وبين قوله : «نَزَلَ بِسَاحَتِهِ» : فالساحة أعلى لما فيها من معنى الفُسْحَةِ والِاتِّسَاعِ .

ومن ذلك الفرق بين «فِيُحِيطُ عِلْمُهُ بِذَلِكَ» وبين «فَيَعْلَمُ ذَلِكَ» : فَيُحِيطُ علمه أعلى من يَعْلَمُ ذَلِكَ : لأن في قوله فَيُحِيطُ عِلْمُهُ بِذَلِكَ نسبته إلى سَعَةِ العلم : لما فيه من معنى الإحاطة بخلاف فَيَعْلَمُ ذَلِكَ .

(١) عبارة الضوء "لما في السؤال من معنى الذلة وما في الشفاعة من معنى الشرف" وهي أوضح .

(٢) الزيادة من الضوء وهي ساقطة من قلم الناسخ بدليل بقية الكلام .

الأصل الخامس

(أن يعرف مواقع الدُّعاء في المكتبات ، فيدعو بكل دُّعاء في موضعه)

ويتعلق النظر فيه بسنة أوجه

الأول — أن يعرف مراتب الدُّعاء ليوقيعها في مواقعها ، ويوردها في مواردها ، ويتأتى ذلك في عدة أدعية .

(منها) الدُّعاء بإطالة البقاء ، والدُّعاء بإطالة العمر : فالدُّعاء بإطالة البقاء أرفع من الدُّعاء بإطالة العمر . وذلك أن البقاء لا يدلُّ على مُدة تنقضي لأنه ضدُّ الفناء ، والعمر يدلُّ على مُدة تنقضي ؛ ولذلك يُوصفُ الله تعالى بالبقاء ولا يوصفُ بالعمر . قال في ”موادِّ البيان“ : ومن هنا جعل الدُّعاء بإطالة البقاء أولَ مراتب الدُّعاء وخصَّ بالخلفاء ، وجعل ما يليه لمن دُونهم . ويتلوهُ الدُّعاء بالمدِّ في العمر ، فيكون دُونَ الدُّعاء بالإطالة ، لأن الوصفَ بطول الزمان أبلغ من الوصفَ بالمدِّ فيه من حيث إن المدَّ قابلٌ للمدَّة الطويلة والمدَّة القصيرة ؛ ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب إلى مرتبة البقاء من مرتبة المدِّ .

(ومنها) الدُّعاء بدوام النعمة ، والدُّعاء بمضاعفتها : فالدُّعاء بالمضاعفة أعلى : لأن الدوام غايته استصحاب ما هو عليه ، والمضاعفة مقتضية للزيادة على ذلك .

(ومنها) الدُّعاء بعزِّ الأنصار ، وبِعزِّ النَّصر ، وبِعزِّ النَّصرة . وقد أصطلح مُتَّكِّب الزمان على أن جعلوا أعلاها الدُّعاء بعزِّ الأنصار ، لأن عزِّ أنصاره عزُّه بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القدر ورفع الشان ؛ إذ الأنصار لا تكون إلا لملك عظيم أو أمير كبير . والدُّعاء بعزِّ النصر أعلى من الدُّعاء بعزِّ النَّصرة : لما في الأول من

معنى التذكير وهو أرفع رتبةً من التأنيث . على أنه لو جعل الدعاء بعز النصر
أعلى من الدعاء بعز الأنصار، لكان له وجه : لما في عز النصر من الفناء عن
عز الأنصار .

(ومنها) الدعاء بعز الأحكام ، والدعاء بتأييد الأحكام : فالدعاء بعز الأحكام
أعلى : لأن المراد بالتأييد التقوية ، فقد توجَدُ القوة ولا عزَّ معها .

وينبغي للكاتب أن يختارَ في تنزيل كلِّ أحدٍ من المكتوب إليهم منزلته في الدعاء ،
فلا ينقصُ أحداً عن حقِّه ، ولا يزيدُه فوق حقِّه ، فقد قال في ”موادِّ البيان“ :
إن المملوكَ تَسْمَحُ ببدراتِ المال ولا تَسْمَحُ بالدَّعوة الواحدة .

الثاني — أن يَعْرِفَ ما يناسبُ كلَّ واحدٍ من أربابِ المَناصِبِ الجلييلة من
الدعاء فيُخَصِّصُ به .

فيأتي بالدعاء في المكتبة للولك بإطالة البقاء ، ودوام السلطان ، وخلود الملك ،
وما أشبه ذلك .

ويأتي في المكتبة إلى الأمراء بالدعاء بعز الأنصار ، وعز النصر ، ومضاعفة
النعمة ، ومداومتها وما شا كل ذلك . على أن ابن شيث قد ذكر في ”معالم الكتابة“ :
أن الدعاء بعز النصر ومضاعفة الاقتدار كان في الدولة الأيوبية مما يختص بالسلطان
دون غيره .

ويأتي في المكتبات للوزراء من أرباب الأقاليم ومن في معانهم بالدعاء بسُبُوح
النعماء ، وتخليد السعادة ، ودوام الحمد ، وما يضاهي ذلك .

ويأتي في المكتبات للقضاة والحكام بالدعاء بعز الأحكام ، وتأيد الأحكام
وما يطابق ذلك .

ويأتى فى المكتبة إلى التجّار بالدعاء بمزيد الإقبال ، وخُلُود السعادة وشبه ذلك .
ويأتى فى المكتبة فى الإخوانيات ومكاتبات النظراء من الدعاء بما يقتضيه الحال
بينهم من الودّ والإدلال ، بحسب ما يراه الكاتب ويؤدى إليه آجتهاده . قال
فى "موادّ البيان" : وقد كانوا يختارون فى الدعاء للأدباء أبقاك الله ، وأكرمك الله .
وفى الدعاء للابن والحُرمة أبقاك الله وأمتع بك .



أما أهل الكُفْرِ فقد أصطلحوا على الدعاء لهم بطول البقاء وما فى معناه . أمّا جواز
اصل الدعاء لهم فلمّا روى أنّ النّبىّ صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودى ،
فقال له : بحمك الله ، فما روى الشيب فى وجهه حتى مات ، فدلّ على جواز الدعاء
للكافر بما لا ضرر فيه على المسلمين ما لم تنضم إليه قوّة ونحو ذلك ، بل ربما كان
فى طول بقائه حمل جزية أو غنيمة أو ثواب جهادٍ ونحو ذلك . وقد حكى أبو جعفر
النجّاس فى "صناعة الكُتاب" : أن الشافعى رضى الله عنه قال لنصرانى : أعزّك
الله ! فعوتب فى ذلك ، فقال^(١)

وأعلم أنه يجب مع ذلك أن يعرف مرتبة المكتوب إليه من الدعاء ، فيدعو بعزّ
الأنصار لواحد ، ويدعو بعزّ النصر لمن دونه : لأنّ عزّ الأنصار مستلزم لعزّ النصر .
على أنه لو قيل : إن عزّ النصر أعلى لكونه دعاءً لنفس الشىء بخلاف الدعاء بعزّ
الأنصار فإنه دعاء لشيء خارجي لكان له وجه . ويدعو بعزّ النُصرة لمن دون من
يُدعى له بعزّ النصر ، لأنّ النصر مذكّر ورتبة التذكير أعلى من رتبة التأنيث .

(١) بياض فى الاصول بقدر كلمتين ولم يورده فى الضوء ولعل الشافعى استدل بالحديث السابق .

ويدعو بدوام النعمة الواحد ويدعو بمضاعفة النعمة لمن دونه^(١) ، لأن الصيغة تقتضى مزيداً على القدر الحاصل ، بخلاف الدوام فإنه يقتضى استصحاب القدر الحاصل فقط ، وعلى هذا النهج . قال في ”معالم الكتابة“ : ولا يُكتب عن السلطان إلى أحد ممن في ممالكه بلا زال ، ولا برح ، بل يختص ذلك بملك مثله . قال : ولا حرج في الكتابة بذلك عن السلطان إلى ولده إذا كان نائباً عنه في الملك . قال : وكذلك لا يدعو الأعلى للأدنى بلا زال ، ولا برح .

قلت : والذي استقر عليه الحال الكتابة عن السلطان بذلك لأكابر الثواب ، ويكتب به أكابر الدولة بعضهم إلى بعض .

الثالث — أن يعرف ما يناسب كل حالة من حالات المكاتبات ، فيأتى لكل حالة بما يناسبها من الدعاء . قال في ”مواد البيان“ : ينبغي أن تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب : فإن كان في الهناء كان بما راجت معرفته ، وإن كان في العزاء كانت مشتقة من وصفه ، وكذلك سائر فنون المكاتبات ، فإنه متى خرج الدعاء عن المناسبة وباين المقصود ، خرج عن جادة الصناعة وتوجه اللوم على الكاتب ، لاسيما إذا أتى بما يضاد المراد . كما حكى أبو هلال العسكري في ”الصناعتين“ أن بعضهم كتب إلى محبوبته : عصمنا الله وإياك مما يُكره . فكتبت إليه : يا غليظ الطبع ! إن أستجيب لك لم نلتق أبداً .

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال المكاتبات : فتارة تكون باعتبار الشيء المكتوب بسببه . كما يكتب في معنى الإشارة بجلوس الملك على تحت الملك : لا زال أمره ! وأمتعته من البشائر بما يتوهم على جبين الصباح بشره ، وما يترجح على ميزان الكواكب قدره ، وما ينفسح من أوقات أمن لا يختلف فيها زيده وعمره .

(١) صوابه ”لمن فوقه“ كما هو مقتضى التعليل بعد وكما يؤخذ من عبارة الضوء ص ٢٣٤ .

وَمَا يُكْتَبُ فِي الْبَشَرِ بِفَتْحٍ : وَلَا زَالَتْ آيَاتُ النُّصْرِ تُشْلِي دَلِيلَهُ مِنْ صُحُفِ
الْإِسَاءِ ، وَنَفَاسُ الظُّفْرِ يُجْلِي عَلَى يَمْرِهِ فِي أَسْعَدِ طَائِرٍ ، وَنَوَاحُ الْفَتْحِ تُزْهِى بِهِ الْأَسْرَةُ
وَتَرْهُو بِنُورِهِ الْمَنَارُ .

وَمَا يُكْتَبُ فِي التَّهْنِئَةِ بِعَافِيَةٍ ، وَلَا بَرِحَ فِي بُرْدِ الصَّحَةِ رَافِلًا بَعَزْمِهِ وَحَزْمِهِ ^(١)
كَافِلًا ، وَالْإِنْبَالُ لِحَنَابِهِ الْعَالِي بِالْهَنَاءِ بِعَافِيَتِهِ وَأَصِلًا .

وتارة تكون باعتبار حال المكتوب إليه التي هو بصدددها .

كَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ إِلَى الْغَزْوِ : وَحَفَّهُ بِطُفِيفِهِ فَلَا يَخِيبُ ، وَهَيَّالَهُ النُّصْرَ وَالْفَتْحَ
الْقَرِيبَ ، وَجَعَلَ عَلَى يَدَيْهِ دَمَارَ الْكُفَّارِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمْ بِشِدَّةَ بَأْسِهِ مِنَ السَّلَامَةِ
نَصِيبٌ .

وَمَا يُكْتَبُ إِلَى مَنْ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ : وَأَمْتَعَهُ بِصُيُودِهِ ، وَجَعَلَ الْأَقْدَارَ مِنْ
جُنُودِهِ ، وَأَرَاهُ مِنْ مَصَارِعِ أَعْدَائِهِ بِسُيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ مَا يَرَاهُ مِنْ مَصَارِعِ صَيْدِهِ يُبْزَاتِهِ
وَفُئُودِهِ .

وَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَفَرٍ : وَقَضَى بِقُرْبِ رَجْعَتِهِ ، وَجَعَلَهُ كَالْهَلَالِ فِي مَسِيرِهِ
سَبَبُ رِفْعَتِهِ ، وَسَكَنَ بِقُدُومِهِ أَشْوَاقَ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلٍ مَحَبَّتِهِ .

وَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ لِتَخْضِيرِ الْبِلَادِ : وَأَلْبَسَ الْبِلَادَ بِقُدُومِهِ أَخْضَرَ الْأَنْوَابِ ،
وَأَحْلَاهُ أَشْرَفَ مَحَلٍّ وَأَخْصَبَ جَنَابٍ .

وتارة تكون باعتبار وظيفة المكتوب إليه التي هو قائم بها

كَمَا يُكْتَبُ إِلَى كَافِلِ الْمَلِكَةِ : وَلَا زَالَتْ كِفَايَةُ كَفَالَتِهِ تَزِيدُ عَلَى الْآمَالِ ، وَتَتَقَرَّبُ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَتَكْفُلُ مَا يَنْبَغِي أَفْصَى الْجُودِ وَأَفْصَى الشَّمَالِ .

(١) . يياض في الاصول بقدر كلمة ولعله ولا زال الزمان .

وكما يكتب إلى قاض : وفصل بين الخصوم بأحكام المسدده ، وأقضيته التي بها قواعد الإسلام ممهده ، وأبنة الشرع المطهر وأركانه مشيده .

وكما يكتب إلى متصوف : وأعاد من بركات تهجداته ، وأنازل الليالي بصلاح دعواته .

وتارة تكون باعتبار بلد المكتوب إليه وناحيته .

كما يكتب إلى نائب الشام : ولا زال النصر حلية أيامه وشامة شاميه ، وعمامة مايجلئ على بلده المخضب من غمامه .

وكما يكتب إلى نائب حلب في زمن الحروب : ولا زال يعد ليوم تشيب فيه الولدان ، ويصد دونه كل محارب بين الشهباء والميدان ، ويعم حلب من حلي أيامه مالا يفقد معه إلا أسم ابن حمدان ، ونحو ذلك مما يخروط في هذا السلك .

وتارة تكون باعتبار أسم المكتوب إليه أو لقبه .

كما يكتب إلى من لقبه سيف الدين : ولا زال سيفه في رقاب أعدائه مغمدا ، وحده يذر كل ملحد ملحدا .

وكما يكتب إلى من لقبه عز الدين : ولا زال عزه دائما ، والزمان في خدمته قائما ، وطرف الدهر عن مراقبة سعادته نائما .

وكما يكتب إلى من لقبه شمس الدين : ولا زالت شمس سعادته مشرقه ، وأغصان فضله بالعوارف مورقه ، وعيون طوارق الغير عنه في كل زمن مطرقه .

وكما يكتب إلى من لقبه ناصر الدين : ونصر عزائم ، وشكر مكارمه ، ووفر من الحسنات مغائمه . إلى غير ذلك من الأمور التي ستقف على الكثير منها في الكلام على مقاصد المكاتبات إن شاء الله تعالى .

الرابع — أن يعرف مواضع الدعاء على المكتوب إليه، ومن الذى يُصرّح بذلك فى المكاتبة إليه . قد ذكر ابن شيث فى ” معالم الكتّابة “ أن الدعاء على الأعداء فى صُدُور الكُتُب كان من عوائد مكاتبة الأذنى إلى الأعلى . مثل : وقصم، وأذلّ، وقهر، وخضد . وكذلك المائل والمقارب؛ فأما من الأعلى إلى الأذنى فلم يكن ذلك معروفاً عند المتقدمين ، لاسيما إذا كان الكتّاب عن السلطان . ثم قال : ولكن قد أفلتَ الجبلُ فى ذلك الآن [إلى أن] قال : ولا يقال للأذنى غير كَبَتَ عدوه ، أو ضَدّه ، أو حَسُوده خاصة .

ومنها ^(١) — أن يعرف ما كرهه الكتّاب من الدعاء فيتجنّبهُ . وهو على ضربين :

الضرب الأول

(ما كرههُ فى المكاتبة إلى كل احد)

قال فى ”موادّ البيان“ : كانت عادتهم جاريةً ان يتجنّبوا من الأدعية ما لا مَحْصُولَ له ، كقولهم : جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ ، وقَدِمَنِي إلى السُّوءِ دُونَكَ : لما فى ذلك من التصنع والمآلى الذى لا يرضاه السلطان ، لأن نفس الداعى لا تَسْمَحُ باستجابته . ويؤيد ما ذكره ما كتب به ابن عبد كان إلى بعض أصدقائه : جُعِلْتُ فِدَاكَ على الصحة والحقيقة ، لا على تجرئ المكاتبة ومذهب العادة . قال فى ”موادّ البيان“ : وإنما يحسن ذلك من الخواصّ الذين يتحقّقون أن بقاءهم معدوقٌ ببقاء رؤسائهم ، وثبات نِعَمهم مقرونٌ بثبات أيام سلاطينهم ، لأنه يصدر عن عقائد مستحكمةٍ من بَدَلِ الأنفسِ دُونَهُمْ . وما ذهب إليه من كراهة ذلك قد نقل فى ”صناعة الكتّاب“ مثله عن مالك بن أنس ، وأحتجّ له بما رُوِيَ عن الزبير رضى الله عنه أنه قال

(١) عدّها فى الضوء مرتبة خامسة وهو أنسب .

للنبي صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَتْ فِدَاكَ - فقال له أما تَرَكَتَ أَعْرَافِيَّتَكَ بَعْدُ ! »
على أن بعضهم قد أجاز ذلك احتجاجاً بقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن مالك يوم
أُحُد : « إِرِمَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » وبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟ قال نعم
جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! » ولم يُنْكِرْ عليه ، ونحو ذلك ؛ وفي معنى ذلك كل ما يجرى هذا
المجرى ونحوه .

الضرب الثاني

(ماتختص كراهته بالبعض دون البعض ، وهو نوعان)

النوع الأول - ما يختص بالرجال ، فمن ذلك ما ذكره في " مواد البيان " : أنهم
كانوا لَا يَسْتَحْسِنُونَ الدعاء بالإمتاع نحو أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ وَأَمْتَعْنِي اللَّهُ بِكَ ، في حق
الإخوان . ومما يُحْكِي في ذلك أن محمد بن عبد الملك الزيات ، كتب إلى عبد الله
ابن طاهر في كتاب : وَأَمْتَعَ بِكَ ؛ فكتب إليه عبد الله بن طاهر :

أُحِلَّتْ عَمَّا عَهْدْتُ مِنْ أَدَبِكَ ؟ * أَمْ نِلْتَ مُلْكًا قَهْتِ فِي كِتَابِكَ ؟
أَتَعَبْتَ كَفِّيكَ فِي مُكَاتَبَتِي * حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعَبِكَ !
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي مِقَّةٍ * يَكُونُ فِي صَدْرِهِ ، " وَأَمْتَعَ بِكَ " .

فأجابه محمد بن عبد الملك الزيات معتذرا بقوله :

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي ؟ * وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَا لِمَنْ سَبَّكَ !

إِنْ يَكُ جَهْلُ أَتَاكَ مِنْ قَبْلِي ، * فَعُدْ بِفَضْلِ عَلَيَّ مِنْ أَدَبِكَ .

على أن في كراهة الدعاء للإخوان بذلك نظرا فسيأتي في الكلام على ترتيب المكاتبات على سبيل الإجمال أن أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم [قالت]: اللهم أمتني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية - في حديث طويل يأتي ذكره هناك إن شاء الله تعالى .

أما الدعاء بالإمتناع للاتباع، فقد أجازته جماعة من محققى الكتاب، محتجين على ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم دعا لأبي اليسر: كعب بن عبيد الله بقوله «اللهم أمتعنا به» . قال ابن عفير: فكان آخر أهل بدر وفاة، مات سنة خمس وخمسين من الهجرة .

النوع الثانى - ما يختص بالنساء . فقد ذكر «أبو جعفر النحاس» أنه لا يقال في مكاتبتهم «وأدام كرامتك» ولا «وأتم نعمته عليك» ولكن لديك، ولا «فضله عندك» ولا «وأدام سعادتك» . أما منع الدعاء لهم بالكرامة، فلما حكى محمد بن عمر المدائنى أن بعض عمال زبيدة كتب إليها كتابا بسبب ضياع لها فوقعت له على ظهر كتابه: أردت أن تدعونا فدعوت علينا، فأصلح خطاك في كتابك وإلا صرفناك عن جميع أعمالك! . فأدركه القلق، وجعل يتصفح الكتاب ويعرضه على الكتاب فلا يجد فيه شيئا، إلى أن عرض له على بعض أهل المعرفة فقال: إنما كرهت دعاءك في صدر كتابك بقولك: وأدام كرامتك: لأن كرامة النساء دفنهن - قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «دفن البنات من المكرمات» فغير ذلك الحرف من كتابه وأعادته إليها فوقعت له على ظهره - أحسنت ولا تعد - . وأما كراهة وأتم نعمته عليك وإبدال ذلك بلفظ وأتم نعمته لديك، فكانه لما يلح فيه من ذكر العلو على النساء . وأما منع وأتم فضله عندك، أو وأتم سعادتك فيحتاج إلى تأمل .

(١) الذى فى « خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال » للزجى (كتب بن عمرو بن عباد بن عمرو) ونحوه فى تاج العروس مادة ى من ر .

الخامس — أن يتجنب الخلاف في الدعاء في فصول الكتاب، ولا يُوالى بين دَعْوَتَيْنِ منه [متفقتين]. فاما الخلاف في الدعاء، فقال أبو جعفر النحاس : هو مثل أن يقول أطل الله بقاء سيدي — بلفظ الغيبة ، ثم يقول بعد ذلك : وبلغك أملك — بلفظ الخطاب . وأما الموالاة بين دَعْوَتَيْنِ ولا يأتى بهما متفقتين ، فقال في ”مواد البيان“ : هو مثل حرس الله الأمير أعزّه الله ؛ ثم يقول في الفصل الذى بعده : أعزّه الله تعالى ، وما اشبه ذلك .

السادس — أن يتجنب وقوع اللبس في الدعاء . فإذا ذكر الرئيس مع عدوه مثلا ، لم يدع للرئيس حينئذ ، فإنه لو ذهب يقول وقد كان من عدو سيدي — أبقاه الله — كذا ، لاحتل عود الدعاء إلى الرئيس وإلى عدوه فيقع اللبس . أما إذا ذكر الرئيس وحده كما إذا قال : وقد كنت عرفت سيدي — أبقاه الله — كذا ، فإنه لا آلتباس .

الأصل السادس

(أن يعرف ما يناسب المكتوب إليه من الألقاب فيعطيه حقه منها)

ويتعلق الغرض من ذلك بثلاثة أمور .

أحدها — أن يعرف ما يناسب من الألقاب الأصول — المتقدمة الذكر في المقالة الثالثة عند الكلام على الألقاب المصطلح عليها بحسب ذلك الزمان : كالمقام ، والمقر ، والحناب ، والمجلس — في زماننا ؛ فيعطى كل أحد من المكتوب إليهم ما يليق به من ذلك ؛ فيجعل المقام لأكابر الملوك . والمقر لمن دونهم من الملوك ، وللرتبة العليا

(١) عبارة الضوء ص ٢٦ ؛ هكذا ”وأما موالاة دَعْوَتَيْنِ متفقتين فقل أن يقول أعزّه الله تعالى ثم يقول في الفصل الذى بعده أعزّه الله تعالى“ وهى أوضح .

من أهل المملكة . والجناب للرتبة الثالثة من الملوك والرتبة الثانية من أهل الدولة .
والمجلس للرتبة الرابعة من الملوك والرتبة الثالثة من أهل الدولة . ومجلس الأمير لمن
دون ذلك من أهل الدولة على المصطلح المستقر عليه الحال .

الثاني — أن يعرف ما يناسب كل لقب من الألقاب الأصول من الألقاب
والنوعت التابعة لذلك ؛ فينبع كل واحد من الأصول بما يناسبه من الفروع .
الثالث — أن يعرف مقدار المكتوب إليه ، فيؤفقه قسطه من الألقاب في الكثرة
والقلة بحسب ما يجري عليه الاصطلاح . فقد ذكر في ”معالم الكتابة“ أن السلطان
لا يكثر في المكتبة إليه من نعوته ، بل يقتصر على الأشياء التي تكون فيه : مثل العالم
العادل . أما غير ذلك فيقع باللقبين المشهورين : وهما نعته المفرد ، ونعته المضاف
إلى الدين . وأنه في الكتابة عن السلطان كلما زيد في النعوت كان أميز : لأنها على
سبيل التشریف من السلطان ، ويجعل المضاف إلى الدين متوسطا بين الألقاب
لا في أولها .

الأصل السابع

(أن يراعى مقاصد المكتبات ، فيأتي لكل مقصد بما يناسبه)

ومدار ذلك على أمرين :

الأمر الأول — أن يأتي مع كل كلمة بما يليق بها ، ويتغير لكل لفظة
ما يشاء كلها . قال ابن عبد ربه : وليكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر البلوى
بمثل : نسأل الله رفع المحذور ، وصرف المكروه ، وأشباه ذلك . وفي موضع ذكر
المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون . وفي موضع ذكر النعمة ، الحمد لله خالصا ،

وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَاجِبًا ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ . قَالَ فِي ”مَوَادِّ الْبَيَانِ“ : وَإِذَا ذَكَرَ الْبَلَوُ شَفَعَهَا بِالْأَسْتَعَانَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِ فِيهَا ، وَرَدَ الْأَمْرَ إِلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ مِمَّا يَتَعَيَّنُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَتَفَقَّدهَا وَيَحْفَظَ فِيهَا ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ إِنَّمَا يَصِيرُ كَاتِبًا بِأَنْ يَضَعَ كُلَّ مَعْنَى فِي مَوْضِعِهِ ، وَيُعَلِّقَ كُلَّ لَفْظٍ عَلَى طَبَقِهِ فِي الْمَعْنَى .

وَمَا يَلْتَحِقُ بِذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الرَّئِيسَ فِي أَثْنَاءِ الْمَكَاتِبَةِ ، دَعَا لَهُ ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ ذِكْرِ السُّلْطَانِ : خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ . وَعِنْدَ ذِكْرِ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ : عَزَّ نَصْرُهُ ، أَوْ : أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ . وَعِنْدَ ذِكْرِ الْحَاكِمِ : أَيْدِ اللَّهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى .

الْأَمْرُ الثَّانِي — أَنْ يَتَخَطَّى التَّصْرِيحَ إِلَى التَّلْوِيجِ وَالْإِشَارَةِ إِذَا أَلْجَأَتْهُ الْحَالُ إِلَى الْمَكَاتِبَةِ بِمَا لَا يَجُوزُ كَشْفُهُ وَإِظْهَارُهُ عَلَى صَرَاحَتِهِ ، مِمَّا فِي ذِكْرِهِ عَلَى نَصِّهِ هَتْكَ سِتْرِهِ ، أَوْ فِي حِكَايَتِهِ أَطْرَاحَ مَهَابَةِ السُّلْطَانِ ، وَإِسْمَاعُهُ مَا يِلْزَمُ مِنْهُ إِخْلَالُ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ ، كَمَا لَوْ أَطْلَقَ عُدُوَّهُ لِسَانَهُ فِيهِ بَلْفِظٍ قَبِيحٍ يُسَوِّءُهُ سَمَاعُهُ . قَالَ فِي ”مَوَادِّ الْبَيَانِ“ : فَيَحْتَاجُ الْمُنْشِئُ إِلَى آسْتِعْمَالِ التَّوْرِيَةِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ ، وَالتَّلَطُّفِ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ هَذِهِ الْمَعْنَى ، وَإِبْرَازِهَا فِي صُورَةٍ تَقْتَضِي تَوْفِيَةَ حَقِّ السُّلْطَانِ فِي التَّوْقِيرِ وَالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، وَالتَّزْيِيهِ عَنِ الْمَخَاطَبَةِ بِمَا لَا يَجُوزُ إِمْرَارُهُ عَلَى سَمْعِهِ ، وَإِيصَالِ الْمَعْنَى إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ خِيَانَةٍ فِي طَيِّ مَا لَا غِنَى بِهِ عَنْ عِلْمِهِ . قَالَ : وَهَذَا مِمَّا لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ إِلَّا الْمُبَرِّزُ فِي الصَّنَاعَةِ ، الْمُتَصَرِّفُ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ .

الأصل الثامن

(أن يَعْرِفَ مقدارَ فهم كل طبقة من المخاطبين في المكتابات من اللسان)
 فيخاطب كلُّ أحد بما يناسبه من اللفظ ، وما يصل إليه فهمه من الخطاب) .
 قال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" : "أول ما ينبغي أن تستعمل في كتابك
 مكتبة كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام وقوتهم في المنطق . قال : والشاهد
 على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس ، كتب
 إليهم بما يُمَكِّنهم ترجمته فكتب إليهم : "من محمد رسول الله إلى كسرى أبرويز
 عظيم فارس ، سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله
 فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة" (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ)
 فأسلم تسلم ، وإن آيت فأثم الجؤس عليك " فسهل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الألفاظ غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة بالعربية .

ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب ، نغم اللفظ لما عرف من قوتهم على
 فهمه ، وعادتهم بسماع مثله ؛ فكتب لوائل بن حجر الحضرمي : "من محمد رسول الله
 إلى الأقبال العبايلة من أهل حضرموت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : على التبعة
 الشاة ، والبيعة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس ، لا خلاط ولا وراط ولا شناق
 ولا شغار ، ومن أجبي فقد أربى ، وكل مسكر حرام " .

وقد ذكر العسكري أيضا في باب الإطناب ما يحسن أن يكون شاهداً لذلك
 من الثمران الكريم - فقال : قد رأينا أن الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب ،
 اخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي كما في قوله تعالى خطاباً لأهل مكة

((إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ)) وقوله : ((إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)) وقوله : ((أَوَلَيْسَ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)) في أشباه كثيرة لذلك . وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم ، جعل الكلام مبسوطا ، كما في سورة طه وأشباهها ، حتى إنه قلما تجد قصة لبنى إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة ، لبعد فهمهم ، وتأخر معرفتهم .

قال في "مواد البيان" : فيجب على الكاتب أن يتنقل في استعمال الألفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين ، وتوجيه الأحوال المتغيرة ، والأوقات المختلفة : ليكون كلامه مشاكلا لكل منها ، فإن أحكام الكلام تتغير بحكم تغير الأزمنة والأمكنة ومنازل المخاطبين والمكاتبين .

قال : ولتحرى الصّدر الأوّل من الكتاب إيقاع المناسبة بين كتبهم وبين الأشياء المتقدمة الذكر أستعمل كتاب الدولة الأموية من الألفاظ العربية الفحلة ، والمتينة الجزلة ، بما لم تستعمل مثله الدولة العباسية : لأن كتاب الدولة الأموية قصدوا ما شاكل زمانهم الذى استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها ، حتى عدت في جملة الفضائل التى يُثابروا على اقتنائها ، والأمكنة التى نزلها ملوكهم من بلاد العرب ، والرجال الذين كانت الكتب تصدر إليهم ؛ وهم أهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر .

أما زمان بنى العباس ، فإن الهيم تقاصرت عما كانت مقلبة على طلبه فيما تقدم من العلوم المتقدم ذكرها ، وشغلت بغيرها من علوم الدين ؛ ونزل ملوكهم ديار العراق وما يجاورها من بلاد فارس ، وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستفاضة فى أرض الحجاز والشام . ومن المعلوم أن القوم الذين كانوا يكتبون عنهم لا يجارون تلك الطبقة

فى الفَصَاحَةِ والمُعْرِفَةِ بِدِلَالَةِ الكَلَامِ؛ فَانْتَقَلَ كُتَّابُهَا مِنَ اللَّفْظِ الْمَتِينِ الْجَزَلِ، إِلَى اللَّفْظِ الرَّقِيقِ السَّهْلِ؛ وَكَذَلِكَ انْتَقَلَ مَتَأَخَّرُو الْكُتَّابِ عَنِ أَلْفَاظِ الْمُتَقَدِّمِينَ إِلَى مَا هُوَ أَعَذَبُ مِنْهَا وَأَخَفُ، لِلْعَنَى الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ .

قال : وَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يُرَاعِيَ هَذِهِ الْأَحْوَالَ، وَيُوقَعَ الْمُشَاكَلَةَ بَيْنَ مَا يَكْتُبُهُ وَبَيْنَهَا، فَإِذَا أَحْتَاجَ إِلَى إِصْدَارِ كِتَابٍ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ النِّوَاحِي، فَلْيَنْظُرْ فِي أَحْوَالِ قَاطِنِيهَا: فَإِنْ كَانُوا مِنَ الْأُدْبَاءِ الْبُلَغَاءِ الْعَارِفِينَ بِنَظْمِ الْكَلَامِ وَتَأْلِيفِهِ، فَلْيُودِعْ كِتَابَهُ الْأَلْفَاظَ الْجَزَلَةَ، الَّتِي إِذَا حُلِّيتْ بِهَا الْمَعَانِي زَادَتْهَا نَفَامَةٌ فِي الْقُلُوبِ، وَجَلَالَةٌ فِي الصُّدُورِ . وَإِنْ كَانُوا مِمَّنْ لَا يَفَرِّقُ بَيْنَ خَاصِ الْكَلَامِ وَعَامِهِ، فَلْيُضْمَنْ مِمَّا يَكُونُ الْأَلْفَاظُ الَّتِي يَتَسَاوَى سَامِعُوهَا فِي إِدَارِكِ مَعَانِيهَا، فَإِنَّهُ مَتَى عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ ضَاعَ كَلَامُهُ، وَلَمْ يَصِلْ مَعْنَى مَا كَتَبَ فِيهِ إِلَى مَنْ كَتَبَهُ: لِأَنَّ الْكَلَامَ الْبَلِغَ إِنَّمَا هُوَ مَوْضُوعٌ بِإِزَاءِ أَفْهَامِ الْبُلَغَاءِ وَالْفُصَحَاءِ . فَأَمَّا الْعَوَامُ وَالْحِشْوَةُ: فَإِنَّمَا يَصِلُ إِلَى أَفْهَامِهِمُ الْكَلَامُ الْعَاطِلُ مِنْ حُلِيِّ النَّظْمِ، الْعَارِي مِنْ كُسُوةِ التَّأْلِيفِ، فَيَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي مَخَاطَبَةِ مَنْ هَذِهِ صُورَتُهُ أَذْنَى رُتَبِ الْبَلَاغَةِ وَأَقْرَبَهَا مِنْ أَفْهَامِ الْعَامَّةِ وَالْأُمَمِ الْأَعْجَمِيَّةِ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِمْ .

ثم قال: فَأَمَّا الْكُتُبُ الْمَعْتَدَّةُ عَنِ السُّلْطَانِ، فَإِنَّ مِنْهَا كُتُبَ الْفَتْوحَاتِ وَالسَّلَامَاتِ وَنَحْوَهَا، وَهِيَ مُحْتَمَلَةٌ لِلأَلْفَاظِ الْفَصِيحَةِ الْجَزَلَةِ، وَالْإِطَالَةِ الْقَاضِيَةِ بِإِشْبَاعِ الْمَعْنَى، وَوَصُولِهِ إِلَى أَفْهَامِ كَافَّةِ سَامِعِيهِ مِنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ . وَمِنْهَا كُتُبُ الْخَرَاجِ وَجِبَابَتِهِ وَأُمُورِ الْمَاعَمَلَاتِ وَالْحِسَابِ، وَهِيَ لَا تَحْتَمِلُ اللَّفْظَ الْفَصِيحَ، وَلَا الْكَلَامَ الْوَجِيزَ لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَمَثِيلِ مَا يَعْمَلُ عَلَيْهِ، وَإِفْهَامِ مَنْ لَا يَصِلُ الْمَعْنَى إِلَى فَهْمِهِ إِلَّا بِالْبَيَانِ الشَّافِي

في العبارة . ومنها مخاطبته السلطان عن نفسه ، فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه من الخدمة من الألفاظ المتوسطة ، ولا يجوز أن يستعمل فيها الفصيحة التي لا تُحتمل من تابع في حق متبوع : لما فيه من تعاطي التفاضح على سلطانه ، وهو غير جائز في أدب الملوك ؛ وكذلك لا يجوز فيه تعاطي الألفاظ المبذلة الدائرة بين السوق ، لما في ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته إياه بما لا يُشبه رتبته .

وأما الكتب الإخوانيات النافذة في التهاني والتعازي ، فإنها تحتل الألفاظ الغريبة القوية الأخذ بجامع القلوب ، الواقعة أحسن المواقع من النفوس : لأنها مبذلة على تحسين اللفظ ، وتزيين النظم ؛ وإظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه .

قلت : والذي تُراعى الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات عن الأبواب السلطانية في زماننا مكاتبات ملوك المغرب : كصاحب تونس ، وصاحب تلمسان ، وصاحب فاس ، وصاحب غرناطة من الأندلس ، وكذلك القانات العظام من ملوك المشرق ومن يجري هذا الجرى ، ممن تشتمل بلادهم على العلماء بالبلاغة وصناعة الكتابة . ويظهر ذلك بالاستخبار عن بلادهم ، وبالاطلاع على كتبهم الصادرة عن ملوكهم إلى الأبواب السلطانية . بخلاف من لا عناية له بذلك : كحكام أصاغر البلدان واصحاب اللغات العجمية : من الروم والفرنج والسودان ومن في معناهم ؛ فإنه يجب خطابهم بالألفاظ الواضحة ، إلا أن يكون في بعض بلادهم من يتعاطى البلاغة من الكتاب ووردت كتبهم على نهجها فإنه ينبغي مكاتبتهم على سنن البلاء .

الأصل التاسع

(أن يُرَاعَى رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه في الخطاب ،

فيُعْبَرُ عن كل واحدٍ منهما في كلِّ مكتبة بما يليق به ،

ويُخَاطَبُ المكتوبُ إليه بما يقتضيه مقامه)

فأما المكتوب عنه ، فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته .

فإن كان المكتوبُ عنه خليفةً ، فقد جرت عادة مَنْ تقدّم من الكُتّاب بالتعبير عنه في الكُتُب الصادرة عن أبواب الخلافة بأمير المؤمنين ، مثل أن يقال : فَجَرَى أَمْرُ أمير المؤمنين في كذا على كذا وكذا ، وأَوْعَزَ أمير المؤمنين إلى فلان بكذا ، وأَقْتَضَى رَأْيَ أمير المؤمنين كذا ، وَنَحَرَ أَمْرُ أمير المؤمنين بكذا ، وَتَقَدَّمَ أَمْرُ أمير المؤمنين إلى فلان بكذا ، وما شاكل ذلك . وربما عُبِّرَ عنه بالسلطان ، مثل أن يقال في حَقِّ المخالفين : وَحَارَبُوا عَسَاكِرَ السلطان ، أَوْ مَنَعُوا خِرَاجَ السلطان وما أشبه ذلك ، يريدون الخليفة ، على ما ستَقِفُ عليه في الكُتُب التي تُورِدُها في المكاتباب عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقال ابن شيث في "معالم الكتابة" : وَيُخَاطَبُ بِالْمَوَاقِفِ الْمُقَدَّسَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالْعَتَبَاتِ الْعَالِيَةِ ، وَمَقَرِّ الرَّحْمَةِ ، وَمَحَلِّ الشَّرَفِ . وَذَكَرَ الْمَقَرَّ الشَّهَابِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ فِي "التعريف" نحوه . فَقَالَ : وَيُخَاطَبُ بِالْدِيَوَانِ الْعَزِيزِ ، وَالْمَقَامِ الْأَشْرَفِ ، وَالْجَانِبِ الْأَعْلَى أَوِ الشَّرِيفِ ، وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، بِمَجْدَدَةٍ عَنْ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا ، وَمَرَّةً غَيْرَ مَجْدَدَةٍ ، مَعَ مِرَاعَاةِ الْمُنَاسِبَةِ ، وَالتَّسْهِيدِ وَالْمُقَارَبَةِ . قَالَ : وَسَبَبُ الْخُطَابِ بِالْدِيَوَانِ الْعَزِيزِ الْخُضْعَانُ عَنْ مُحَاطَبَةِ الْخَلِيفَةِ نَفْسِهِ ، وَتَرْيُلُ الْخُطَابِ مُتْرَلَةً مَنْ يُخَاطَبُ

نفس الديوان ؛ والمعنى به ديوان الإنشاء ، إذ الكُتُب وأنواع المحاطبات إليه واردةٌ وعنه صادرةٌ .

وقد سبق في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة نقلاً عن ابن حاجب النعمان في ” ذخيرة الكتاب “ إنكار هذه الاستعارات والمختصرات ^(١) ، وسيأتى في المكتبة إلى الخلقاء ذكر ترتيبها إن شاء الله تعالى .

وإن كان المكتوب عنه ملكاً ، فقد جرت العادة أن يعبر عنه بنون الجمع للتعظيم فيقال : فعلنا كذا ، وأمرنا بكذا ، وأقتضت آراؤنا الشريفة كذا ، وبرزت مراسيمنا بكذا ، ومرسومنا إلى فلان أن يتقدم بكذا ، أو يتقدم أمره بكذا ، وما أشبه ذلك . وذلك أن ملوك الغرب كانوا يحجرون على ذلك في مخاطباتهم ، فجرت الملوك على سبيلهم في ذلك . وفي معنى الملوك في ذلك سائر الرؤساء : من الأمراء ، والوزراء ، والعلماء ، والكُتّاب ، ونحوهم من ذوى الأقدار العلية ، والأخطار الجليسة ، والمراتب السنية في الدين والدنيا ، ممن يصلح أن يكون أمراً وناهياً ، إذا كتبوا إلى أتباعهم ومأموريهم ، إذ كانت هذه النون مما يختص بذوى التعظيم دون غيرهم . وشاهد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ فدعاه دعاء المفرد لعدم المشاركة له في ذلك الاسم ، وسأله سؤال الجمع لمكان العظمة ، إلى غير ذلك من الآيات الواردة مؤرد الاختصاص له كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ وقوله : ﴿ نَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ وغير ذلك من الآيات . قال في ” معالم الكتابة “ : وقد أخذ كُتّاب المغرب بهذا مع ولاة أمورهم في الجمع بالميم فحاطبوا الواحد مخاطبة الجمع مثل : أتم ، وفعلتم ، وأمرتم ، وما أشبه ذلك .

(١) في الأصول والخواص وهو تعبير عن

قلت : والأمرُ في ذلك عندهم مستمِر إلى الآن . قال ابن شيث : وهو غيرُ مَأْصُور به عند غيرهم .

وإن كان المكتوب عنه مرعوساً بالنسبة إلى المكتوب إليه كالتابع ومن في معناه ، فقال في ” موادّ البيان “ : ينبغي أن يتَحَفَّظ في الكُتُب النافذة عنه من الإتيان بنون العظمة وغيرها من الألفاظ التي فيها تعظيمُ شأنِ المكتوب عنه مثل أن يقول : أمرتُ بكذا ، أو نهيتُ عن كذا ، أو وعزْتُ بكذا ، أو تقدّمَ أمرى إلى فلان بكذا ، أو أنهيَ إلى كذا ، أو خرجَ أمرى بكذا ، وما في معنى ذلك مما لا يُخاطَبُ به الأتباعُ رؤساءهم ، بل يعدل عن مثل هذه الألفاظ إلى ما يؤدّى إلى معناها مما لاعظمة فيه ، مثل أن يقول : وجدتُ صوابَ الرأى كذا ففعلته ، ورأيت السياسةَ تقتضى كذا فأمضيتها ، وما أشبه ذلك ، إن كان عُرِفَ الكُتّاب على الخطاب بالتاء ، وإلا قال : وجد المملوكُ صوابَ الرأى كذا ففعله ، ورأى السياسةَ تقتضى كذا فأمضاه ، وما يجري هذا المجرى .



وأما المكتوب إليه ، فقال أبو هلال العسكري في كتابه ” الصناعتين “ : ينبغي أن يَعْرِفَ قدرَ المكتوب إليه من الرؤساء ، والنظراء ، والعلماء ، والوكلاء : ليفرّق بين من يكتب إليه «أنا أفعل كذا» ومن يكتب إليه «نحن نفعل كذا» (فأنا) من كلام الأشباه والإخوان ، (ونحن) من كلام الملوك ، ويفرّق بين من يكتب إليه «فإن رأيت أن تفعل كذا» وبين من يكتب إليه : (فأراك) . قال في ” موادّ البيان “ : وذلك أن قولهم فإن رأيت أن تفعل كذا لفظُ النظراء والمساوين ، بخلاف فأراك ، فإنه لا يكتبه إلا جليلاً ، معظّم : لتضمنها معنى الأمر والتقديرُ ففرايك ، بخلاف فإن رأيت ، فإنه لا أمر فيه ، إذ يقال : فإن رأيت أن تفعل كذا فافعله . على أن الأخفش

قد أنكر هذا على الكتاب ، لأن أقل الناس يقول للسلطان : أنظر في أمري ، ولفظه لفظ الأمر ومعناه السؤال . وذكر مثله في " صناعة الكتاب " عن النحويين . قال في " مواد البيان " : وُجِّهَ الكتاب أن المشافهة تحتمل ما لا تحتمله المكتبة ، لأن المشافهة حاضر يحضر الإنسان لا يمكنه تقييده وترتيبه ، والمكتبة بخلاف ذلك ، فلا عذر لصاحبها في الإخلال بالأدب . قال ابن شيث : وقد أصطلحوا على أن يكتب في أواخر الكتب : « وللاراء العالية فضل السمو والقُدرة إن شاء الله تعالى » . ودون ذلك : « والرأى السامى حكمه » ودونه : « والرأى أعلى » . ودونه : « والرأى موفق » وموفقا بالرفع والنصب . ودونه : « ورأيه » للجلس : « ورأياها » للحضرة . قال : وربما قالوا : « فإن رأى مولانا أن يكون كذا وكذا أمر به أو فعل » إلا أنها لا تقوم مقام قوله : والرأى أعلى . فأما لمن دونه فمحتمل . وذكر أنه كان مصطلحهم أن يقال في آخر كتب السلطان : « فاعلم ذلك وأعمل به إن شاء الله تعالى » . وأن أعيان أصحاب الأفلام كانوا يكتبونه إلى من دونهم .

قلت : والذي استقر عليه الحال أن يكتب في مثل ذلك : « وللاراء العالية مزيد العلو » وأن تختم الكتابة للأكابر بمثل : « فتحيط علمه بذلك » ولمن دونهم : « فتحيط بذلك علما » وللاصاغر : « فليعلم ذلك ويعتمده » ونحو ذلك . قال محمد بن إبراهيم الشيبانى : إن احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والأدباء والخطباء وأوساط الناس وسوقتهم ، فخاطب كلأ منهم على قدر أهله وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وأتباعه . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك إياهم في كتبك ، وتزين كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمته ، وتوفيه نصيبه ، فإنه متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعذل بهم عن طريقتهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ،

وَنَجْرَى شُعَاعَ بِلَاغَتِكَ فِي غَيْرِ مَجْرَاهِ ، وَتَنْظِمَ جَوْهَرَ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ سِلْكِهِ ، فَلَا تَعْتَدُ
بِالْمَعْنَى 'الْجَزْلَ مَا لَمْ تَكُنْهُ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَلَى قَدْرِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ إِبَاسَكَ الْمَعْنَى -
وإن صح إذا أُشْرِبَ - لَفْظًا لَمْ تَجْرِبْهُ عَادَةُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ تَهْجِينُ لِلْمَعْنَى ، وَإِخْلَالُ بَقْدَرِ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَظُلْمٌ يَلْحَقُهُ ، وَنَقْصٌ مِمَّا يَجِبُ لَهُ ، كَمَا أَنَّ فِي آتِبَاعِ مُتَعَارِفِهِمْ ،
وَمَا أَنْشَرْتَ بِهِ عَادَتِهِمْ ، وَجَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُمْ ، قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ ، وَخُرُوجًا عَنْ حَقِّهِمْ ،
وَبُلُوغًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ ، وَإِسْقَاطًا لِحُجَّةِ أَدْبِهِمْ . قَالَ أَبُو عَبْدِ رَبِّهِ : فَاثْمِلْ هَذِهِ
الْمَذَاهِبَ وَأَجْرِ عَلَيْهَا الْقَوْمَ .

قال في "مواد البيان" : وذلك أن المعاني التي يُكْتَبَ فيها وإن كان كل منها
جنسا بعينه : كالتهنئة والتعزية والاعتذار والعتاب والاستظهار ونحو ذلك ، فإنه
لا يجوز أن يخرج المعنى لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ ، بل ينبغي
أن يخرج في الصيغة المشاكلة للمخاطب ، اللاتقة بقدره ورُتَبته . ألا ترى أنك لو خاطبت
سلطاناً أو وزيراً بالتعزية عن مُصِيبَةٍ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا ، لَمَا جَازَأَن تَبَيُّنَ الْكَلَامِ
عَلَى وَعْظِهِ وَتَبْصِيرِهِ وَإِرْشَادِهِ وَتَذَكِيرِهِ وَحَضُّهُ عَلَى الْإِخْذِ بِحِظٍّ مِنَ الصَّبْرِ ، وَمُجَانَبَةِ
الْخِزَعِ ، وَتَلَقُّي الْحَادِثَاتِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا ، وَإِنَّمَا الصَّوَابُ أَنْ تَبَيَّنَ الْخُطَابَ عَلَى
أَنَّهُ أَعْلَى شَانًا ، وَأَرْفَعُ مَكَانًا ، وَأَصَحُّ حَرْمًا ، وَأَرْجَحُّ حِلْمًا ، مِنْ أَنْ يُعْزَى ، بِخِلَافِ
الْمُتَأَخَّرِ الرِّتَبَةِ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُعْزَى تَنْبِيهاً وَتَذَكيراً ، وَهَدَايَةً وَتَبْصِيراً ، وَيُعْزَفُ الْوَاجِبُ
فِي تَلَقُّي السَّرَّاءِ بِالشُّكْرِ ، وَالضَّرَّاءِ بِالصَّبْرِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وكذلك إذا كانت رِيساً في معنى 'الاستزادة' والشكوى ، لا يجوز أن تأتي بمعناها
في ألفاظهما الخاصة ، بل يجب أن تبدل عن [ألفاظ] الشكوى إلى ألفاظ الشكر ،

(١) هذا الشرط غير موجود في الضوء .

(٢) لم يذكر في الضوء لفظ القوم .

وعن ألفاظ الاستِرَادَة إلى ألفاظ الاستعطاف والسؤال في النظر، لتُكون قد رُبِّتَ كلامك في رُتَبته، وَاخْرَجْتَ معنَاكَ مَخْرَجَ مَنْ يَسْتَدْعِي الزيادةَ لَا مَنْ يَشْكُو التَّقصيرَ .
قال ابن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يَخَاطَبُ السُّلْطَانُ في خِلالِ الكِتَابَةِ إِلَيهِ سَيِّدِنَا مَكَانَ مَوْلَانَا ، فَإِنْ سَيِّدِنَا كَانَهَا خُصِّصَتْ بِأَرْبَابِ المَرَاتِبِ الدِّينِيَةِ وَالدِّيَوَانِيَةِ ، وَمَوْلَانَا تُخَصُّ السُّلْطَانُ وَحْدَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ نُعُوتِ السُّلْطَانِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ .

قال : على أن ذلك مخالف لمذهب المغاربة : فإنهم يعبرون عن ولاة أمورهم بالسادة ، ويعبرون عن صاحب الأمر بسيدنا ؛ وكأن هذا كان في زمانه ، وإلا فالمعروف عند أهل المغرب والأندلس الآن التعبير عن السلطان بالمولى ، يقول أحدهم مولانا فلان . وأهل مصر الآن يُطْلِقُونَ السادة على أولاد الملوك .

وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحته لم يجز أن تُورِدَ ذلك مُورِدَ التنبيه على ما أغفله ، والإيقاظ لما اهمله ، والتعريف من الصواب لما جهله : لأن ذلك من القبيح الذي لا يَحْتَمِلُهُ الرُّؤَسَاءُ مِنَ الْأَتْبَاعِ ، وَلَكِنْ تَبْنِي الْخُطَابَ عَلَى أَنَّ السُّلْطَانَ أَعْلَى وَأَجَلُّ رَأْيَا ، وَأَصَحُّ فِكْرًا ، وَأَكْثَرُ إِحَاطَةً بِصُدُورِ الْأُمُورِ وَأَعْجَازِهَا ، وَأَنَّ آرَاءَ خَدَمِهِ جُزْءٌ مِنْ رَأْيِهِ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَفَرَّسُونَ تَحَايِلَ الْإِصَابَةِ بِمَا وَقَفُوا عَلَيْهِ مِنْ سُلُوكِ مَذْهَبِهِ ، وَالتَّأْدِيبِ بِأَدَبِهِ ، وَالْأَرْتِيَاضِ بِسِيَاسَتِهِ ، وَالتَّنْقِيلِ فِي خِدْمَتِهِ ، وَإِنْ مِمَّا يَفْرِضُونَهُ فِي حَكْمِ الْإِشْفَاقِ وَالْإِهْتِمَامِ ، وَمَا يُسَبِّغُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِنْعَامِ ، الْمُطَالَعَةِ بِمَا يَجْرِي فِي أَوْهَامِهِمْ ، وَيُحْدِثُ فِي أَفْكَارِهِمْ ، مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَخَيَّلُونَ أَنَّ فِي الْعَمَلِ بِهَا مَصْلَحَةً لِلدَّوْلَةِ ، وَعِمَارَةً لِلْمَمْلَكَةِ ، لِيَتَصَفَّحَهُ بِأَصَالَةِ رَأْيِهِ الَّتِي هِيَ أَوْفَرُ وَأَثْبَتُ . فَإِنْ أَسْتَصَوْبَهُ أَمْضَاهُ ، وَإِنْ رَأَى خِلَافَهُ أَلْغَاهُ ، وَكَانَ الرَّأْيُ الْأَعْلَى مَا يَرَاهُ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى .

قال ابن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يقارن الكاتب السلطان في تكرار المواضع التي يقع الالتباس فيها بين الكاتب والمكتوب إليه ، لأن هاء الضمير تعود عليهما معاً لما تقدم من ذكرهما ، وإن كان في القرينة ما يدل على ذلك بعد الفكرة وإذا ابتدأ معهم بالملوك لا يقال بعد ذلك العبد ولا الخادم ، وإن كان ذلك جائزاً مع غير السلطان .

قال : ولا بأس بتكرار الإشارة إلى السلطان في المواضع التي يجمل فيها الاشتراك بينه وبين المكتوب إليه ، مثل أن يقال : وكان قد ذكر كذا وكذا ، والضمير في كان يصلح لهما معاً ، فلا بد هنا من ذكر الملوك ، إن كان الالتباس من جهة الكاتب ، أو مولانا إن كانت الإشارة إلى السلطان .

الأصل العاشر

(أن يرأى مواقع آيات القرآن والسجع في الكتب ،
وذكر أبيات الشعر في المكاتبات)

أما آيات القرآن الكريم ، فقد ذكر ابن شيث في "معالم الكتابة" أنها في صدر الكتب قد يذكرها الأذننى للأعلى في معنى ما يكتب به ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات المناسبة للوقائع وإن كانت في أثناء الكتب ، فقد آستشهد بها جماعة من الكتاب في خلال كتبهم مما رأيته .



وأما السجع ، فقد ذكر ابن شيث : أنه لا يُفَرَّق فيه بين كتابِ الأعلَى للأدنى وبالعكس ، وأنه بما يُكْتَب عن السلطان أليقُ ؛ لكن قد ذكر بعض المتأخرين أن الكتابةَ بالسَّجْع نقصٌ في حق المكتوب إليه ، وقضيته أنه لا يُكْتَب به إلا من الأعلَى للأدنى ، إلا أن الذى جرى عليه مصطلحُ كُتَّاب الزمان تخصيصُهُ ببعض الكُتُب دونَ بعض من الجاهلين .



وأما الشعرُ فيُورِدُه حيثُ يحسُن إيرادُه ، ويمنعُه حيثُ يحسُن منعه ، فليس كلُّ مكتوبةٍ يحسُن فيها إيرادُ الشعر ، بل يختلفُ الحالُ في ذلك بحسَب المكتوب عنه والمكتوبِ إليه . فأما المكاتباتُ الصادرةُ عن الملوك والصادرةُ إليهم ، فقد ذكر في ”موادِّ البيان“ : أنه لا يُمَثَّل فيها بشيءٍ من الشعر ، إجلالاً لهم عن شوب العبارة عن عزائم أواميرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعةِ إليهم ، بما يُخالف تَمَطُّها ووضعها ، ولأن الشعرَ صناعةٌ مغايرةٌ لصناعة الترسُّل ، وإدخال بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحسن .

قلت : الذى ذكره عبدُ الرحيم بنُ شيث في كتابه ”معالم الكتابة ومَوَاضِع الإصابة“ أنه [يُمَثَّل] بالشعر في المكاتبات الصادرة عن الملوك دونَ غيرهم ، وهو معارضٌ لما ذكره في ”موادِّ البيان“ . وكأنه في موادِّ البيان يريد الكُتُب النافذة عن الملوك إلى مَنْ دونهم ، أو مَنْ دونهم إليهم . أما الملوك والخُفَاء إذا كتبوا إلى مَنْ ضاهاهم في أبهة الملك وقاربهم في علو الرتبة ، فإنه لا يمتنع التمثُّل بأبيات الشعر فيها ، تطريزاً للنثر بالنظم ، وجمعاً بين جنسى الكلام اللَّذِينَ هما خلاصة مقاصده .

وما زالت الخلفاء والملوك السالفة يخللون كتبهم الصادرة عنهم إلى نظرائهم في علو الرتبة بالأبيات الرقيقة الألفاظ ، البديعة المعاني ، للاستشهاد على الوقائع المكتوب سببها : كما كتب أمير المؤمنين "عثمان بن عفان" رضى الله عنه حين تمالاً عليه القوم واجتمعوا على قتله إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه !

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُؤَلَا، فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ * وَإِلَّا فَأَذِرْ كُنِي وَلِمَا أُمِرِي !

وكما كتب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ! إلى معاوية بن أبى سفيان ، فى جواب كتاب له حين جرى بينهما التنازع فى الخلافة ، فقال فى أثناء كتابه : وزعمت أنى لكل الخلفاء حسدت ، وعلى كلهم بغيت ؛ فإن يك ذلك كذلك فليست الجناية عليك ، فيكون العذر إليك :

* وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارُهَا *

وعلى ذلك جرى كثير من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية : كما حكى العسكرى فى "الأوائل" أن أهل حصّ وثبوا بعاملها فأخرجوه ، ثم وثبوا بعده بعامل آخر ، فأمر المتوكل إبراهيم بن العباس أن يكتب إليهم كتاباً يحذرهم فيه ويختصر ، فكتب .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى عليه فيما قوم به من أود أو عدل به من زيف ، أو لم به من شعث ، ثلاثاً يقدم بعضن أمام بعض : فأولاهن ما يستظهر به من عظة وحجة ، ثم ما يسفعه به من تحذير وتنبيه ، ثم التى لا ينفق حسم الداء غيرها :

أَنَّا نَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا * وَعِيدٌ، فَإِنْ لَمْ يُجِدْ أَجَدَتْ عَزَائِمُهُ !

(١) أى الصول .

(٢) فى الاصول فى من يقوم به الخ . والتصحيح من "أدب اللغة" للشيخ أحمد السكندري .

ومن كان يُكثِرُ التَّمَثُّلَ بالشعر في المكاتبات من خُلفاء بني العباس وتَصُدَّرُ إليه المكاتبات كذلك «الناصر لدين الله» حتى يُحْكِي أن الملك الأفضل، على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب دِمَشْق حين تعصَّب عليه أخوه الملك العزيز عثمان وعُثمهُ الملك العادل أبو بكر، كتب إلى الناصر لدين الله يَسْتَجِيشُهُ عليهما كتاباً يُشِيرُ فيه إلى ما تَعْتَقِدُهُ الشَّيْعَةُ من أن الحق في الخلافة كان لعلّ، وأن أبا بكر وعثمان رضى الله عنهما تقدّما عليه، إذ كان الناصر يميل إلى التشيع، وكتب فيه :

مَوْلَايَ ! إِنَّ أبا بَكْرٍ وصَاحِبَهُ * عُثْمَانَ قَدْ غَضَبَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ !
فَانْظُرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الْإِسْمِ كَيْفَ لَقِيَ * مِنَ الْآوَاخِرِ مَا لَاقَى مِنَ الْأَوَّلِ !

فكتب إليه الناصر الجواب عن ذلك، وكتب فيه :

وَأَفَى كِتَابِكَ يَا ابْنَ يُوسُفَ نَاطِقًا * بِالْحَقِّ يُخْبِرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرُ !
غَضَبُوا عَلَيَّا حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ بَيْتَرِبَ نَاصِرُ !
فَاصْبِرْ فَإِنَّ عَلَى الْإِلَهِ حِسَابَهُمْ * وَأَنْبِشِرْ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

وعلى ذلك جرى الملوك القائمون على خُلفاء بني العباس في مكاتباتهم أيضا .
كما كتب أبو إسحاق الصابى عن مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بن بُوَيْهِ، إلى عُدَّة الدَّوْلَةِ أَبِي تَغْلِبَ كِتَابَا يَذْكُرُ لَهُ فِيهِ خِلَافَ قَرِيْبَيْنِ لَهُ ، لَمْ يُمَكِّنْهُ مَسَاعِدَةُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ ، وَأَسْتَشْهَدُ فِيهِ بِقَوْلِ الْمُتَلَمِّسِ :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِنْ لَقِطِ قَاطِعِ كَفِّهِ * بِكَفِّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْدَمَا !
فَلَمَّا اسْتَفَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ ، لَمْ يَجِدْ * لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ تَيْنَا فَأَحْجَمَا .

وعلى هذا التَّهَجُّجُ جرى الحال في الدولة الأيوبية بالديار المصرية . كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين "يوسف بن أيوب" إلى ديوان الخلافة ببغداد ، عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة كتاباً لِيُسَلِّيَ الخليفة عنه ، وكان ممن اساء السيرة وأكثر الفتنك ، متمثلاً باليتين المقولين في أبي حفص الخلال : وزير أبي العباس السفاح ، وكان يُعرف بوزير آل محمد .

إِنَّ الْمَكَارَةَ قَدْ تَسَّرَ ، وَرُبَّمَا * كَانَ الشَّرُّورُ بِمَا كَرِهَتْ جَدِيرًا !

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ * أَوْدَى ، فَمَنْ يَسْنَاكَ كَانَ وَزِيرًا .

وكما كتب القاضي « محي الدين بن عبد الظاهر » عن « المنصور قلاوون » إلى صاحب اليمن في جواب تعزية ارسلها إليه في ولده الملك الصالح ، مع تعريضه في أمره له بأن الحروب مما يشغل عن المصائب في الأولاد ، مستشهدا فيه بقوله :
إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَآيَا ، * فَاهْوَرْتُ مَأْتَمُّرُهُ الْوُحُولُ !

وكما كتب صاحبنا الشيخ علاء الدين البيهقي رحمه الله عن "الظاهر برقوق" صاحب الديار المصرية ، جوابا لصاحب تونس من بلاد المغرب ، وأستشهد فيه لبلاغة الكتاب الوارد عنه بقوله :

وَكَلَامٍ كَدَمَعَ صَبِّ غَرِيبٍ * رَقَّ حَتَّى الْهَوَاءُ يَكْنُفُ عِنْدَهُ !

رَاقَ لَفْظًا ، وَرَقَّ مَعْنَى ، فَاضْحَى * كُلُّ سِحْرِ مِنَ الْبَلَاغَةِ عِبْدَهُ !

وعلى ذلك جرت ملوك المغرب من بني مرين وغيرهم . كما كتب بعض كتاب السلطان أبي "الحسن المريني" عنه إلى السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" صاحب الديار المصرية كتاباً يُخَبِّرُهُ في خلاله أَنَّ صاحب بجاية خرج عن طاعته ففَزَّاهُ ، وأوقع به ويحيوشه مائعه ، مستشهدا فيه بقوله :

إِنْ عَادَتِ الْعَقْرُبُ ، عُدْنَا لَهَا * وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ !

إلى غير ذلك من المكاتبات المملوكية التي لا تُحصى كثرة . بل ربما وقع التمثل بالشعر في المكاتبات عن الخلفاء والملوك إلى مَنْ دُونَهُمْ وبالعكس . كما حكى العسكرى في ” الأوائل “ أن رافعاً رفع كتاباً إلى الرشيد ، وكتب في أسفله :

إِذَا جِئْتُ عَارَاً أَوْ رَضِيتُ بِذِلَّةٍ ، * فَتَقْسَى عَلَى نَفْسِي مِنَ الْكَلْبِ أَهْوَنُ !
فكتب إليه الرشيد كتاباً وكتب في أسفله :

وَرَفَعَكَ نَفْسًا طَالِبًا فَوْقَ قَدْرِهَا * يَسُوقُ لَكَ الْحَنَفَ الْمُعْجَلَّ وَالذُّلَّ

وبالجملة فمذاهب الناس في التمثل بالشعر في المكاتبات المملوكية مختلفة ، ومقاصدهم متباينة بحسب الأغراض ؛ ولذلك أورد الشيخ جمال الدين بن نباتة هذه المسئلة في جملة أسئولته ، التي سأل عنها كُتَّابُ الإنشاء بدمشق ، مخاطباً بها الشيخ شهاب الدين محموداً الحلبي ، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء بها فقال : وَمَنْ كَرِهَ الِاسْتِشْهَادَ فِي مَكَاتِبَةِ الْمُلُوكِ بِالْأَشْعَارِ؟ وَكَيْفَ تَرَكَهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْآثَارِ؟ أما المكاتبات الإخوانيات الواقعة بالتماني ، والتعازي ، والترأور ، والتهادي ، والمداعبة ، وسائر أنواع الرِّقَاعِ في فنون المكاتبات ، فقد قال في ” موادّ البيان “ إنه يجوز أن تُودَعَ أبيات الشعر على سبيل التمثل وعلى سبيل الاختراع ، محتجاً بأن الصّدر الأول كانوا يستعملون ذلك في هذه المواضع . وهذا الذي ذكره لا خفاء فيه ، وكُتِبَ الرسائل المدونة من كلام المتقدمين والمتأخرين من كُتَّابِ المشرق والمغرب شاهدةً بذلك ، ناطقةً باستعمال الشعر في المكاتبات ، وأثناءها ونهاياتها ، ما بين البيت والبيتين فأكثر ، حتى القصائد الطوال . وأكثر ما يقع من ذلك البيت المفرد والبيتان فما حوّل ذلك . كما استشهد القاضي الفاضل في بعض مكاتباته في الشوق بقوله :

وَمِنْ تَجَبُّيَ أَنِّي أَحِنُّ إِلَيْهِمْ ، * وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَىٰ وَهُمْ مَعِيَ !
وَتَطْلُبُهُمْ عَنِّي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا * وَيَسْتَأْذِنُونَنِي قُلُوبُهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي !

وكما كتب أيضا لبعض إخوانه في جواب كتاب :

وَكَمْ قُلْتُ حَقًّا : لَيْتَنِي كُنْتُ عِنْدَهُ ! * وَمَا قُلْتُ إِجْلَالًا لَهُ : لَيْتَنِي عِنْدِي !

وكما كتب في وصف كتاب ورد عليه مستشهدا بقوله :

وَحَسْبَتْهُ - وَالطَّرْفُ مَعْقُودُهُ - * وَجَهَ الْحَبِيبِ بَدَأَ لَوْجُهُ مُجِبُّهُ !

وكما كتب في كتاب تعزية بصديق مستشهدا فيه بقوله :

وَذَلِكَ الَّذِي لَا يَبْرَحُ الدَّشَرُ رُزُّهُ ، * وَلَا ذِكْرُهُ مَا أَرْزَمَتْ أُمُّ حَائِلٍ .

إلى غير ذلك من المكاتبات التي لا يأخذها حصر ، ولا تدخل تحت حد ، مما
ستقف على الكثير منه في الكلام على مقاصد المكاتبات ، إن شاء الله تعالى .

الأصل الحادي عشر

(أن يأتي في مكاتباته بحسن الاختتام)

ويرجع إلى معنيين ، كما في حسن الافتتاح المقدم ذكره .

المعنى الأول — أن يكون الحسن فيه راجعا إلى المعنى المختتم به : إما بمعاودة
الأدب من المراءوس إلى الرئيس ونحو ذلك ، وإما بما يقتضيه التعزيز والتوقير من
الرئيس إلى المراءوس ، كالاختتام بالدعاء ونحو ذلك ، مما يقع في مصطلح كل زمن .

المعنى الثاني — أن يكون الحسن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين من سهولة
اللفظ ، وحسن السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات

التحسين ؛ كما كتب صاحبُ بنُ عَبَّادٍ في آخر رسالة له : ” لَئِنْ حَثْتُ فِيمَا حَلَفْتُ ، فَلَا خَطُوتَ لِتَحْصِيلِ مَجْدٍ ، وَلَا نَهَضْتُ لِأَقْنَاءِ حَمْدٍ ، وَلَا سَعَيْتُ إِلَى مَقَامِ نَفَرٍ ، وَلَا حَرَصْتُ عَلَى عُلُوِّ ذِكْرٍ “ . قال أبو هلال العسكري : فهذه اليمين ، لو سمعها عامرُ بنُ الظَّربِ ، لقال هي اليمين الغموسُ لا القسمُ باللاتِ والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

قلت : وأعتبرُ هذه الأصول [الأحد عشر]^(١) بعد ما تقدمَ اعتباره في الكلام على صنعة إنشاء الكلام وترتيبه في المقالة الأولى ، من أنه لا يستعمل في كلامه ما أتت به آياتُ القرآن الكريم : من الاختصار ، والحذف ، ومخاطبة الخاصِّ بمخاطبة العامِّ ، ومخاطبة العامِّ بمخاطبة الخاصِّ ، ولا ما يختصُّ بالشعر : من صَرَفٍ مالا ينصرفُ ، وحذفٍ مالا يُحذفُ ، وقصر الممدود ، ومدِّ المقصور ، والتقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ، وتصغير الإسم في موضع التعظيم ، مثل دُوَيْبِيَّةٍ ، وما شاكل ذلك مما تقدم التنبيه عليه في موضعه ، فلا بدَّ من اعتباره هنا .

الأصل الثاني عشر

(أن يعرفَ مقاديرَ قطعِ الورق ، وسعةَ الطَّرةِ والهامش ، وسعةَ بيتِ العلامة

ومقدارَ ما بين السُّطور وما يُتركُ في آخرِ الكتاب)

أما مقدار قطع الورق ، فقد تقدّم في المقالة الثالثة أنه يَحْتَلِفُ باختلاف المکتوبِ إليهم عن السلطان ، فكُلُّما عَظُمَ قدرُ المکتوبِ إليه ، عَظُمَ مقدارُ قطعِ الورق ؛ وربما رُوِيَ في ذلك قدرُ المکتوبِ عنه والمکتوبِ إليه جميعاً .

(١) في الاصل ” العشرة “ .



وأما طول الطِّرة في أعلى الكتاب ، فقد ذكر في "معالم الكتابة" أنها تُطَوَّل فيما إذا كان الكتاب من الأعلى إلى الأدنى ، وتكون متوسطة من الأتباع ، وسيأتي أن المصطلح عليه في زماننا أن المكاتبات الصادرة عن السلطان تكون الطِّرة فيها ما بين ثلاثة أوصال إلى وصلين ، ومن التَّوَاب ومن في معناهم تكون وصلا واحدا .



وأما مقدار سَعَةِ الهامش فقد سمعتُ بعض فضلاء الكتاب يذكر أن الضابط فيه أن يكون ثلث عرض الدَّرَج المكتوب فيه .



وأما بيتُ العَلامَة فقد تقدّم أنه يكون مقدارَ نحو شبر في كُتُب السلطان ، أما في غيره - حيث كانت العَلامَة تحت البسملة - فتكونُ نحو ثلاثة أصابع أو أربعة .



وأما سَعَةُ ما بين السطور فقد تقدّم أنها تكون بمقدار نصف بيتِ العَلامَة . وذكر ابن شيث : أنها ثلاثة أصابع أو أربعة .



وأما [ما يترك في] آخر الكتاب فقد ذكر ابن شيث أنه لا يترك في آخر المكتبة شيئا .



وأما الخطُّ فإنه كلما غلظ القلم واتسعت السطور كان أنقص في رُتْبَة المكتوب إليه وقد ذكر في "معالم الكتابة" أن الكتب الصادرة إلى السلطان لا يكونُ بين سَطُورها أكثر من إصبعين .

الطَّرَفُ الثَّانِ

(في بيان مقادير المكاتبات وما يُناسبها من البَسْط والإيجاز،

وما يلائمُ كُلَّ مكتبةٍ منها من المعاني)

ولتَعَلِّمْ أن المكاتبات على ثلاثة أقسام :

القِسْمُ الأوَّل

(ما يُكْتَبُ عن السلطان أو مَنْ في معناه من الرؤساء

إلى الأتباع . وهي على ضربين)

الضَرْبُ الأوَّل

(ما يُعْمَلُ فِيهِ على الإيجاز والاختصار)

وقد آسَاحَسُونَا الإيجاز في خمسة مواضع :

أحدها — أن يكون المكتوبُ عن السلطان في أوقات الحُرُوب إلى تَوَابِ
الْمَلِكِ . قال في "حُسْنِ التَّوَسُّلِ" : فيجب أن يتَوَخَّى الإيجاز والألفاظُ البليغةُ
الدالةُ على القصد ، من غير تطويل ولا بَسْطٍ يُضَيِّعُ المَقْصِدَ وَيَفْضِلُ الكلامَ بعضه
من بعض . ولا يَعْمِدُ في ذلك إلى تهويلٍ لأمر العدوِّ يُضْعِفُ القلوبَ ، ولا تهوينٍ
لأمره بحيث يحصل به الاعتزاز .

الثاني — أن يكون ما يُكْتَبُ به عن السلطان خبراً يريد التورية به عنه وسَرَّ
حقيقته ، كإعلامهم بالحوادثِ الحادثةِ على الملوك ، والنوابِ المُمثلةِ بالدولة : من
هزيمة جيش ، أو تغييرِ رَسْمٍ ، أو إحداثه ، أو تكليفِ الرعيةِ مالا يَسْتَمِلُ عليها تكليفه

وما أشبه ذلك . قال في "موادّ البيان" : فيجب أن يقصدَ في ذلك إلى الاختصار والإيجاز، ويُعدَّل عن استعمال الألفاظ الخاصّة بالمعنى إلى غيرها مما يحتمل التأويل، ولا تنفّر الأسماع عنه، ولا تُراعِ القلوبُ به ، من غير أن يحتمل كذباً صراحاً ؛ فإنه لا شيء أقبح بالسلطان، ولا أغمص لشأنه وقدره من أن يُضمّن كتابه ما ينكشف للعامة بطلانه . قال وينبغي للكاتب أن يتخلّص من هذا الباب التخلّص الجيّد الذي يُزيّن به الأثر، من غير تصريح بكذب، وأن يخرج الباطل في صورة الحق ، ويعرّض سلطانه في ذلك للإجماد والتقريظ من حيث يستحقّ التأنيب والإذمام فإن هذه سبيلُ البلاغة، وطريقة فضلاء الصّناعة، لأن الأمر الظاهر الحسن المجمع على فضله لا يحتاج في التعبير عن حسنه إلى كذ الخاطر، وإتعاَب الفكر، إذ الأُلْكَن لا يعجزُ عن التعبير عنه فضلاً عن اللّسن ، وإنما الفضلُ في تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح، بضروب من التّويه والتخييل، وإقامة المعاذير، والعَلَل المعقّية على الإساءة والتقصير، من حيث لا يلحق كذبٌ صريحٌ ولا زور مطلق . وليضيق هذا المقام وصُعوبة مُرتقاه ، أورده الشيخ جمال الدين بن بُناتة في جملة مسائله التي سأل عنها كُتّاب الإنشاء بدمشق - فقال : وما الذي يُكتب عن المهزوم إلى مَنْ هزّمه ؟ .

الثالث - أن يكون المكتوب به عن السلطان أمراً أو نهياً . قال في "موادّ البيان" : فحكمها حكم التوقيعات الوجيزة الجامعة للعاني، الجازمة بالأمر أو النهي . اللهم إلا أن يكون الأمر أو النهي مما يحتاج إلى رؤوم ومثل يُعمل عليها، فيحتاج إلى الإطالة والتكرير، بحسب ما يؤمّر به وينهى عنه دون الحذف والإيجاز.

الرابع — أن تكون الكتب المكتوبة عن السلطان باستخراج الحراج وجباية الأموال وتذير الاعمال . قال في "مواد البيان" : فسيلها أن ينص فيها على ما رآه السلطان ودبره ، ثم يختتم بفصل مقصور على التوكيد في أمثال أمره وإنفاذه ؛ ولا يقتصر على ما تقدم ، إيجاباً للحجة ، وتضييقاً للعذر ، وحسباً لأسباب الاعتذار .

الخامس — أن يكون ما يكتب به عن السلطان إحماداً أو إذماماً ، أو وعداً أو وعيداً أو استقصاراً أو عدلاً أو توبيخاً . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يُشبع الكلام ويمد القول ، بحسب ما يقتضيه أمر المكتوب إليه : في الإساءة والإحسان ، والاجتهاد والتقصير ، لينشرح صدر المشمر المحسن ، ويتبسّط أمله ورجاؤه ؛ ويرتدع المقصر المسمى ، ويرتجع عما يذم منه ، ويتلافى ما قوط فيه .

الضرب الثاني

(ما يعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحسنوا البسط في موضعين :

أحدهما — أن يكون ما يكتب به عن السلطان خبراً يريد تقرير صورته في نفوس العامة ، كالإخبار بالفتوحات المتجددة في إعلاء الدين والسلطان . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يُشبع القول فيها ، ويبنى على الإسهاب والإطناب وتكثير الألفاظ المترادفة ، ليعرفوا قدر النعمة الحادثة ، وتزيد بصائرهم في الطاعة ، ويعلموا موضع سلطانهم من عناية الله تعالى به ، فتقوى قلوب أوليائه ، وتضعف قلوب أعدائه ؛ لأنه لو كتب كتاباً في فتح جليل ليقرأ في المحافل والمشاهد العامة على رؤوس

الأشهاد بين العامة وَمَنْ يَرَادُ تَفْخِيمُ السُّلْطَانِ فِي نَفْسِهِ عَلَى صُورَةِ الْإِخْتِصَارِ، لِأَوْقَعِ
كَلَامِهِ فِي غَيْرِ رَتْبَتِهِ ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى جَهْلِهِ . وَقَدْ أَوْضَحَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ مَحْمُودُ
الْحَلَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الْمَقَامَ فِي كِتَابِهِ ”حُسْنُ التَّوَسُّلِ“ فَقَالَ : وَإِذَا كَتَبَ فِي التَّهَانِي
بِالْفَتْوحِ فَلَيْسَ بِالْإِبْسَاطِ الْكَلَامِ وَالْإِطْنَابِ فِي شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّبَرُّيِّ مِنَ الْحَوْلِ
وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ ، وَوَصَفَ مَا أُعْطِيَ مِنَ النِّصْرِ . وَذَكَرَ مَا مَنَعَ مِنَ الثَّبَاتِ ، وَتَعْظِيمَ مَا يَسَّرَ
مِنَ الْفَتْحِ ؛ ثُمَّ وَصَفَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ : مِنْ عَزَمٍ ، وَإِقْدَامٍ ، وَصَبْرٍ ، وَجَلَدٍ ، عَنْ الْمَلِكِ
وَعَنْ جَيْشِهِ مِمَّا حَسُنَ وَصْفُهُ وَلَا قَ ذِكْرُهُ ، وَرَاقَ التَّوَسُّعِ فِيهِ ، وَعَدَّبَ بِسَطِّ الْكَلَامِ
مَعَهُ . قَالَ : ثُمَّ كُلَّمَا اتَّسَعَ مَجَالُ الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ الْوَاقِعَةِ وَوَصَفِهَا ، كَانَ أَحْسَنَ
وَأَدْلَّ عَلَى السَّلَامَةِ ، وَأَدْعَى لِسُرُورِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ لَتَوَقُّعِ الْمُنَّةِ عِنْدَهُ ،
وَاشْهَى إِلَى سَمْعِهِ ، وَاشْفَى لَغَلِيلِ شَوْقِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَالِ . قَالَ : وَلَا بَأْسَ بِتَهْوِيلِ
أَمْرِ الْعَدُوِّ ، وَوَصْفِ جَمْعِهِ وَإِقْدَامِهِ ، فَإِنَّ فِي تَصْغِيرِ أَمْرِهِ تَحْقِيقًا لِلظَّفَرِ بِهِ .

قال في ”مواد البيان“ : وَلَا يُحْتَجُّ لِلِإِيحَازِ فِي كُتُبِ الْفَتْوحِ بِمَا كَتَبَ بِهِ كَاتِبُ
الْمَهَلِّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ إِلَى الْحِجَّاجِ فِي فَتْحِ الْأَزَارِقَةِ ، عَلَى أَرْتِفَاعِ خَطَرِهِ ، وَطُولِ زَمَانِهِ ،
وِعِظَمِ صِنْتِهِ ، مِنْ سُلوْكَه فِيهِ مَسَلِكِ الْإِخْتِصَارِ ؛ حَيْثُ كَتَبَ فِيهِ :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَى بِالْإِسْلَامِ فَقْدَ مَا سِوَاهُ ، وَجَعَلَ الْحَمْدَ مُتَصِلًا بِنِعْمَاهُ ؛ وَقَضَى
أَنْ لَا يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ ، حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنْ خَلْقِهِ . ثُمَّ إِنَّا كُنَّا وَعْدُونَا عَلَى
حَالَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ ، نَرَى مِنْهُمْ مَا يُسْرِنَا أَكْثَرُ مِمَّا يُسَوِّنَا ، وَيَرَوْنَ مِنَّا مَا يُسَوِّئُهُمْ أَكْثَرُ
مِمَّا يُسَرِّهُمُ ؛ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبًا وَدَائِبُهُمْ : يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَيُخَذِّلُهُمْ ، وَيُمَحِّصُنَا وَيَمَحِّقُهُمْ ؛
حَتَّى بَلَغَ الْكَتَّابُ بِنَادِيهِمْ أَجَلَهُ ﴿ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

فإنه إنما حسن في موضعه لمخاطبة السلطان به، ولغرض كانت المكتبة فيه . قال : فإن كتب مثل هذا الكتاب عن السلطان في مثل هذا الفتح أو ما يقاربه ، ليورد على العامة ، ويقرّر في نفوسهم به قدر النعمة ، لم يحسن موقعه ، وخرج عن شرط البلاغة بوضعه إياه في غير موضعه ، وذكر العسكري نحو ذلك في "الصناعتين" .

ثم قال في "حسن التوسل" : وإن كان المكتوب إليه ملكاً صاحب مملكة بمفرده ، تعين أن يكون البسط أكثر ، والإطناب والتهويل أبلغ ، والشرح أتم . ثم قال : وإن اضطر أن يكتب مثل ذلك إلى ملك غير مسلم لكنه غير محارب ، فالحكم في ذلك أن يذكر من أسباب المودة ما يقتضى المشاركة في المسار ، وأن أمر هذا العدو مع كثرتة أخذ بأطراف الأنامل ، وآل أمره إلى ما آل . ويعظم ذكر ما جرى عليه من القتل والأسر . ويقول : إن تلك عوائد نصر الله تعالى لنا ، وانتقامه من عادانا ،

وإن كان المكتوب إليه متهمًا بملائة العدو ، كتب إليه بما يدل على التقرير والتهمك والتهديد في معرض الإخبار .

الثاني — أن يكون ما يكتب به عن السلطان في أوقات حركات العدو إلى أهل الثغور ، يعلمهم بالحركة للقاء عدوهم . قال في "حسن التوسل" : فيجب أن يبسط القول في وصف العزائم ، وقوة الهمم ، وشدة الحمية للدين ، وكثرة العساكر والجيوش وسرعة الحركة ، وطى المراحل ، ومعالجة العدو ، وتخيل أسباب النصر ، والوثوق بعوائد الله تعالى في الظفر ، وتقوية القلوب منهم ، وبسط آمالهم ، وحثهم على التيقظ ، وحفظ ما بأيديهم ، وما أشبه ذلك . ويبرز ذلك في أمثل كلام وأجله وأمكنه ، وأقربه من القوة والبسالة ، وأبعد من اللين والرقّة . ويبالغ في وصف الإنابة إلى الله تعالى واستنزاع نصره وتأييده ، والرجوع إليه في تثبيت الأقدام ، والاعتصام به

في الصبر، والاستعانة به على العدو، والرغبة إليه في خذلانهم وزلزلة اقدامهم وجعل الدائرة عليهم، دون التصريح ببطلان حركتهم، ورجاء تأثرهم، وانتظار العرَضِيَّات في ضَعْفِهِم، لما في ذلك من إيهاِم الضَّعْف عن لقائهم، واستشعار الوهم والخوف منهم .

القسم الثاني

(ما يكتب به عن الأتباع إلى السلطان والطبقة العليا
من الرؤساء، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُعْمَل فيه على الإيجاز والاختصار)

وقد استحبوا الإيجاز في ثلاثة مواضع :

أحدها — أن يكون ما يكتب به من باب الشكر على نعمة يُسبِّغها سلطانه عليه، وعارفة يُسَدِّدُها إليه . قال في "موادّ البيان" : فسيئله أن لا ينيها على الإسهاب وتجاوز الحد، بل ينيها على اللَّفْظِ الوجيز، الجامع لمعانى الشُّكر، المشتمل على أساليب الاعتراف والاعتداد، فإن إطناب الأصاغر في شُكْر الرؤساء داخلٌ في باب الإسْجَار والإبرام، ولا سِمْيًا إذا رجعوا إلى خُصُوصِيَّة وتقدُّم خدمة . وكذلك لا يُكثِّر من الثناء عليه ، لأن ذلك من باب المَلَق الذي لا يُلِيق إلا بالأبعاد الذين لم يتقدَّم لهم من المَوَاتِّ والحَرَم ما يدلُّ على حِجَّة عقائدهم، ولم يُضَفِ عليهم من النِّعم ما يوجب خُلُوص نِيَّاتِهِمْ . أما إذا كان المُثْنِي أجنيا متكسِّبا بالتقريظ والثناء، فإنه لا يقبَح به الإيغال والإغراقُ فيها . قال : وكذلك لا ينبغي للخاصة الإكثارُ من الدعاء، وتكرُّره في صُدُور الكُتُب

عند ما يجري ذكر الرئيس ، فإن في ذلك مشقة وكلفة يستقلها الملوك . والحكم فيما يستعمل من ذلك في الكتب شبيه بما يستعمل شفاهاً منه . ويقبح من خادم السلطان أن يشغل سمعه في مخاطبته إياه بكثرة الدعاء وتكريره .

الثاني — أن يكون ما يكتب به التابع إلى السلطان ونحوه في سؤال حُسن النظر وشكوى الفقر والخصاصة . قال : في ”موادّ البيان“ : فينبى القول على الإيجاز ويمزج الشكوى بالشكر والاعتداد بالآلاء ، والرغبة في مضاعفة الإحسان والزيادة في البرّ ، والإحلاق بالطبقة الرابعة في إيلاء العوارف ، فإن ذلك أعطف لقلب الرئيس ، وأدعى إلى بلوغ الغرض ، ولا يكثر شكوى الحال وراثتها ، وأستلاء الخصاصة والفقر عليه ، فإن ذلك يجمع إلى الإضجار والإبرام شكاية الرئيس بسوء حال مرءوسه ، وقلة ظهور نعمته عليه ، وذلك مما يكرهه الرؤساء ويؤمونه .

الثالث — أن يكون ما يكتب به التابع إلى المتبوع من باب التنصل والاعتذار عن شيء قُرف به عند رئيسه . قال في ”موادّ البيان“ : فسيبله أن يبنى كلامه على الاختصار ، ويعيدل عن الإسهاب والإطناب ، ويقصد إلى النكت التي تُزيل ماعرض عنده من الشبهة في أمره ، وتمحو الموجدة السابقة إلى ضمير رئيسه . ولا يصرّح ببراءة الساحة عن الإساءة والتقصير ، فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء من أتباعهم ، لأن عادتهم جارية بآثار أعراف الخدم لهم بالتقصير والتفريط ، والإقرار بالمقروف به ليكون لهم في العفو عند الإقرار موضع منة مستأنفة تستدعي شكرًا ، وعافية مستجدّة تقتضى نشرًا . أما إذا أقام التابع الحجة على براءته مما قُرف به ، فلا موضع للإحسان إليه في إقراره على منزلته والرضا عنه ، بل يكون ذلك قدرًا واجبًا له ، إن منعه إياه ظلمه وتعدى عليه .

الضرب الثاني

(ما يعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحبوا البسط هنا في موضع واحد : وهو ما إذا كان ما يكتب به التابع إلى السلطان واقعاً في باب الإخبار بأحوال ما ينظر فيه من الأعمال ، وما يجري على يديه من المهمات . قال في "موادّ البيان" فسيhle أن يوفى حقه في الشرح والبيان ، ويسلك فيه طريقة يجمع فيها بين إيضاح الأغراض من غير هذر يضجر ويميل ، ولا اختصار يقصر ويخل ، وأن يقصد إلى استعمال الألفاظ السهلة التي تصل معانيها إلى الأفهام من غير كلفة ، ويتجنب ما يقع فيه تعقيد وتوغير أو إيهام ، إلا أن يعرض له في المكتبة ما يحتاج إلى التورية والكناية كما تقدم فيما إذا أطلق عدو لسانه في السلطان فإنه يحتاج إلى الكناية عنه على ما مر .

القسم الثالث

(ما يكتب به إلى الأكفاء والنظرء ، والطبقة الثانية من الرؤساء)

قال في "موادّ البيان" : وسيل مكاتبتهم أن يؤتى فيها باللفظ المساوي للمعنى من غير إيجاز ولا إطناب : لأنها رتبة متوسطة بين الرتبين المتقدمين . ولا يخفى أن ما ذكره إنما هو عند الوقوف مع حقائق المكاتبات . أما الإخوانيات المطلقة ، فإنها تكون في الطول والقصر بحسب ما بين الصديقين من المودة والقرب ، وما يعلمه كل واحد منهما من خلق الآخر ، وما توجه دأله عليه .

وسأني في مقاصد المكاتبات من أمثلة الأقسام الثلاثة ما يوضح مقاصدها ويقرب مأخذها إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ الثَّالِثُ

(في أمور تختص بالأجوبة ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيانِ أىِّ الأمرين من الابتداء والجواب أعلى رتبةً وأبلغُ في صناعة الكتابة)
وقد اختلف الكُتَّابُ في ذلك : فذهب أكثرُ البلغاءِ إلى أن الكُتُبَ الجَوَابِيَّةَ
أَتَعِبُ مَطْلَبًا وَأَصْعَبُ مُرْتَقًى من الكتبِ الابتدائية ، وأن فيها تَظْهَرُ مَهَارَةُ الكَاتِبِ
وَحِدْقُهُ ، لاسيما إذا كان الحِطَابُ مُحْتَمِلًا للاعتذارِ والاعتِلالِ عن آمتثالِ الأوامرِ
والنواهي ، والتَّوَرِيَةِ عن نُصوصِ الأحوالِ ، والإِعْرَاضِ عن ظَوَاهِرِهَا ، فائدًا إلى
استعمالِ المُعَاظَةِ ، مُوجِبًا للانفصالِ عن الاحتجاجِ والإلزامِ ، ونحو ذلك مما يؤدي إلى
الخلاصِ من المكاره .

واحتجوا لترجيح ذلك بوجوه .

منها — أن المبتدئ مُحْكَمٌ في كتابه ، يبتدئُ بآلفاظه كيف شاء ، وَيَقْطَعُهَا حَيْثُ
يَشَاءُ ، ويتصرَّفُ في التقديمِ والتأخيرِ ، والحذفِ والإثباتِ ، والإيجازِ والإسهابِ ،
ويُنِيَّ عَلَى أساسِ يؤسسه لنفسه ؛ والمحجِبُ ليس له تقديمٌ ولا تأخيرٌ ، وإنما هو
تابعٌ لغرضِ المبتدئِ ، وبأنِ على أساسه .

ومنها — أَنَّ المحجِبَ — إذا كان جوابه مُحْتَمِلًا للإشباعِ والتوسُّعِ — مُضْطَرٌّ إِلَى
اقتصاصِ ألفاظِ المبتدئِ وأتباعها للإجابةِ عنها ، وذلك يؤدي إلى تصفُّحِ كلامِ
المبتدئِ والمحجِبِ وَيَصِلُ ما بين الكلامين : لِأَنَّ الكلامينِ يتقابلان فلا تَنَحَّى رَتَبَتُهُمَا
وَالْفَاضِلُ مِنْهُمَا مِنَ الرَّذَلِ ، وهذا مرفوعٌ عن المبتدئِ .

ومنها - أن تأليف الكلام وانتظامه واتساقه والثناءه يُقدَّر منها المبتدئ على ما لا يقدر عليه المحيَّب : لأن الجواب يُفَصِّل أجزاء الكلام ويُبَدِّد نظامه ويُقسِّمهُ أقساماً ، لمكان الحاجة إلى استئناف القول من الفصل بعد الفصل بقول وأماً كذا وأماً كذا ، فظهور الصورة المستحسنة في المتصل أكثر من ظهورها في المنفصل .

أما إذا كان الجواب مقتضياً مَبْنِياً على أمثال مأمور ، أو انتهاء عن مَبْنِىٍّ عنه ، فإنه سهل المَرَام ، قريب المتناول : لأنه إنما يشتمل على ذكر وُصولِ الكتاب والعمل بما فيه .

وذهب صاحب "مواد البيان" إلى أن الابتداء والجواب في ذلك على حدٍّ واحدٍ ، وإن كان الكاتب قد يُجيد في الابتداء ولا يجيد في الجواب وبالعكس ، محتجاً لذلك بأن كلاً من المبتدئ والمحيب ممتاحٌ من جُودة الغريزة ، محتاجٌ من البلاغة والصَّناعة إلى ما يحتاج إليه الآخر : لأن الكاتب يكون تارة مبتدئاً وتارة محيباً ، وليست الإجابة بصناعةٍ على حيالها ، ولا البداية بصناعةٍ على حيالها ، بل هما كالنوعين للجنس ، ولا منع من أن يكون الكاتب ماهراً في نوعٍ دون نوع .

قال : والكاتب لا يكون في الأمر الأعم كاتباً عن نفسه وإنما يكون كاتباً عن أمرٍ يأمره بالكتابة في أغراضه ويسألمها إليه منشورة ، فيحتاج إلى نظمها وضمها وإبرازها في صورةٍ محيطيةٍ بجميع تلك الأغراض من غير إخلالٍ بشيءٍ منها ، فعلى المبتدئ من المسئلة في إيراد أغراض المكتوب عنه في الصورة الجامعة لها مع نظمها

(١) الظاهر أن كان زائدة والاصل وأن الكاتب قد يجيد آخ كما يفيد المعنى وآخر العبارة .

فِي سِلْكَ الْبَلَاغَةِ مِثْلُ مَا عَلَى الْمَجِيبِ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي تَوْفِيَةِ فصول كتاب المبتدئ حقها من الإجابة والتصرف على أوضاع ترتيبها ، بَلْ كَلْفَةُ الْمَجِيبِ قَرِيبَةٌ ، لِأَنَّهُ يَسْتَنْدِطُ مِنْ نَفْسِ مَعَانِي كِتَابِ الْمُبْتَدِئِ لِلْعَانِيِ الَّتِي يُجِيبُ بِهَا : لِأَنَّ الْجَوَابَ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ يُوَافِقُ الْإِبْتِدَاءَ أَوْ يَنَاقِضُهُ : فَإِنْ وَافَقَهُ فَلَا أَمْرَ سَهْلٍ ، وَإِنْ نَاقَضَهُ فَإِنْ كُلُّ نَقِیْضٍ قَائِمٌ فِي الْوَهْمِ عَلَى مِقَابَلَةِ نَقِیْضِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَتَعَبٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنَ الْمَوَافِقِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ بِتَجَوُّزِهِ قَدْ خَفَّ تَحْمَلُهُ : إِذْ لَيْسَ مِنْ يَجْمَعُ خَاطِرَهُ عَلَى الْفَصْلِ الْوَاحِدِ حَتَّى يَخْرُجَ عَنْ جَوَابِهِ كَمَا يَجْمَعُ خَاطِرَهُ عَلَى الْكِتَابِ كُلِّهِ . ثُمَّ قَالَ : وَلَيْسَ الْقَصْدُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ مُنَاقِضَةً مَشَائِخِ صَنَاعَتِنَا ، وَلَكِنْ الْقَصْدُ تَعْرِيفُ الْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ .

الجملة الثانية

(فِي بَيَانِ تَرْتِيبِ الْأَجْوِبَةِ)

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْجَوَابِ حَالَتَيْنِ :

الْحَالَةُ الْأُولَى — أَنَّ يَكُونُ الْجَوَابُ مِنَ الرَّئِيسِ إِلَى الْمَرْعُوسِ عَمَّا كَتَبَ بِهِ الرَّئِيسُ إِلَيْهِ ، فَالَّذِي ذَكَرَهُ فِي ”مَوَادِّ الْبَيَانِ“ أَنَّ لِلرَّئِيسِ أَنْ يَبْنِيَ حِكَايَةَ كِتَابِ مَرْءُوسِهِ إِلَيْهِ فِي جَوَابِهِ عَلَى الْإِخْتِصَارِ ، وَيَجْمَعُ مَعَانِيَهُ فِي أَلْفَاظٍ وَجِيزَةٍ ، مُحِيطَةٍ بِمَا وَرَاءَهَا كَأَن يَقُولَ : وَصَلَ كِتَابُكَ فِي مَعْنَى كَذَا وَفَهَّمْنَاهُ .

الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ — أَنَّ يَكُونُ الْجَوَابُ مِنَ الْمَرْءُوسِ إِلَى الرَّئِيسِ عَمَّا كَتَبَ بِهِ الرَّئِيسُ إِلَيْهِ ، قَالَ فِي ”مَوَادِّ الْبَيَانِ“ : وَالْوَاجِبُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنْ يَتَحَكَّى فصول كتاب

رئيسه على نصّها ويُقصّها على وجهها من غير إخلالٍ بشيءٍ منها ، إعظاماً لقدّر الرئيس وإجلالاً لحطّابه . قال : وليس للجيب إن مرّ في كتاب الرئيس بلفظة واقعة في غير موضعها أن يُبدّلها بغيرها : لما في ذلك من الإشارة إلى أن هذا أصحّ من كتاب رئيسه في ألفاظه ومعانيه . قال : ولا يجوز الخروج عن حكاية لفظ رئيسه في كتابه بحال ، اللهم إلا أن يكون الكتابُ الواردُ على الجيب في معنى 'الشكر والتّقريظ من رئيسه له والثناء عليه في قيامه بالخدمة' ، فإنه لا يجوز أن يأتي به على نصه : لأنه يصير ذلك مادحاً نفسه ، ومدحُ الإنسان نفسه غيرُ سائغ ؛ ولا يجوز أن يهمل ذكره جملةً لأنه يكون قد أخلّ بما يجبُ من شكره له على 'تسريف رتبته بإحماده له والثناء عليه ، بل الواجبُ أن يُوقع تلك الصفة على جملةٍ تجعل نفسه بعضاً منها ، مثل أن يقول : « فأمّا ما وصفه من اعتداده بخادِمه في جملة من نهض بحقوق خدمته ، وقام بفرض طاعته ، فأهلّه لما يرفع الأقدار من إحماده وثنائه ، ويُعلي الأخطار من شكره ودُعائه » وما يضاهاى هذا من العبارة التي تشتمل على معاني ألفاظ رئيسه ، فإنه إذا قصد هذا السبيل في حكاية كتاب رئيسه في هذا المعنى ، فقد جمع بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظ رئيسه والأدب في ترك التفخيم لنفسه بإضافته لها إلى جملة الخاصّة دون إيقاع المدح عليها فقط .

قلت : هذا هو الترتيب الذي يجب اعتدّاه في الأجوبة ، فلا يجوز الخروج عنه إلى غيره ؛ على أن تُكّاب زماننا قد اطرّحوا النظر في ذلك جملةً ، وصاروا يكتبون الأجوبة بحسب التّشهي : فمنهم من يحكى الكتاب الذي يقع الجوابُ عنه بنصه مطلقاً ، سواء كان من رئيس أو مرءوس وبالعكس ، مع قطع النظر عما وراء ذلك . فتنبه لهذه الجملة فإنها دقيقةٌ جليّةٌ .

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة الرابعة

(فى ذكر أصول المكاتبات وترتيبها، وبيان لواحقها

ولوازمها . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فى ذكر أصولها وترتيبها . وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فى المكاتبات إلى اهل الإسلام)

وأعلم أن المكاتبات الدائرة بين المسلمين من صدر الإسلام وإلى زماننا لا يأخذها حدٌ، ولا تدخل تحت حصر .

والمشهور استعماله منها فى دواوين الإنشاء على اختلاف الأزمان خمسة عشر أسلوباً .

الأسلوب الأول

(أن تُفتَحَ الكتبُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

قال أبو هلال العسكري فى كتابه " الأوائل " : وأول من كتب بذلك قس بن ساعدة الإيادى ، وعلى ذلك كانت مكاتباتُ النبى صلى الله عليه وسلم والسلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم . فكان النبى صلى الله عليه وسلم يكتب : " من محمد رسول الله إلى فلان " . ثم كتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافته : " من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم " . ثم كتب عمر بعده : " من عمر "

أبن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان» . فلما نُقِبَ
بأمر المؤمنين زاد في ذلك لفظ «عبد الله» قبل عمر، ولقب «أمير المؤمنين» بعده؛
فكان يكتب : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان» . ولم يزل الأمر على ذلك
إلى خلافة هارون الرشيد، فأمر أن يُزاد في صدور الكتب بعد «فإني أحمد إليك الله
الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على جدّه^(١) محمد عبده ورسوله» . بجزئ الأمر
على ذلك في زمنه وما بعده . قال أبو هلال العسكري في «الأوائل» : وكان ذلك
من أجل مناقبه . قال صاحب «ذخيرة الكتاب» : وكان الرشيد قد قال ليحيى
أبن خالد : إني قد عزمت على أن يكون في كُتبي : «من عبد الله هارون الإمام
أمير المؤمنين عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم» - فقال له يحيى : قد عرف الله
نيتك في هذا يا أمير المؤمنين ! [وأجزل] لك الأجر؛ والتعبُد إنما هو لله وحده
لا لغيره - قال : فأكتب «من هارون مولى محمد رسول الله» - فقال : إن المولى
ربما كان في كلام العرب ابن العم ، وجزئ الله أمير المؤمنين خيراً عن هذه النية
وهذا الفكر .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بلفظ «لفلان من فلان» أو «إلى فلان من فلان»)

وبقية الصدر، والتخلص بـ «أما بعد» أو غيرها، والاختتام بالسلام

وغيره على ما تقدم في الأسلوب الأول

وقد اختلف العلماء في جواز الابتداء في المكاتبة باسم المكتوب إليه : فذهب
جماعة من العلماء إلى جواز ذلك، محتجين بأن الصحابة رضي الله عنهم وبعض الملوك

(١) لعله جدى وسقط لفظ جده من عبارة الضوء وهي أوضح وأصرح .

كانوا يكتبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم كذلك . كما كتب إليه خالد بن الوليد والتجاشي والمقوقس في إحدى الروايات ، على ما سيأتي ذكره في المكاتبات إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إذا كتب أحدكم فليبدأ بنفسه ، إلا إلى والدٍ أو والدَةٍ أو إمام يخاف عقوبته ” وعن نافع قال : كانت لابن عمر إلى معاوية حاجة ، فقال له ولده : أبداً به في الكتاب ، فلم يزالوا به حتى كتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى معاوية من عبد الله بن عمر » . وعن الأوزاعي أنه كان يكتب إلى عمر بن عبد العزيز فيبدأ به فلا يذكر ذلك . وعن سعيد بن عبد العزيز قال : كتب عمر (يعني ابن عبد العزيز) إلى الحجاج ، فبدأ بالحجاج قبل نفسه - فقيل له في ذلك - فقال : بدأت به لأحقن دماً رجل من المسلمين . قال سعيد : فحقن له دمه . وعن بكر بن عبد الله أنه كتب إلى عامل في حاجة ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى فلان من بكر » - فقيل له أتبدأ باسمه فقال : وما على أن أرضى صاحبي وتقتضى حاجة أنى المسلم ؟ قال في ” صناعة الكتاب ” : وعلى ذلك جرى التعارف في المكاتبة إلى الإمام .

وذهب قوم إلى كراهة ذلك ، لأنه مأخوذ عن ملوك العجم . قال ميمون ابن مهران : كان العجم يبدءون بملوكهم إذا كتبوا إليهم . وقد روى عن العلاء ابن الحضرمي أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه . وعن الربيع ابن أنيس قال : ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يكتبون إليه يبدءون بأنفسهم . وعلى ذلك جرى في ” نهاية الأرب ” فقال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرأء جيوشه يكتبون إليه

كما يكتب إليهم : يبدؤون بأنفسهم . وعن ميمون بن مهران أنه قال : كان ابن عمر إذا كتب إلى أبيه كتب « من عبد الله بن عمر إلى عمر بن الخطاب » . وعن يحيى بن سعيد القطان قال : قلت لسفيان الثوري : اكتب إلى أمير المؤمنين يعني المهدي ، قال : إن كتبت إليه بدأت بنفسى - قلت : فلا تكتب إليه إذن . وهذه الأقوال كلها جانحة إلى ترجيح بدء المكتوب عنه بنفسه . قال أبو جعفر النحاس : وهذا عند أكثر الناس هو الإجماع الصحيح ؛ لأنه هو إجماع الصحابة رضى الله عنهم .

ولنعلم أن الداهيين إلى جواز الابتداء باسم المكتوب إليه اختلفوا : فذهب قوم إلى أنه إنما يكتب « إلى فلان من فلان » كما تقدم في كتاب ابن عمر إلى معاوية ، ولا يكتب « لفلان من فلان » . وأستشهد لذلك بما روى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : يكتب الرجل « من فلان إلى فلان » ولا يكتب لفلان ؛ وبما روى عن هشيم عن المغيرة عن إبراهيم أنه قال : كانوا يكرهون أن يكتبوا « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » لكن قد روى أن رجلا كتب عند ابن عمر « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » فقال ابن عمر : مه ! فإن أسم الله هو له إذن . ومقتضى ذلك أن الكراهة إنما هي لإيهاهم أن البسملة للمكتوب إليه ، لا للابتداء باسم المكتوب إليه .

وذهبت طائفة إلى جواز أن يكتب « لفلان من فلان » واحتج ذلك بما روى عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن ابن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر » وهو ظاهر ، فقد كانت مكتبة خالد بن الوليد والتجاشي والمقوقس

« لمحمد رسول الله » على ما سيأتى ذكره . وعلى ذلك كانت المكاتب للخلفاء : فكان يُكتب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من عماله وغيرهم « لعبد الله عمر امير المؤمنين » وعلى ذلك جرى الحال فى المكاتب إلى سائر الخلفاء بعده على ما ستقف عليه فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ان يفتتح الكتاب بلفظ أما بعد)

وعليه ورد بعض المكاتبات الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الخلفاء من الصحابة فمن بعدهم فى صدر الإسلام على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وكانوا بعد حدوث الدعاء فى المكاتبات يتبعونها بالدعاء بطول البقاء غالبا ، فيقال : « أما بعد أطل الله بقاءك » ونحو ذلك ؛ ثم أُضرب عنها بعض الكتب بعد ذلك .

قال أبو هلال العسكري : فى كتابه «الصناعتين» : وكان الناس فيما مضى يستعملون فى أوائل فصول الرسائل « أما بعد » وقد تركها جماعة من الكتب فلا يكادون يستعملونها . قال : وأظنهم ألبوا بقول ابن القريّة - وقد سأله الججاج عما يُنكره من خطابه - فقال : إنك تُكثر الرّد ، وتشير باليد ، وتستعين بأما بعد . فتحاموها لهذه الجهة . ثم قال : فإن استعملتها أتباعا للسلف ورغبة فيما جاء فيها من التأويل أنها فصل الخطاب ، فهو حسن ؛ وإن تركتها توخيا لمطابقة أهل عصرك ، وكرهة للخروج عما أصّلوه لم تكن ضائرا . أما الآن فقد ترك الأبتداء فى الكتب بأما بعد

حتى لا يكاد يُعوَّل عليها في الابتداء كاتبٌ من كُتَّاب الزمان ، ولا يَفْتَحُ بها مكتبة .
نعم يؤتى بها في أثناء بعض المكاتبات على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وقد تقدّم الكلام على معناها وأول من قالها في الكلام على الفواتح في المقالة الثالثة ، وكُتِّبُ المغاربة ربما أفتتحوا مكاتباتهم بلفظ وبعد .

الأسلوب الرابع

(أن تفتح المكتبةُ بِحُطْبَةٍ مَفْتَحَةٍ بِالْحَمْدِ لله)

وأصل هذه المكتبة مختلّس من الأسلوب الأول من قولهم : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . ثم جاء عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد : آخر خلفاء بني أمية ، وأطال التحميدات في صدور الكتب مع الإتيان بأما بعد ، وتبعه الكُتَّاب على ذلك ؛ ثم توسّعوا فيه حتى كرّروا الحمد المرّات في الكتاب الواحد ، لاسيما في أما كن النعم الحادثة ، كالتفوتحات ونحوها ؛ ثم توسّع بعض الكُتَّاب في ذلك حتى جعل الحمد لله أفتتاحاً ، وأسمّز ذلك إلى الآن . وعلى ذلك بعض المكاتبات السلطانية في زماننا ، على ما ستقف على ذلك جميعه في مواضعه إن شاء الله تعالى .

ولا خفاء في أن الحمد أفضل الافتتاحات ، وأعلى مراتب الابتدآت ، وإن لم يقع الابتداء به في صدر الإسلام ، فهو من المبتدعات المستحسنّة . وحيث أفتتحت المكتبةُ بالحمد لله كان التخلّص منها إلى المقصود بأما بعد ؛ وربما وقع التخلّص بغير ذلك ، ويكون الاختتام فيها تارةً بالسلام ، وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . قال ابن شيث في " معالم الكتابة " : والتحميد في أول الكتب لا يكون إلا في الكتب

المكتوبة عن السلطان . قال : وغاية عظمة الكاتب أن يكرّر التحميد ثمانية وثلاثة في الكتاب ، ثم يذكر الشهادتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
قلت : والتكرار في الحمد يكون بحسب مقدار النعمة المكتوب بسببها من فتح ونحوه .

الأسلوب الخامس

(أن تفتتح الكتاب بلفظ « كتابي إليك » أو « كتابنا إليك من موضع كذا ، أو في وقت كذا والأمر على كذا » وتشرح القضية ؛ وتختتم المكتبة « بكتابنا إليك » بنحو قولك : « فإن رأيت أن تفعل كذا فعلت » والمكتبة « بكتابي إليك » بنحو قولك : « فرائك في كذا » وما يجري هذا المجرى)

والأصل في هذه المكتبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب في بعض المكتبات الصادرة عنه : « هذا كتاب من محمد رسول الله إلى فلان ، أو إلى الجماعة الفلانيين » . فلما كان أيام بني بويه في أثناء الدولة العباسية ، استخرج كتابها من هذا المعنى الابتداء « بكتابي إليك » إذا كانت المكتبة إلى النظير ومن في معناه ، والابتداء « بكتابنا إليك » إذا كانت المكتبة عمن له رتبة نون العظمة من الملوك ونحوهم ؛ وكانوا يتبعون ذلك بالدعاء بطول البقاء نحو « كتابي إليك أطال الله بقاءك » أو « كتابنا إليك أطال الله بقاءك » . وربما عبر « بهذه الخدمة »^(١) وما أشبه ذلك ؛ ويكون التخلص فيه إلى المقصد بواو الحال ، مثل أن يقال : « كتابي إليك والأمر على كذا وكذا » ونحو ذلك ؛ وربما وقع التخلص بخلاف ذلك . ويكون الاختتام فيه

(١) أى عبر بدل كتابي إليك مثلاً بقوله « هذه الخدمة إليك » كما يؤخذ مما يأتي في الأسلوب الحادى عشر

تارةً بالسلام وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . وكُتِّبَ المغرِبُ عدلُوا عن لفظ الأسم في كتابي إلى لفظ الفعل . مثل أن يقال : « كتبنا إليك » أو « كتبتُ إليك والأمرُ على كذا ، أو من موضع كذا » .

الاسلوب السادس

(أن تقع المكتابة بلفظ « كَتَبَ » بصيغة الفعل)

وهذه المكتابة كان يُكْتَبَ بها عن الوزراء ومن في معناهم إلى الخلفاء . فيكتب الوزير ونحوه : « كَتَبَ عَبْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » أو « كتب العبدُ من محلِّ خدمته بمكان كذا ، والأمر على كذا وكذا » . وعلى نحو من ذلك يجري كُتَابُ المغاربة في الكثير من كُتُبهم ، مثل « إنا كتبنا إليكم من محلِّ كذا » أو « كتبتُ إليك من محلِّ كذا » وما أشبه ذلك . وهذه في الأصل مأخوذة من الأسلوب الذي قبل .

الأسلوب السابع

(أن يقع الافتتاحُ بالدعاء)

والأصل في ذلك ما حكاه أبو جعفر النحاس : ان معاويةَ بنَ أبي سفيان كتب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند جريان الخلاف ووقوع الحرب بينهما : « أما بعدُ عافانا الله وإياك من السوء » . ثم زاد الناس في الدعاء بعد ذلك .

وقد اختلف في جواز المكتابة بالدعاء في الجملة : فذهب ذاهبون إلى جواز ذلك كما يجوز الدعاء في غير المكتابة ، سواء تضمن الدعاء معنى الدوام والبقاء أم لا . وهو

الذى رَجَّحه محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" وإليه يميل كلام غيره أيضا، وحكاها النحاس عن أبي جعفر أحمد بن سلامة، وكلامه يميل إلى ترجيحه . أما ما يتضمن معنى الدوام والبقاء ، فلما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي اليسر كعب ابن علية^(١) : "اللهم أمتعنا به" قال النحاس : وذلك دليل الجواز، بل حكي عن بعضهم أن الدعاء بطول البقاء أكمل الدعاء وأنفعه ، لأن كل نعمة لا يُنتفع بها إلا مع طول البقاء . ثم قال : والمعنى في الدعاء في المكتبات التودد والتجرب ، وقد أمر صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يكونوا إخوانا ، ومن أخوتهم ود بعضهم بعضا . وكذلك القول بما يؤكد الأخوة بينهم والمودة من بعضهم لبعض ، وإذا قال له ذلك ، كان قد بلغ من قلبه نهاية مبلغ مثله منه ، ويكون من قال ذلك قد علم من قلبه في شأنه ما يكون من قلب مثله . وقد قال الشيخ محي الدين النووي : من قال لصاحبه - حفظا لمودة - : «أدام الله لك النعم» ونحو ذلك فلا بأس به .



وأما ما لم يتضمن معنى الدوام والبقاء : كالعز والكرامة ، فقد روى عن كعب ابن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَقْتَلَ حِمْرَةٍ ؟ فَقُلْتُ : أَعَزَّكَ اللَّهُ ! أَنَا رَأَيْتُهُ » . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم ، فَضَنَّ النَّاسُ بِمَجَالِسِهِمْ فَلَمْ يُوسَّعْ لَهُ أَحَدٌ ، فَرَمَى لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِدَّتِهِ وَقَالَ اجْلِسْ عَلَيْهَا يَا جَرِيرُ ، فَلَقَّاهَا بِوَجْهِهِ وَنَحَرِهِ فَقَبَّلَهَا ثُمَّ رَدَّهَا عَلَى ظَهْرِهِ ، وَقَالَ : أَكْرَمَكَ اللَّهُ

(١) سبق في صفحة ٢٩٢ من هذا الجزء كعب بن عبيد الله والذي في "خلاصة تذهيب تهذيب الكمال"

للخزرجي ص ٣٢١ أنه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غزية بن سواد بن غم بن كعب بن سلمة الانصاري السلي بالفتح ابن اليسر بفتح التثنية عقي بدرى جليل . فلعل عليه اسم أمه .

يارسول الله كما أكرمتني» فقد دعا له صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك بالعز، وجرير
ابن عبد الله بالكرامة ولم يُنكر ذلك على واحد منهما .

وذهب آخرون إلى أنه لا تجوز المكتبة بالدعاء، سواء تضمن معنى الدوام والبقاء
أم لا : لأنه خلاف ماوردت به السنة وجرى عليه اصطلاح السلف .

وفصل بعضهم فقال : إن كان الدعاء مما لا يتضمن معنى الدوام والبقاء نحو
« أكرمك الله بطاعته » و « تولاك بحفظه » و « أسعدك بمعرفته » و « أعزك بنصره »
جاز، لحديث كعب بن مالك وجرير بن عبد الله المتقدمين . وإن كان مما يتضمن
معنى الدوام والبقاء، نحو « أطال الله بقاءك » و « نساأ أجلك » و « أمتع بك » وما أشبه
ذلك، لم تجز المكتبة به .

وأحجج لذلك بحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه " أن أم حبيبة بنت
أبي سفيان، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : اللهم أمتعني بزواجي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبأبي سفيان وبأخي معاوية - فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لقد دعوت الله لآجال مضرورية، وأرزاق مقسومة لا يتقدم منها شيء
قبل أجله ولا يتأخر بعد أجله ! ولو سألت الله أن يقيقك عذاب النار لكان خيراً لك "
وبما روى أن الزبير بن العوام رضى الله عنه ! قال للنبي صلى الله عليه وسلم :
« جعلني الله فداك » . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أما تركت أعرايتك
بعد؟ » فقد أنكر صلى الله عليه وسلم على أم حبيبة والزبير الدعاء بما فيه طول البقاء،
وإذا أمتنع ذلك في مطلق الدعاء، أمتنع في المكتبة من باب أولى : لخالفه طرقها
التي وردت بها السنة . قال حماد بن سلمة : كانت مكتبة المسلمين « من فلان
إلى فلان، أما بعد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله

أن يصلي على محمد عبده وآل محمد « حتى أحدث الزنادقة - لعنهم الله - هذه المكتبة التي أولها « أطال الله بقاءك » .

وعن إسماعيل بن إسحاق أن أول من كتب « أطال الله بقاءك » الزنادقة . وقد قال الإمام الرافعي وغيره من أئمة أصحابنا الشافعية : إن الدعاء بالطلبة - وهي أطال الله بقاءك - لا أصل له في الشرع . قال الشيخ محي الدين النووي : وقد نص السلف على كراهته . ونقل النحاس عن بعضهم : أنه استحب تقيده بالإضافة إلى شيء آخر، مثل أن يكتب « أطال الله بقاءك في طاعته وكرامته » أو « أطال الله بقاءك في أسر عيش وأنعم بال » وما أشبه ذلك .

وأعلم أن الناس قد اختلفوا في صورة الابتداء بالدعاء : فالأولون - لأبتداء الدعاء في المكتبات - كانوا يفتحون بطول البقاء للخلفاء وغيرهم ؛ ثم توسعت الطبقة الثانية من الكتاب في المكتبة فافتتحوا بالدعاء للخلفاء والملوك بخلود الملك ، ودوام الأيام ، ودوام السلطان وخلوده ، وما في معنى ذلك ؛ ولين دونهم بعد النصر والنصرة والأنصار بدوام النعمة وخلود السعادة ومدّ الظل وإسباغ الظلال ، وغير ذلك مما يأتي ذكره في الكلام على مصطلح كل طبقة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم للكتاب ^(١) في الخطاب بالدعاء مذهبان :

أحدهما - أن يقع الدعاء بلفظ الخطاب ، نحو « أطال الله بقاءك ، وأعزك الله ، وأكرمك الله ، وأدام كرامتك وسعادتك » وما أشبه ذلك .

والثاني - أن يقع بلفظ الدعاء للغائب مثل : « أطال الله بقاء أمير المؤمنين » و « أطال الله بقاء سيدي » و « أطال الله بقاء مولانا » أو « أعز الله أنصار المقام والمقر »

(١) كذا في الأصول ولعله في الاتيان بالدعاء الخ .

أو « ضاعف الله تعالى نعمة الجَنَاب » أو « أدام الله نعمة الجَنَاب أو المجلس » وما أشبه ذلك .

قال في " صناعة الكتاب " : وهو أجلُّ الدعاء فيما أصطلَحُوا عليه . قال : ورأيتُ عليَّ بن سليمان يُنكر ذلك ويقول : الدعاء للغائب جهلٌ باللغة ، ونحن ندعو الله عز وجل بالمخاطبة .

الأسلوب الثامن

(أن يُفَتَّحَ الكُتَابُ بالسلام)

ويقع التخلُّص إلى المقصود بلفظ « ونُبْدِي لِعَلِّمِهِ » أو نحو ذلك ، ويقع الاختتام فيه بالسلام أيضا ، وهو منترَع من قولهم في صدر المكتبة في الأسلوب الأول : سلامٌ عليكَ فإني أحمدُ إليك الله ؛ تصرفُ الكُتَاب فيه بفعلوا السلام في ابتداء المكتبة ، وصاروا يتبدئونها بنحو سلام الله ورحمته وبركاته . وقد كانوا يتبدئون المكتبة إلى الخلفاء ببغداد في الدولة الأيوبية بالديار المصرية بالسلام في بعض الأحيان ، وعلى ذلك استقرَّت المكتبة عن الخليفة الآن . وبه يُفَتَّح بعضُ المكاتبات إلى مشايخ الصوفيَّة ، على ما سيأتي في الكلام عليه في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال في " صناعة الكُتَاب " : وإنما قدَّموا السلام على الرحمة لتصرفه : لأنه من أسماء الله تعالى أو جمعُ سلامة . قال في " مواد البيان " : أو أسمٌ للجنة كما في قوله تعالى : ﴿ لَهْمُ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم عَقَّب ذلك بأن قال : والسلام في هذا الموضع من السَّلَامَة ، وتقديمُ السلامة التي تكونُ في الدنيا أولى من تقديم الرحمة التي تكون في الآخرة .

الأسلوب التاسع

(أَنْ يَفْتَحَ الْكِتَابُ بِقَبْلِ الْأَرْضِ)

ويتخلص إلى المقصود بلفظ « وينهى » ويقع الاختتام بـ « طالع » أو « أنهى » وهذه المكتبة مما هو موجود في بعض مكاتبات القاضى الفاضل ، ولم أرها فيما قبله ، وكأنهم لما استعملوا في صدور المكاتبات إلى الخلفاء المكتبة بيقبل الأرض والعتبات ونحو ذلك ، استنبطوا منه ابتداء مكتبة وجعلوها مكتبة الرؤساء من السلطان ومن في معناه بالنسبة إلى المرؤوس . والأصل في ذلك أن تحية الملوك والرؤساء والأكابر في الأمم الخالية كانت بالسجود ، كما يحى المسلمون بعضهم بعضا بالسلام . وقد قال قتادة في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليهم السلام : « وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا » : كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ، وعليه حمل قوله تعالى : « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا » على أحد التفاسير ، وهو المرجح عند الإمام نحر الدين وغيره من المفسرين . قال الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله في تفسيره : وكان ذلك مشروعا في الأمم الماضية ولكنه تسخ في ملتنا . قال معاذ « يارسول الله ! إني قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم فانت يارسول الله أحق أن يسجد لك . فقال : [لا] لو كنت أمرا بشرا أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لبعليها من عظم حقه عليها » . وعن ضبيب : « أن معاذ [لما] قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يامعاذ [ما هذا ؟] قال [إن اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ، ورأيت النصارى تسجد لقسيسها وبطارقتها ، قلت ما هذا ؟ قالوا تحية الأنبياء - فقال عليه السلام : كذبوا على أنبيائهم » .

(١) الزيادة عن تفسير ابن كثير .

(٢) الزيادة عن مفاتيح الغيب للفخر الرازي .

وعن سفيان الثوري عن سَمَاقِ بْنِ هَانِئٍ قَالَ : دَخَلَ الْجَاهَلِيْقُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَسْجُدْ لِلَّهِ وَلَا تَسْجُدْ لِي .

فلما وردت شريعة الإسلام بنسخ التحية بالسجود وغلب ملوك العجم على الأقطار، استصحبوا ما كان عليه الأمر في الأمم الخالية، وعبروا عنه بتقيل الأرض فراراً من اسم السجود ولورود الشريعة بالنهي عنه ؛ واستمر ذلك تحية الملوك إلى الآن، فاستعار الكتاب ذلك ونقلوه من الفعل إلى اللفظ، فاستعملوه في مكاتباتهم إلى الخلفاء والملوك ؛ ثم توسعوا في ذلك فكتبوا به كل من له عظمة بالنسبة إلى المكتوب عنه، ورتبوه مراتب على ماسياتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . ولا خفاء فيما في هذه المكاتبة من الكراهة .

الأسلوب العاشر

(أن يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِقَبْلِ الْيَدِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْبَاسِطِ وَالْبَاسِطَةِ)

ويقع التخلص منه إلى المقصود بما يقع به التخلص في الأسلوب الذي قبله من الإنهاء ؛ ويُخْتَمُ بالدعاء ونحوه .

والأصل في هذه المكاتبة أَنْ يُقْبَلَ الْيَدُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِمَّا يُؤْذَنُ بِالْعَظِيمِ ، وَالتَّجِيلِ وَالتَّكْرِيمِ ، وَعُلُوُّ الْقَدْرِ وَزِيَادَةُ الرَّفْعَةِ ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَنْعُوعٍ فِي الشَّرِيعَةِ . فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ : « أَنَّهُ لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَأْيَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَ لَهَا أَبُوهَا : قُومِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبِّلِي يَدَهُ » . وَلَمْ يَكُنِ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَأْمُرَهَا بِمَا هُوَ مَنْعُوعٌ فِي الشَّرِيعَةِ . وَقَدْ نَصَّ الْفُقَهَاءُ

رحمهم الله على أنه يجوز تَقْيِيلُ يَدِ العالم والرجُلِ الصالح ونحوهما ، فاستعار الكُتَّاب ذلك ونقلوه من الفعل إلى الكتابة أيضا ، كما فعلوا في تَقْيِيلِ الأرض ، ورَتَّبوه مراتب على ما سياتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى . على أن بعض الكُتَّاب قد جعل يُقْبَلُ القَدَم رتبةً بين يُقْبَلُ الأرض ويُقْبَلُ اليد وما في معناها ، وهو ظاهر لكنه لم يشتهر في عُرف الكُتَّاب .

الأسلوب الحادى عشر

(أن يُفْتَحَ الكُتَّابُ بلفظ « صدرتِ المكتبة »)

ويتخلص فيها إلى المقصود بلفظ « وتوضَّح لعلمه » أو « مُوضَّحة لعلمه » . وما أشبه ذلك . ويقع الاختتامُ فيها بمنى « والله الموقِّ » ونحو ذلك . وربما قيل فيها : « أُصِدِّرَتْ هذه المكتبة » أو « أُصِدِّرْنَاهَا » .

وأصل هذه المكتبة أنه كان يُكْتَبُ فى الدَّولة السَّلْجُوقِيَّة ببغداد ، والدولة الأيوبيَّة بالديار المصرية « صدرت هذه الخدمة » أو « أُصِدِّرَتْ هذه الخدمة » . وربما كتب « صدرت هذه الجملة » فعدل عنه كُتَّاب الزمان بالديار المصرية ومن قاربهم إلى التعبير بقولهم : « صدرت هذه المكتبة » . على أن كُتَّاب الزمان بالديار المصرية إنما أخذوها من صُدُور المكاتبات المفتَّحة بالدعاء : مثل أعزَّ الله أنصار المقرِّ ، حيث يقال فى تصديرها « أُصِدِّرْنَاهَا » ومثل « ضاعف الله نعمة الجناب » و « أدام الله نعمة الجناب أو المجلس » وما أشبه ذلك ، حيث يقال فى تصديرها : « صدرت هذه المكتبة » فجعلوا الصُّدُور ابتداء .

الأسلوب الثاني عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ « هذه المكتبة »)

ويتخلص منها إلى المقصود بنحو ما وقع التخلّص به في الأسلوب الذي قبله ،
ويقع الاختتام بمثل ما وقع به اختتامه .

وهذه المكتبة مأخوذة في الأصل من ابتدائهم في الأسلوب الخامس بلفظ :
« كتابي إليك » وما في معناه ، على أن تُكَّاب الزمان إنما أخذوا ذلك من المكتبة التي
قبلها ، فجعلوا بعض الصّدر فيها ابتداءً ، كما جعلوا جميع الصّدر ابتداءً في الأسلوب
الذي قبلها .

الأسلوب الثالث عشر

(أن يفتح الكتاب بالإعلام)

كما يكتب كتاب الزمان : « يعلم فلان أن الأمر كذا وكذا » والاختتام فيها بمثل
الأسلوبين اللذين قبلها ولا تخلّص فيها ، لأن الافتتاح فيها موصّل إلى المقصود . على
أن الصواب إثبات اللام في أولها ، بأن يقال : « ليعلم فلان » لأن لام الأمر لا يجوز
حذفها على ما تقرّر في آخر المقالة الثالثة . وعلى ذلك كتب غازان أحد ملوك بني
جنك خان ببغداد وما معها إلى الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار
المصرية ، وكتب الجواب عن الملك الناصر إليه كذلك ، على ما سيأتى ذكره في موضعه
إن شاء الله تعالى .

الاسلوب الرابع عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ « يُخْدَم »)

مثل « يُخْدَم الجَنَاب » أو « يُخْدَمُ المجلس » وما أشبه ذلك . ويكون التخلُّص منها بمثل : « وَيُنْهَى » أو « وَيُنْدَى » ونحو ذلك ؛ ويقع الاختتام فيها بالدعاء . وهذه المكاتبة كانت مستعملةً في مكاتبات الفاضل بقلَّة ، وتداولها الكُتَّاب بعد ذلك إلى أن صارت مستعملةً بين الكُتَّاب في المكاتبات الدائرة بين أهل الدولة في زماننا ؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك وتركَّت حتى لم يستعملها منهم إلا القليلُ النادرُ .

الأسلوب الخامس عشر

(أن يُفْتَحَ الكتابُ بلفظ الخِلافة أو المَقَام الذى شأنه كذا ،

أو الإمارة التى شأنها كذا)

مثل : « خلافة فلان » أو « مَقَام فلان » أو « إمارة فلان » وما أشبه ذلك . ثم يقع التخلُّص فى ذلك بمثل : « معظَّم مقامها يُخَصِّصها بِسَلامِ صِفَتِهِ كذا ويبدى لعلمها كذا » وما أشبه ذلك . ويقع الاختتام فيها بالسلام ؛ وهذا الأسلوب مما آخِص به كُتَّاب المغرب لاسيما المتأخرون منهم ، على ما سياتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قلت : ووراء هذه الأساليب أساليبُ أخرى لُكِّتْ لأهل الشرق والغرب بالديار المصرية فى الأزمنة المتقدمة ، لا يأخذها حصر ، ولا تدخل تحت حدٍّ ، وأكثر ما تكون فى الإخوانيات ، وسيأتى ذكر الكثير من أنواعها فى مواضعه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في المَكاتَبَاتِ إلى أهل الكُفْرِ ؛ وللْكُتَّابِ فيه أُسْلُوبَانِ)

الأُسْلُوبُ الأوَّلُ

(أن تُفَتِّحَ المَكاتِبَةَ بلفظِ « من فلانٍ إلى فلان »)

وعلى ذلك كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكُفْرِ ، وكان يُكْتَبُ في مكاتباته صلى الله عليه وسلم : « السَّلامُ على من أتبع الهدى » بدل « والسَّلام » وَيَخْلَصُ فيها بأما بعد تارةً ، وبغيرها أخرى ؛ وعلى ذلك جرى الخلفاء من الصحابة رضي الله عنهم ، وخلفاء بني أمية ، وخلفاء بني العباس ببغداد ، ومن شاركهم في الأمر من ملوك بني بويه وبني سنجوق ومن في معناهم . وتُحْتَمَّ هذه المَكاتِبَةُ تارةً بلفظ « والسَّلامُ على من أتبع الهدى » إن لم يذكر السَّلامُ في الأوَّل ، وتارةً بغير ذلك .

الاسلوب الثاني

(أن تُفَتِّحَ المَكاتِبَةَ بالدعاء)

كما يَكْتُبُ كُتَّابُ الزَّمان « أطال الله بقاء الحضرة الفلانية : حضرة الملك الفلاني » أو « أطال الله بقاء الملك الفلاني » وما أشبه ذلك . وقد تقدَّم الخلافُ في أصل جواز المَكاتِبَةِ بالدُّعاء ، وما قيل في الدعاء بطول البقاء وما في معناه : من الكراهة ، وأن جماعة من العلماء والْكُتَّابِ أجازوه .

فإن قيل : على تقدير جواز ذلك في حقِّ المسلم ، فكيف يجوز في حقِّ الكافر . فالجواب أنه قد ورد « أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم آسَسَقُ فسقاه يهوديُّ ،

فقال له : جَمَلَك اللهُ، فما رُؤى الشَّيْبُ في وَجْهِهِ حتَّى مات» فقد دعا صلى الله عليه وسلم ليُهودىَّ بالجمال ، وقد لا يكون في طول بقائه على الإسلام ضررٌ، بل قد يكون فيه نفعٌ، كحَمَلِ حِزْيَةِ ونحوه، وإنما يُمنَعُ الدعاء له بالعِزِّ والنَّصر وما في معنى ذلك .

تنبيه — اعلم أن الأجوبة قد تُفتَحَ بما تُفتَحَ به الابتداءات من الأساليب المتقدمة ، ثم يُؤتى بالأجوبة في أثنائها مثل أن يقال : « وقد وصل كتابُ المجلس أو الجَنَابِ » أو « وردتْ مكاتبتُهُ » أو « عُرِضَتْ مكاتبتُهُ على أمير المؤمنين ، أو على المَسَامِعِ الشريفة » وما أشبه ذلك . وقد يُجعل الجوابُ ابتداءً ، فيُفتَحَ الكتابُ بنحو : « عُرِضَتْ مكاتبتك على أمير المؤمنين » مثلاً كما كان يكتب في الزمن المتقدم ، أو « عُرِضَتْ المكاتبَةُ الواصلةُ من جهة المجلس أو الجَنَابِ الفلاني على المَسَامِعِ الشريفة » أو « وردتْ مكاتبتُهُ » أو « وصلتْ مكاتبتُهُ » ونحو ذلك ، ويؤتى على ما تَضَمَّنَتْهُ المكاتبَةُ وما اقتضاه الجوابُ عنه ؛ ثم يؤتى في الاختتام بنظير ما يؤتى به في المكاتبَةِ المبتدأة .

الطرف الثاني

(في ذكر لواحق المكاتبات ولوازمها ، وفيه ستُّ جملٍ)

الجملة الأولى

(في التَّرْجُمة عن المكتوب عنه)

أما التَّرْجُمة عن السلطان ، فقد ذكر ابنُ شَيْثٍ أَنَّ مصطَلَحَ الدولة الأيوبية أن يُكْتَبَ لأربابِ خِدْمَتِهِ العلامة فإنها أُلِيقَ به معهم . فإن أراد تمييزَ أحدٍ منهم ، كتب له بخطه شيئاً مكانَ العلامة ؛ وأن ترجمته للفقهاء والقُضاة وذَوِي التَّنَسُّكِ « أخوه »

و «ولده» . وذكر أن الأحسن أن يقال في «ولده» «محل ولده» لقوله تعالى :
 ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ أما «أخوه» فلا حرج عليه فيه : لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
 وقوله : ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وذكر أنه يترجم لهؤلاء من ولي الأمر أيضا :
 «المعترف ببركته» و «المبتدك بدعائه» و «المرتد بمودته» . وذكر أن الفقهاء
 والقضاة ودوى التنسك يترجمون عن أنفسهم بـ «الخدام» ودون ذلك «خادمه» .

قال : وربما ترفعوا عن الترجمة بهذه اللفظة مطلقا فقالوا : «الخدام بالدعاء
 الصالح» أو «الخدام بدعائه» . قال : وأهل الورع خاصة يترجمون بـ «الفقير إلى
 رحمة الله» . وربما راعوا المترجم له مثل أن يكون ولي الأمر ، فيقول : «العبد
 الفقير إلى رحمة الله» ويعنى أنه عبد الله ، ويحصل بذلك المقصود من الأدب مع
 السلطان . ومنهم من يكتب : «الداعي لدولته» و «المبتدك بدعائه الصالح لأيامه»
 و «المواظب على خدمته بالدعاء» وأمثال ذلك . قال : وأكثر الناس يرى الترجمة
 لولده ، فإن ترجم له لم يسم اسمه لأنه ليس له والدان ، ولا أقل من أن يكون بينه
 وبين من يكتب بوالده غير الأب هذا الفرق ، فأما أن يقول : «والده فلان بن
 فلان» بحيث يذكر اسم أبيه فسيح . ثم قد كانوا في الزمن الأول يكتبون بذكر اسم
 المكتوب عنه في صدر الكتاب وعنوانه ، نحو : «من فلان إلى فلان» ثم أحدث
 الكتاب في أيام بني بويه وما بعدها تراجم ربوها ، بعضها أرفع من بعض .

وقد ذكر في «ذخيرة الكتاب» لذلك مراتب في الصدور والعنوان بعضها أعلى
 من بعض ، فجعل أعلاها بالنسبة إلى المكتوب عنه أن يكتب اسمه ، ودونه
 «صديقه» ودونه «محبه» ودونه «شاكوه» ودونه «المعتد به» ودونه «أخوه»
 ودونه «وليّه» ودونه «عبدّه» ودونه «خادمه» ودونه «عبدّه وخادمه» ودونه

«العبد» ودونه «العبد الخادم» ودونه «الصنيعة» ودونه «مملوكه» ودونه «المملوك» ودونه «المملوك الصنيعة». وهو الأعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه. ثم قال: ويتفرع من هذه الأصول فروع كثيرة لا تحصر مما يختاره الكتاب ويقترحونه ويتكرونها، ويكتبون به أصدقاؤهم وأوداءهم حسب ما تقتضيه موداتهم وتوجبها مصافاتهم: كصفي مودته، والمفتخر بحبته، والمعتمد على أخوته؛ وعبد مودته، وخادم مجده، وشاكر أيديه، وحامد تفضله، والمعتمد بتطوُّله وما يجري هذا الجري مما هو أوسع من أن يُجمع وأكثر من أن يُحصَر؛ ولكنه أكثر ما يكون بين النظراء والأقران.

ورتب عبد الرحيم بن شيث في "معالم الكتابة" ترتيباً آخر: فذكر أن الترجمة إلى ديوان الخلافة من ذوى الولايات كلهم «العبد» ومن الملوك كلهم «الخادم» وأن الترجمة إلى الملوك من الأجناد كلهم «المملوك» مع النسبة إلى أشهر ألقاب الملك: كالناصر للناصر، والعاذل للعاذل، وما جرى مجرى ذلك. ودون المملوك في الخضوع: «عبد» و«خادم» ودونه «العبد» مُقرَّدة. ودونه «مملوكه» ودونه «العبد الخادم» لأن الثاني كأنه ناسخ للأول؛ ودونه «الخادم» ودونه «عبد» ودونه «خادم» ودونه «عبد وأخوه» ودونه «أخوه» ودونه «شاكر تفضله» ودونه «شاكر إحسانه» ودونه «شاكر مودته» ودونه «وليّه وصفيّه» ودونه «محبه وواده وشاكره». ودونه الاسم، ودونه العلامة.

ثم قال: أما «أصغر الممالك» وما يجري مجراها، فلا يليق من الأجانب. ورأيت في دستور صغير في المكاتبات يعزى للقر الشهابي بن فضل الله، أن أكبر الآداب في أسم المكتوب عنه بالنسبة إلى المكتوب إليه «المملوك» ثم «المملوك الرق» ثم «المملوك الأصغر» ثم «المملوك المحب» ثم «المملوك الداعي» ثم «مملوكه ومحبه» ثم «الخادم»

ثم «خادمه» ثم «أخوه» ثم «مُحِبُّه» ثم «شاكِره» ثم «الفَقِيرُ إلى الله تعالى». ولا يخفى ما في بعض هذه التراجم من التخالُف بين ما ذكره وما تقدم ذكره عن «ذخيرة الكُتَّاب».

والذي استقرَّ عليه الحال في زماننا في ترجمة العلامة بالقلم الشريف السلطاني «أخوه» ثم «والده» ثم الأسم؛ وفي حق غيره «المملوك» ثم الأسم. وربما كتب بعضهم «العبد» بدل الأسم تواضعاً. على أنهم قد اختلفوا في جواز الترجمة بالعبد والمملوك: فذهب بعضهم إلى منع ذلك، محتجاً بما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أَمَتِي، كُلُّكُمْ عِبْدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ وَلَكِنْ غُلَامِي وَجَارِيتِي». والذي عليه العمل جواز ذلك احتجاجاً بقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ والاستدلال به لا يخلو من نزاع؛ وقضاة القضاة يكتبون «الداعي».

الجملة الثانية

(في العُنوان، وفيه سبع لغات)

حكّاها صاحب «ذخيرة الكُتَّاب». وأقتصر في «صناعة الكُتَّاب» على ذكر بعضها: إحداها عُنوان - بضم العين وواو بعد النون. والثانية عُنوان - بضم العين وياء تحتية بعد النون. والثالثة عُنوان - بكسر العين. والرابعة عُنوان - بضم العين ولام بدل النون. والخامسة عُنوان - بفتحها. والسادسة عُنوان - بكسرها. والسابعة عُنوان بالكسر مع إبدال الواو ياء، ويجمع عُنوان على عُنَاوِينَ، وعُنَاوَان على عِلَاوِينَ. ويقال: عَنَوْتُ الكُتَّابَ عَنُونَةً وَعَلَوْنَتُهُ عِلُونَةٌ، وَعَنَنْتُهُ بَنُونِينَ الْأَوَّلَى

منهما مشددة تَعْنِينَا، وَعَيْنَيْهِ بنون مشددة بعدها ياء تَعْنِيَّةٌ، وَعَنَوْتُهُ أَعْنُوهُ عَنَوًا بفتح العين وسكون النون، وَعُنُوَا بضمهما وتشديد الواو .

وَأَخْتَلَفَ فِي أَشْتَقَاقِهِ : فَمَنْ قَالَ عُنْوَانٌ، جَعَلَهُ مَأْخُوذًا مِنَ الْعُنْوَانِ بِمَعْنَى الْأَثَرِ، لِأَنَّ عُنْوَانَ الْكُتَابِ [أَثَرِيَّانٌ ^(١)] مِمَّنْ هُوَ وَإِلَى مَنْ هُوَ . قَالَ النَّحَّاسُ : وَأَكْثَرُ الْكُتَّابِ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ هَذَا ؛ وَاحْتَجُّوا لِذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ يَذْكُرُ قَتْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَانُ بْنُ عُمَانَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

صَحُّوا بِأَثْمَطِ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ * يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْيِيحًا وَقُرْءَانًا

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعُنْوَانَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : عَنَتِ الْأَرْضُ تَعْنُو إِذَا أَنْجَرَتْ النَّبَاتَ، وَأَعَانَهَا الْمَطَرُ إِذَا أَظْهَرَ نَبَاتَهَا . قَالَ النَّحَّاسُ : فَيَكُونُ عُنْوَانٌ عَلَى هَذَا مُعْلَانًا يَنْصَرَفُ فِي النَّكْرَةِ وَلَا يَنْصَرَفُ فِي الْمَعْرِفَةِ . وَقِيلَ هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ عَنْ يَعْنُ، إِذَا عَرَضَ وَبَدَأ . قَالَ النَّحَّاسُ : فَعَلِيَ هَذَا يَنْصَرَفُ فِي النَّكْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ لِأَنَّهُ مُعْلَلٌ .

وَمَنْ قَالَ : عُلوَانٌ ، أَبْدَلَ مِنَ النُّونِ لَامًا ، كَمَا فِي صَيْدَلَانِي وَصَيْدَنَانِي ؛ فَيَكُونُ الْأَشْتِقَاقُ وَاحِدًا . وَقِيلَ عُلوَانٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَلَانِيَةِ، لِأَنَّهُ خُطُّ ظَاهِرٌ عَلَى الْكُتَّابِ .

وَمَنْ قَالَ : عُنْيَانٌ وَعِنْيَانٌ، جَعَلَهُ مِنْ عَنَيْتَ فَلَانًا بِكَذَا إِذَا قَصَدْتَهُ . قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : وَالْعُنْوَانُ كَالْعَلَامَةِ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَى مَرْتَبَةِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ مِنَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ . وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِخْبَارُ عَنْ أَسْمِهِمَا حَتَّى لَا يَكُونَ الْكُتَّابُ مَجْهُولًا، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَكْتُبُ فِيهِ «مَنْ فَلَانٌ إِلَى فَلَانٍ» أَوْ «لِفُلَانٍ مِنْ فَلَانٍ» قَالَ : وَلَمْ يَزَالُوا يَكْتَابُونَ بِأَسْمَائِهِمْ إِلَى أَنْ وَلِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَةَ وَلُقِّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) الزيادة من الضوء للؤلؤ ص ٤٤١ .

(٢) عبارة الضوء والمعنى فيه وهو مراده بما هنا .

فكتب : « من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » . ثم وقع الاصطلاح على
العونة للرؤساء والنظرء والمرؤوسين والأتباع بالأسماء ؛ ثم تغير هذا الرسم أيضا .

وكان المأمون يكتب في أول عنوانات كتبه : بسم الله الرحمن الرحيم ، فكانت
تكتب قبل اسم المکتوب إليه والمکتوب عنه . وقد ذكر أبو جعفر النحاس أن
ذلك بقى إلى زمانه ، وكان بعد الثلاثمائة . قال في « مواد البيان » : ثم بطل بعد
ذلك . قال : والأصل فيه أن يُبتدأ باسم المکتوب عنه ثم باسم المکتوب إليه
وهو الترتيب الذى تشهد به العقول : لأن نفوذ الكتاب من المکتوب عنه إلى
المکتوب إليه كمنشئ الشيء وخروجه من ابتداء إلى نهاية . فابتدأوه من المکتوب
عنه ، وأتمهوه إلى المکتوب إليه ؛ ولفظ « من » يتقدم لفظ « إلى » بالطبع : لأن
حرف « من » ينبئ عن منشئ الشيء ، و « إلى » حرف يُخبر عن النهاية التى عندها قرار
الشيء ؛ والإبتدآت فى الأشياء قبل النهايات .

قال : وعلى هذا كانت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من الأمم
الماضية ؛ ثم عرّض للناس رأى فى تغيير هذا الرسم إلى غيره ، ففرّقوا بين مراتب
المكتّبين من الرؤساء والعظماء والخدم والأتباع بتقديم اسم المکتوب إليه إذا قصدوا
إعظامه وإجلاله وتأخير اسم المکتوب عنه ، ورأوا أنه الصواب الصحيح .
على أن كتّاب زماننا يقتصرون فى أكثر عنواناتهم على ذكر المکتوب إليه دون
المکتوب عنه ولا يذكرون المکتوب عنه إلا فى مكاتبات خاصة قليلة . قال
فى « صناعة الكتّاب » : ولا يتكنى المکتوب عنه على نظيره ، بل يتسمى له ولمن
فوقه ، ثم يقول : المعروف بأبى فلان . وإن كانت كنيته أشهر من اسمه واسم

أبيه ، جاز أن يَكْتُبَ كُنْيَتَهُ بغير ألف ويُجْرِيها مُجْرَى الأسم . قال النحاس : وإن كان الكتابُ إلى اثنين أحدهما أكبرُ من الآخر ، فيقدم الأكبر ، وكذلك لو كان إلى ثلاثة . قال أبو جعفر النحاس : وقد استحسن جماعة أن يصغرَ اسمُ المكتوب عنه على عنوانات الكتب ، ورأوا أن ذلك تواضع . وما ذكره هو المستعملُ في المكاتبات الجارية عليه حكم الدواوين إلى زماننا . والأصلُ في ذلك ما ذكره النحاس أن الحجاجَ ابنَ يوسفَ كتب إلى عبد الملك بن مروانَ وهو خليفةٌ في طُومار : « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين » ثم كتب في طُرْثَرته بقلم ضئيل : من الحجاج بن يوسف ، فجرى الكتابُ على أسلوبه فيما بعد .

قال في "معالم الكتابة" : ولا يُكثِرُ النعوتَ ولا الدِّعاء على العنوان للسلطان ولا للكبراء ، أما من الأعلى^(٢) إلى الأدنى فحسن . وقد تقدّم في مقدّمة الكتاب أن صاحب ديوان الإنشاء هو الذى يُعَنُونُ الكتبُ السلطانية ، وأنها كانت لا تُعَنُونُ قبل كتابة السلطان عليها علامته ؛ والذى استقرَّ عليه الحالُ في كُتُب السلطان وما في معناها من المشتملة على الألقاب أن تُكتب الألقابُ في العنوان ، ويُدعى فيها بدعوة واحدة وهى المفتتحُ بها المكتابة .

(١) عبارة الضوء « جاز أن يكتب كنيته ويجريها ... الخ » وهى واضحة ولكن قد ورد فى مسالك الأبصار فى كتاب اقطاع النبى صلى الله عليه وسلم إلى تميم الدارى وذكره المؤلف فى تقديمه أن الكنية فيه بغير ألف ونص على ذلك ، فلعل مراده أن الكنية فى هذه الكتب تكتب بغير ألف فيقال فى أبى بكر بوبكر .

(٢) لأن ذلك يؤذن بشريف المكتوب إليه كما تقدم .

الجملة الثالثة

(في طي الكتاب وختمه)

أما طيه فمعروف ، وهو أن يُلَفَّ بعضُه على بعض لَفًّا خاصًّا . والطّي في اللغة خلافُ النَّشرِ ؛ ويقال : طوى الكتاب يطويه طيًا ، ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ . والترتيب في ذلك أن تكون الكتابة إلى داخل الكتاب : لأن المقصود صَوْنُ المكتوب فيه .

ثم للناس في صورة الطّيّ طريقتان :

الطريقة الأولى - أن يكون لفّه مُدَوَّرًا كأنبوبة الرُّمَحِ ، وهي طريقة كُتَّاب الشرق من قديم الزمان وإلى الآن .

والطريقة الثانية - أن يكون طيه مبسوطا في قَدَرٍ عَرِضٍ أربعة أصابع مطبوقة ، وعلى ذلك كان الحال جاريا في الدولة الأيوبية بالديار المصرية . فقد ذكر عبد الرحيم ابن شيث من كُتَّاب دولتهم : أن طيّ الكُتُبِ السلطانية يكون عَرِضُ أربعة أصابع ، وكذلك من العليّة إلى مَنْ دُونَهُمْ ، أما الكُتَابُ من الأدنى إلى الأعلى فلا يُتَجَاوَزُ به عَرِضُ إصبعين ، وهذا ظاهر في أن الطّيّ يكون عَرِضًا لَمُدَوَّرًا ، وهي طريقة أهل المغرب والروم والفرنج .



وأما ختمه ، فالتَّخْتَمُ مصدر تَخَمَّ ، يقال : خَتَمَ الكتابَ يَخْتِمُهُ خَتْمًا ، ومعناه الطَّبْعُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ والمراد شَدُّ رأس الكتاب والطَّبْعُ عليه بالختم ، حتّى لا يَطْلُعَ أَحَدٌ على ما في باطنه حتّى يُفَضَّه المكتوبُ إليه ، على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . وهو أمر مطلوب مُرَغَّب فيه ، فمن كلام عمر

رضى الله عنه : « طِينَةٌ خَيْرٌ مِنْ طِنَّةٍ » يعنى أَنَّ خَتَمَ الْكُتَابِ بِطِينَةٍ خَيْرٌ مِنْ طِنَّةٍ تَقَعُ
فِي الْكُتَابِ بِالنَّظَرِ فِيهِ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ تَقْصُصٍ ، وَالطِّينَةُ التُّهْمَةُ . وَمِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ : « اخْتَمْتُ
تَسْلِمٌ » . وَمِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ : « إِنْ طِينَتْ وَإِلَّا وَقَعَتْ » يعنى إِنْ طِينَتْ الْكُتَابُ
وَإِلَّا وَقَعَتْ فِي الْمَحْذُورِ . وَيُقَالُ : إِنْ فِي خَتَمِ الْكُتَابِ تَعْظِيماً لِلْكَتُوبِ إِلَيْهِ . قَالَ
بِزْرَجُهُرٍ أَحَدُ مُلُوكِ الْفُرْسِ : مَنْ لَمْ يَخْتَمْ كِتَابًا فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِصَاحِبِهِ ، وَجُهَلَّ
فِي رَأْيِهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ أَوَّلَ مَنْ خَتَمَ الْكُتَابَ سَلِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَقَدْ فُسِّرَ قَوْلُهُ
تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ بَلْقَيْسَ : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ بِأَنَّهُ مَخْتُومٌ . وَعَلَى نَهْجِهِ
فِي ذَلِكَ جَرَتْ مُلُوكُ الْعَجَمِ . قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : وَلَمْ تَزَلْ كَتَبُ الْعَرَبُ مَنْشُورَةً
حَتَّى كَتَبَ عُمَرُ بْنُ هِنْدٍ الصَّحِيفَةَ إِلَى الْمُتَمَلِّسِ ، فَقَرَأَهَا وَلَمْ يُوصِّلَهَا ، فَخَتَمَتِ الْعَرَبُ
الْكِتَابَ مِنْ حِينَئِذٍ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ
يَكْتُبَ إِلَى بَعْضِ الْعَجَمِ فَقِيلَ لَهُ يَارَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا غَيْرَ مَخْتُومٍ ، فَأَمَرَ
أَنْ يُتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ حَدِيدٌ ، فَوَضَعَهُ فِي إِصْبَعِهِ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ أَنْبِئْهُ
مِنْ إِصْبَعِكَ ، فَنَبَّيْهُ وَأَمَرَ أَنْ يُتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ نُحَاسٌ فَوَضَعَهُ فِي إِصْبَعِهِ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فَقَالَ أَنْبِئْهُ مِنْ إِصْبَعِكَ فَنَبَّيْهُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ ، فَاتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ فِضَّةٍ
فَخَتَمَ بِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ مِنَ الْأَعَاجِمِ ، وَنُقِشَ عَلَيْهِ « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ »
ثَلَاثَةً أَسْطُرًا ، وَكَانَ الْخَاتَمُ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ
تَعَالَى ؛ ثُمَّ تَخَتَّمُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُبِضَ ؛ ثُمَّ تَخَتَّمُ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ ؛ ثُمَّ تَخَتَّمُ بِهِ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى
بُئْرِ أَرَيْسَ مِنْ بَنَارِ الْمَدِينَةِ ، إِذْ عَبَثَ بِالْخَاتَمِ فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ ، فَتَرَحَّ كُلُّ مَا كَانَ فِي الْبُئْرِ

(١) قَالَ " فِي إِرْشَادِ السَّارِي " شَرْحَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ٨ ص ٣٦٢ لَا يَنْصَرَفُ عَلَى الْأَصَحِّ . وَنَقَلَ
صَاحِبُ " تَاجِ الْعُرُوسِ " عَنْ أَبِي مَالِكٍ جَوَازَ صَرْفِهِ . وَقَالَ أَبُو فَارَسٍ الْهَمَزَةُ وَالزَّاءُ وَالسِّينُ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً .

من الماء فلم يُوجَدَ ؛ فلما يئس منه أمر أن يُصاغ له خاتمٌ مثله وينقش عليه
«مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ» ففعل ذلك وتختّم به . هكذا أورده صاحب «ذخيرة الكتاب»
وبعضه في الصحيح . وقيل : إن نقش الخاتم الذي آتخذه كان «آمَنْتُ بِاللَّهِ
خَلَقَ فَسَوَّى» . وقيل : كان نقشه «لَتَصْبِرَنَّ أَوْ لَتَنَدَمَنَّ» .

ثم كان لكلٍّ من الخلفاء بعد عثمان رضى الله عنه خاتمٌ يختتم به ، عليه نقشٌ
مخصوصٌ : فكان نقشُ خاتمِ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه
«الْمَلِكُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارُ» ونقش خاتمِ ابنه الحسن «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ»
ونقش خاتمِ معاوية بن أبي سفيان «لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ» وقيل : «لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»
ونقش خاتمِ يزيد بن معاوية «رَبُّنَا اللَّهُ» ونقش خاتمِ معاوية بن يزيد «الدُّنْيَا غُرُورٌ»
ونقش خاتمِ مروان بن الحكم «اللَّهُ نَفِيقِي وَرَجَائِي» ونقش خاتمِ عبد الملك بن مروان ،
«آمَنْتُ بِاللَّهِ مُخْلِصًا» ونقش خاتمِ الوليد بن عبد الملك «يَا وَلِيدُ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَمَحَاسِبٌ!»
ونقش خاتمِ عمر بن عبد العزيز «عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» ونقش خاتمِ يزيد بن
عبد الملك «فِي السَّيِّئَاتِ يَاعْرِيزُ» ونقش خاتمِ هشام بن عبد الملك «الْحُكْمُ لِلَّهِمَّ
الْحَكِيمُ» ونقش خاتمِ الوليد بن يزيد «يَا وَلِيدُ أَحْذِرِ الْمَوْتَ» ونقش خاتمِ يزيد بن
الوليد «يَا يَزِيدُ قُمْ بِالْحَقِّ» ونقش خاتمِ إبراهيم بن الوليد «تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الْقَيُّومِ»
ونقش خاتمِ مروان بن محمد «أَذْكُرِ اللَّهَ يَا غَافِلُ» .

وكان نقشُ خاتمِ السَّهَّاح : أَوَّلِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ «اللَّهُ ثِقَةُ عَبْدِ اللَّهِ» ونقشُ خاتمِ
المهدي^(١) «حَسْبِيَ اللَّهُ» ونقش خاتمِ الرَّشِيدِ «الْعِظْمَةُ وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ» . وقيل :
«وَكُنْ مِنْ اللَّهِ عَلَى حَذَرٍ» ونقش خاتمِ الأمين «مُحَمَّدٌ وَاثِقٌ بِاللَّهِ» ونقش خاتمِ المأمون

(١) لم يذكر نقش خاتمي المنصور والمهادي .

”سَلِّ اللَّهُ بِعَطِيكَ“ ونقش خاتم المعتصم ”اللَّهُ نَفَقَةُ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الرَّشِيدِ وَبِهِ يَوْمِنَ“
 ونقش خاتم الواثق ”اللَّهُ نَفَقَةُ الْوَائِقِ“ ونقش خاتم المتوكل ”عَلَى الْحَيِّ اتَّكَلَى“
 ونقش خاتم المتنصر ”يُؤْتَى الْحِذْرُ مِنْ مَأْمَنِهِ“ ونقش خاتم المستعين ”فِي الْإِعْتِبَارِ
 غَنَاءٌ عَنِ الْإِخْتِبَارِ“ ونقش خاتم المعتز ”الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ“
 ونقش خاتم المهتدى ”مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاغَتْ مَذَاهِبُهُ“ ونقش خاتم المعتمد
 ”السَّعِيدُ مِنْ وُعْظَ بغيره“ ونقش خاتم المعتضد ”الْأَضْطَرَارُّ يُزِيلُ الْإِخْتِبَارَ“ ونقش
 خاتم المكتفى ”بِاللَّهِ عَلَى بْنِ أَحْمَدَ يَثِقُ“ ونقش خاتم المقتدر بالله ”الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ“ ونقش خاتم القاهرة ”مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ“ ونقش خاتم المتقي ”الْمُتَّقَى لِلَّهِ“ كلقبه للخلافة، ونقش خاتم المستكفي
 ”الْمُسْتَكْفَى بِاللَّهِ يَثِقُ“ ولم أقف على نقش خاتم أحد من الخلفاء غير هؤلاء .

وأعلم أنه كان للخطم في أيام الخلفاء ديوان مفرد يعبر عنه بديوان الخاتم .
 وقد اختلف في أول من اتخذ ديوان الخاتم : فروى محمد بن عمر المدائني في كتاب
 ”القلم والدواة“ بسنده إلى ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : لم يكن أبو بكر ولا عمر
 يلبسون خواتم ولا يطبعون كتابا ، حتى كتب زياد بن أبي سفيان إلى عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه : إنك تكتب إلينا بأشياء ليست لها طوابع ، فاتخذ عند
 ذلك عمر طابعا يطبع به ، ونزح الكتاب ولم يكن قبل يُخزَم .

ومقتضى ذلك أن يكون أول من اتخذ الخطم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
 ويكون لبسه خاتم النبي صلى الله عليه وسلم لغير الخطم . وذكر الطبري في تاريخه :
 أن أول من اتخذ ذلك معاوية بن أبي سفيان في خلافته ، وذلك أنه أمر لعمر بن

الزبير بمائة ألف من عند زياد، ففتح الكتاب وجعل المائة مائتين؛ فلما رفع زيادُ حسابه أنكر ذلك معاويةً؛ وطلب عمرًا فحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبدُ الله ابنُ الزبير واتخذ معاويةً حينئذ ديوان الختم، ونَحَمَ الكتاب ولم يكن قبل يُحَزَم. قال القاضي «وليُّ الدين بن خلدون» في تاريخه: وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كُتُب السلطان. قال: وهذا الخاتم خاصٌ بديوان الرسائل، وكان ذلك للوزير في أيام الدولة العباسية. ويشهد لذلك قولُ الرشيد ليحيى بن خالد لما أراد أن يستوزر جعفرًا، ويستبدل به من الفضل أخيه: إني أحول الخاتم من يميني إلى شمالي، فكُنِيَ بالخاتم عن الوزارة، لأنضمام ديوان الرسائل إلى الوزير إذ ذاك. ثم اختلف العُرفُ بعد ذلك، فصار ليس إليه الرسائل في الدولة.

ثم للختم ثلاثُ صور:

الصورة الأولى — أن يُلصَقَ رأسُ الكتاب بنوع من أنواع اللصاق، كالكثيراء المدافة بالماء، والنشأ المطبُوخ ونحو ذلك. وهذا هو المستعمل بالديار المصرية وبلاد المشرق من قديم الزمان وهلمَّ جرًّا إلى زماننا؛ والمستعمل بالدواوين هو النشأ دون غيره، لنصاعة بياضه وشدة لصاقه. قال في "موادّ البيان": ويجب أن يكون اللصاق خفيفًا كالدهن لئلا يتكرَّس ويكثف في جانب الورق. وقد كانت عادتهم في بلاد المشرق أيام الخلفاء أن يُختم بخاتم الخليفة، بأن يُغمَس في طين معد لذلك أحمر الصبغ، ويختتم به على طرفي اللصاق، ليقوم مقام علامة الخليفة. وكان هذا الطين يجلب إليهم من سيراَف من بلاد فارس، وكأنَّه مخصوصُ بها؛ وعلى نهج الخلفاء جرى الملوك حينئذ. والذي استقرَّ عليه الحال الآن بالديار المصرية ونحوها من البلاد الشرقية الاقتصار على مجزء اللصاق اكتفاء بما فيه من الضبط وظهور

فَضَّهُ إِنْ فَضَّ . وهذه المسئلة مما سأله الشيخ جمال الدين بن نباتة كُتَّاب ديوان الإنشاء بِدَمَشَقَ مخاطبا به للشيخ جمال الدين محمود الحلبي - فقال : ومن ختم الكُتَّاب بالطين ورَبَطَهُ ؟ ومن غَيَّرَ الطين إلى النَّشَا وَضَبَطَهُ ؟ . وقد سبق الكلامُ في النَّشَا وسائر أنواع اللَّصاق في الكلام على آلات الدواة في المقالة الأولى .

الصورة الثانية - أن يُخَزَمَ الكُتَّابُ من وَسَطِهِ بالأشْفار حَتَّى تَنْقُذَ في بعض طَيَّاتِ الكُتَّابِ ثم تخرج من وجه الورق أيضا ، ويدخل فيه دَسْرَةٌ ^(١) من الورق كالسَّيْرِ الصغير ويُقَطُّ طَرَفُ الدسرة ؛ ثم يُلصَقُ على ذلك بِشَمْعٍ أَحْمَرٍ ؛ ثم يُخْتَمُ عليه بخاتم يظهر نقشه فيه ، ويسمى هذا النوع من الختم الخَزْمَ - بالخاء والزاي المعجمتين - أخذًا من خَزَمَ البعير ، وهو أن يُثَقَّبَ أنفهُ وَيَجْعَلُ فيه خيط أَوْخُوهُ . ولعل هذه الطريقة من الختم هي التي كان عليها الحال حين أُحْدِثَ الختمُ في صَدْرِ الإسلام ، ويدل على ذلك قول ابن عُمر رضى الله عنه في رواية الطبري ^(٢) المتقدمة : وَخَزَمَ الكُتَّابَ ولم يكن قَبْلُ يُخَزَمُ . وعلى هذا الآن أهل المغرب والرُّوم والفرنج وَمَنْ في معناهم .

الصورة الثالثة - أن يَلَفَّ على الكُتَّابِ بعد طَيِّهِ قُصَاصَةٌ من الورق كالسَّيْرِ في عرض رأس الخِنْصِرِ ، وتلف على الكُتَّابِ ثم يُلصَقُ رأسُها ؛ ويكون ذلك في الرَّقَاعِ الصغيرة المترددة بين الإخوان ، وتسمى القُصَاصَةُ التي يُلصَقُ بها سَحَّاءَةٌ - بفتح السين وبالمدة ، وتقال بكسر السين أيضا ، وربما قيل سَحَّايَةٌ ؛ ويقال فيه : سَحَّوْتُ الكُتَّابَ

(١) مراد المؤلف بالدسرة الدسار أي المسبار أو الخيط من الليف وجارى العامة في تعبيرهم عنه بالدسرة .

(٢) الذي تقدم عن الطبري أن أول من اتخذ الختم والخزم معاوية وأما رواية ابن عمر التي تفيد أن أول من اتخذ الختم والخزم عمر فقد رواها محمد بن عمر المدائني في الكلام سهواً واشتباه .

أَسْحَوْهُ سَحْوًا ، وَسَجَّيْتَهُ بِالتَّشْدِيدِ أُسْحِيهِ تَسْحِيَةً فَهُوَ مَسْحُوٌّ وَمَسْحِيٌّ وَمَسْحَىٌّ ؛ وَالْأَمْرُ
 مِنْ سَحَوْتُ الْكَتَابَ أُسْحِ ، وَمِنْ سَجَّيْتَهُ بِالتَّشْدِيدِ سَجَّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ السَّحْوِ وَهُوَ الْقَشْرُ .
 يُقَالُ : سَحَوْتُ اللَّحْمَ عَنِ الْعَظْمِ إِذَا قَشَرْتَهُ .

الجملة الرابعة

(فِي حَمْلِ الْكِتَابِ وَتَأْدِيَتِهِ)

وهو من جملة الأمانات الداخلة في عموم قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
 الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ۖ فَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ أَعْظَمَ
 الْأَمَانَةَ أَدَاءُ الْكِتَابِ إِلَىٰ أَهْلِهِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْمَدَائِنِيِّ : حَمْلُ الْكِتَابِ أَمَانَةٌ ،
 وَتَرْكُ إِيْصَالِهِ خِيَانَةٌ . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ” مَنْ بَلَغَ كِتَابَ
 غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَىٰ أَهْلِهِ أَوْ كَتَبَ أَهْلُهُ إِلَيْهِ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عِتْقُ رَقَبَةٍ وَأَعْطَاهُ
 اللَّهُ كِتَابَهُ بيمينه وكتب له براءة من النار “ . وَقَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِتَأْدِيَةِ الْهُدُودِ
 كِتَابَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ يَلْقَيْسَ ، حَيْثُ قَالَ حِكَايَةً عَنْ سُلَيْمَانَ : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي
 هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ۖ إِلَىٰ أَنْ قَالَ : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۖ ﴾ .

وقد وردت الأحاديث بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ كُتُبَهُ مَعَ رُسُلِهِ
 إِلَى الْمُلُوكِ : فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ إِلَى كِسْرَى أَبْرُويز ملكِ الْفَرَسِ ؛ وَبَعَثَ
 دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَى قَيْصَرَ ملكِ الرُّومِ ؛ وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ
 صَاحِبِ مِصْرَ ؛ وَبَعَثَ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَى الضَّحَّاكِ ملكِ الْحَبَشَةِ ؛ وَبَعَثَ
 شُبَّاعَ بْنَ وَهْبٍ الْأَسَدِيَّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ الْغَسَّانِي ؛ وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرُو

إلى هُوَذَةَ بن عليّ صاحب اليمامة ؛ وبعث العلاء بن الحضرميّ إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ؛ وبعث عمرو بن العاص إلى عبيد وجعفر ابني الجَلَنْدِيُّ ملكي عُمان . قال ابن الجوزي : وبعث جرير بن عبد الله البجليّ إلى ذى الكَلَّاع الحميريّ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَامِلُ الْكُتَابِ الْمُؤَدَّى لَهُ عَنِ الْمَلِكِ وَنَحْوِهِ وَافِرَ الْعَقْلِ ، شَدِيدَ الشَّكِيمَةِ فِي الْجَوَابِ ، طَلِقَ اللِّسَانِ فِي الْمُحَاوَرَةِ ، فَإِنَّهُ لِسَانُ مَلِكِهِ ، وَتَرْجَمَانُ مُرْسِلِهِ ، وَرَبَّمَا سَأَلَهُ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ عَنْ شَيْءٍ أَوْ أوردَ عَلَيْهِ آعْتَرَاضًا فَيَكُونُ بِصَدَدِ إِجَابَتِهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِكُتَابِهِ وَرَسُولِهِ . وَمَنْ غَرِيبٌ مَا يُرَوَّى فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ حَاطِبَ ابْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَبَلَّغَهُ كُتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَهُ : مَا مَنَعَهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلِيًّا فَيُسَلِّطَ عَلَيَّ ؟ - قَالَ لَهُ حَاطِبٌ : مَا مَنَعَ عَيْسَى أَنْ يَدْعُوَ عَلِيًّا مِنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ أَنْ يَقَعَلَ وَيَفْعَلَ ؟ فَوَجِمَ سَاعَةً ثُمَّ اسْتَعَادَهَا ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ حَاطِبٌ ، فَسَكَتَ . وَيُرَوَّى : أَنَّهُ حِينَ سَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْبِ قَوْمِهِ ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ الْحَرْبَ تَكُونُ بَيْنَهُمْ سِجَالًا : تَارَةً لَهُ وَتَارَةً عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ الْمُقَوْقِسُ : النَّبِيُّ يُغَلِّبُ ! فَقَالَ لَهُ حَاطِبٌ : فَإِلَّا لَهُ يُصَلِّبُ ! - يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى مَا تَرَعَّمَهُ النَّصَارَى مِنْ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صُلِبَ مَعَ دَعْوَاهُمْ فِيهِ أَنَّهُ إِلَهُ .

وَذَكَرَ السَّهْلِيُّ أَنَّ دَحِيَّةَ الْكَلْبِيَّ حِينَ دَخَلَ عَلَى قَيْصَرَ بَكَّابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَهُ دَحِيَّةٌ : هَلْ تَعْلَمُ أَمْ كَانَ الْمَسِيحُ يُصَلِّي ؟ قَالَ نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى مَنْ كَانَ الْمَسِيحُ يُصَلِّيَ لَهُ ، وَأَدْعُوكَ إِلَى مَنْ دَبَّرَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمَسِيحُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ . فَالْزَمَهُ مِنْ صَلَاةِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَضَمَّنَ ذَلِكَ بَيْتًا مِنْ أَبْيَاتِ لَهُ فَقَالَ :

(١) كَذَا فِي "الْمَوَاهِبِ الدِّينِيَّةِ" أَيْضًا . وَالَّذِي فِي الْقَامُوسِ عَبْدُ اللَّهِ .

فَقَرَّرْتُهُ بِصَلَاةِ الْمَسِيحِ ، * وَكَانَتْ مِنَ الْجَوْهَرِ الْأَحْمَرِ !

وَيُحْكِي أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الرُّومِ كَتَبَ إِلَى خَلِيفَةِ زَمَانِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَنْ يَنْظُرُ عِلْمَاءَ النَّصْرَانِيَةِ عِنْدَهُ فَإِنْ قَطَعَهُمْ أَسْلَمُوا؛ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الطَّيِّبِ الْمَالِكِيَّ ، وَكَانَ مِنْ أُمَّةِ عِلْمَاءِ زَمَانِهِ ؛ فَلَمَّا حَضَرَ الْمَجْلِسَ وَاجْتَمَعَ لَدَيْهِ عِلْمَاءُ النَّصَارَى ، قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ مَعْتَقِدَكُمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعْصُومُونَ فِي الْفِرَاشِ ، وَقَدْ رُمِيَتْ عَائِشَةُ بِمَا رُمِيَتْ بِهِ : فَإِنْ كَانَ مَارُمِيَتْ بِهِ حَقًّا ، كَانَ نَاقِضًا لِأَصْلِحِكُمُ الَّذِي أَصْلَحْتُمُوهُ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْفِرَاشِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ حَقٍّ كَانَ مُؤَثِّرًا فِي إِيْمَانِ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ . فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ : امْرَأَتَانِ حَصِيصَتَانِ رُمِيَتَا بِالْفِرْيَةِ ، إِحْدَاهُمَا لَهَا زَوْجٌ وَلَا وَلَدٌ لَهَا ، وَالْأُخْرَى لَهَا وَلَدٌ وَلَا زَوْجٌ لَهَا - يُشِيرُ بِالْأُولَى إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَبِالثَّانِيَةِ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَسَجَدُوا لَهُ عَلَى عَادَةِ تَحِيَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي لَا تُحْصَى كَثْرَةً .

فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مَتَمِّكًا مِنْ عَقْلِهِ ، عَالِمًا بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ ، كَفَى مَلِكَهُ مَثُونَةً غَيْبَتَهُ ، وَأَجَابَ عَنْ كُلِّ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ ؛ وَإِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ أَنْعَكَسَتْ الْقَضِيَّةُ ، وَرَجَعَ عَلَى مُرْسَلِهِ بِالْوَبَالِ . ثُمَّ إِنْ أَقْتَضَى رَأْيُ الْمَلِكِ زِيَادَةَ فِي الرِّسَالَةِ عَلَى الرَّسُولِ الْوَاحِدِ فَعَلَ : لِيَتَعَاوَنَا عَلَى مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ ، وَيَتَشَاوَرَا فِيمَا يَفْعَلَانِ ، فَقَدْ ذَكَرَ السَّهْلِيُّ :
 أَنَّ جَبْرًا مَوْلَى أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ كَانَ رَسُولًا مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ .
 وَإِنْ أَقْتَضَى الْحَالُ إِرْسَالَ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْنِ أَيْضًا فَعَلَ ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ بَعَثَ إِلَى قَيْصَرَ ثَلَاثَةَ رُسُلَ ، وَهُمْ : هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ ، وَتُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ آخَرٌ .

(١) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ الدِّينِيَةِ ج ٣ ص ٣٩٨ عَنْ السَّهْلِيِّ مَا نَصَّهُ "مَوْلَى أَبِي رَهْمٍ الْغِفَارِيِّ وَهُوَ وَهْمٌ فَالَّذِي فِي الْإِسْتِيعَابِ وَالْإِصَابَةِ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ جَبْرًا كَانَ مِنَ الْقَبْطِ وَأَنَّهُ رَسُولُ الْمُقَوْقِسِ بِمَارِيَةِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" .

ومما يجب التنبيه عليه أنه يحرم على حامل الكتاب النظر فيه ، والأطلاع على ماتضمنه . قال محمد بن عمر المدائني : في فَضِّ الكتاب إثمٌ وسوءُ أدب ، وساق بسنده إلى معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أطلع في كتاب أخيه بغير إذنه ، أطلعه طلعة في النار" .

الجملة الخامسة

(في فَضِّ الكتاب وقراءته)

أما فضُّه فالمراد فكُّ ختمه وفتحه ، والفضُّ في أصل اللغة الكسر والتفريق ، ومن الأول ما ثبت في الصحيح من قول القائلة لابن عمِّها في قصة الثلاثة الذين دَعَوْا اللهَ بأحبِّ أعمالهم : « اتَّقِ اللهَ ولا تُفَضِّ الخاتمَ إلا بحقه » تريد إزالة بكارتها . ومن الثانى (هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب الملكة في المقالة الثانية أن الرسول أو البريديّ الواصل إلى باب السلطان يقدّمه الدوّادارُ إلى السلطان ، ثم يتناول الكتاب منه ويمسحُ به وجه مَنْ حضر على يده ، ثم يدفعه إلى السلطان فيفضُّ ختامه ، ثم يتناوله الدوّادارُ من السلطان ويدفعه إلى كاتب السر ، فيقرؤه على السلطان .

وأعلم أن لفض الكتاب حالتين :

الحالة الأولى - أن يكون مخنومًا باللصاق بالنشا على طريقة المشاركة وأهل الديار المصرية ، فيشق ظاهره على القرب من محلّ اللصاق بسكين ثم يفتح .

الحالة الثانية - أن يكون مخزومًا مسمرًا بدسرة من الورق على عادة المغاربة ومن جرى مجراهم ، فيرفع الختم الملتصق عليه من الشمع ، وتُقْلَع الدسرة ويفتح الكتاب .



وأما قراءة الكُتُب فإنه يجب أن يكون مَنْ يقرأ الكتب على الملوك وَمَنْ في معانهم ماهراً في القراءة، فصيح اللسان في النطق، رقيق حاشية اللسان في حسن الإيراد، قويّ المَلَكَة في استخراج الخطوط المختلفة، سريع الفهم في إدراك المعاني الخفية؛ وأن تكون قراءته على رئيسه - من سلطان أو غيره - بحسب ما يؤثر ملكه أو أميره سماعه من السرعة والبُطء؛ وأن يكون ذلك بصوتٍ غير خفيٍّ بحيث يَعرُس سماعه، ولا مرتفع بحيث يُعَدُّ صاحبه خارجاً عن أدب المخاطبة للأكابر؛ وأن يُقَرَّبَ لمن يقرأ عليه فهم المقاصد التي اعتاصت عليه إذا سألها عنها، أو غلب على ظنه أنها لم تصل إلى فهمه، بحسن إيراد، وتلطيف عبارة يحسن موقعها في النفوس ويَجُلُّ وقعها في الأذهان .

الجملة السادسة

(في كراهة طَرَحِ الكتاب بعد تخزيقه : وهو فضّه ،

وحفظه بعد ذلك في الإضبارة)

أما كراهة طَرَحِهِ فقد قال محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة": كَرِهُوا تَخْزِيقَ الرِّسَالِ وَرَمِيهَا فِي الطُّرُقِ وَالْمَزَابِلِ، خوفاً على أسم الله تعالى أن يُدَاسَ، أو تاحقَه النجاسة والأذناس . قال : وفي رَفْعِ ما طَرِحَ من الكتاب أعظمُ الرغائب وأجلُّ الثواب؛ وساق بسنده إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من كتابٍ يُلْقَى بِبُقْعَةٍ من الأرض فيه

أَسْمُ من أسماءِ اللهِ إِلَّا بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُحْفَوْنَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُقَدِّسُونَهُ ،
 حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ فَيَرْفَعُهُ مِنَ الْأَرْضِ . وَمَنْ رَفَعَ كِتَابًا مِنَ الْأَرْضِ
 فِيهِ أَسْمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى ، رَفَعَ اللهُ أَسْمَهُ فِي عِلِّيِّينَ وَخَفَّفَ عَنِ الْوَدَّيْهِ الْعَذَابَ
 وَإِنْ كَانَ مُشْرِكِينَ . وَيُرْوَى : ” مَنْ رَفَعَ قِرْطَاسًا مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مَكْتُوبٌ
 « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » إِجْلَالًا لَهُ أَنْ يُدَاسَ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ فِي عِشْرِينَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّهِمْ قَدْ وَجَبَ لَهُ النَّارُ .



وَأَمَّا حِفْظُهُ فِي الْإِضْبَارَةِ فَهُوَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ ، وَالْإِضْبَارَةُ عِبَارَةٌ عَنْ وَرْقَةٍ تُلْفَ عَلَى
 جُمْلَةٍ مِنَ الْكُتُبِ قَدْ جُمِعَتْ فِي دَاخِلِهَا وَيُلصَقُ طَرَفُهَا بِالنَّشَا . وَالْقَاعِدَةُ فِيهَا أَنْ
 تُلَوَّى الْكِسْرَةُ مِنْ أَسْفَلِهَا ، وَإِنْ طَالَ بَعْضُهَا فِي طَيِّهِ وَقَصُرَ بَعْضُ جَعَلَ التَّفَاوُتُ
 فِي الطُّوْلِ وَالْقِصَرِ مِنْ أَعْلَاهَا . قَالَ فِي ”صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ“ : وَمَعْنَاهَا الْجَمْعُ ، لِأَنَّهُ
 يُجْمَعُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ . وَمِنْهُ قِيلَ : تَضَبَّرَ الْقَوْمُ إِذَا تَجَمَّعُوا ، وَرَجُلٌ مَضَبَّرَ الْخَلْقَ
 أَيْ جَمَعَهُمْ ، وَنَاقَةٌ مَضَبَّرَةٌ وَمَضْبُورَةٌ ، وَضَبَرَ الْفَرَسُ إِذَا جَمَعَ قَوَائِمَهُ وَوَشَبَ . وَيُقَالُ
 لِلْإِضْبَارَةِ أَيْضًا إِضَامَةٌ بِكسر الهمزة وتشديد الميم لضم بعضها إلى بعض ، وَالْمَعْنَى
 فِيهَا صِيَانَةُ الْكُتُبِ وَحِفْظُهَا عَنِ الضِّيَاعِ . وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ كُتَّابِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ
 بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَنْ يَجْعَلَ لِكُلِّ شَهْرِ إِضْبَارَةٌ تُجْمَعُ فِيهَا الْكُتُبُ الْوَارِدَةُ عَلَى أَبْوَابِ
 السُّلْطَانِ مِنْ أَهْلِ الْمُلْكَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَيُكْتَبُ عَلَيْهَا « شَهْرُ كَذَا » . وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ
 فِي مَقْدَمَةِ الْكُتَابِ أَنَّ الدِّيْوَانَ كَانَ لَهُ فِي زَمَنِ الْفَاتِمِيِّينَ كَاتِبٌ يَكْتُبُ الْكُتُبَ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَالضُّوْءِ وَالَّذِي فِي أَمْهَاتِ اللُّغَةِ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَادَّةِ ض م م « إِضَامَةٌ » أَيْ بِكسر
 الهمزة وتخفيف الميمين بينهما ألف فتنه .

الواصلَة وَيُسْطَ عَلَيْهَا جَرَانْدٌ ، كَمَا يَكْتُبُ الْكَتَبُ الصَّادِرَةُ عَنْ الْأَبْوَابِ السَّاطِنِيَّةِ
وَيُسْطَ عَلَيْهَا جَرَانْدٌ ؛ وَأَنَّ ذَلِكَ بَطْلٌ فِي زَمَانِنَا وَصَارَ الْأَمْرُ قَاصِرًا فِيهَا عَلَى حِفْظِ
الْكَتَبِ فِي الْإِضْبَارَاتِ ؛ مَتَى 'أَحْتِيجَ إِلَى الْكَشْفِ' عَنْ كِتَابٍ مِنْهَا ، أُخِذَ بِالْحَدْسِ
أَنَّهُ وَرَدَ فِي السَّنَةِ الْفُلَانِيَّةِ ، وَتُكْشَفُ إِضْبَارَاتُهَا وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَقَعَ الْعُثُورُ
عَلَيْهِ ، وَلَا خَفَاءَ فِيمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَشَقَّةِ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ لَهَا جَرَانْدٌ مَبْسُوطَةٌ ،
فَإِنَّهُ يَسْهُلُ الْكَشْفُ مِنْهَا ، وَيَسْتَدْلُ بِتَارِيخِهِ عَلَى إِضْبَارَاتِهِ فَتُخْرَجُ وَيَقَعَ الْكَشْفُ
مِنْهَا ، وَلَكِنْ أَهْمَلُ ذَلِكَ فِي جُمْلَةٍ مَا أَهْمَلُ .

الباب الثانى

من المقالة الرابعة

(فى مصطلحات المكاتبات الدائرة بين كُتاب أهل الشرق والغرب
والديار المصرية فى كل زمن من صدر الإسلام
وهلمَّ جرًّا إلى زماننا، وفيه ستة فصول)

الفصل الأول

(فى الكُتب الصادرة عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(فى ذكر ترتيب كُتبه صلى الله عليه وسلم فى الرسائل على سبيل الإجمال)
كان صلى الله عليه وسلم يفتتح أكثر كُتبه بلفظ « من عهد رسول الله إلى فلان »
وربما أفتتحها بلفظ « أما بعد » وربما أفتتحها بلفظ « هذا كتابٌ » وربما أفتتحها
بلفظ « سلم أنت » .

وكان يصرح فى الغالب بأسم المكتوب إليه فى أول المكاتبات، وربما أكتفى^(١)
بشهرته . فإن كان المكتوب إليه ملكًا كتب بعد ذكره اسمه « عظيم القوم الفلانيين »
وربما كتب « ملك القوم الفلانيين » وربما كتب « صاحب مملكة كذا » .

وكان يعبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم فى أشياء كُتبه بلفظ الأفراد . مثل : « أنا »
و « لى » و « جاءنى » و « وفد على » وما أشبه ذلك ، وربما أتى بلفظ الجمع مثل
« بلغنا » و « جاءنا » ونحو ذلك .

(١) أى بما أشهر به كلقبصر ونحوه .

وكان يخاطبُ المكتوبَ إليه عند الإفراد بكاف الخطاب . مثل : « لك »
و « عليك » وتاء المخاطب . مثل : « أنتَ قلتَ كذا وفعلتَ كذا » . وعند التثنية
بلفظها مثل : « أنتمَا » و « لكما » و « عليكما » . وعند الجمع بلفظه . مثل : « أتم »
و « لكم » و « عليكم » وما أشبه ذلك .

وكان يأتي في صدور كُتُبِهِ بالسَّلام . فيقول في خطاب المسلم « سلامٌ عليك »
وربما قال : « السَّلامُ على مَنْ آمَنَ بالله ورسوله » وفي خطاب الكافر : « سلامٌ
على مَنْ آتَبَ الهدى » وربما أسقط السَّلامَ من صدر الكتاب .

وكان يأتي في صدور الكتب بالتَّحْمِيد بعد السَّلام . فيقول : « فإني أحمَدُ إليك
الله الذي لا إلهَ إلَّا هو » وربما تركه ، وقد يأتي بعد التَّحْمِيد بالتَّشْهَد وقد لا يأتي به .
وكان يتخلَّص من صدر الكتاب إلى المقصود تارةً بأما بعد وتارةً بغيرها .

وكان يُخْتِمُ كُتُبَهُ بالسَّلام تارةً ، فيقول في خطاب المسلم : « والسَّلامُ عليك ورحمة
الله وبركاته » وربما أقصر على السَّلام . ويقول في خطاب الكافر : « والسَّلامُ على
مَنْ آتَبَ الهدى » وربما أسقط السَّلامَ من آخر كُتُبِهِ .

أما عنونَةُ كتبه صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، فلم أَقِفْ فيها على نَصٍّ صريحٍ ، والذي يظهر
أنه صَلَّى اللهُ عليه وسلم كان يُعَنِّونُ كُتُبَهُ بلفظ : « من مَجد رسول الله إلى فلان »
على نحو ما في الصَّدر ، وتكون كتابته « من مَجد رسول الله » عن يمين الكتاب ،
و « إلى فلان » عن يساره ، وعليه يدلُّ ما تقدَّم من كلام صاحب "موادِّ البيان"
في الأصل الثاني عشر من أصول المكاتبات حيث ذكر في الكلام على العُنْوان أن
الأصل أن يُبتدَأَ باسم المكتوب عنه ويُنْتَهَى باسم المكتوب إليه ، ثم قال : وعلى هذا
كانت كُتُبُ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم .

الطرف الثاني

(في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ،
وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ « من محمد رسول الله إلى فلان »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد ، في جواب كتابه إليه صلى
الله عليه وسلم بإسلام بنى الحارث وهو على ما ذكره ابن إسحاق في سيرته :
” من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد :

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك
جاءني مع رسوك ، يخبرني أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا
إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن نبيا عبده ورسوله ،
وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وقد هم ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته .“



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين من جهة
الفرس ، في جواب كتابه إليه صلى الله عليه وسلم . ونسخته على ما ذكره الشهابي
في ” الروض الأنف “ :

”من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .

سلام عليك ، فإننى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد فإننى أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رُسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ، ومن نصح لهم فقد نصح لى ، وإن رُسلى قد أثنوا عليك خيرا ، وإنى قد شفعتك فى قومك فأترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل لهم ، وإنك مهما تصلح فلن نغزلك ، ومن أقام على مجوسيته فعليه الجزية” .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى فروة بن عمرو الجذامى . ونسخته على ما ذكره ابن الجوزى فى ”كتاب الوفاء“ .

”من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو .

أما بعد ، فقد قدم علينا رسولك ، وبلغ ما أرسلت به ، وخبر عما قبلكم خيرا ، وأتانا بإسلامك ربنا الله هدانا لهذا .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى طهفة النهدي وقومه . ونسخته فيما حكاه ابن الأثير فى ”المثل السائر“ :

”من محمد رسول الله إلى بنى نهيد .

السلام على من آمن بالله ورسوله . لكم يا بنى نهيد فى الوظيفة الفريضة ، ولكم الفارض والفريش ، ودو العنان الركوب والقلو الصبيس ، لا يمنع سرحكم ، ولا يعضد

(١) يروى بالفاء وبالعين فاما بالفاء فيكون المراد بها المريضة وأما بالعين فهي التى أصابها آفة أو كسراه

من شرح الزرقانى للواهب ج ٤ ص ١٩٢ .

طَلْحَكُمْ ، وَلَا يُحْبَسُ دَرُّكُمْ مَا لَمْ تُضْمِرُوا الْإِمَاقَ ، وَتَأْكُلُوا الرَّبَاقَ . مَنْ أَقْرَبَ [بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ] فَله [مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ^(١)] الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةُ ، وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الرَّبْوَةُ .

وهذا الكتاب مما يحتاج إلى شرح غريبه ليفهم . « فالوظيفة » النصاب في الزكاة وأصله الشيء الراتب . « والفريضة » الحرمة المسنة ، والمراد أنها لا تؤخذ منهم في الزكاة بل تكون لهم . « والفريش » بالفاء والشين المعجمة ما آتسب من النبات وفرش على وجه الأرض ولم يقم على ساق ، وقد يطلق على الفرس إذا حمل عليها بعد التناج أيضا . « وذوالعنان الركوب » الفرس الذلول ، « والفلق » المهر الصغير وقيل الفطيم من جميع أولاد الحافر . « والضئيس » بالضاد المعجمة والباء الموحدة والسين المهملة العسر الصعب الذي لم يرض . « والسرّح » السارحة وهي المواشى ، والمعنى أنها لا تمنع من المرعى . والعَصْد القطع . والطلع شجر عظام من شجر العضاء . والدر اللبن ، والمراد ذوات الدر من المواشى ، أراد أنها لا تحشر إلى المصدق وتمنع المرعى إلى أن تجتمع الماشية ثم تعد لما في ذلك من الإضرار . و « الإمّاق » مخفف ، من أماق الرجل إذا صار ذامقة وهي الحمية والأنفة ، وقيل مأخوذ من الموق وهو الحرق ، والمراد إضمار النكت والغدر أو إضمار الكفر . و « الرباق » بالراء المهملة والباء الموحدة والقاف جمع ربة ، وهي في الأصل اسم لعرّة تجعل في الحبل وتكون في عنق البهيمة أو يدها تمسكها ، والمراد هنا نقض العهد واستعار الأكل لذلك ، لأن البهيمة إذا أكلت الربة خلصت من الشدة . و « الربوة » بكسر الراء الزيادة ، والمراد هنا الزيادة في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له .

(١) الزيادة من « المثل السائر » . ورواية « الشفا » كما في الأصل .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أكيدر دومة فيما ذكره أبو عبيدة، وهو :
 ” من محمد رسول الله لا أكيدر دومة حين أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد
 والأصنام ، مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكافها : إن لنا الضاحية
 من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن .
 ولكم الضامنة من النخل ، والمعين من المعمور ، لا تعدل سارحتكم ، ولا تعد فاردتكم ،
 ولا يحظر عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك
 عهد الله والميثاق “ .

وهذا الكتاب أيضا مما يحتاج إلى معرفة غريبه : فالأنداد جمع ند بكسر النون
 وهو ضد الشيء الذي يخالفه في أموره ، ويناديه أى يخالفه ، والمراد ما كانوا يتخذونه
 آلهة من دون الله تعالى . والأصنام جمع صنم : وهو ما اتخذ إلهًا من دون الله ، وقيل :
 ما كان له جسم أو صورة ، فإن لم يكن له جسم ولا صورة فهو وثن . والأكاف
 بالنون جمع كنف بالتحريك وهو الجانب والناحية . والضاحية بالضاد المعجمة والحاء
 المهملة الناحية البارزة التي لاحائل دونها ، والمراد هنا أطراف الأرض ، والضحل
 بفتح الضاد المعجمة وسكون الحاء المهملة القليل من الماء ، وقيل الماء القريب
 من المكان ، وبالتحريك مكان الضحل . والبور الأرض التي لم تزرع ، وهو بالفتح
 مصدر وصف به ، وبالضم جمع بوار : وهو الأرض الخراب التي لم تزرع . والمعامي
 المجهولة من الأرض التي ليس فيها أثر عمارة ، واحدها معمي . وأغفال الأرض
 بالعين المعجمة والفاء الأرض التي ليس فيها أثر يعرف كأنها مغفول عنها . والحلقة
 بسكون اللام السلاح عامًا ، وقيل الدروع خاصًا ، والسلاح ما أعد للحرب من آلة

الحديد مما يُقاتل به ، والسيف وحده يسمى سلاحا . والضامنة من النخل بالضاد المعجمة والنون ما كان داخلا في العمارة من النخيل وتضمته أمصارهم وقُراهم ، وقيل سميت ضامنة لأن أربابها ضمّنوا عمارتها وحفظها ، فهي ذات ضمان كعيشة راضية بمعنى ذات رضا . والمعين من المعمور الماء الذي ينبع من العين في العامر من الأرض . وقوله : لا تعدل سارحتكم بالذال المعجمة ، أى لا تُصرف ما شيتكم وتمأل عن الرعى ولا تمنع . وقوله : ولا تعدد فاردتكم أى لا تُضم إلى غيرها وتُحشر إلى الصدقة حتى تعد مع غيرها وتحسب . والفاردة الزائدة على الفريضة . وقوله : ولا يُحظر عليكم الثبات بالطاء المعجمة ، أى لا تُمنعون من الزرع والمرعى حيث شتتم ، والحظر المنع .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضر موت ، وهو : ” من عهد رسول الله إلى الأقبال العبايلة من أهل حضر موت ، بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة . على التبعة الشاة ، والتبعة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس ، لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار ، ومن أجبي فقد أربى ، وكل مُسكير حرام ” .

وذكر القاضي عياض في ” الشفاء ” أن كتابه لهم : « إلى الأقبال العبايلة ، والأزواع المشايب . وفي التبعة شاة ، لمقورة الألياط ، ولاضناك ، وأنطوا الشبجة ، وفي السيوب الخمس ، ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة وآستوفضوه علما ، ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم ، ولا توصيم في الدين ، ولا عمة في فرائض الله تعالى ، وكل مُسكير حرام ، ووائل بن حجر يترقل على الأقبال » .

(١) صوابه بالذال المهملة كما يفيد المعنى وقد أورده صاحب اللسان ج ١٣ - في مادة ع دل بالذال المهملة فانظره .

وهذا الكتاب في معنى ما تقدم من الاحتياج إلى شرح غريبه . الأقيال بالقاف والياء المثناة تحت جمع قيل : وهو الملك . والعبألة الذين أُقِرُوا على مُلكهم لا يُزالون عنه ؛ وحَضُموت بلدة في اليمن في أقصاها ، وقيل هي أحد محاليفها . والتبعة بالمشناة من فوق ثم المثناة من تحت والعين المهملة اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان : كالتَّمْس من الإبل والأربعين من الغنم . قال ابن الأثير : وكأنها الجملة التي للسعاة عليها سبيل من ناع يتبع إذا ذهب إليه . والتبعة بالكسر الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، وقيل هي الشاة التي تكون لصاحبها في منزله يحلبها وليست بسائمة ، وهي بمعنى الداجن . والسيوب الرّكاز أخذاً من السب وهو العطاء ، قاله أبو عبيدة ؛ وقيل هي عروق الذهب والفضة التي تسبب في المعدن بمعنى تتلون وتظهر . وقال الزمخشري : هي جمع سبب ، يريد به المال المدفون في الجاهلية أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى لمن أصابه . والخلاط بالكسر مصدر خالط ، يقال : خالطه يُخالطه خلاطاً ومخالطةً ، والمراد أن يُخالط الرجل إبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه لينع حق الله تعالى منها ، ويتخس المصدق فيما يجب له . والوراط بالكسر أيضاً أن يُجعل الغنم في وهدة من الأرض لتخفى على المصدق ، مأخوذة [من الورطة] وهي الهوة من الأرض . والشناق بكسر الشين المشاركة في الشق بفتح النون : وهو ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة ، وهو ما زاد من الإبل على الخمس إلى التسع ، وما زاد على العشر إلى أربع عشرة ، والمراد أن لا تؤخذ الزيادة على الفريضة . قال ابن الأثير : ويجوز أن يكون معناه المشاركة في الشق والشنق ، وهو بمعنى الخلاط المتقدم ذكره ، لكن حمله على الأول أولى ، لتعدد المعنى . والشغار بكسر الشين وبالفين المعجمة نكاح معروف في الجاهلية ، وهو أن يُزوج الرجل أخته أو أخته على أن يُزوجه بنته أو أخته ، ويكون بضع كل

منهما صداقاً للأخرى . والأرواحُ جمع رائع : وهم الحسانُ الوجوه من الناس .
وقيل : الذين يروعون الناس أى يُفزعونهم بشدة الهيبة . قال ابن الأثير : والأول
أوجه . وقوله : ومن أجبي هو بالجم والباء الموحدة : وهو بيع الزرع قبل بدو
صلاحه . وقيل هو أن يُغيبَ إبله عن المصدق أخذاً من أجباته إذا واريته .
وقيل هو أن يبيع من الرجل سلعةً بثمن معلوم إلى أجل معلوم ثم يشتريها منه بالنقد
بأقل من الثمن الذى باعها به ؛ ومعنى أربى وقع فى الربا . والشايبُ البسطةُ الرؤس
الزهرُ الألوان الحسانُ المناظرُ واحداً مشبوب . والمقورة الألياط المسترخية
الجلود لهاؤها والأقورار الاسترخاء فى الجلود . والألياط جمع ليط : وهو قشر العود ،
شبه به الجلد لا لتراقه باللم . والضناك بالكسر الكثير اللحم ، ويقال الذكر والأُنثى
فيه سواء ، والمراد أنه لا تؤخذ المفردة فى السمن كما لا تؤخذ الهزيلة . وقوله :
وأنظوا هو بلغة أهل اليمن بمعنى أعطوا ، خاطبهم صلى الله عليه وسلم بلغتهم . والثبجة
شاء مثله بعدها باء موحدة ثم جيم هى الوسط من المال التى ليست من خياره
ولأردأته ، أخذاً من ثبجة الناقة وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . وقوله ثم بكر جرى
فيه على لغة أهل اليمن حيث يُبدلون لام التعريف ميم . قال ابن الأثير : وعلى هذا
فتكون راء بكر مكسورة من غير تنوين لأن أصله من البكر ، فلما أبدلت الألف واللام
ميم بقيت الحركة بحالها ، ويكون قد استعمل البكر موضع الأبقار . قال : والأشبه
أن تكون بكر متبونة ، وقد أبدلت نون من ميم ، لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باء
قلبت فى اللفظ ميماً نحو عتبر ومنبر ، ويكون التقدير ومن زنى من بكر . وقوله
فأصقعه هو بالصاد المهملة والقاف أى أضربه ، وأصل الصقع الضرب على الرأس ،
وقيل الضربُ بيطن الكف . وقوله : وأستوفضوه هو بالفاء والضاد المعجمة أى
أنفوه ، أخذاً من قولهم : استوفضت الإبل إذا تفرقت [فى رعيها] وقوله : فضرجه -

بالضاد المعجمة والجيم أى أَدْمُوهُ بالضرب، ويطلق الضَرْج على الشَّق أيضا .
والأضاميم بالضاد المعجمة المجارة واحدها إضْمامةٌ، والمراد أَرْجُوهُ بالمجارة . والتوصيم
بالصاد المهملة الفَتْرَة والتَّوَانِي ، أى لَا تَفْتَرُوا في إقامة الحدود وَلَا تَتَوَانَوْا فيها . وقوله :
وَلَا تُعْجِمَنَّ في فرائض الله - أصل النُعْمَة السَّتْر ، أى لَا تُسْتَرْ فرائضُ الله وَلَا تُخْفَى ،
بل تُظْهَر ويُجَهَر بها وتُعْلَن . وقوله : يَتَرَقَّل - أى يَسُودُ وَيَتَرَأَسُ ، استعارة من
تَرْفِيل الثوب وهو إسْبَاغُهُ وإرساله ؛ والأَقْيَالُ الملوكُ وقد تقدَّم الكلامُ عليه .

الأسلوب الثانى

(أن تفتح المكتبة بلفظ « هذا كتاب » ويذكر المقصد فيما بعد ،

وهو قليل الوقوع في المكتبات)

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لقييلة همدان من اليمن ، فيما ذكره ابن هشام
وهو : ” هذا كتابٌ من محمد رسول الله لمخلاف خَارِف وأهل جَنَابِ الهَضْب وحَقَاف
الرَّمْل ، مع وفِدها ذى المشعار ، لمالك بن تَمِيطٍ ولبن أسلم من قومِه ، على أن لهم
فِرَاعَهَا ووهَاطَهَا [وعَزَاها] ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، يَأْكُلُونَ عِلَافَهَا ، وَيَرْعَوْنَ
عَافِيَهَا ، لَكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَامُ رَسُولِهِ ، وشَاهِدُكُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ” .

وذكر القاضي عياض في ” الشفاء ” أن في كتابه إليهم : ” إِنَّ لَكُمْ فِرَاعَهَا ووهَاطَهَا
وعَزَاها ، تَأْكُلُونَ عِلَافَهَا وَتَرْعَوْنَ عَفَاءَهَا ، لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ ”^(١)

(١) كذا في الامهات اللغوية أيضا وفي شرح الزرقاني على المواهب ج ٤ ص ٣٩ أنه ذر المشفار

بالمعجمتين أو المهملتين .

(٢) في المواهب مالك بدون لام الجر وأعربه الشارح بدلا مما قبله .

(٣) ضبطه صاحب اللسان بالقصر وضبطه الزرقاني وملا على قارى بالمد .

والأمانة، ولهم من الصَّدَقَةِ الثَّلبُ والنَّابُ والفَصِيلُ والفَارِضُ والداجنُ والكَبْشُ الحَوْرِيّ، وعليهم فيها الصَّالِغُ والقَارِخُ“ .

وهذا من نسبة ما تقدم مما يحتاج إلى شرح غريبه : فالْفِرَاعُ ^(١) بالكسر جمع فَرَعَة ، وهو ما أرتفع من الأرض . والوَهاط جمع وَهْطَة : وهى ما أطمأن من الأرض ؛ والعِلَاف بالكسر - جمع عَلفَ بَكْبَلٍ وَجِبَالٍ ، والمراد ما تعتلفه الدواب من نبات الأرض ؛ والعَزَاز - ما صُلب من الأرض واشتدَّ وخشِنَ ، ويكون ذلك في أطرافها ؛ والعَفَاء العافى - وهو ما ليس لأحد فيه ملكٌ ، من قولهم : عَفَا الأثرُ إذا دَرَسَ ، والدَّفء - نِتاج الإبل وما يُنْتَفَعُ به منها ، سَمِي دِفْعًا لأنه يُتَّخَذُ مِنْ أوبَارِها ما يُسْتَدْفَأُ به ، والمراد هنا الإبل والغنم . والصَّرام - النخل ، وأصله قَطْع الثمرة ؛ والثَّلب من ذكور الإبل - الذى هَرِمَ وتكسَّرت أسنانه . والناب - المُسِنَّة من إناثها . والفَصِيل من أولاد الإبل - الذى فُصِلَ عن أمه من الرِّضَاع . والفارض - المسنُّ من الإبل ، والمراد أنه لا يُؤخَذُ منهم فى الزكاة . والداجنُ - الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم ؛ والكَبْش الحَوْرِيّ منسوب إلى الحَوْر وهى جلود تُتَّخَذُ من جلود الضأن . وقيل : هو مادْبِغ من الجلود بغير القَرظ . والصالِغُ بالصاد المهملة والغين المعجمة : وهو من البقر والغنم الذى كَبُلَ وأتَمَّى ، ويكون ذلك فى السنة السادسة ، ويقال : بالسين بدل الصاد . والقارِخُ الفرس الذى دخل فى السنة الخامسة .

(١) فى الأصول بالفتح وهو سبق قلم .

الأسلوب الثالث

(أن تفتَحَ المكتبةُ بلفظ « سَلِّمْ أَنْتَ »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى . وهو فيما ذكره أبو عبيد
في "كتاب الأموال" : « سَلِّمْ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَكَلَّ ذِيحَنَّا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ
لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ الرَّسُولِ ؛ فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُجُوسِ فَإِنَّهُ آمِنٌ ، وَمَنْ أَبَى فَإِنَّ
عَلَيْهِ الْحَزِيَّةَ » .

الطرف الثالث

(في كُتْبِهِ صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكُفْرِ للدَّعَايَةِ إلى الإسلام ،
وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يُفْتَحَ الْكِتَابُ بلفظ « مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى فُلَانٍ »)

كما في الأسلوب الأول من كُتْبِهِ إلى أهل الإسلام

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هِرَقْلَ : وهو قِصْرٌ ، وقيل
نائبه بالشام .

وهو على ما ثبت في الصحيحين . « مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ،
سَلَامٌ عَلَى مَنْ آتَبَعَ الْهُدَى » .

أما بعد، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمَ تَسْلِمًا، أَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ،
 فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ .

وذكر أبو عبيد في "كتاب الأموال" : أَنَّ كِتَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَ قَل
 كَانَ فِيهِ .

"من مجد رسول الله إلى صاحب الروم، إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الْإِسْلَامِ: فَإِن أَسَلَمْتَ فَلَكَ
 مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ، وَإِن لَمْ تَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ فَأَعْطِ الْحِزْيَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
 يَقُولُ : قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ
 وَإِلَّا فَلَا تَحِلُّ بَيْنَ الْفَلَاحِينَ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ" .

قال أبو عبيد : وأراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأن العجم عند العرب كلهم
 فلاحون لأنهم أهل زرع وحرث .

وفي مسند البزار أنه صلى الله عليه وسلم كتب إليه : « من مجد رسول الله إلى
 قيصَر صاحب الروم » .



(١)
 ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كِسْرَى أَبْرُويز : ملك الفرس فيما ذكره
 ابن الجوزي ، وهو :

(١) بفتح الواو وكسرهما ويقال له أبرواز ومعناه بالعربية المظفر - اه الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٣٨٩ .

”من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس .

سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل
فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ،
وأسلم تسلم فإن توليت فإن إثم المجوس عليك “ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب مصر . وهو فيما ذكره
أبن عبد الحكم .

(١)

”من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من أتبع الهدى .

أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك
مرتين ، فإن توليت فعليك إثم القبط . يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله
فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون “ .

وذكر الواقدي أن كتابه إليه كان بخط أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن فيه

”من محمد رسول الله إلى صاحب مصر .

أما بعد ، فإن الله أرسلني رسولاً وأنزل عليّ قرءاناً ، وأمرني بالإنذار والإنذار
ومقاتلة الكفار حتى يدينوا يديني ويدخل الناس في مليّ ، وقد دعوتك إلى الإقرار
بوحدينته ، فإن فعلت سعيت ، وإن أبنت شقيت ، والسلام “ .

(١) اسمه جريج بن مينا بن قرقوب كما ذكره الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٣٩٧ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي: مَلِكِ الحَبَشَةِ . وهو فيما ذكره
أبن إسحاق :

”من محمد رسول الله إلى النجاشي مَلِكِ الحَبَشَةِ ، إلى أحمدُ إِلَيْكَ اللهُ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسَ السَّلَامَ الْمُؤْمِنَ الْمُهِمِّنَ ، وأشهدُ أن عيسى ابنَ مَرْيَمَ البَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ ،
حَمَلَتْهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ ، كما خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ . وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريكَ له ،
وأن تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي ، فَإني رسولُ الله ، وإني أدعوك وَجُنُودَكَ إلى الله
عَزَّ وَجَلَّ ، وقد بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ ، فاقبلوا نَصِيحِي . وقد بعثتُ إِلَيْكُمْ أَبْنَ عَمِّي جَعْفَرًا
ومعه نفرٌ من المُسْلِمِينَ ، والسلامُ على مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ : صاحب اليمامة ، وكان
نصرانيًا . وهو فيما ذكره السهيلي .

”من محمد رسول الله إلى هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ .

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . وَأَعْلَمُ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إِلَى مُتَمَتِّي الْخُلْفِ وَالْحَافِرِ ،
فَأَسْلِمُ تَسْلِمًا ، وَأَجْعَلُ لَكَ مَاتَحْتَ يَدَيْكَ“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نَجْرَانَ . وهو فيما ذكره صاحب
”الهدى المحمدي“ .

(١) هو يفتح الهاء كما في الصحاح ونقل الديمري ضمها والواو ساكنة على كل حال .

بسم الله الرحمن الرحيم ، إِلَه إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ ؛ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْحَزْبُ^(١) ؛ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَرْبِ الْإِسْلَامِ .

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ أَبِي الْجَلَنْدِيِّ مَلِكِي عُمَانَ .
وهو : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ أَبِي الْجَلَنْدِيِّ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ آتَبَعَ الْهَدْيَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمُوا تَسْلِمًا ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأَنْذَرُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَإِنَّكُمْ إِنْ أَقْرَرْتُمْ بِالْإِسْلَامِ وَلَيْتَكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ أَنْ تُقِرَّوْا بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ مُلْكَكُمْ زَائِلٌ عَنْكُمْ ، وَخَلِي تَحُلُّ سَاحَتِكُمْ ، وَتَظْهَرُ بُيُوتِي فِي مَلِكِكُمْ . وَكُتِبَ أَبُو بَنِي كَعْبٍ » .

وفي رواية ذكرها أبو عبيد في "كتاب الأموال" أنه كتب إليهما .

"مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِعِبَادِ اللَّهِ أَسِيدِ بْنِ مُلُوكِ عُمَانَ ، وَأَسِيدِ عُمَانَ : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ ، إِنْهُمْ إِنْ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَعْطَوْا حَقَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَسَكَّوْا تُسَكُّ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ ، وَإِنْ لَمْ يَأْسَلُوا عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّ مَالَ بَيْتِ النَّارِ ثَمَنًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ غُشِرَ النَّارُ صَدَقَةٌ ، وَنِصْفَ غُشُورِ الْحَبِّ ، وَإِنَّ لِلْمُسْلِمِينَ نَصْرَهُمْ وَنُصْحَهُمْ ، وَإِنْ لَمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ أَرْحَاءَ يَطَّحُنُونَ بِهَا" .

(١) كذا في الأصول وفي "مفتاح الأفكار" بحرب والسلام .

قال أبو عبيد : وبعضهم يرويه لعباد الله الأسدين أسما اعجميا نسبهم إليه .
قال : وإنما سُموا بذلك لأنهم نُسبوا إلى عبادة فرس ، وهو بالفارسية أسب فُنسبوا
إليه ، وهم قوم من الفرس وفي رواية من العرب .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى مُسَيِّمَةَ الكَذَّاب في جواب كتابه إليه
صلى الله عليه وسلم : أنه إن جعل له الأمر بعده آمن به .

وهو : « من عهد رسول الله إلى مُسَيِّمَةَ الكَذَّاب : السلام على من أتبع الهدى
أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بلفظ « أما بعد » وهو أقل وقوعا مما قبله)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل تَجْرَان ، ودينهم النصرانية .
وهو فيما ذكره ابن الجوزي .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إله إبراهيم وإسماعيل ويعقوب .

أما بعد : فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله
من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب الإسلام .^(١)

(١) كذا في الأصول والمناسب لما تقدم له في اختتام الكتب ما في "مفتاح الأفكار" وهي "بحر
والسلام" .

الأسلوب الثالث

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ « هذا كتاب »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم مع رِفَاعَةَ بنِ زَيْدٍ إلى قومه . وهو فيما ذكره ابن إسحاق .

« هذا كتاب من محمد رسول الله لِرِفَاعَةَ بنِ زَيْدٍ ، إني بعثته إلى قَوْمِهِ عامَّةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ ، يَدْعُوهُمْ إلى الله وإلى رُسُولِهِ ، فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ فَقِي حِزْبِ اللَّهِ وَحِزْبِ رُسُولِهِ ، وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ » .

قلت : وقد كتب صلى الله عليه وسلم إلى جماعة غير مَنْ تقدَّم ، لم أقف على صورة ما كتب إليهم ، كجَبَلَةَ بنِ الأَيْمَمِ الغَسَّانِي ، وَذِي الكَّلَاعِ الحُمَيْرِي وغيرهم ، وستأتي كتبه صلى الله عليه وسلم في معنى الولايات والإقطاعات والهدن والأمانات في مواضعها إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في الكتب الصادرة عن الخلفاء ، وهى على قسمين)

القسم الأول

(المكاتبات إلى أهل الإسلام ، وفيه تسعة أطراف)

الطرف الأول

(في الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات الصادرة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

وكانت تُفتح بلفظ : « من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان »
وباقى الكتاب من نسبة كُتِبَ النبي صلى الله عليه وسلم من التصدير بالسَّلام
والتَّحْمِيد ، والتَّخْلُصُ بأما بعدُ ، والاختتام بالسَّلام وما يُجْرَى هذا الجُرى ، مع لزوم
الخطاب بالكاف وتاء المخاطب للواحد ، وبالثنائية للثنتين ، والجمع للجماعة . وعَوْنُهَا
« من أبى بكر خليفة رسول الله » فى الجانب الأيمن ثم « إلى فلان الفلانى »
فى الجانب الأيسر على ما يقتضيه الترتيب المتقدم .

وهذه نسخة كتابه رضى الله عنه إلى أهل الردّة حين ارتدّوا عن الإسلام بعد
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وهو على ما ذكره صاحب "نهاية الأرب"

"من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على الإسلام أو رجّع عنه :

سلام على من أتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ؛ فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأقر بما جاء به [وأكفر من أبي وأجاهده^(١)].

أما بعد ، فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا ؛ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحقق القول على الكافرين ، يهدي الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها ؛ ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمره ، وقضى الذي عليه ؛ وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله ، فقال : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مِيتُونَ﴾ وقال : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ وقال للمؤمنين : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد ، حتى قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه مجزبه ، وإني أوصيكم بتقوى الله وحفظكم وتصديقكم من الله ، وما جاء به نبيكم ، وأن تهتدوا بهديه ، وأن تعتصموا بدِين الله ، فإن من لم يهد الله ضل ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم ينصره مخذول .

فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ولم يُقْبَلْ منه في الدنيا عملٌ حتى يُقَرَّبَ به ، ولم يُقْبَلْ له في الآخرة صَرْفٌ ولا عدلٌ .

وقد بلغني رجوعٌ مَنْ رجع منكم عن دينه بعد أن أقَرَّ بالإسلام وعَمِلَ به ، أغترأ بالله وجهالةً بأمره ، وإجابةً للشيطان ، وقال الله جل ثناؤه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْخِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ . وقال جل ذكره : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وإني أنفدتُ إليكم فلانًا في جيشٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يُقاتِلَ أحدًا ولا يَقْتُلَهُ حتى يدعوه إلى داعية الله ، فإن استجاب له وأقَرَّ وكَفَّ وعَمِلَ صالحًا ، قَبِلَ منه وأعانهُ عليه ؛ ومن أبى أمرته أن يُقاتِلَهُ على ذلك ، ولا يُفْقِيَ على أحدٍ منهم قَدَرٌ عليه ، وأن يحرقَهُم بالنيران ، ويقتلَهُم كلَّ قِتْلَةٍ ، ويسبي النساء والذراري ، ولا يقبل من أحدٍ إلا الإسلام ؛ فمن آمن فهو خيرٌ له ، ومن تركه فلن يعجز الله . وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كلِّ مَجْمَعٍ لَكُمْ ، والداعية الأذان ، فإن أذن المسلمون فأذنوا ، كفوا عنهم ، وإن لم يؤذِنوا [عاجلوهم ، وإن أذنوا] سلوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقروا قَبِلَ منهم وحملهم على ما يبتغي لهم .

(١) في العبريكية ج ٢ ص ٧٠ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ "فمن اتبعه" .

(٢) الزيادة من رواية الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الصادرة عن بقيّة الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

وهي على أسلوبيين :

الأسلوب الأول

(أن يُفَتَّحَ الكُتَابُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

يقال إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما صارت الخلافة اليه بعد أبي بكر، كان يكتب في كُتُبِهِ : « من عمر بن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان » فلما تَلَقَّبَ بأمر المؤمنين على ما تقدّم في المقالة الثالثة ، أثبت هذا اللَّقَبَ في كُتُبِهِ ، وزاد في ابتدائها لفظ « عبد الله » قبل اسمِهِ ، ليكون اسمُهُ نعتاً له ^(١) ، فكان يكتب : « من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى فلان » وباقي الكتاب على ما مرّ في كُتُبِ النبي صلى الله عليه وسلم والصدّيق بعده في التصدير والتعبير عن نفسه بلفظ الإفراد ، مثل أنا ولي على ، وعن المكتوب له بكاف الخطّاب : مثل لك وعليك ، وتاء المخاطب : مثل قلت وفعلت ، وتبعه الخلفاء على ذلك . وعنوتها « من عبد الله فلان أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن ، ثم « إلى فلان الفلاني » في الجانب الأيسر كما تقدّم ترتيبه .

فمن ذلك ما كتب به أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص وهو يومئذ أمير مصر ، وهو :

(١) لعله " تبعاً له " .

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : سلام عليك .
أما بعد ، فقد بلغني أنه فشّت لك فاشيةٌ من خيلٍ وإبلٍ وبقيرٍ وعبيدٍ ، وعهدى
بك قبل ذلك ولا مالَ لك ، فاكْتُبْ إلى من أين أصلُ هذا المالِ » .



ومن ذلك ما كتب به معاوية بن أبي سفيان في خلافته إلى ابنه يزيد ، وقد
بلغه مقارفته للذات ، وأنهما كره على الشهوات ، وهو :

« من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية .

أما بعد ، فقد أدّت السنةُ التصريح إلى أذن العناية بك ما جَعَّ الأمل فيك ،
وباعد الرجاء منك إذ ملأت العيون بهجةً ، وألّقت هبةً ، وترامت إليك آمالُ
الراغبين ، وهم المتنافسين ؛ وشحّت بك فتیان قريش وكهول أهلك ، فما يسوغ لهم
ذكرك إلا على الحرّة المهوّعة ، والكفّ الجشء . اقتحمت البوائق ، وانقدت للمعاير ،
واعتصمتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر ؛ فليتك يزيد إذ كنت لم تكن . سررت يافعا
ناشئا ! وأتكلت كهلا ضالعا ، فواخزناه عليك يزيد ! وياحر صدر المثلّك بك !
ما أشتيت فتیان بنى هاشم ! وأذلّ فتیان بنى عبد شمس ! عند تفاوض المفاحر ودراسة
المناقب ! فمن لصالح ما أفسدت ، ورتقي ما فتقت ؟ هيهات تخمش الدربة وجه
التصبر بك ، وأبت الجناية إلا تحدرّا على الأئسن ، وحلاوة على المناطق ، ما أربح
فائدة نالوها ، وفرصة آتتهزوها ! ؛ أنتبه يزيد للفظه ، وشاور الفكره ، ولا تكن إلى
سمعك أسرع من معناها إلى عقلك . وأعلم أن الذى وطّاك وسوسة الشيطان ،
وزخرفة السلطان ، مما حبس عندك قبّحه ، وأحلولى عندك مرّه ، أمرٌ شركك فيه

السَّوَادَ وَنَافَسَكَ الْأَعْبُدَ ، لَا لِأَثَرَةٍ تَدْعِيهَا أَوْ جَبَّتْهَا لَكَ الْإِمْرَةُ ، وَأَضَعْتَ بِهَا مِنْ قَدْرِكَ ، فَأَمَكَنْتَ بِهَا مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَكَأَنَّكَ شَانِي نَفْسِكَ ، فَمِنْ لِهَذَا كُلِّهِ ؟ .

إِعلم يَا يَزِيدُ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ وَأَسِيرُ الْحَيَاةِ ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ الْمَصَانِعَ وَالْمَجَالِسَ لِلْمَلَاهِي وَالْمَزَامِيرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ وَأَجْهَرْتَ الْفَاحِشَةَ حَتَّى اتَّخَذْتَ سَرِيرَتَهَا عِنْدَكَ جَهْرًا .

إِعلم يَا يَزِيدُ أَنَّ أَوَّلَ مَا سَلَبَكَ الشُّكْرَ مَعْرِفَةُ مَوَاطِنِ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ ، وَالْآيَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ ، وَهِيَ الْجَرَحَةُ الْعُظْمَى ، وَالْفَجْعَةُ الْكُبْرَى : تَرْكُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَخْدُثُ مِنْ آفَاتِهَا ، ثُمَّ اسْتِحْسَانُ الْعُيُوبِ ، وَرُكُوبُ الذُّنُوبِ ، وَإِظْهَارُ الْعَوْرَةِ ، وَإِبَاحَةُ السَّرِّ . فَلَا تَأْمُنْ نَفْسَكَ عَلَى سِرِّكَ ، وَلَا تَعْقِدْ عَلَى فِعْلِكَ . فَمَا خَيْرُ لَذَةٍ تُعْقِبُ النَّدَمَ ، وَتُعْفِي الْكَرَمَ ؟ وَقَدْ تَوَقَّفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ شَطْرَيْنِ مِنْ أَمْرِكَ ، لَمَّا يَتَوَقَّعُهُ مِنْ غَلَبَةِ الْآفَةِ وَأَسْتِهْلَاكِ الشَّهْوَةِ . فَكُنِ الْحَاكِمَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَاجْعَلِ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ ذِهْنَكَ تَرَشُّدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَلِيَبْلُغْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَرِدُ شَارِدًا مِنْ نَوْمِهِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ نُصَبَ الْأَعْتَرَالِ مِنْ كُلِّ مُؤَانِسٍ ، وَدُرَأَةٍ الْأَلْسَنِ الشَّامِتَةِ ، وَفَقَّكَ اللَّهُ فَأَحْسَنَ .

الأسلوب الثاني

(أَنْ يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِلَفْظِ «أَمَّا بَعْدُ»)

وَهُوَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ خِلَا الْإِبْتِدَاءِ وَالتَّصْدِيرِ بِالسَّلَامِ وَالتَّحْمِيدِ ، وَيَكُونُ الْاِقْتِتَاحُ فِيهِ بِالْمَقْصِدِ ، كَمَا كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ حِينَ خَرَجَ عَلَى الْيَنْبُغِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى عُمَانٍ .

أما بعدُ، فقد بلغ السَّيْلُ الزُّبَى^(١) [وجاوز] الحِرَامُ الطَّيِّينَ ، وَطَمَعَ فِي كُلِّ مَنْ
كَانَ يَضْعَفُ [عن الدفع] عن نفسه ، وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبٍ ، فَأَقْبَلَ إِلَى صَدِيقًا
كَنتَ أَوْ عَدُوًّا :

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُؤُلَا ، فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ * وَإِلَّا فَأَذْرِ كُنِي وَلِمَا أَمَزَّقَ

الطرف الثاني

(في الكُتُبِ الصادرة عن خلفاء بني أُمَيَّة)

وهي على ما تقدّم من الكُتُبِ عن الخلفاء من الصحابة في التصدير والتعبير، إلا
أنه يعبر عن الخليفة بأمر المؤمنين، وربما عبر عنه بلفظ الأفراد . مثل : فعلتُ
وأفعلُ وما أشبه ذلك ؛ أما الخطاب للكتوب له فبكاف الخطاب وتاء المخاطب ،
مثل : إنك أنتَ قلتَ كذا ، وفعلتَ كذا ، وما أشبه ذلك . وعنوانها : « من عبد الله
فلان أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن ، ثم « إلى فلان الفلاني » في الجانب الأيسر .
ثم هي على أسلوبين :

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ « من عبد الله فلان أمير المؤمنين إلى فلان »)

كما كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف - وقد بلغه تعرضه لأنس
أبن مالك رضى الله عنه - « من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج
أبن يوسف

أما بعد، فإنَّكَ عَبْدٌ عَلَتْ بِكَ الْأُمُورُ فُطِغَيْتَ، وعلوتَ فيها حتى جُرْتَ حَدَّ قَدْرِكَ، وعدوتَ طُورَكَ . وإيَّمُ الله لأَعْمِزَنَّكَ كَبْعُضِ غَمَزَاتِ اللَّيُوثِ النَّعَالِبِ ! ولأَرْكُضَنَّكَ رَكْضَةً تَدْخُلُ مِنْهَا فِي وَجَعَاءِ أُمَّكَ ، اذْكُرْ مَكَايِبَ آبَائِكَ فِي الطَّائِفِ، إذْ كَانُوا يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، وَيَحْفِرُونَ الْآبَارَ وَالْمَنَاهِرَ بِأَيْدِيهِمْ !، قد نَسِيتَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَأَبَاؤُكَ مِنَ الدَّنَاءِ وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ . وقد بلغ أمير المؤمنين آسْطَالَه منك على أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ جُرَّاءَكَ مِنْكَ على أمير المؤمنين ، وَغِرَّةٌ بِمَعْرِفَةِ غَيْرِهِ وَنَقِيَّتِهِ وَسَطَوَاتِهِ على مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهُ ، وَعَمَدَ إِلَى غَيْرِ مَحَجَّتِهِ ، وَنَزَلَ عِنْدَ سُخْطِهِ، وَأَظْنُكَ أَرَدْتَ أَنْ تُرَوِّزَهُ بِهَا فَتَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّنْكِيرِ فِيهَا ، فَإِنْ سُوِّغَتْهَا مَضِيَتْ قَدْماً ، وَإِنْ غَصِصَتْ بِهَا وَلَيْتَ دُبْرًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْأَخْفَشُ الْعَيْنِينَ، الْأَصَكُّ الرَّجْلِينَ، الْمَسْخُوحُ الْجَاعِرَتَيْنِ، وَلَنْ يَخْفَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَبْؤُكَ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بلفظ «أما بعد» ويقع الشروع منه في المقصد)

كما كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام - وقد بلغه خلافتهم عليه .

”أما بعد، فإنَّ الله لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأْنُسِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ . إني والله قد لَيْسْتُكُمْ فَأَخْلَقْتُكُمْ ! وَرَفَعْتُكُمْ عَلَى رَأْسِي، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي، ثُمَّ عَلَى قَمِي، ثُمَّ عَلَى بَطْنِي ؛ وَإيَّمُ اللهُ لِيَنْ وَضَعْتُكُمْ

(١) في مفتاح الأفكار ص ١٨١ ”طمت“ وهي أقرب إلى المعنى وفيه في آخر الكتاب زيادة فراجعه .

(٢) في ”مفتاح الأفكار“ فعليك لعنة الله من عبد أخفش الخ .

تحت قَدَمِي لأَطَانُكُمْ وَطَاةٌ أَقْلُ بِهَا عَدَدُكُمْ ، وَأَتْرُكُكُمْ بِهَا أَحَادِيثُ تُنْسَخُ مِنْهَا
أَخْبَارُكُمْ كَأَخْبَارِ عَادٍ وَثَمُودَ” .

وكما كتب عمرُ بنُ عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة، وهو عامله على بعض النواحي .
”أما بعدُ، فإذا أمكنتك القدرةُ على المخلوق، فاذكر قدرة الخالق عليك ! وأعلم أن
مالك عند الله مثل ما للرعية عندك“ .

وكما كتب يزيدُ بنُ الوليد المعروف بالناقص إلى مروان بن محمد - وقد بلغه عنه
تلكُ في بيعته - .

”أما بعدُ، فإنِّي أراك تُقدِّم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي فاعتمد على أيهما
شئت والسلام“ .

قلت : ولم يزل الأمر في المكتابات في الدولة الأموية جارياً على سنن السلف،
إلى أن ولي الوليدُ بن عبد الملك، بفقد القراطيس، وجلل الخطوط، ونغم المكتابات؛
وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك، إلا عُمر بن عبد العزيز، ويزيد بن الوليد
المقدم ذكره، فإنهما جرياً في ذلك على طريقة السلف؛ ثم جرى الأمر بعدهما على
ماسنه الوليد بن عبد الملك، إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم،
وكتب له عبد الحميد بن يحيى - وكان من اللسن والبلاغة على ما أشتهر ذكره - فأطال
الكتب وأطنب فيها، حيث أقضى الحال تطويلها والإطناب فيها، حتى يقال :
إنه كتب كتاباً عن الخليفة جاء وقرب جليل، وأستمر ذلك فيما بعده .

الطرف الثالث

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس ببغداد
وولاية العهد بالخلافة ، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في بيان ترتيب كتبهم في الرسائل على سبيل الإجمال)

كانوا يفتتحون أكثر كتبهم بلفظ « من فلان إلى فلان » وتارة بـ « أما بعد »
وربما أفتتحوها بغير ذلك ؛ فأما أفتتاحها بلفظ من فلان إلى فلان فكان يكتب
عنهم في أول دولتهم كما كان يكتب عن خلفاء بني أمية ، وهو « من عبد الله فلان
أمير المؤمنين ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو »
ثم يختص إلى المقصود بلفظ أما بعد . إلا أنهم زادوا بعد أسم الخليفة لفظ
« الإمام الفلاني » بلقب الخلافة ، فكان يقال : « من عبد الله الإمام الفلاني
أمير المؤمنين » فلما صارت الخلافة إلى الرشيد زاد بعد التحميد « ويسأله أن يصلي
على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » فلما وليّ أبنه الأمين آكتنى في كتبه
وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك .

وقد اختلف في تقديم الأسم والكنية واللقب ، والذي رتبّه أبو جعفر النحاس
في « صناعة الكتاب » تقديم الأسم على الكنية وتقديم الكنية على اللقب . مثل
أن يقال : « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » ثم قال :
وهذه المكتبة هي التي أصطلح عليها في الأمور السلطانية التي تُنشأ بها الكتب من
الدواوين ، إلا أن بعض العلماء قد خالفهم في هذا ، وقال : الأولى أن يُبدأ

باللقب، مثل أن يقال «من الراضى» أو «المتوكل» وما أشبه ذلك، كما قال الله جل وعز : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وذلك لأن اللقب لا يشاركه فيه غيره، فكان أولى أن يُبدَأَ به .

وترتيب المكتبة على ما ذكره في "صناعة الكتاب" أن يَكْتُبَ : «من عبد الله فلان أبى فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين، سلامٌ عليك ؛ فإن أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذى لا إلهَ إلا هو، ويسأله أن يصلّى على محمد عبده ورسوله» . ثم يَفْضِلُ بياض يسير، ويكتب «أما بعدُ فإن كذا وكذا» ؛ ثم يأتى على المعنى ، فإذا فرغ من ذلك وأراد أن يأمر بأمر، فصل بياض يسير، ثم يكتب : «وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ورأى أن يَكْتُبَ إليك بكذا» ، فيؤمر بامتنال ما أمر به والعمل بحسبه ؛ ثم يفصل بياض ويكتب : فأعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ، وأعمل به ، إن شاء الله تعالى . «وكتب فلان بن فلان» باسم الوزير وأسم أبيه ، يوم كذا ، من شهر كذا ، من سنة كذا . وقد يكتب فى أواخر المكتبة بعد استيفاء المقصّد : « هذه مناجاةُ أمير المؤمنين لك » أو « هذه مفاوضةُ أمير المؤمنين لك » .

ويقال : فى السلام على أعلى الطبقات من المكتوب إليهم « والسلام عليك ورحمة الله » وربما قيل : « ورحمة الله وبركاته » .



وأما افتتاحها بلفظ أما بعد، فغالب ما يقع فى الكتب المطلقة : كالبشرى بالفتوح وغيرها . ثم تارة يعقب البعدية بالحمد لله ، إما مرة أو أكثر، وغالب ما يكون ثلاث ، وتارة يعقب بغير الحمد .



وأما الافتتاح بغير هذين الافتتاحين، فتارة يكون بالدعاء، وتارة يكون بغيره، ويكون التعبير عن الخليفة في كتبه الصادرة عنه « بأمر المؤمنين » على ما تقدم في خلافة بنى أمية .

ثم إن كان المكتوب إليه معينا، فالذى كان عليه الحال في أول دولتهم أن يُكْتَبَ إليه باسمه ؛ ثم لما تغلب بنو بويه على الخلفاء وغلبوا عليهم، وعلت كلمتهم في الدولة وتلقبوا بفلان الدولة وفلان الملة، فكان يُكْتَبَ إليهم بذلك في الكتب إليهم ؛ ثم لما كانت الدولة السلجوقية في أواخر الدولة العباسية ببغداد، آستعملوا كثرة الألقاب للمكتوب إليه عن الخليفة في صدر المكتبة . قال في "مواد البيان" : ولا يخاطب أحد عن الخليفة إلا بالكاف . وقد يخاطب الإمام وزيره في المكتبة الخاصة بما يرفع فيه عن خطاب المكتبة العامة الديوانية، ويتصرف في ذلك ويُزاد ويُقص على حسب لطافة محل الوزير ومنزلته من الفضل والجلالة .

قال في " ذخيرة الكاتب " : ويكون الدعاء من الخليفة لمن يكتبه على قدر موضعه من خدمته ومحله عنده ؛ وقد تقدم أن أعلى الدعاء كان عندهم بإطالة البقاء ؛ ولذلك كان يُدعى للملك بنى بويه فن بعدهم بلفظ : «أطال الله بقاءك» وقد تقدم في المقالة الثالثة في الكلام على مقادير قطع الورق وما يناسب كل قطع من الأقلام أنه إن كانت المكتبة عن الخليفة ترك الكاتب من رأس الدرج قدر ذراع بياضا؛ ثم يكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج يسيرا، من عبد الله إلى آخر التصدير الذى يليه أما بعد، وأن التصدير يكون في سطرين

بينهما فضاءً قدرَ شبر، لا يزيد عن ذلك ولا ينقص؛ ثم يترك بعد هذين السطرين فضاءً بنصف ما بين الأولين فيما ذكره في "موادّ البيان" : وبقدرة فيما ذكره في "ذخيرة الكتاب" ثم يقول : أما بعد، ويأتى على المكتبة إلى آخرها على هذا النحو .

أما عَنوانُ كتبهم ، فكانت في أول دولتهم : « من عبد الله فلان الإمام الفلاني » أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن ، وفي الجانب الأيسر « إلى فلان بن فلان » . ثم زاد المأمون في أول عُنواناته « بسم الله الرحمن الرحيم » . ولما تَكَثَّرَ الأَئِمَّةُ في كتبه بعد ذلك زِيدَتِ الكُتُبُ في العَنوان ، فكان يكتب في الجانب الأيمن « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني » وفي الجانب الأيسر ، « إلى فلان ابن فلان » . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المكاتبات أن البسملة بقيت في العَنوانة إلى زمن النحّاس في خلافة الرازي ، وأن صاحب "موادّ البيان" ذكر أنها بطلت منه بعد ذلك .

قال النحاس : فإن كان المكتوبُ إليه من مَوالِي بنى هاشم ، نُسِبَ إلى ذلك ، وإن لم يكن ينسب إليهم تُرِكَ .

الجملة الثانية

(في الكُتُبِ العامّة ، وهى على أُسْلُوبين)

الأسلوب الأول

(أن يفتتح الكتابُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

بأن يكتب « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » إلى آخر المكتبة على ما تقدّم ترتيبه .

وهذه نسخة كتاب من ذلك كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله إلى صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه بسبب كردويه، الخارج عن الطاعة، وليس فيه تكتنية للخليفة وهو .

من عبد الله « عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين » إلى صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليبجار بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يَحُدُّ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطلَّ الله بقاءك - فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بَوَّأَكَ المنزلة العُلْيَا ، وأنالك من أثرته الغاية القُصْوَى ؛ وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القَدْر والمَحَلِّ ، والموضع الأرفع الأجل ؛ فإنه يُوجِبُ لك عند بَذَلِكَ أثرًا يكون لك في الخِدْمَةِ ، ومقامَ حمد تقومه في حماية البيضة ؛ إنعامًا يظاھرُهُ ، وإكرامًا يتابعه ويُواتِرُهُ . والله يؤيِّدُكَ من توفيقه وتسديده ، ويمدِّدُكَ بمعونته وتأنيده ؛ ويخيِّرُ لأمر المؤمنين فيما رآه مستمرَّ عليه من مَزِيدِكَ وتمكينك ، والإبقاء بك وتعظيمك ؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكَّلُ وإليه يُنِيبُ .

وقد عرفت - أدام الله عزَّكَ - ما كان من أمر كردويه كافرٍ نعمة أمير المؤمنين ونعمتك ، وجاحدٍ صَنِيعَتِهِ وصَنِيعَتِكَ ، في الوثبة التي وثبها ، والكبيرة التي أرتكبها ؛ وتقريره أن يتنهر الفُرْصَةُ التي لم يُمَكِّنْهُ الله منها ، بل كان من وراء [ذلك] دفعُهُ وردَّهُ عنها ؛ ومعاجلتُكَ إِيَّاهُ الحربَ التي أصلاه الله نَارَهَا ، وَقَعَّه عَارَهَا وَسَنَارَهَا ؛ حتَّى أَنهزم والأوغاد الذين شَرَّكَوهُ في إمارة الفِتْنَةِ على أقبح أحوال الذلَّة والقِلَّة ، بعد القتل الدَّريع ، والإِثْخان الوَجيع ؛ فالحمد لله على هذه النعمة التي جَلَّ موقعُها ، وبأنَّ على

الخاصة والعامة أثرها، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً والمسلمين عموماً نشرها، والحديث بها، وهو المسؤول لإقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يجازيك عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المحيد الكريم ؛
بخلع تامة ، ودابتين ومركبين ذهباً من مرآكبه ، وسيف وطوق وسوار مرصع ؛
فتلق ذلك بالشكر عليه ، والاعتداد بنعمته فيه ، وآلبس خلع أمير المؤمنين وتكريمته ،
وسر من بابه على حملاته ، وأظهر محابك به لأهل حضرته ، ليُعزَّ الله بذلك وليه
ووليك ، ويذلَّ عدوه وعدوك ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .
(وكتب أحمد بن محمد لثمان إن بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة)
أطال الله بقاءك ، وأدام عزك ، وأحسن حفظك وحياطتك ، وأمتع أمير المؤمنين
بك ، وبالنعمة فيك وعندك .



وهذه نسخة كتاب آخر من ذلك أيضاً ، كتب به عن المقتفى لأمر الله إلى السلطان
مسعود بن محمد بن ملكشاه السلاجوقي في تعزية بولد مات له ؛ وفيه تكنية الخليفة
وتقديم الكنية على الأسم وكثرة الألقاب للكتوب إليه وهو .

” من عبد الله أبي عبد الله محمد المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى شاهنشاه
المعظم مولى الأمم ، مالك رقاب العرب والعجم ؛ جلال دين الله ، ظهير عباد الله ؛
حافظ بلاد الله ، معين خليفة الله ؛ غياث الدنيا والدين ، ناصر الإسلام والمسلمين ؛
محي الدولة القاهرة ، مُعز الملة الزاهرة ، عماد الملة الباهرة ، أبي الفتح « مسعود
أبن محمد ملكشاه » قسيم أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ويسلم تسلياً .

أما بعد، أطل الله بقاءك ! وأدام عزك وتأيدك وسعادتك ونعمتك، وأحسن حفظك وكلاءك ورعايتك؛ وأمتع أمير المؤمنين بك، وبالنعمه الجليلة والموهبة الجزيلة والمنحة النفيسة فيك وعندك، ولا أخلاه منك ! ، فإن أولى من أدرع للحوادث جبة الاضطراب، ونظر أحوال الدنيا في قلبها بعين الاعتبار، ورجع إلى الله تعالى في قدره وقضائه ، وسلم لأمره الذي لا راد له في امتحانه وأبتلائه، وعرف أن له سبحانه في كل ما يجريه على عبادته حكمة باطنه، ومصلحة كامنه ؛ من خير عاجل ينشره، وثواب آجل يؤخره لهم إلى يوم الجزاء ويدخره ؛ وفائدة هو أدرى بها وأعلم، وفعله فيها أتقن وأحكم ؛ من خصه بما خصك الله به من الدين الراجح ، والخلق الصالح، والمعتقد الواضح ؛ والنعم التي جادك في كل يوم مقام سحابها، واتسعت بين يديك عند مضايق الأمور رحابها ، وأنست إذا استوحشت من العاجزين عن ارتباطها بالشكر صحابها ؛ والمناقب التي فرغت بها صهوات المجد، وتملكت ريق الشناء والحمد، وعلوت فيها عن المساجل والمطاول، وبعد ما حضر لك منها عن أن تناله يد القائم المحاول . وتأذى إلى حضرة أمير المؤمنين - أمتعته الله ببقائك، ودافع له عن حوائك - نبأ الحادثة بسيلك الذي اختار الله له كريم جواره، فأحب له الانتقال إلى محل الفوز ومداره ، فوجد لذلك وجوماً موقراً ، وهماً للسكون منقراً ؛ وتوزعاً تقتضيه المشاركة لك فيما ساوите (؟) والمساهمة الحاصلة في كل ما حلا من الأمور وأمر، وأمر عند ورود هذا الخبر بالتصدي للعرء، وإعلان ما يعلن عن مقاسمتك في الضراء - دفعها الله عنك - والسرء ؛ وتدب جمعاً من الخدم المطيفين بشريف سُدته ،

المختصين بعزير خدمته ؛ بتعزيتصونه لباس التعزیه ، ويستدنى بتقمصه عازب
التسليه ؛ إبانته عن أنصراف الهمم الإمامية إليك فيما خصّ وعمّ من حالك ، وأستجلايه
لك دواعي المسارّ في حلك وترجالك ؛ وكون الأفكار الشريفة موكلّة بكل ماحمى من
الروائع قلبك ، وأعذب شربك ؛ وأنت حقيق بمعرفة هذه الحال من طويته لك
ونيته ، ورأيه فيك وشفقته ، ورعاية مصلحتك منه بعين كاليه ، ورجوعه من المحافظة
في حقك إلى ألفة بالصفاء حاله ؛ وتلقّ الرزية التي أَرادها الله وقضاها ، وأنفذ مشيئته
فيها وأمضاها ؛ بالصبر المأموره والاحتساب ، والتسليم الموعود عليه بجزيل الثواب ؛
علما أن الأقدار لا تُعَالَب ، وغريمها لا يُطالَب ؛ وإن الله تعالى إذ قال لنيبه صلى الله
عليه وسلم - وهو سيد البشر - ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ فلا سبيل لأحد من
خَلقه إلى البقاء ، ولا وَجَهَ للخلود في دار الفناء ؛ ولا دافع لحكمه جلّت عظمتُه فيما
قدّره من الآجال ، وسبق في علمه من الروائع في دار الابتلاء والأحوال ؛ وما يزال
التطلع واقعا إلى وصول جوابك الدالّ على السّلوّة التي هي الأليق بك ، والأدعى
إلى حصول بُغيتك من قضاء الله وأدبك ؛ لتخطّ الأتسّة مع وصوله في رحالها ،
وتؤدّن لصرف الغموم الجارية لأجلك بارتحالها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين لك ، أدام الله تأييدك ! وأمتع بك ! إن شاء الله تعالى ،
والسلام عليك ورحمة الله .

الأسلوب الثاني

(أن يكون الافتتاحُ بلفظ «أما بعد» وهو على نوعين)

النوع الأول

(أن يعقب البعديَّة «الحمد لله» ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يتعدّد الحمد في أول الكتاب)

و يكون ذلك في الكتب المؤذنة بحصول نعمة ظاهرة : كالفتوح ونحوها . ويقع التعدّد فيها بحسب ما تقتضيه النعمة ؛ وغالب ما يكون ثلاث مرات ، وربما وقع التعميدُ في أول الكتاب وآخره .

وهذه نسخة كتاب من هذا النوع كُتِب بها عن المعتصم إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الأتّشين على بابك ملك الروم ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لِدِينِهِ ، والعِصْمة لأوليائه ، والعِزَّ لمن نصره ، والفُلج لمن أطاعه ، والحق لمن عَرَفَ حَقَّه ؛ وجعل دائرة السوء على من عصاه وصَدَف عنه ، ورَغِب عن رُبُوبِيَّتِهِ ، وآبَتَغَى إلها غيره . لا إلهَ إلّا هو وحده لا شريك له . يحمده أمير المؤمنين حمدَ مَنْ لا يعبُد غيره ، ولا يتوكَّل إلّا عليه ، ولا يفوّض أمره إلّا إليه ؛ ولا يرجو الخير إلّا من عنده ، والمزید إلّا من سَعَةِ فضله ؛ ولا يستعين في أحواله كلّها إلّا به . ويسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله ، وصَفْوَتِهِ من عباده ، الذي آرتضاه لنبوته ، وآبَتَعْتَهُ بوحيه واختصّه بكرامته ؛ فأرسله بالحق شاهدا ومبشّرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . والحمد لله الذي توجه

لأمير المؤمنين بصنعه ، فيسر له أمره ، وصَدَقَ له ظَنُّه ، وأنجح له طَلِبَتَه ، وأنفذ له حيلته ، وبلغ له مَحَبَّتَه ، وأدرك المسلمون بئارهم على يده ، وقتل عدوهم ، وأسكن روعتهم ، ورحم فاقتهم ، وآس وحشتهم ، فأصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ؛ بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء ، وتتابع البلاء ؛ من آمن الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ، وصنعاً له فيما وفقه لطلبه ، وكرامة زادها فيما أجرى على يده ؛ فالحمد لله كثيراً كما هو أهله ، ونزغب إلى الله في تمام نعمة ودوام صنعه ، وسعة ماعنده بمنه ولطفه ؛ ولا يعلم أمير المؤمنين - مع كثرة أعداء المسلمين وتكفهم إياه من أقطاره ، والضغائن التي في قلوبهم على أهله ، وما يترصدونه من العداوة ، ويتطوون عليه من المكيدة ، إذ كان هو الظاهر عليهم ، والآخذ منهم - عدواً كان أعظم بليّة ، ولا أجل خطباً ، ولا أشدّ كلباً ، ولا أبلغ مكيدة ، ولا أرمى بمكره ، من هؤلاء الكفرة الذين يغزوهم المسلمون ، فيستعلون عليهم ، ويضعون أيديهم حيث شاءوا منهم ، ولا يقبلون لهم صلحاً ، ولا يميلون معهم إلى موادعة ؛ وإن كان لهم على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال يكون من فترات ولادة الثغور أدنى دولة من دولات الظفر وخلسة من خلّس الحرب ، كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك منغصاً لما تعجلوا من سروره ، وما يتوقعون من الدوائر بعد ، مكدرًا لما وصل إليهم من فرجة .

فأما اللعين بابك وكفرته ، فإنهم كانوا يغزون أكثر مما يغزون ، وينالون أكثر مما ينال منهم ؛ ومنهم المنحرفون عن الموادعة ، المتوحشون عن المراسلة ؛ ومن أدبوا من نتائج الدول ، ولم يخافوا عاقبة تدريكهم ، ولا دائرة تدور عليهم . وكان مما وطأ ذلك ومكّنه لهم أنهم قوم آبتدوا أمرهم على حال تشاغل السلطان ، ونتائج من الفتن ، وأضطراب من الحبل ، فاستقبلوا أمرهم بعزة من أنفسهم ، وضعف

وَأَسْتَارَةٌ مِّنْ بَارَاهِمَ ، فَأَجْلَوْا مَن حَوْلَهُمْ لِنَخْلُصَ الْبِلَادُ لَهُمْ ؛ ثُمَّ أَنْحَرُبُوا الْبِلَادَ لِعِزِّ مُطْلَبُهُمْ ، وَتَشْتَدُّ الْمُؤْنَةُ وَتَعْظُمُ الْكُفَّةُ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ؛ فَلَمْ يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُودَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْجَلَ أَمْرُهُمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَاسْتَدَّتْ ضُرُورَاتُهُمْ وَاسْتَجْمَعَ لَهُمْ كَيْدُهُمْ ، وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ وَأَعْتَدَادُهُمْ ، وَتَمَكَّنَتْ الْهَيْبَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَا يَعِدُّهُمُ الْكَافِرُ وَيُمْنِيهِمْ أَخْذٌ بِالْيَدِ . وَكَانَ الَّذِي بَقِيَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى ، وَبِدُونِ هَذَا مَا يَخْتَدُّعُ الْأَرِيبَ وَيُسْتَزَلُّ الْعَاقِلُ وَيَعْتَقِلُ الْفَطِنُ ، فَكَيْفَ بِنِ لَفِكْرَةٍ لَهُ ، وَلَا رَوِيَّةَ عِنْدَهُ ؟

هَذَا مَعَ كُلِّ مَا يَقُومُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ حَسَدِ أَهْلِ النَّعَمِ ، وَمِنَافَسَتِهِمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَتَقَطُّعِهِمْ حَسَرَاتٍ فِي إِثْرِ مَا خُصُّوا بِهِ ، وَأَنَّهُمْ إِنْ لَا يَكُونُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَحَقَّ بِذَلِكَ ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ .

وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ تُفْضِيَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ مَاذَا عُنُقَهُ ، مُوجِّهًا هِمَّتَهُ إِلَى أَنْ يُؤَيِّلَهُ اللَّهُ أَمْرَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ وَيَمْلِكَهُ حَرْبَهُمْ ، وَيَجْعَلَهُ الْمُقَارِعَ لَهُمْ عَنْ دِينِهِ ، وَالْمُنَاجِزَ لَهُمْ عَنْ حَقِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْلُو فِي ذَلِكَ حِرْصًا وَطَلَبًا وَاحْتِيَالًا ؛ فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا بَنِي ذَلِكَ لَضَنَّهُ بِهِ ، وَصِيَانَتِهِ بِقَرْبِهِ ، مَعَ الْأَمْرِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُ وَآثَرَهُ بِهِ ؛ وَرَأَى أَنْ شَيْئًا لَا يَفِي بِقَوَامِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الْأَمْرِ .

فَلَمَّا أَفْضَى اللَّهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافَتِهِ وَأَطْلَقَ الْأَمْرَ فِي يَدِهِ ، لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَلَا أَخَذَ بِقَلْبِهِ مِنَ الْمَعَاجِلَةِ لِلْكَافِرِ وَكَفَرَتِهِ ، فَأَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَعَانَهُ اللَّهُ ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ وَتَيْسَّرِهِ ، فَأَعَدَّ مِنْ أَمْوَالِهِ أَخْطَرَهَا ، وَمِنْ قُودَادِ جَيْشِهِ أَعْلَاهُمْ بِالْحَرْبِ وَأَنْهَضَهُمُ بِالْمُعْضَلَاتِ ، وَمِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَبْنَاءِ دَعْوَتِهِ وَدَعْوَةِ آبَائِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ

عليهم - أحسنهم طاعة ، وأشدّهم نكاية ، وأكثرهم عُدة . ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصّة مواله وعدّد غلماناه ، وقبل ذلك ما أتكل عليه من صنّع الله جلّ وعزّ ، وجه إليه من رعيته . فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملاعين ؟ ألم يكذب الله ظنونهم ، ويشف صدور أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شاءوا في كل موطن ومعترك ، مادامت عند أنفسهم مقاومة .

فلما ذلّوا وقلّوا وكرّها الموت ، صاروا لا يترءون إلا في رُعوس الجبال ومضايق الطُرق وخلف الأودية ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تنالهم الخيل ، حصنا للطاولة وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك وهو خير الكائدين ، وأسند رجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيه عند أنفسهم ، فجعلوا اعتصامهم لحين لهم ، وصنّع لأوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، فجمعهم وحصرهم لكي لا تبقى منهم بقية ولا تُرجى لهم عاقبة ، ولا يكون الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأوليائه ، ولا التمس والتكس إلا لمن خذله .

فلما حصرهم الله وحبسهم عليهم ودانتهم مصارعهم ، سلّطهم الله عليهم كيده واحدة ، يختطفونهم بسيفهم ، وينتظمونهم برماحهم ، فلا يجدون ملجأ ولا مهرباً ، ثم أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وحرّمهم وصيروا الدار دارهم والحيلة محلّتهم ، والأموال قسماً بينهم ، والأهل إماءً وعبيداً . وفوق ذلك كلّ ما فعل بهؤلاء وأعطاهم من الرحمة والثواب ، وما أعدّ لأولئك من الخزي والعقاب ، وصار الكافر بابك لا فيمن قتل فسليم من ذلّ الغلبة ، ولا فيمن نجا فعاين في الحياة بعض العوض ، ولا فيمن أصيب ، فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ، لكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسدّ مذهبها ، وتركه ملدداً بين الذلّ والخوف ، والغصّة والحسرة ، حتى إذا ذاق

طعمَ ذلك كله وفهمه ، وعرف مَوقِعَ المصيبة ، وظَنَّ مع ذلك كله أنه على طريق من النجاة ، فأضرب الله وجهه ، وأعمى بصره ، وسدَّ سبيله ، وأخذ بسمعه وبصره ، وحازَه إلى مَنْ لا يَرِقُّ له ، ولا يَرِثِي لِمَصْرَعِهِ ؛ فَأَمْتَل ما أَمَرَ به الأَفْشِين (حيدر بن طاوس) مولى أمير المؤمنين فى أمره ؛ فَبَثَّ له الجبال ، ووضع عليه الأرصَاد ، ونَصَبَ له الأشرار حتى أَظْفَرَهُ اللهُ به أسيراً ذليلاً مُوثَقاً فى الحديد ، يراه فى تلك الحالة مَنْ كان يراه ربّاً ، ويرى الدائرة عليه مَنْ كان يظُنُّ أنها ستكون له . فالحمد لله الذى أعزَّ دينه ، وأظهر حُجَّتَه ، ونَصَرَ أوليائه وأهلك أعداءه ، حمداً يُقْضَى به الحق ، وتَمِّم به النعمة ، وتتصل به الزيادة . والحمد لله الذى فتح على أمير المؤمنين وحَقَّق ظَنَّهُ ، وأَنْجَح سَعْيَه ، وحازله أَجْرَ هذا الفتح ودُخْرَه وشَرْفَه ، وجعله خالصاً لتمامه وكِماله بأكل الصنع وأَحْسَنِ الكِفاية ، ولم يربوساً فيه ما يُقْذَى عينه ، ولا خلا من سُرور يراه ، وبشارةٍ تتجدد له عنه ، فما يدري أمير المؤمنين ما مَتَّع فيه من الأمل ، أو ما حَتَمَ له من الظفر ؛ فالحمد لله أولاً ! والحمد لله آخرًا ! والحمد لله على عطايه التى لا تُحصى ، ونِعَمه التى لا تُنسى ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة كتاب من هذا الضرب ، كتب به أبو سعيد العلاء بن مُوصَلَايا عن القائم بالله ، إلى عَضُد الدولة « ألب أرسلان » إلى مسعود بن محمود صاحب غَزَنَةَ من أوائل بلاد الهند ، بالِبِشارة بالنصر على البَسَاسيرى وهو .

أما بعد ، فالحمد لله مَنِيرِ الحق ومُبْدِيهِ ، ومُبِيرِ الباطل ومُرْدِيهِ ؛ الكافِل بِاعزاز حَرْبه ، وإذلال حَرْبه ، المؤيِّد فى نُصرة دينه خِصْبَ الدَّهر بعد إِمحاله وجَدِّه ، الناظِم شَمْلَ الشرع بعد شَتائِه وتَفَرُّقه ، الحاسِم داعِى الفساد بعد آسْتِيلائِه وتَطَرُّقه ، ذى المشيئة النافذة الماضيه ، والعزة الكاملة الوافرة والعظمة الظاهرة البادية ،

والبراهين الرائعة الرائقة، والدلائل الشاهدة بواحدانيته الناطقه؛ حمدا لا آتساء
لأَمَدِهِ، ولا إحصاء لعدده . والحمد لله الذى آختص محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته
وحبائه، وأولاده من كرامته ما حاز له به الفضل وحواه؛ وبعثه على حين فترة
من الرُّسل، وخلاء من واضح السُّبُل؛ بفاهد بمن أطاعه من غصاه، وبلغ في الإرشاد
أقصى غايته ومداه؛ ولم يزل مُبدياً أعلام الإعجاز، ومُحققاً الهوادي بالإنجاز؛
إلى أن دخل الناس في الدين أفواجا، وسلكوا في نصرتة جدداً واضحاً ومنهاجا؛
وغدت أنوار الشرع ضاحكة المباسم، وأثارُ الشرك واهية الدعائم؛ ومناهل الهدى
عذبة صافية . فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المنتخبين وخلفائه
الأئمة الراشدين، وسلم تسليماً . والحمد لله الذى أصار إلى أمير المؤمنين من تراث النبوة
ما أستوجبه وأستحقه، وأثار لدينه من مطالع الجلال ما تملك به الفخر وأسترقه؛
ومنحه من حُسن التمكن والإظفار، وإجراء الأفضية على مُرادِه والأقدار؛ مارداً
صرف الدهر عن حوزته مقلول الحد، ومدّ باع مجده إلى أقصى الغاية والحد؛
وحمل سرب إمامته من دواعي الخوف والحدّر، ووقى مشرب خلافته من عوادي
الرتق والكدر؛ وجعل معالم العدل في أيامه مشرقة الأوضاح والمجول، مفتحة النواجد
عن الكمال الضافي الأهداب والذبول؛ مؤذنةً باستقرار أمداد السعادة، واستمرار
الأحوال على أفضل الرِّسم والعادة؛ وهو يستديمه من لطيف الصُّنع وجميله،
ووافي الطول وجزيله؛ ما يزيد آراءه سداداً ورشاداً، وأرومة عزّه آتساعاً وامتداداً،
ومجاري الأمور لديه آتساقاً على المراد وأطراداً؛ وماتوفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه
يتوكل وإليه يُنيب ! .

ومعلوم ما أعمده شاهنشاه المعظم بعد مسيره إلى العراق، في الجيوش التي يضيق
بها القضاء، ويجرى على مرادها القضاء؛ قاصداً تلبية الدعوة، وخاضداً شوك كل

(١) مَنْ سَدَّ عَنِ الدِّينِ أَسْبَابَ الْمَضَرَّةِ وَالْمَعَرَّةِ ؛ وَمَعْتَمِدًا مَاحِي حَوَازَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ الشُّوَابِ الْمَعْتَرِضَةِ ، وَحَوَى أَقْسَامَ الْفَخَّارِ فِي آتِبَاعِ شُرُوطِ الْخِدْمَةِ الْمُنْتَزِمَةِ الْمَقْتَرَضَةِ ؛ مِنْ الْمُبَادَرَةِ لِلتَّكْمِ الْعَيْنِ الْبَسَاسِيرِيِّ وَلَفِيفِهِ الْمَخَازِيلِ ، مَدْرِعًا مِنَ الْاِعْتِضَادِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَقْوَى الْجُنُنِ وَأُسْبَغَ السَّرَابِيلِ ، لِيُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ دَنَسِ كُفْرِهِمْ ، وَيُوقِّرَ الْجَسَدَ فِي فَضْمِ حُدُودِهِمْ وَحَسْمِ كَيْدِهِمْ ؛ فَأُطْلَّ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ مُتَطَلِّبًا مِنْ أَلْجَاهِ حُدُودِهِ إِلَى الْإِمْعَانِ فِي الْهَرَبِ ، وَقَطَعَ كُلَّ أَخِيَّةٍ وَسَبَبٍ ؛ وَمَعْتَمِدًا الْإِثْمَامَ إِلَى مِصْرَ لَا تَتْرَاعُهَا وَبَقِيَّةِ الْأَعْمَالِ ، مِنْ أَيْدِي أَحْلَافِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ ، وَقَرَّبَ الْأَمْرَ فِيمَا حَاطَهُ مِنْ ذَلِكَ وَرَامَهُ ؛ اِعْتِمَادُهُ فِيهِ صُنُوفَ التَّجَدُّدِ وَأَقْسَامَهُ ؛ فَاعْتَرَضَهُ مِنْ عِصْيَانِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ آلِ وَعَقُوقِهِ ، وَخُرُوجِهِ عَنْ زُمْرَةِ أَبْنَاءِ الطَّاعَةِ وَمُرُوقِهِ ؛ بِإِفْسَادِ اللَّيْنِ لِيَأْهُ ، وَإِحَالَتهِ بِمَكْرِهِ عَنْ مَنَاجِحِ هُدَاهُ ، مَا أَحْوَجَهُ إِلَى تَرْكِ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ وَالْحَقَ بِأَثَرِهِ حَذَارًا مِنْ اِسْتَفْجَالِ خَطْبِهِ ، وَبِدَارًا إِلَى قَلِّ حَدِّهِ وَغَرْبِهِ ؛ فَعَادَ ذَلِكَ بِتَجَمُّعِ الْأَعْدَاءِ وَاحْتِشَادِهِمْ ، وَسُلُوكِهِمْ الْحِجَّةَ الَّتِي خُصُّوا فِيهَا بِعَدَمِ تَوْفِيقِهِمْ وَرَشَادِهِمْ ، وَإِقْدَامِهِمْ عَلَى فَضْلِ الْإِمَامَةِ الْمَكْرُمَةِ بِالْمَحَارِبِ ، وَأَطْرَاحِهِمْ فِي مَنَابَذَتِهَا حُكْمَ الْاِحْتِشَامِ وَالْمَرَاقِبَةِ ؛ وَوُقُوعِ التَّظَاوُرِ عَلَى الْمَجَاهِرَةِ بِخِلَافِهَا ، وَالتَّظَاهُرِ بِشِعَارِ أَشْيَاعِ الْغَوَايَةِ وَأَحْلَافِهَا ؛ جَرَاءً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِزَالًا لِعِقَابِهِ ، وَأَطْرَاحًا لِمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْجَنَائِدُ الْعُظْمَى مِنْ تَوَقُّعِ الْعَذَابِ وَارْتِقَائِهِ ؛ وَادْرَاعًا لِلْمَلَابِسِ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَآتِبَاعًا لِدَاعِي الضَّلَالَةِ الْمُغْوِيَةِ فِي الْبَدءِ وَالْخَاتِمَةِ ؛ فَاقْتَضَى حُكْمُ الْاِسْتِظْهَارِ الْاِتِّتْقَالَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ - بِمَدِينَةِ السَّلَامِ - إِلَى (حَدِيثُهُ عَنْهُ) لِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ اِمْتِنَاعِ الْجَانِبِ وَشِدَّةِ الْحَصَانَةِ ؛ إِلَى أَنْ اُسْفَرَ خَطْبُ شَاهِنْشَاهِ رُكْنِ الدِّينِ - اِمْتَعَ اللَّهُ بِهِ - عَنْ إِدْرَاكِ الْمَطَالِبِ ، وَتَيَسَّرَ الْمَصَاعِبُ ؛ فَعَادَ بِنُصْرَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْإِمَامِيَّةِ الْقَائِمَةِ مُسْتَنْفِدًا فِي ذَلِكَ أَقْسَامَ الْوُسْعِ

(١) لعله وخاضداً شوك كل من صد عن الدين وأولاه أسباب الخ .

والاجتهاد ، ومستنجدا بمَعُونَةِ الله تعالى على إِبَادَةِ الكُفْرِ بِصُنُوفِ القِرَاعِ والجِهَادِ ؛
ولم يزل ساعيا في إزالة العار ، وآنتراع المغتصب وآنترجاع المستعار ؛ إلى أن صدَّق
الله تعالى الأملَ وحَقَّقَهُ ، وأصفى مَنَهلَ العز من كل ما شابَهُ ورَتَّقَهُ ؛ وأطلع شمس
الحقِّ بعد غروبها ، ومنَّ بَحْضَ شوكَةِ الباطلِ وفَلَّ غروبها .

وعاد أمير المؤمنين إلى دار مُلكِهِ ومَقَرَّ مَجْدِهِ في يوم كذا ضافيةً على راياته
جَلَابِيبُ النُّصْرِ وَالظَّفَرِ ، جاريةً على إرادته تصاريْفُ القضاء والقَدَرِ ، يُمْنُ نَفِيَةِ
شاهنشاه الذي أدَّى في الطاعة الفَرَضَ الواجب ، وتمسَّك من المُشَايَعَةِ بأفضل ما تُضَمُّ
عليه الرُّوَابِجُ ؛ وَغَدَاَ لِلدَّوْلَةِ عَضُدًا مُوَفِّيًا على الأمثال ، في دَفْعِهِ عن الإسلام وذَبِّهِ ،
ومتَمِّمًا لِلجَلَالِ ، بِمُحْسِنٍ لإخلاصه في حَالَتِي بُعْدِهِ وَقُرْبِهِ ؛ وما زالت ثِقَّةُ أمير المؤمنين
مستَحِكَّةً بالله تعالى عند ما أَلَمَّ به من تلك الحال ، ودَهَمَ من الخَطْبِ المحتفِّ به
سَطْوَةُ الاِشْتِدَادِ والاسْتِفْحَالِ ؛ في إيجرائه على ما أَلَفَهُ من النُّصْرِ والإِعْزَازِ ، وإظهار
آلائِهِ في تأييده والإِعْجَازِ ؛ إذ لم يَكُنْ مَاعِرَاهُ آسْتَعَادَةُ للحَقِّ المُسَلِّمِ اليه ، والمَوْهَبَةِ التي
ضَفَّتْ جَلَابِيبُهَا عليه ؛ بل جعل الله ذاك إلى آمتحان صَبْرِهِ سَبِيلًا ، وعلى وَفُورِ أَجْرِهِ
دَلِيلًا ، وبِإِبَادَةِ كل ناعقٍ في الفتنَةِ كَفِيلًا ؛ لِتَرْدَادِ أنوارِ علاهِ نَضَارَةٍ وَحُسْنًا ، وأعلامُ
جَلَالِهِ سَعَادَةٍ وَيُمْنًا ، ورباعُ عِزِّهِ سُكُونًا وَأَمْنًا ؛ لُطْفًا مِنْهُ جَلَّتْ آلاؤُهُ في ذلك وَمَنَّا .
وتلا هذه النعمة التي جَدَّدَتْ عُهُودَ الشَّرْعِ وأَفِيَةَ النُّضَارَةِ ، وَأَزَالَتْ عَنِ الدِّينِ
مَفَاسِدَهُ العَارِضَةَ وَمَضَارَهُ ، ما سَهَّلَهُ اللهُ وَهَنًا ، وَأَجْزَلَ بِهِ صَنِيعَهُ الْجَزِيلَ وَأَسْنَاهُ ؛
من ظَفَرَ السَّرَايَا التي تَوَرَّدَها لِاصْطِلَامِ اللُّعْنَاءِ وَاجْتِيَا حِهِم ، وحسم فسادهم وهدم
عراصمهم ؛ وإِحْمالَ ما أَضْرَمُوهُ من نارِ الشَّرْكِ وشَبُوه ، وإِبْطَالَ ما أَحْدَثُوهُ من رِسمِ
الجَوْرِ وَسَنُوهِ ؛ وَأَفْضَى الحَالُ إلى النُّصْرِ على الأعداء من كل جانب ، وقَهْرُ كُلِّ مُتَحَرِّفٍ
عن الرِّشَادِ وَمُجَانِبٍ ، وحُلُولِ التَّايِيدِ على الرِّايَاتِ المَنْصُورَةِ العَبَاسِيَّةِ التي لم تزل مَكْنُوفَةً

على صَرف الدهر أشياءُها وأنصارُها ؛ وإجلاءِ الحرب عن قتل اللعين البَساسيري
وأخذِ راسه ، وتكذيبِ ظَنِّه في احترازه من طوارق الغيرِ واحتراسه ، وإراحة الأرض
وأهلها من دَنَسه وعدوانه ؛ وكون من ضامِّه من طبقات العرب والأكراد والأتراك
البغداديين والعوامِّ بين قتيلٍ مُزملٍ بدمه ^(١) ، وأسيرٍ تلقى المنونَ بغُصة أسفه ونَدَمه ،
وصريعٍ في بَقِيَّة من ذمَّائه ^(٢) ، وهارِبٍ والطلبُ واقعٌ من ورائه . فأنجز الله وعده في هذا
المارق ، والعبدِ الآبق ؛ الذي غزاه إمهالُ الله تعالى إياه فنسي عواقب الإهمال
في العَوايه ، والإمهالِ في الطُغيان إلى أقصى الحدِّ والغايه ؛ وحلَّ رأسه إلى الباب
العزير فتقدَّم بالتَّطواف به في جانبي مدينة السلام وشهره ، إبانهً عن حاله وإيضاحاً
لحليَّة أسره ؛ وكفَى ما يوجبُه إقدامُه على العظائم التي عَلمَ الله تعالى سوءَ مصيرها
ومآلها ، وحرم الرشد في التمسُّك والتشبُّث بأذيالها ؛ وتلك عاقبة من بغى وأعتدى ،
وأترَّر بالعدو وأرتدى ، وأمعن في الضَّلَّة وأعتدى . والحدُّ واقع من بعد في المسير
للاحتواء على بلاد المخالفين الدانِيَّة والقاصِيه ، والأخذ مع مشيئة الله تعالى بنواصي
كل فئةٍ طاغيةٍ عاصيه .

فالحمد لله على هذه المنحة التي بشرت الإسلام بجبركسره ، وأنقذت الهدى من
ضيق الكُفر وأسره ؛ وأبدت نجومَ العدل بعد أن أفلت وغارت ، وأردت شيعةَ
الباطل بعد أن آعدت على الحقِّ وأغارت ؛ وهو المسؤول صلتها بأمداد لها تقضي
إذ ذاك سائر الأغراض وبلوغها ، وتقضي بكال رائق الآلاء وسُبُوغها .

(١) أى بالراء المهملة بمعنى ملطخ قال الشاعر :

ان بغى رسلوني بالدم * شنشنة أعرفها من أكرم

(٢) الذماء بالذال المعجمة والمذ بقية النفس .

أَقْنِضِي مَكَانَكَ - أَمْتَعِ اللَّهَ بِكَ - مَنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي وَطَّأَ لَكَ مَعَاقِدَ الْعِزِّ وَهَضَابَهُ ، وَكَمَّلَ لَدَيْكَ دَوَاعِيَ الْفَخْرِ وَأَسْبَابَهُ ، وَتَحَلَّكَ مِنْ إِيْجَابِهِ الَّذِي وَصَلَتْ بِهِ إِلَى ذِرْوَةِ الْعِلَاءِ ، وَصَلَتْ عَلَى الْأَمْثَالِ وَالنُّظَرَاءِ ، إِشْعَارَكَ بِمَا جَدَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي غَدَتِ السُّعُودُ بِهَا جَمَّةَ الْمَنَاهِلِ ، سَامِيَةَ الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَازِلِ ؛ لِتَأْخُذَ مِنْ حِفْظِهِ بِهَا ، وَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ فِيهَا بِالْقِسْمِ الْأَوْفَى ؛ كِفَاءً مَا يُوجِبُهُ وَلَاؤُكَ الَّذِي أَمْتَطَيْتَ بِهِ كَاهِلَ الْمَجْدِ ، وَأَصْطَفَيْتَ بِهِ كَامِلَ السَّعْدِ ، وَكَوْنَكَ لِدَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شِهَابَهَا الْمُشْرِقَ فِي الْحَنَادَسِ ، وَصَفِيَّهَا الرَّافِلَ مِنْ إِخْلَاصِ مُشَايَعَتِهَا فِي أَنْفَرِ الْحُلَلِ وَالْمَلَابِسِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِكُ ، مَنْ كُلِّ مَا تَسْتَدِرُّ بِهِ أَخْلَافَ^(١) مَعَالِيكَ ؛ وَلَا يَعْدُمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدَ السَّيِّرَ ، الرَّشِيدَ الْعَقِيدَةَ وَالسَّرِيرَةَ ، الشَّدِيدَ الشَّاكِلَةَ وَالْوَتِيرَةَ .

هَذِهِ مُنَاجَاةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ ، أَجْرَاكَ فِيهَا عَلَى مَا عَوَّدَكَ مِنَ التَّجَمُّلِ وَالْإِكْرَامِ ، وَحَبَاكَ فِيهَا بِمَا هُوَ مَبْشَّرُكَ بِالسَّعَادَةِ الْوَاقِيَةِ الْأَصْنَافِ وَالْأَقْسَامِ ؛ فَتَلَقَّهَا بِالْحَذَلِ وَالْإِسْتِبْشَارِ ، وَوَاصِلْ شُكْرَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ حَسَنِ تَجَارِي الْأَقْصِيَةِ وَالْأَفْقَادِ ؛ وَطَالِعْ حَضْرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْبَاءِكَ ، وَتَابِعْ إِنْهَاءَ مَا يُتَشَوَّفُ نَحْوَهُ مِنْ تَلْقَائِكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(أَنْ يَتَخَذَ التَّحْمِيدَ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ ، وَهُوَ أَقْلُ وَقَوْعَا مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي قَبْلَهُ)
وهذه نسخة كتاب من ذلك ، كتب به أبو إسحاق الصابى عن « المطيع لله » إلى بعض ولاة الأطراف ، عند طاعة عبد الملك بن نوح أحد ملوك بنى ساسان ، وهى :

(١) فى الأصول أعلام وهو تصحيف .

أما بعد ، فالحمد لله الوليّ بالاستحجاد ، المستحقّ لِكُنْه الإعتباد ، القدير على تأليف الأجساد ، البصير بسُبل خفايا الأحقاد ، ذى الحكمة فى تبديل الضغن والسّخيمة ذمه ، والمناذرة عِصمه ؛ والقطيعه وُصله ، والشّحناء خُله ؛ والحرّج فرجه ، والشّعث نضارة وبهجه . الذى جعل الصّلح فتحاً هنيئاً ، والسّلم منجاً بهيئاً ؛ والمودعة منّا جزيلاً ، والإرعاء أمنّاً جميلاً ، والإقالة حرماً لا يضلّ هداة ، ولا تُحلّ قواه ؛ ولا تخيب عواقبه ، ولا تخفى مآثره ومناقبه ؛ رافّة منه بالخلق ، وصيانة لأهل الحقّ ؛ وإمهالاً فى العهد ، ورُخصة فى الاختصار دون الحدّ ؛ يُقرب فيئة المتأمل ، ويسهل رجعة المتحصل ؛ وتُسرع رفاهة المستبصر ، ويخفّ اجتهد المزاويل المشمر ؛ وقد قال الله عزّ وجلّ ((والصّلح خير)) وهو المسؤل عمارة الإسلام بالسلامه ، والأناام بالاستقامة ؛ والسلطان بالطاعة ، والملك^(١) يَخُوع الجماعه ؛ حتى لا تزال الفتنة مهِيضة الجناح ، مريشة الاجتياح ؛ قليلة الشّباة ، قليلة الأدوات ؛ فتكون النفوس واحده ، والأيدى مترا فده ؛ والمودات صافيه ، والمآرب متكافيه متضاهيه ، فى الشكر الذى يُدَادُ به عن النفوس ، ويمحى به حريمُ الدّين ؛ ويرجى معه التأييد ، ويبتغى بوسيلته المَزِيد ، فقد قال الله - وقوله الحق - : ((لئن شكرتم لأزيدنكم)) والله سميع مجيب . وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل !

وقد علمت ما قرط من نوح بن نصر فى السّهو ، ونقم منه فى الهفو ؛ الذى ألهاه عن التقوى ، وأنساه شيمة الرّقى ، فعدل عن سنن القصد ، وزاغ عنه على عمد ؛ وحال عن آداب آبائه رحمهم الله وهم القدوة ، وسجايهم وبهم الأسوة ، وما كان ينتمى به من الولاء ، ويعتري إليه من الوفاء ؛ وصار أدنى معنى بمن يحسده على كرم الأصل ، وينافسه فى شرف المحل ؛ ويدخل على عقله مدخل النصيحة ، ويطلع

(١) أى اتقيادها يقال بفتح لى بالحق بخوعاً انقاد وبذله .

بظاها على آرائه الصريحة ؛ وكل ذلك إلحاد في أمير المؤمنين وعهده ، ومروق
عن أزمته ، وعقوق بالبرية يسقى به الباقي ، ولن يسقى به النازح الماضي . فإن
أمير المؤمنين مازال وإعياً لأوامر سلفه ، عارفاً بما أثر خلفه ؛ متجافياً لأولئك عما
أبتدعه ، متنوّباً لهذا التجاوز عما صنعه ؛ فقد كان نُمى إلى أمير المؤمنين أن عبد الملك
أبن نوح مولى أمير المؤمنين سليم السريه ، سديد البصيره ؛ يرجع إلى رأيه وتدييره ،
ولم يحدّ وشمكير بن زنار ، عاجله بالبوار ؛ مساعاً إلى ختله ، ولا احتيالا في ليّه وقتله ؛
وكان لعبد الملك ركن الدولة بن مالك مولى أمير المؤمنين ظهير صدق ، إن وسن
أيقظه ، وإن مادأيدّه ؛ خلّة فضل فطره الله عليها ، وغريزة تميز أحسن الله إليه فيها ؛
فإنه لو قال أمير المؤمنين : إنه لا مثل له أستحقّ هذا الوصف . ولأمن أمير المؤمنين
فيه الخلف . ترك لباس أبيه فزرعه ، وأعتاض منه وخلعه ؛ وتصلّ مما كان منه
متبركاً ، فعاد عليه محتنكاً ؛ وأتى الأمر من طريقه ، ولجأ فيه إلى فريقه ؛ ركن الدولة
أبى على مولى أمير المؤمنين ، أحسن الله ولايته ، ومُعز الدولة أبى الحسين تولى الله
معاونته ، وأستصلحهما ، وكفى ، وأستخلصهما ، وغنى ؛ وراسل في الإنابة وإن لم
يكن حائداً ، والاستقالة وإن لم يكن جانبا ؛ فما ترك ركن الدولة ومُعز الدولة -
كلّهما الله - إكبار قدره ، وإجلال أمره ؛ والقيام بخلاصه ، والنطق عن أمير المؤمنين
بلسان مشاركته ؛ وإذكار أمير المؤمنين بما لم ينسّه من تلك الوثائق ، التي صدر بها
كتابه ، والعلائق ، التي وشّح بها خطابه ؛ إلى أن أجلّ أبا محمد نوحاً وترحم عليه ، وقيل
عبد الملك وأحسن إليه ؛ وواصل رُسله ، وأستمع رسائله ؛ وقدّهُ خراسان ونواحيها ،
وسائر الأعمال الجارية فيها ، وعهد إليه في ذلك عهداً وميزه باللواء ، والخلع والحِباء ؛
بعد أن كّاه بلسانه ، ووفّاه حدود إحسانه ؛ وألحقه في ذلك بابائه ، ولم يقصّر فيه
بشأوه . وكتب أمير المؤمنين هذا وقد أطردت الحال وأستوثقت ، وأمتزجت الأهواء

وَأَتَّفَقْتُ ؛ وَخَلَا الْمَشْرِقُ مِنَ الْأَضْطِرَابِ الَّذِي طَالَ أَمْدُهُ ، وَلَمْ يَكْدُ يُرَى أَثَرُهُ ؛ وَصَارَتْ الْعَسَاكِرُ الدَّانِيَةُ وَالنَّائِيَةُ قَوْضَى لَا تَمْتَّازُ ، وَلَا تَتَفَرَّدُ وَتَحَازُ ، وَذَلِكَ صَنَعَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمْعِ الشَّتَاتِ ، وَتَلَا فِي الْهَنَاتِ ، وَأَمَّ خَلَلَ التَّخَاذُلِ ، وَمُدَاوَاةِ نَفْلِ الدَّخَائِلِ ؛ لِتَتِمَّ الْكَلِمَةُ فِي وِلَايَتِهِ ، وَتَعُمَّ النِّعَمُ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَا يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ سَبِيلٌ عَلَى شِيعَتِهِ ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَى مَكِيدَةِ أُنْبَاءِ دَعْوَتِهِ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الَّذِي تَطَوَّعَ بِهِ الْمِقْدَارُ ، وَالْخَبِيرِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛ مِنَ الْفَتْحِ الَّذِي لَمْ يُنْغِضْهُ تَعَبٌ ، وَلَمْ يَكْذُرْهُ عَنَاءٌ وَلَا نَصَبٌ ؛ فَإِنَّهُ تَأْتَى سَهْلًا ، وَأَتَى رِسْلًا ؛ وَأَبْتَدَأَ عَفْوًا ، وَأَنْتَهَى خَالصًا صَفْوًا ؛ فَقَدْ قَمَعَ اللَّهُ بِهِ الْعِنْدَةَ ، وَجَمَعَ بَتَيْهَةَ الْعَبْدَةِ ؛ وَأَذَنَ عُقْبَاهُ بِالسَّعَادَةِ ، وَبَشَّرَ فِي سِيَمَاهُ بِاتِّصَالِ الْمَادَةِ ؛ وَأَنْزَلَ أَبَا الْفَوَارِسِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ نُوحٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنَزَلَةً مِنْ رَأَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلًا لِلْوَدِيعَةِ ، وَآمَنَهُ عَلَى الصَّنِيعَةِ ؛ وَرَتَّبَهُ مَرْتَبَةَ الْمُسَبِّحَةِ ، وَاسْتَحْفَظَ اللَّهُ حَسَنَ الْمَوْهِبَةِ بِهِ ، وَمَا قَدْ تَجَدَّدَ بَيْنَ أَبِي الْفَوَارِسِ وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْإِتِّحَادِ ، الْمَتَوَلَّدِ عَنِ الْإِغْتِبَاطِ وَالْإِعْتِدَادِ ؛ فَقَلَّ مِنْ شَاقِّهِمَا فَلَمْ يَنْدَمْ ، وَتَمَزَّدَ عَلَيْهِمَا فَلَمْ يُكَلِّمْ ؛ وَتَمَسَّكَ بِهِمَا فَلَمْ يَسْعَدْ ، وَارْتَبَعَ أَكْفَاهُمَا فَلَمْ يُوْعِدْ ؛ وَأَجَبَ عَنْ هَذَا الْكُتَّابِ بِوَصُولِهِ إِلَيْكَ ، وَمَوْقِعِ مَتَضَمِّنِهِ لَدَيْكَ ؛ وَمَا يُجِدُّهُ لَكَ مِنَ الْجَدَلِ ، وَأَنْفَسَاحِ الْأَمَلِ ؛ مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(أَنْ لَا يَعْقُبَ الْبَعْدِيَّةَ تَحْمِيدٌ ، بَلْ يَقَعُ الشُّرُوعُ عَقْبَهَا فِي الْمَقْصُودِ)

وهذه نسخة كتاب من ذلك ، كَتَبَ بِهِ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّبَّاحِيُّ عَنِ الطَّائِعِ اللَّهِ إِلَى مِنْ بَصْحَارٍ وَسَوَادِيهَا ، وَجِبَالِ عُثْمَانَ وَأَعْمَالِهَا ، وَحَاضِرَتِهَا وَبَادِيَتِهَا ، بِالْأَمْرِ بِالْإِجْتِمَاعِ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَهِيَ :

أما بعد، فإن أمير المؤمنين للذي حمّله الله من أعباء الإمامة، وأهله له من شرف الخلافة؛ وأستودعه من الأمانة في حياة المسلمين، والاجتهاد لهم في مصالح الدنيا والدين؛ يرى أن يُراعى مَنْ بعدَ منهم ونأى، كما يُراعى من قُرب ودنا؛ وأن يلاحظ جماعتهم بالعين الكالية، ويطلبهم بالعين الوافية؛ ويتصفح ظواهر أمورهم، وبواطن دواخلهم؛ فيحمد مَنْ سلك نهج السلامة، ويرشد من عدل عن الاستقامة؛ وينظم شمل الجماعة على الألفة التي أمر الله بها وحض عليها، ويزيلهم عن الفرقة التي ذمها ونهى عنها؛ إذ يقول جلّ من قائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فلا يزال أمير المؤمنين يعزفهم ما أقرض الله عليهم من طاعة الأئمة وأولى الأمر الذين لاعصمة لخالفهم، ولا ذمة لمعاندٍهم؛ ولا عذر لمسلم ولا معاهد نأى بجانبه عنهم، وضلّ بوجهه عن سبيلهم؛ إذ كان الإمام حجة الله على خلقه، وخليفته في أرضه؛ وكانت الطاعة واجبة له ولن قلده أئمة أموره، وأستتابه في حمل الأعباء عنه؛ فمن آتس منه الهداية أحمد، ومن أنكر منه الغواية أرشده بالوعظ ما أكتفى به، أو بالبسط إن أحوج إليه. وإن أمير المؤمنين يسأل الله أن يوقّقه للرأى السديد، ويمدّه بالصنع والتأييد؛ ويتولاه بالمعونة على كلّ مالمّ الشعث، وسدّ الخلل، وقوم الأود وعدل الميل؛ وأحسن العائدة على المسلمين جميعا في شرق الأرض وغربها، وسهلها وحزنها؛ إنه بذلك جدير، وعليه قدير؛ وماتوفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّل وإليه يُتّيب.

وقد علمتم أن أمير المؤمنين أحسن إلى الرعية بما كان فوضه إلى عضد الدولة وتاج الملة - رحمه الله عليه - من سياستهم باديا، ثم أحسن باستخلاف عديله وسليله صمصام الدولة وشمس الملة ثانياً؛ إذ كان خيرة أمير المؤمنين وصفوته، وحسامه ومجته؛ والمورد المصدّر عنه بالعهدين المستمرين: من أمير المؤمنين بالنص عليه، ومن

الوالد رحمه الله بالوصية إليه . وإن هذه العقود المؤكدة ، والعهود المشددة ؛ موجبة على الكافة طاعة من حصلت له ، أو استقرت بوثائقها في يده ؛ إذ لا يصح من حاكم حكم ، ولا من عاقد عقد ، ولا من وإل إقامة حد ، ولا من مسلم تأديته فرض حتى يكون ذلك مبنياً على هذا الأصل ، ومداراً على هذا القطب ، وإن كان خارج عنهما وراض بخلافهما ، خرج من دينه ، أثم بربه ، برئ من عصمته ؛ وأنتم من بين الرعية فقد خصصتم سالفاً بحسن النظر لكم ، وعرفت الطاعة الحسنة منكم ؛ فتقابلت النعمة والشكر ، تقابلاً طاب به الذكر ، وانتظم به الأمر ؛ ثم حدثت الهفوة المعترضة قبيل ، فكان أمير المؤمنين موجباً للعاقبة الموجبة على الجاهل الموضع في الفتنه ، والمُعَاتَبَةُ المِصْصَةُ على الحكيم منكم القاعد عن النصرة ؛ إلى أن وردت كتب أسنادهم من بن الحسن ، حاجب صمصام الدولة ، باستمراركم على كلمة سواء ، في نصرة الأولياء ، والحماية دونهم ؛ ومُدَافَعَةِ الأعداء والمُرَامَاة لهم ؛ فوقع ذلك من أمير المؤمنين أحسن مواقعته ، ونزل لديه ألطف منازله ؛ وأوجب لكم به رضاه المقترب رضا الله سبحانه ، الموجب للقربة والزلْفَى عنده ؛ وأمير المؤمنين يأمركم بالدوام على ما أتم ، والثبات على ما استأنفتم ؛ والمبادرة إلى كل ما يأمركم به فلان الوالى عليكم من صمصام الدولة بالاستخلاف والتفويض ، ومن أمير المؤمنين ، بالإمضاء لما أمضاه ، والرضا بما يرضاه ، فاعلموا ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وأنتهوا فيه إلى حده ورسمه ؛ وكونوا لفلان الوالى خير رعية ، يكن لكم خير راع ؛ فقد أمر فيكم بحسن السيرة ، وإحسان المعاملة ، وتخفيف الوطأة ، ورفع المؤنة ؛ وجعل إليه عقاب المسيء ، وثواب المحسن ، ومسالمة المسالم ، ومحاربة المحارب ، وأمان المستأمن ، وإقالة المستقيل ، وحمل الجماعة على سواء السبيل ، إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في الكتب الخاصة مما يصدر عن الخلفاء ، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزرائهم)

قال في "صناعة الكتاب" : وَيُكَاتِبُ الإمامُ الوزيرَ أو مَنْ حَلَّ محله «أمتعني الله بك وبدوام النعمة عندى بك ، وبقاء الموهبة لى فيك» وما جرى هذا المجرى .

وذكر في "ذخيرة الكتاب" : أن الدعاء للوزير «أمتعنا الله بك وبدوام النعمة لنا فيك وتجديد الموهبة عندنا بك» . ثم قال : ودعا "المكفى بالله" للقاسم بن عبد الله لما أمر بتكنيته ، وكان الكتاب بخطه «أمتعني الله بك وبالنعمة فيك» ووقع المستنصر إلى وزيره أحمد بن الحَصِيب «مد الله في عمرك» . وهو قريب مما ذكره في "صناعة الكتاب" في ذلك كله . والذي رأيت في مكاتبات العلاء ابن موصلاً عن «القائم بأمر الله» التصدير بما فيه تعظيم الوزير وتقريره ، من غير ضابط في الابتداء ، والدعاء في أثناء ذلك بالحياطة ثم التوصل إلى المقصد .

وهذه نسخة كتاب كتب به العلاء بن موصلاً عن القائم إلى وزيره :

لَمَّا خَصَّ الله تعالى الدولةَ القاهرةَ العباسيةَ بامتداد الرُّواق ، في الغزواتِ اتساع النطاق ، وأجرى لها الأقدارَ بما يجمع شملَ الحق ويمنع من نفاق النفاق ، وأفرد أيامها بالبهاء المُنير الأعلام ، والانتفاء في قوة الأمر إلى ما يتأدَّى في طاعتها بين اليقظات والأحلام ، وجعل الزمان واقفاً عند حدها في النقص والإبرام ، ومتصرفاً على حكمها في كل ما حاول من حالٍ ورام ، وممكن لها في الأرض حتى أذلت نواصي الأعداء قهراً

وَقَسْرًا، وَحَسَرْتُ عَنْ قِنَاعِ الْقُدْرَةِ عَلَى رَدِّ الطَّامِعِينَ فِي إِدْرَاكِ مَدَاهَا ظُلْمًا حَسْرَى؛
 فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُجْلِهَا كُلَّ وَقْتٍ مِنْ قَائِلٍ فِي نُصْرَتِهَا فَاعِلٌ، وَقَائِمٌ بِإِقَامَةِ حِشْمَتِهَا مِنْ
 كُلِّ حَافٍ مِنَ الْأَنَامِ وَنَاعِلٍ؛ وَرَاغِبٍ فِي الذَّبِّ عَنْ حَوَظَتِهَا سِرًّا وَجَهْرًا، وَخَاطِبٍ
 مِنْ خِدْمَتِهَا مَا يُرْجَى أَنْ يَكُونَ رِضَا اللَّهِ فِي الْمُقَابَلَةِ عَنْهُ أَغْلَى مَهْرًا؛ وَنَاجٍ جَدَدَ الرُّشْدِ
 فِي الْمُنَاضِلَةِ عَنْهَا بِسَيْفِهِ وَقَلَمِهِ، وَفَارِجٍ لِلْكَرْبِ الْحَادِثَةِ فِيهَا بِطُغْيَانٍ فِيهِ وَسَعَى قَدَمِهِ .
 وَقَدْ مَنَحَ اللَّهُ أَيَّامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - مِنْ كَوْنِكَ الْوَلِيَّ بِمَوَاصِلَةِ الْمَقَامَاتِ الْغُرِّ فِيهَا،
 وَالْخَلِيِّ مِنْ كُلِّ مَا يُبَيِّنُ صِحَّةَ الْمَوَالَاةِ وَيُنَافِيهَا؛ وَالضَّمِيمِينَ لِمَا عَادَ عَلَيْهَا بِاسْتِقَامَةِ
 النِّظَامِ، وَالضَّيِّينَ بِمَا يُوجِدُ لِلْغَيْرِ الطَّرِيقَ إِلَى وَصُولِ الْحَنْفِ إِلَيْهَا وَالْأَهْتِضَامِ؛
 وَالْمُتَجَرِّدَ فِي إِمْدَادِ عِزِّهَا بِالْإِحْصَافِ وَالْإِمْرَارِ، وَالْمُتَفَرِّدَ بِإِعْدَادِ أَقْسَامِ الْمُنَاضِلَةِ
 دُونَهَا فِي الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ، وَالْبَاذِلَ وَسَعَهُ فِيمَا نَحْنُ إِلَيْهَا أَعْنَتَ السَّعْدِ وَلَوَاهَا، وَالْخَالِذَ
 كُلَّ مُسْتَنْجِدٍ بِهَا فِيمَا يَخَالِفُ مَحَبَّتَهَا وَهَوَاهَا؛ مَا أَوْفَى عَلَى الْمَأْلُوفِ فِي أَمْثَالِهَا مِنْ قَبْلِ،
 وَصَارَ لَكَ بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ سَلَفَكَ مِنَ الْأَعْضَاءِ التَّقَدُّمُ وَالْفَضْلُ؛ فَهِيَ - بِأَثَارِكَ الْحَمِيدَةِ
 فِيهَا، وَإِبْكَارِكَ الْحَدِّ فِي تَشْيِيدِ مَبَانِيهَا؛ وَكَوْنِكَ كَافِيًا أَمْرَ الْمَحَامَاةِ مِنْ وَرَائِهَا، كَافًا عَنْهَا
 مَا يُنْجِشِي مِنْ حُدُوثِ أَسْبَابِ الْفَسَادِ وَأَعْتِرَائِهَا - مَنِيْعَةُ الْجَنَابِ مَرِيْعَةُ الْجَنَابِ،
 سَرِيْعَةُ فِيهَا السُّعُودِ إِلَى مَا يَلْبِي نِدَاءَهَا بِأَحْسَنِ التَّلِيَةِ وَالْجَوَابِ .

ثُمَّ إِنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ زُلْفُكَ إِلَى حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَدِيَةِ الْمُجُولِ وَالْغُرِّ، غَيْرَ مُحْتَاجَةٍ
 إِلَى إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهَا بِمَا أَتَّضَحَّ مِنْ أَمْرِهَا وَأَشْتَهَرَ، فَإِنْ فَلَانَا يُعِيدُ جِلَافَهَا دَائِمًا
 فِي أَهْبَى الْمَلَابِسِ وَأَنْضَرِهَا، وَيُجَيِّدُ الْحَدَّ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى تَقَابُلِ تَحْبُّرِهَا فِي الْجَمَالِ
 وَمَنْظَرِهَا؛ وَيَكْشِفُ مِنْ صَفَاءِ السَّرَائِرِ فِيهَا وَالْبَوَاطِنِ، وَمَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مِنْهَا فِي كُلِّ
 الْحَالِ وَالْمَوَاطِنِ؛ مَا يُسْرِبُ فِي وَصْفِهِ وَيُعْجِبُ سَمَاعَ ذِكْرِهِ وَيُطْرِبُ .

وفي هذه التوبة عاد، وقد زاد، على المعهود من شكره وجأزه، وأبان عن صلته بالوعد في ضمان النجح منك نجاهه؛ وأوجب على نفسه أن لا يقف عند حد فيما يؤدي إلى نشر محامدك في الأرض، وطلّى الجوانح لك على الإخلاص الصادق المحض .

ولما مثل بحضرة أمير المؤمنين على رسمه الذي وسّم بالجمال جبينه، وأبتسم فغرّ التوفيق فيه عمّا أصبح النجح أليف سعيه وقريته؛ وبحسب فوزه من شرف الخطوة برتبة لم ينلها أحد الاقران له في الزمان، وقوته شأو أبناء جنسه يوم المضمار والرهان؛ كفاء ما يستوجه بغلاء قيمته في الكمال، والغناء به في كل مقام أمين حد مضائه فيه الكلال؛ أشار بذكر مقاصدك التي حُرّت بها من غنائم الحمد الصفايا، وشاد مباني محامدك بفضل الإبانة عن السرائر والخفايا؛ وتابع الشاء على كل من أفعالك التي أمسى هلاك فيها مقمرا، ووضح فيها كونك بشروط الإخلاص محبا مضمرا؛ وشرح من توفرك على كل قرّة غراء تغري الألسنة بمحمدك، وتنبئ عن حسن مقصدك برفع عماد الحق وعمدك؛ ما قامت عليه الأدلة، واستقامت به على سنن الرشد الأهواء المضلة؛ وبين من إمضاءك كل عزم في تهيئة القربات إلى حضرة أمير المؤمنين حالا فخالا، وإبطائك خطأ الحد فيما يراد بزلفك البالغة أقصى الغايات لديه سابقا واتصالا، ما يضاهي المظنون في تلك العقيدة التي طامأ ألفت في نصرة الدولة القاهرة صافية المورد والمنهل، حالية من الحُسْن بكل حال أتضح فيها ما ألهى عن غيرها من الوصف وأذهل؛ فقولت بما تستحقه من إحماد أشيع وأذيع، وأتبع فيه الواجب وأطيع؛ وتضاعف الاعتداد بأفعالك التي أعنت بالعون منها في الجمال والأبكار، وأعدت بها الأمور في الصلاح إلى ما يؤمن بإضاحه الحمد والإنكار . ومن أحق منك بكل فعال تضيء مصابيح الخير فيه، وينتشر جميل الذكر من مطاويه، وأنت للدولة الولي الأمين! ، وبحفظ نظام كل أمر يختص بها الكفيل

الضَّمِين؟ ومن أَوْلَىٰ منك بِكُلِّ حَمْدٍ يَفِدُ إِلَيْكَ إِمْدَادُهُ أرسالا، وَتَجِدُ منه ضالَّةً تَشَدُّتْ
مثلها آمالُ سِوَاكَ قَابَتْ بِالْحَيَّةِ عَجَالًا؟ فَلَكَ من الحقوق مَا لَا يُنْسَى، وَمَا يَلْزَمُ أَنْ يُرْعَى
فِي كُلِّ مُصْبَحٍ وَمُمْسَى. فَأَحْسِنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ عَنْ كَوْنِكَ فِي دَوْلَتِهِ ذَابًّا عَنْ الْجَمْدِ حَامِيَا.

فَأَمَّا مَا تُحَدِّدُ فِي مَعْنَى 'الأعمال على الوصف الذي قضى بزوال الخلف وأُخْصِيهِ،
وَأَقْضَى رَأْيَكَ إِجْرَاءَ الْأَمْرِ عَلَى مَا أَسْتُصَوِّبُ مِنْ أَسَاقِهِ وَأَنْتَظِمُهُ، فَقَدْ وَقَفْتَ
عَلَيْهِ، وَأَجِيزُ مَا أُشْرَتْ إِلَيْهِ، فَأَعْوِضُ الدُّنْيَا تَهْوَنُ وَتُسَهَّلُ فِي ضَمْنِ مَا يُلْحَظُ مِنْ
أَعْتِنَاكَ أَحْكَامَ مَشَايِعَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي قُتَّتْ بِأَعْبَائِهَا فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَغَدَتْ أَنْارُكَ فِيهَا
بَاقِيَةُ الذِّكْرِ وَالْأَجْرِ عَلَى تَقْضَى الْأَزْمَانِ، فَأَنْتَ الْمَرْغُوبُ فِي الشَّاءِ وَلَايَةً وَإِنْ شَانَتْ
الْأَحْوَالُ، وَالْمُخْلِصُ الَّذِي لَا عِوَضَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَمَقَالٍ، فَقَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ بِتَفْصِيلِ
ذَلِكَ وَجُمْلَتِهِ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ الْخِيَرَةَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ إِلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِ وَجَدَدَهُ، وَلِذَلِكَ
أَجِيبُ فَلَانِ إِلَى الْحُضُورِ وَالْمُسْتَعْدَمِينَ مَعَهُ، وَأُذِنَ فِي الْمَقَابِلَةِ بِالْقَوَانِينِ الْقَدِيمَةِ وَالْبَاقِي
وَالْجَرَائِدِ، وَالْمُوَافَقَةِ عَلَى مَا رَأَيْتَهُ فِي الْبَوَادِي وَالْعَوَائِدِ، وَالتَّزَهُ عَنْ كُلِّ مَا شَدَّ عَنْ
الْحُجَّةِ الْمُؤَكَّدَةِ بِتَوْفِيقِكَ وَتَوْفُرِ الْمَوْجُودِ لِهَذِهِ السَّنَةِ فِيهِ عَلَيْهِ، وَحَسَمَ مَوَادَّ أَسْتِرَادَتِهِ
فِي كُلِّ مَا تَمَسَّكَ بِهِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ، وَالثَّقَّةُ مِنْ بَعْدِ مُسْتَحْكَمَةٍ بِتَوْفِيقِكَ عَلَى مَا يُرَادَفُ إِلَيْكَ
إِمْدَادَ الْحَمْدِ، وَتَجْدِيدِكَ كُلِّ قُرْبَةٍ تَنْضُمُ إِلَى سَوَابِقِهَا الْمُنْتَاجِزَةَ حَدَّ الْإِحْصَاءِ وَالْعَدِّ.

فَأَمَّا مَا تَضَمَّنَتْهُ إِشَارَتُكَ فِي حَقِّ السِّرِّ الرَّفِيعِ، فَهَلِ الصَّلَاحُ إِلَّا مِنْ نَتَائِجِ
أَقْوَالِكَ؟، وَهَلِ مَسَاعِيكَ إِلَّا مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْخَيْرِ وَأَعْمَالِكَ؟، وَهَلِ الْمُوَافَقَةُ إِلَّا لَكَ
فِي جَمِيعِ آرَائِكَ وَأَبْجَائِكَ، وَبِحَكْمِ آبْتِدَائِكَ لِأَسْتِقَامَةِ النَّظَامِ فِيمَا قُرْبُ وَبَعْدُ،
وَالسُّكُونِ إِلَى إِسْعَافِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَحْدُثُ وَيَتَجَدَّدُ، وَيَبْعَثُ عَلَى مَا يُبْعِدُ رَوْقَ
الْجَشْمَةِ مِنَ الْوَهْنِ، وَيَهْزِ طَاعَتَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُحَقِّقُ التَّقْدِيرَ فِيهَا وَالظَّنَّ، فَإِذَا

تُصَفِّحُ حَقُوقُ الْوُكَلَاءِ الْمُحِبَّةُ وَجِدَتْ مَوْفِقَةً عَلَى اقْتِنَاءِ الْأَجْرِ، مَصْرُوفَةً فِي وُجُوهِ
الْبَرِّ الَّتِي هِيَ أَنْفَعُ الذُّخْرِ فِي غَدٍ . وَهَلِ الْأَعْوَاضُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَظُنُّ الدُّنْيَا بَعِيْنَهَا قِيَمَةً
تَنَافَسَ ، وَهَلِ مَصِيْرُهَا إِلَّا إِلَى آتِقِضَاءٍ وَلَوْ أُسْعِفَتْ بِالرَّغَائِبِ وَالنَّفَائِسِ ، غَيْرَ أَنَّ
الْأَحْوَالَ إِذَا كُشِفَ مَسْتَوْرُهَا أَثْبَتَ مَا يَقْتَضِي إِسْبَالَ سِتْرِ الْإِسْفَاقِ ، وَالْبَوَاطِنَ مَتَى
أُغْرِبَ عَنْهَا أَشْمَتَ ذَلِكَ كُلِّ جُنَائِبٍ لِلدَّوْلَةِ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ ، وَأَنْتَ الْمُعْتَمِدُ لِتَنْدِيرِ
مَا يَصُونُ حِشْمَةَ الدَّوْلَةِ عَنِ الْبِدْلَةِ وَالْخَلَالِ ، وَالْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي تَحْسِينِ الْأَمْرِ فِيمَا وَقَعَ
الْاجْتِهَادُ فِيهِ حَتَّى تَيْسَّرَ قَدْرُهُ وَتَسَهَّلَ ، وَلِهَذَا تَفْصِيْلٌ قَدْ أُوعِزَ إِلَى فُلَانٍ بِاسْتِقْصَاءِ
شَرْحِهِ ، وَإِطْلَاعِكَ عَلَى حَقِيْقَةِ الْأَمْرِ وَقَصِّهِ ، فَكُنْ بِحَيْثُ الظَّنُّ فِيكَ ، تَجِدُ زَنْدَ جَمَالِكَ
بِذَلِكَ أَوْرى ، وَتَجِبُ لَكَ بِهِ صُنُوفُ الشُّكْرِ طَوْرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزراء الملوك)

وهي مما يؤتى في صدرها بحرف النداء غالباً . كما كُتِبَ عن المسترشد إلى معز الدين
الفضل بن محمود ، وزير معز الدين سنجر بن ملكشاه .

مَقَامُكَ يَا مَعِزَّ الدِّينِ - أَحْسَنَ اللَّهِ حَيَاتُكَ وَكُلَّ مَوْهَبَتِهِ عِنْدَكَ - فِي خِدْمَةِ الدَّارِ
الْعَزِيْزَةِ الَّتِي مَازَلْتَ لِحُجْهِكَ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَفِي جَلَالِيبِ الْمُنَاصِحَةِ رَافِلاً ، لَا يَقْبِضَنَّكَ
أَنْ تُوَاصِلَ حَالًا فَخَالًا بِأَنْبَاءِكَ ، وَتَسْتَدِيمَ مَا خُصِّصَتْ بِهِ مِنْ شَرِيفِ الْآدَابِ
الْمُؤَيَّدَةِ بِكَ عَلَى أَكْفَائِكَ . وَعُرِضَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى طَاعَتِكَ
الْمَعْهُودَةِ ، وَمُؤَالَاتِكَ الرَّائِقَةِ الْمَشْهُودَةِ ، وَاسْتِمْرَارِكَ عَلَى الْجَدِّ وَالْمَهْمِغِ فِيمَا حَازَ الْمَرَاضِيَ

الشریفة الإمامیة لك ، وَحَقَّقَ فی الفوز بِجَمیل الآراء أَمَلَك . وَنَاطَقًا بِحَالِ فُلَانِ المَارِقِ عَنِ الدِّینِ ، المَجاہِرِ بِمَعْصِیَةِ اللَّهِ تَعَالَى فی مَخَالَفَةِ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ ، وَمَا اقْتَضَاهُ الرَّأْيُ المَعْرُوفُ بِمُحَسِّنِ سِفَارَتِكَ ، وَسَدَادِ مَقْصِدِكَ فی الطَّاعَةِ وَصَفَاءِ نِيَّتِكَ . وَأَحَاطَ عِلْمًا بِمَضْمُونِهِ الَّذِي لَا رَيْبَ أَنَّهُ ثَمَرَةُ مَنَاصِحَتِكَ ، وَنَتِيجَةُ سَعْيِكَ المِضَاهِي نَصِيحَةِ عَقِيدَتِكَ ؛ وَمَنْ أَوَّلَى مِنْكَ بِهَذِهِ الحَالِ ؟ وَأَنْتَ الحَوَّلُ القُلُوبِ ، ذُو الحُنُكَةِ المَجْرَبِ ؛ الَّذِي تَفْرُدُ فِي الْأَنَامِ بِكَالِهِ ، وَقَصَّرَ أَكْفَاؤُهُ عَنِ دَرْكِ شَأْنِهِ فِي الخَيْرِ وَمِثَالِهِ ؛ وَمَا زِلْتَ حَدِيثًا وَقَدِيمًا مُوسِمًا ، بِهَذِهِ المَزِيَّةِ مَرْقُومًا ؛ وَبِغَيْرِ شَكٍّ أَنَّكَ تُرَاعِي مَابَدَأْتَ بِهِ ، وَتُعْضِدُ مَقَالَكَ فِي مَوَارِدِهِ بِمَا تَعْمُدُهُ فِي مَصَادِرِهِ ، وَتَحْرُسُ مَا قَدَّمْتَهُ مِنْ الاحتِیَاطِ بِتَحْرِيكِهِ فِي أَوَاخِرِهِ ؛ وَتُمِضِي العَزِيمَةَ لِإِتِمَامِ مَا شَرَعْتَ فِيهِ ، كِفَاءً مَا يُوجِبُهُ دِينُكَ وَيَقْتَضِيهِ ؛ جَرِيًّا عَلَى وَتِيرَتِكَ فِيمَا قَضَى لِلْأَحْوَالِ بِالْإِنْتِظَامِ وَالْإِتِّسَاقِ ، وَأَذَنَ لشمسِ الصَّلَاحِ بِالْإِضَاءَةِ وَالْإِشْرَاقِ .

وَبَعْدُ فَقَدْ عَرَفْتَ مَا تَكَرَّرَ إِلَيْكَ فِي أَمْرِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الخَلِیْثَةِ ، المَكْشِيفَةِ بِمَذْهَبِ الإِلْهَادِ ، المَبَارِزَةِ بِسُوءِ الْأَعْتِقَادِ ؛ بَعْنًا عَلَى جِهَادِهَا ، وَكَفَّ ضَرَرَهَا عَنِ الْإِسْلَامِ وَفَسَادِهَا ؛ وَرَفَعَ سِتْرَ المَرَاقَبَةِ عَنْهَا ، وَالْإِنْتِقَامِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مِنْهَا ؛ وَمَا يُقْنَعُ مِنْ هِمَّةِ مَعِزِّ الدَّوْلَةِ وَالدِّينِ - أَمْتَعَ اللَّهُ بَیْقَانَهُ - وَمِنْ وَافِرِ عَقْلِكَ وَدِينِكَ ، وَصِدْقِ یَقِینِكَ ؛ إِلَّا بِأَرْهَافِ العَزِيمَةِ فِي مُكَاشَفَتِهَا ، وَخَوْضِ الغِمَارِ فِي مُحَارَبَتِهَا ؛ وَالْقَصْدُ لِمُضَایِقَةِ مَنْ أَعْتَصَمَ مِنْهَا بِالْقَلَاعِ ، وَقَتْلَ كُلِّ مَنْ يُظْفَرُ بِهِ فِي سَائِرِ البِقَاعِ ؛ حِمَّةً وَأَمْتَاعًا لِلدِّينِ ، وَأَنْفَاقًا مِمَّا أَسْتَوْلَى عَلَيْهِ بِهَا مِنَ الضَّرَرِ المُمِینِ ؛ فَكُنْ مِنْ وَرَاءِ الْحُبِّ لِمَعِزِّ الدُّنْيَا وَالدِّينِ عَلَى تَبَيُّنِكَ هَذَا المِثَالِ ، وَالْأَدَّكَارِ بِمَا تُفَوِّزُ بِهِ مَعَ الْإِمْتِثَالِ لَهُ فِي المَالِ ، وَأَنْهَضُ فِي تَنْفِيزِ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ فِي هَذَا البابِ نَهْضَةً مِنْ أُرْتَرِ رِضَا اللَّهِ وَأَرَادِهِ ، وَبِذَلِكَ فِي صَلَاحِ مَعَادِهِ أَجْتِهَادَهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَا يَرْضَى مِنْكَ إِلَّا تَنْصَارَ لِدِينِهِ بِالتَّخْصِيرِ ،

وأمر المؤمنين أمركا بالحد فيه والتشمير؛ وقد شرفك بثخفة أمر بمحملها إليك من بين يدي سبته، وأعرب بها عن مكانك من حضرته؛ إنافة على الأمثال بقدرك، وإضفاء لملايس نفرك؛ فاعرف بمكان النعمة في ذلك، وأسلك في القيام بشكرها أوضح المسالك؛ وأدم المواصلات بمطاعتك، وقدم التوقع من إجابتك، تفز من المراضى الشريفة بالخط الأنسى، ويجمع لك منها الاسم والمعنى، إن شاء الله تعالى.

الطرف الرابع

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس في الديار المصرية

بعد مصير الخلافة إليها)

وهي على ثلاثة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن يفتتح الكتاب بلفظ « من فلان إلى فلان »)

والحكم فيها على ما كان الأمر عليه في خلافتهم ببغداد ، إلا أنه زاد فيه لفظ « ووليه » بعد لفظ « عبد الله » في أول الكتاب فيقال في افتتاحه : « من عبد الله ووليه أبي فلان فلان الإمام الفلاني » . ثم يقال : أما بعد حمد الله ، ويؤتى على آخر الخطبة ، ثم يتخلص منها وينحتم بالأمر بامتنال ما أمر به . ويقال بعد ذلك : موقفاً إن شاء الله تعالى . والخطاب فيه بالكاف ، وربما أفتتح الكتاب بآية من القرآن الكريم مناسبة للمعنى .

وهذه نسخة كتاب كتبت به عن الإمام المستكفي بالله "أبي الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله أحمد" إلى الملك المؤيد هنزبرالدين داود ابن الملك المظفر صلاح

الدين يوسف بن رسول في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » في سنة سبع وسبعائة ، حين منع صاحبُ اليمن الهديةَ ، التي جرت العادةُ بإرسالها إلى الأبواب الشريفة بالديار المصرية ، مفتحة بآية من القرآن ، وهو :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

من عبد الله وولَّيه أبي الربيع سليمان .

أما بعد حمد الله مانحِ القلوب السليمة هداها ، ومُرشدِ العقول إلى أمرِ معادها ومبدأها ، وموفقٍ من آخِاره إلى محجةِ صوابٍ لا يضلُّ سالكها ، ولا تُظلمُ عند إخلافِ الأمور العظامِ مسالكها ، ومُلهمٍ من أصطفاه لأقتفاءِ آثارِ الشَّيْنِ النبويِّ ، والعملِ بموجباتِ القواعدِ الشرعيَّةِ ، والانتظامِ في سلكٍ من طَوْقَتِهِ الخلافةُ عُقُودَهَا ، وأفاضتْ على سُدَّتِهِ الجليلةِ بُرُودَهَا ، وملَّكتْهُ أقاليمُ البلادِ ، وأناطتْ بأحكامه السيدةِ أمورَ العبادِ ، وسارتْ تحتَ خِوافِقِ أعلامه أعلامُ الملوكِ الأكاسِرِ ، وشيَّدتْ بأحكامه مناجِحُ الدُّنيا ومَصالِحُ الآخِرِ ، وتَجَتَرَكُلُّ مِنِيرٍ من ذِكْرِهِ في ثوبٍ من السيادةِ مُعَلَّمٌ ، وتَهَلَّلَتْ من ألقابه الشريفةِ أسارى كُلِّ دينارٍ ودرهمٍ .

يُحْمَدُهُ أمير المؤمنين على أن جعلَ أُمُورَ الخلافةِ بِنِي العباسِ مَنْوُطَةً ، وجعلها كلمةً باقيةً في عَقِبِهِ إلى يومِ القيامةِ بِمَحْوَطَةٍ ، وَيَصَلِّيَ على أَبْنِ عمه محمَّدٍ الذي أَحْمَدَ اللَّهُ بِمَبْعَثِهِ مآثِرَ من الفتنِ ، وأطفأَ برسالته ما أضطرمَّ من نارِ الإحنِ ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذين حَمَوْا حِمَى الخلافةِ وذادُوا عن مَوَارِدِهَا ، وعمدُوا إلى تَهْيِيدِ الْمَعَالِمِ الدِّينِيَّةِ فَأَقَامُوهَا على قَوَاعِدِهَا ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الْغُدُوَّ وَالرَّوْحَ ، مُتَّصِلًا أَوَّلُهَا بِطُرَّةِ اللَّيْلِ وَآخِرُهَا بِجَبِينِ الصَّبَاحِ .

هذا وإن الدين الذى فرض الله على الكافة الانضمام الى شعبه ، وأطلع فيه شمس هداية تشرق من مشرقه ولا تغرب في غربه ؛ جعل الله حكمه بأمرنا منوطا ، وفي سلك أحكامنا محروطا ؛ وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفًا طال نجاته ، وكثر أعوانه وأنجاده ؛ وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية وإلى حرمان نجبي ثمراتها ، ويرفع إلى ديواننا العزيز نفيا وإثباتها ؛ يخلف الأسد إن مضى في غايه شبلة ، ويلقى في الخبر والخبر مثله .

ولما أفاض الله علينا حلة الخلافه ، وجعل محلنا الشريف محل الرحمة والرافه ؛ وأقعدنا على سدة خلافة طالما أشرقت بالخلائف من آبائنا ، وآبتهجت بالسادة الغطاريف من أسلافنا ؛ وألبسنا خلعة هي من سواد السؤدد مصبوغه ، ومن سواد العيون وسويداوات القلوب مصبوغه ؛ وأمضينا على سدتنا الشريفة أمر الخاص والعام ، وقلدنا كل إقليم من عملنا من يصلح سياستها على الدوام ؛ وأستكفينا بالكفاة من عملنا على أعمالنا ، واتخذنا مضر دار مقامنا وبها سدة مقامنا ، لما كانت في هذا العصر قبة الإسلام ، وفيئة الإمام وثانية دار السلام ؛ تعين علينا أن نتصفح جرائد عمالنا ، ونتأمل نظام أعمالنا ؛ مكانا فكانا ، وزمانا فزمانا ؛ فتصفحنها فوجدنا قطر اليمن خاليا من ولايتنا في هذا الزمن ؛ عرّفنا هذا الأمر من اتخذناه للملك الإسلامية عينا وقلبا ، وصدرا ولبا ؛ وفوضنا إليه أمر الممالك الإسلامية فقام فيها مقاما أقعد الأضداد ، وأحسن في ترتيب ممالكها نهاية الإصدار غاية الإيراد ، وهو السلطان الأجل ، السيد الملك الناصر المبجل ؛ لازالت أسباب المصالح على يديه جاريه ، وسحابة الإحسان من أفق راحته ساريه ؛ فلم يعد جوابا لما ذكرناه ، ولا عذرا عما أبديناه ، إلا بتجهيز شذمة من بحافله المشهوره ، وتعيين أناس من فوارسه المذكوره ؛

يَقْتَحِمُونَ الْأَهْوَالَ ، وَلَا يَعْثُونَ بِتَغْيِيرَاتِ الْأَحْوَالِ ؛ يَرَوْنَ الْمَوْتَ مَغْنَمًا إِنْ صَادَفُوهُ ، وَشَبَابَ الْمُرْهَفِ مَكْسَبًا إِنْ صَافَحُوهُ ؛ لَا يَشْرَبُونَ سِوَى الْمُدَامِ^(١) مُدَامَهُ ، وَلَا يَلْبَسُونَ غَيْرَ التَّرَانِكِ عِمَامَهُ ؛ وَلَا يَعْرِفُونَ طَرَبًا إِلَّا مَا أُصْدَرَهُ صَلِيلُ الْحُسَامِ مِنْ غَنَاءَ ، وَلَا يَتَزَلُّونَ قَفَرًا إِلَّا لَوْنَتِ سَاعَةِ نَزْوَلِهِمْ مِنْ قَنَاءَ . وَلَمَّا وَثِقْنَا مِنْهُ بِإِنْفَادِهِمْ رَاجِعُنَا رَأَيْنَا الشَّرِيفَ ، فَاقْتَضَى أَنْ يُكَاتَبَ مَنْ بَسَطَ يَدَهُ فِي مَمَالِكِهَا ، وَأَحْتَاطَ عَلَى جَمِيعِ مَسَالِكِهَا ؛ وَاتَّخَذَ أَهْلُهَا خَوَلَا ، وَأَبْدَى فِي خِلَالِ دِيَارِهَا مِنْ عَدَمِ سِيَاسَتِهِ خَلَا . بَرَزَ مَرَسُومُنَا الشَّرِيفَ النَّبَوِيَّ أَنْ يُكَاتَبَ مَنْ قَعَدَ عَلَى تَحْتَ مَمْلَكَتِهَا ، وَتَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ أُمُورِ دَوْلَتِهَا ؛ وَطُوْلِعَ بِأَنَّهُ وَلَدُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو الذِّي لَهُ شُبْهَةٌ تَمَسُّكَ بِأَذْيَالِ الْمَوَاقِفِ الْمُسْتَعْصِمِيَّةِ وَهُوَ مُسْتَصْحِبُ الْحَالِ عَلَى زَعَمِهِ ؛ أَوْ مَا عَلِمَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ؟ أَوْ مَا تَحَقَّقَ الْحَالُ الَّتِي بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ؟ ، أَصْدَرْنَا إِلَى الرَّحَابِ التَّعْزِيَةَ ، وَالْعَالَمِ الْيَمِينِ تُشْعِرُ مَنْ تَوَلَّى عَنْهَا فَاسْتَبَدَّ ، وَتَوَلَّى كِبَرَهُ فَلَمْ يُعْرِجْ عَلَى أَحَدٍ ؛ أَنْ أَمْرَ الْيَمَنِ مَا بَرَحَتْ تَوَابِنَا تَحْكُمُ فِيهِ بِالْآيَةِ الصَّحِيحَةِ ، وَالتَّقْوِيضَاتِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ جَرِيحِهِ ؛ وَمَا زَالَتْ تَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ وَمَا تَمْشِي بِهِ الْجَمَالُ مَشْيًا وَثِيدًا ، وَتَقْدِفُهُ بَطُونُ الْجَوَارِي إِلَى ظُهُورِ الْعَمَلَاتِ وَلِيدًا ، وَيُطَالِعُنَا بِأَمْرِ مَصَالِحِهِ وَمَفَاسِدِهِ ، وَبِحَالِ دِيَارِهِ وَمُعَاهِدِهِ ؛ وَلَكَ أَسُوءُ بَوَالِدِكَ فُلَانٍ ، هَلَّا اقْتَفَيْنَا مَا سَنَّهُ مِنْ آثَارِهِ ، وَنَقَلْنَا مَا دَوَّنَتْهُ أَيْدِي الزَّمَنِ مِنْ أَخْبَارِهِ .

وَأَتَّصِلْ بِمَوَاقِفِنَا الشَّرِيفَةِ أُمُورٌ صَدَرَتْ مِنْكَ .

منها - وهى العظمى التى ترتب عليها ما ترتب - قطع الميرة عن البيت الحرام ، وقد علمت أنه وإد غير ذى زرع ، ولا يحل لأحد أن يتطرق إليه بمنع .

ومنها - انصبأبك إلى تفرغ مال بيت المال في شراء هُو الحديث، ونقض العهود القديمة بما تُبديه من حديث .

ومنها - تعطيل أجياد المتأبر من عقود آسمنا، وخُلُو تلك الأماكن من أمور عقدنا وحلنا؛ ولوأوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطال، ولا تَسَعَتْ فيه دائرة المقال؛ رَسَمْنَا بها والسيفُ يودُّ لو سَبَقَ القَلَمَ حُدّه، والعَلَمُ المنصورُ يودُّ لو فات العلم وأهتر بتلك الروابي قُدّه؛ والكُتَّابُ المنصورةُ تختار لو بدّرتْ عنوانَ الكتاب، وأهل العزم والحزم يودُّون إليك إعمال الرّكاب، والجواري المنشآت قد تَكُونَتْ من ليل ونهار، وبرزت كصُور الأفيصة لِكُنْها على وجه الماء كالأطيار؛ وما عمدنا إلى مكاتبتك إلّا للإندار، ولا آحتجنا إلى مخاطبتك إلّا للإعذار؛ فأقْلِعْ عَمَّا أنت بصدده من الخيلاء والإعجاب، وأنتَظِمْ في سِلْكٍ من استخلفناه فأخذ يمينه مأعطى من كتاب؛ وصُنْ بالطاعة مَنْ زعمت أنهم مُقيمون تحت لواءِ علمك، ومنتظمون في سِلْكٍ أوامرِ كلمك، وداخلون تحت طاعة قَلَمِكَ؛ فلَسْنَا نَسُنُّ الغاراتِ على مَنْ نطق بالشهادتين لسانه وقلبه، وأمّثل أوامر الله المطاعة عقله ولبه؛ ودان بما يجب من الديانة، وتقلّد عقود الصّلاح والتّحف مطارف الأمانة؛ ولَسْنَا ممن يأمر بتجريد سيفٍ إلّا على مَنْ علمنا أنه خرج عن طاعتنا، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا. فأصدرنا مرسومنا هذا إليه نُقْص عليه من أنباء حلمنا ما أطل مدّة دولته، وشيّد قواعد صوّلته؛ ونستدعى منه رسولاً إلى مواقفنا الشريفة، ورحاب ممالك المنيّفة؛ لينوب عنه في قبول الولاية مناب نفسه، وليجنّ بعد ذلك ثمار شفقاتنا إن غرس شجر طاعتها. ومن سعادة المرء أن ينجي ثمار غرسه - بعد أن يُصْحِبه من ذخائر الأموال ما كثر قيمة وخفّ حملا، وتعالى رتبة وحسن مثلاً؛ وأشرط على نفسك في كل سنة قطعة ترفعها إلى بيت المال. وإياك ثم إياك! أن تكون على هذا الأمر ممن مال؛

ورتب جيشاً مقيماً تحت علم السلطان الأجل الملك الناصر للقاء العدو المخذول التتار،
 ألحق الله أولهم بالهلاك وأخبرهم بالبوار . وقد علمت تفاصيل أحوالهم المشهورة ،
 وتواريخ سيرهم المتكورة ؛ فأحرص على أن يُحصَّك من هذا المشرب السائق أوفر
 نصيب ، وأن تكون ممن جهَّز جيشاً في سبيل الله فرمى بسهم فله أجر كان مُصيباً
 أو [غير] مُصيب ؛ ليعود رسولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملاً أهلة
 أعلامنا المنصورة ، شاكرًا رَمَواقِفنا المبرورة ؛ وإن أبى حالك إلا أن أستمريت على
 غيِّك ، وأستمريت مرعى بغيِّك ؛ فقد منعناك التصرف في البلاد ، والنظر في أحكام
 العباد ؛ حتى تطأ خيلنا العتاق مشمخِرات حصونك ، وتعجل حينئذ ساعة منونك ؛
 وما علمناك غير ما علمه قلبك ، ولا فهمناك غير ما حدسه لبك ؛ ولا تكن كالصغير
 يزيده كثرة التحريك نوماً ، ولا ممن غزه الإمهال يوماً فيوماً . أعلمناك ذلك فاعمل
 بمقتضاه ، موفقاً إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

(أن يُفتتح الكتاب بخطبة إما مصدرة بآية من القرآن الكريم أو دونها)

كما كتبت عن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس « أحمد ابن المستكنى بالله أبي
 الربيع سليمان » إلى السلطان الملك الناصر: أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ،
 وهو بالكرك ، يستدعي حضوره إلى قلعة الجبل بالقاهرة المحروسة لتقليد السلطنة
 الشريفة ، بعد خلع أخيه الملك الأشرف نُجُك ابن الناصر محمد ، وإمساك الأمير
 قُوصون ومن معه من الأمراء .

وقد ذكر صاحب " الدرر المنقطة " أنه كتبه في قطع البغدادى الكامل بين يدى
 الأمير قطلوبغا الفخرى كافل السلطنة الشريفة . وهذه نسخته :

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ .

فالحمد لله الذي أسبغ نعمة الظاهرة والباطنة، وألف قلوب أوليائه المتفقة والمتباينة، وأخذ بنواصي أعدائه المراجعة والباطنة؛ وأعلى جدهذه الدولة القاهرة، وأطلع في أسنة العوالي نجومها الزاهرة؛ وحرك لها العزائم فلكت والأمور - بحمد الله - ساكنه، والبلاد - والمنة لله - آمنة، والرعايا في مكانها قاطنة، والسيوف في أعماقها مثل النيران في قلوب حُسادها كامينة . وأقام أهل الطاعة بالفرض، وأستوفى بهم القرض، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض؛ وأعز أنصار المقام الشريف العالی وأعز نصره، وأعد لعدوه حصره، وأتى بدولته الغراء تسمو شمسها، وتشرق غروبها؛ وتظهر في حلل الصباح المشرق عروبها، وتجي منه بخير راع للرعية يسوسها، وبشره بالملك والدوام، وسره بما آت جمع له من طاعة الأنام، وأقدمه على كرسي ملكه تظله الغمام، وأراه يوم أعدائه وكان لا يظن أن يرى في المنام؛ ولا يزال مؤيد الهيم، مؤكّد الذمم، مجدّد البيعة على رقاب الأمم؛ ولا برحت أيامه المقبلة مقبلة بالنعم، خضر الأكاف على رغم من كاد وغيط من رغم؛ ولا فتنت عهود سلفه الشريفة تنشأ له كما كانت، ورعاياه تدين له بما دانت، وجنوده تُفدّيه من النفوس بأعز ما دخرت وما صانت؛ وسعادة سلطانه تكشف الغم، وتشر الذمم، وتعيد إلى أنوف أهل الإنفة الشمم، وتحفظ ما بقي لأوليائه من بياض الوجوه وسواد اللّحم .

سَطَّرها وأصدرها وقد حَقَّقت بعوائد الله الطُّنُون . وصَدَّقَت الخواطر العيون؛ وأنجز الله وعده، وأتمَّ سعده؛ وجمع على مقامه الكريم قلوب أوليائه،

وَفَرَّقَ فِرَقَ عَدُوِّهِ وَأَبَاتَهُ بِدَائِهِ ؛ وَوَطَّدَ لِرُقِيهِ الْمَنَابِرَ ، وَرَجَّلَ لَتَرْقِيهِ الْعَسَاكِرَ ، وَهَيَّأَ لِمَقَاتِلِ أَعْدَائِهِ فِي أَيْدِي أَوْلِيَائِهِ السُّيُوفَ الْبَوَاتِرَ . وَأَخَذَ قُوصُونَ وَأُمْسِكُ ، وَنُهِبَ مَالُهُ وَأَسْتَهْلِكَ ؛ وَهُدِمَتْ أُنْبِيَّتُهُ ، وَهُدَّتْ أَفْنِيَّتُهُ ؛ وَخَرِبَتْ دِيَارُهُ ، وَقُلِعَتْ آثَارُهُ ؛ وَأُخْلِيَتْ خَزَائِنُهُ ، وَأُخْرِجَتْ مِنْ بُطُونِ الْأَرْضِ دَفَائِنُهُ ، وَمَا مَانَعَتْ عَنْهُ تِلْكَ الرِّبَابُ الَّتِي ظَنُّهَا قَسَاوِيرُ ، وَلَا نَاضَلَتْ تِلْكَ الْقَيْسَى الَّتِي طَبَعَهَا أَسَاوِيرُ ؛ وَلَا أَغْنَى عَنْهُ ذَلِكَ الْمَسَالُ الَّذِي ذَهَبَ ، وَلَا ذَلِكَ الْجَوْهَرُ الَّذِي كَانَ عَرَضًا لِمَنْ نَهَبَ . وَأُعِيدَ إِلَى الْمَهْدِ ذَلِكَ الْطِفْلُ الَّذِي أَكَلَ الدُّنْيَا بِاسْمِهِ ، وَقَهَرَ أَبْنَاءَهَا بِحُكْمِهِ ؛ وَمَوَّهَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ، وَأَخْلَى لَهُ الْغَابَ وَمَاخَرَجَ مِنَ الْكِتْنَسِ ؛ وَغَالَبَ بِهِ الْغَلَبَ حَتَّى وَطِئَ الرِّقَابَ ، وَدَاسَ الْأَعْقَابَ ؛ وَخَادَعَ وَدَلَّهُ الشَّيْطَانُ بِغُرُورِهِ ، وَدَلَّسَ عَلَيْهِ عَاقِبَةَ أُمُورِهِ ؛ فَاعْتَدَّ بَعْتَادَهُ ، وَاعْتَرَّ بِقِيَادِهِ ، وَأَغْتَرَّ بِأَنَّ الْأَرْضَ لَهُ وَمَا عَلِمَ أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ؛ فَأُمْسِكَ وَمَعَهُ رُءُوسَ أَشْيَاعِهِ ، وَحَصَرْتَ بِالْخَوْفِ نَفُوسَ أَتْبَاعِهِ - وَمِنْهُمْ الطَّنْبِغَا .

وَقَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ بِكَيْفِيَةِ وَصُولِهِ وَحَقِيقَةِ الْخَبَرِ ، وَمَا قَاسَاهُ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْعَبَرِ ، وَدَاسَ عَلَيْهِ حَتَّى وَصَلَ مِنْ وَخَزِ الْإِبْرَةِ ؛ وَكَذَلِكَ مِنْ جَاءَ مَعَهُ ، وَخَلَّفَ وَرَاءَهُ الْحَقَّ وَتَبِعَهُ ، بَعْدَ الْهَزِيمَةِ الَّتِي أَلْجَأَهُمْ إِلَيْهَا خَوْفُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي قَعَدَتْ لَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِمْ بِمَدَارِجِ أَنْفَاسِهِمْ فِي فَمِ الْمَضِيقِ ؛ وَعُبْنَتْ لَهُمْ صُفُوفُ الرِّجَالِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ حُتُوفُ الْأَجَالِ ؛ وَحَيَّرَتْهُمْ فِي سَعَةِ الْفِجَاجِ ، وَأَرْتَهَمَ بَوَارِقَ الْمَوْتِ فِي سُحْبِ الْعَجَاجِ ؛ ثُمَّ لَمْ يَصْلُوا إِلَّا وَهُمْ أَشْلَاءُ مَمْرَقَةٍ ، وَأَعْضَاءُ مَفْرَقَةٍ ؛ قَدْ قَتَنِي تَحْتَهُمُ الظُّهْرَ ، وَقَتَنَى بِيَوْمِهِمُ الدَّهْرَ ؛ وَسَاقَتْهُمْ سَعَادَةُ سُلْطَانِ الْمَقَامِ الْعَالِي إِلَى شَقَاوَتِهِمْ وَهُمْ رُءُودُ ، وَعُبْنَتْ لَهُمُ الْخَلِيلُ وَالْخَلَعُ إِلَّا أَنَّهُمَا مَلَأِسُ الدَّلِّ . وَهِيَ الْقِيُودُ ؛ فَأَخَذُوا جَمِيعًا هَمَّ وَمَنْ كَانُوا عَلَى مُوَالَاتِهِ ، وَفَارَقُوا الْجَمَاعَةَ لِمُوَاتَاتِهِ ؛ وَحَمَلُوا إِلَى الْحَبْسِ النَّائِي الْمَكَانَ ؛ وَأُودِعُوا أَحْيَاءً فِي مِلْحَدِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَالْأَمْوَاتِ ، وَقَدْ نَالُوا الْمَقْصِدَ إِلَّا أَنَّهُمْ

مَا أَمِنُوا الْقَوَاتِ ؛ وَوَكَّلَ بِحِفْظِهِمْ إِلَى أَنْ يُشْرِفَ سَرِيرُ الْمَلِكِ بِقَعْدِ مَقَامِهِ وَعُقُودِ
أَيَّامِهِ الْحَوَالِي ، وَسَعُودِ زَمَانِهِ الَّذِي لَا يَحْتَمُّ بِالْجُحُومِ إِلَّا خَدَمَ اللَّيَالِي .

وَهَذَا النَّصْرُ إِنَّمَا تَهَيَّأَتْ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - أَسْبَابُهُ ، وَهَذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا فُتِحَتْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ
أَبْوَابُهُ ؛ بِمِنَّةِ اللَّهِ وَنِيَّةِ الْمَقَامِ الْعَالِي لَا بِمِنَّةِ أَحَدٍ ، وَلَا بِمِنَّةِ بَأْسٍ مِنْ أَقْدَرٍ ، وَلَا يَأْسٍ
مِنْ حَجَرٍ ؛ وَمَا قَضَى اللَّهُ بِهِ مِنْ سَعَادَةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَمَضَى بِهِ الْقَدَرُ السَّابِقُ وَعَلَى اللَّهِ
الْتِمَامُ ؛ وَبِمُظَافَرَةِ الْحَنَابِ الْكَرِيمِ السَّيْفِيِّ ، قَطْلُوغِ الْفَخْرِيِّ السَّاقِي النَّاصِرِيِّ ؛ أَدَامَ اللَّهُ
نُصْرَتَهُ لِهَذِهِ الْعَصَابَةِ الْمُؤَيَّدَةِ . وَبِمَضَاءِ عِزَائِهِ الَّتِي مَاوَنْتْ ، وَقَضَاءِ قَوَاضِيهِ الَّتِي
مَا آتَشَنْتْ ؛ وَبِمَوَازَرَةِ مَنْ التَّفَّ عَلَيْهِ مِنْ أَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ ، وَبِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ مُظَافَرَةِ
الْآرَاءِ ؛ وَتَزْوُلِهِمْ عَلَى النِّيَّةِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، وَلَا يُيْهِئُهُمْ مَنْ بَذَلَهُمْ ؛ وَلَا يَبَالُونَ
بِعَسَاكَرِ دِمَشْقِ الْمُقِيمَةِ عَلَى حَلَبٍ وَمَنْ مَالِ إِلَيْهِمْ ، وَتَمَلَّأَ مَعَهُمْ عَلَيْهِمْ ؛ وَمَنْ أَنْضَفَ
إِلَيْهِمْ مِنْ جُنُودِ الْبِلَادِ ، وَجِيُوشِ الْعِنَادِ ؛ وَلَا لَوَاهُمْ مَا كَانَ يَبِيعُثُ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ الْخِلَافُ مِنْ
وَعِيدِهِ ، وَلَا وَلَاهُمْ مَا كَادَ يُخْطَفُ أَبْصَارُهُمْ مِنْ تَهْدِيدِهِ ؛ وَلَا بَالُوا بِمَا أَلَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْ
جُنْدِ الشَّامِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَصَبَّ عَلَيْهِمْ سُيُولُهُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ؛ وَخَادَعُهُمْ بِالرِّسَالِ
الَّتِي مَا تَزِيدُهُمْ عَلَيْهِ إِلَّا إِيَاءً ، وَلَا تُشَكِّكُهُمْ أَنْ السَّيْفَ أَصْدَقُ مِنْهُ لِإِنْبَاءٍ ، حَتَّى وَلَّى
لَا تَنْفَعُهُ الْخِدْعُ ، وَلَا تَنْصُرُهُ الْبِدْعُ ؛ فَمَا أَسْعَدَتْهُ تِلْكَ الْجُمُوعُ الَّتِي جَمَعَهَا ، وَلَا أَجَابَتْهُ
تِلْكَ الْجُنُودُ الَّتِي سَارَ عَلَيْهَا إِلَى مَكَّنٍ أَجَلِهِ ، وَلَا وَقَّتْ تِلْكَ السُّيُوفُ الَّتِي لَمْ يَظْهَرْ لَهُ
مِنْ بَوَاقِهَا إِلَّا حِمْرَةُ الْخَجَلِ ؛ حَتَّى أَخَذَ مَعَ طَاغِيَتِهِ بِلِ طَاغُوتِهِ بِمَصْرَ ذَلِكَ الْأَخَذِ
الْوَيْلِ ، وَقَذَفَ بِهِ إِلَى مَهْوَى هَلَكَةِ سَيْلِ ذَلِكَ السَّبِيلِ ؛ وَقَامَ مِنَ الْبُلْدِيَّاتِ الْمَصْرِيَّةِ
قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَتَظَافَرُوا عَلَى إِزَالَةِ ذَلِكَ الْكَافِرِ النَّعْمَةِ الْجَاهِدِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْأُمَرَاءِ
إِلَّا مَنْ بَذَلَ الْجُهْدَ ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الرِّعْيَةِ وَالْجُنْدِ ؛ وَفَعَلَ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ مَا لَمْ
يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ ، حَتَّى حُمِدَ الْأَمْرُ وَحَمِدَ الْجَمْرُ ؛ وَتَوَاتَرَتِ الْكُتُبُ بِمَا عَمَّتْ بِهِ الْبُشْرَى

من إقامة البيعة باسمه الكريم ، وأنه لم يبقَ إلا من أعطى اليمين وأعطى اليمين ،
وَأَتَمَّ الْحَلْفَ إتماماً لا يُقَدَّر معه ثمين ؛ وأقيمت له السَّكَةُ والخُطْبَةُ فُرفِعَ على المنابر اسمه
وتهلل به وجوه النُّعُود ، وظَهَرَ على أسرار الوجود ؛ وضربت البشائر ، ونهبت
المسرات السرائر ؛ وتشوّقت أولياء هذه الدولة القاهرة أدام الله سلطانها إلى حضور
ملكها ، وسُفُور الصُّباح لإذهاب ما بَقِيَتْهُ عَقَابِيلُ تلك الليلة من حَلَكها . والمقام العالى
ما يزداد علماً ، ولا يَزَادُ عِزَّاً ، وهو أدرى بما فى التأخير ، وبما فى بُعْدِهِ من الضرر الكبير ؛
ومثله لا يُعَلِّمُ ، ومنه يُتَعَلَّمُ ؛ فهو أعلم بما يجب من مسابقة قُدُومِهِ للبشير ، وما سيعنّ
من معالجته لامتطاء جواده ظهر الخمال وبطن السَّيرير ؛ فإِنَّ اللَّهَ ! فى تعجيل حِفْظِ
هذا السَّوَامِ المَشْرُدِ ، وَضَمَّ هذا الشَّمْلَ المَشْتَّتَ ونظَّم هذا العِقْدَ المَبْدَدَ ؛ وجمع كلمة
الإسلام التى طالما أَفْتَرَقَتْ ، وَأَتَّجَاعَ عارضِ هذه النعمة التى أبرقت ؛ وسرعة المسير
فإنَّ صبيحة اليوم المبارك الذى يُعرَف من أولِهِ قد أَشْرَقَتْ ؛ فما بَقِيَ مابِهِ يُقْتَدَرُ ،
ولا سِوَى مَقْدَمِهِ السعيد يُنْتَظَرُ .

وقد كتبناها ويَدُنَا ممدودة لمبايعته ، وقلوبُ الخلق كُلُّها مستعدة لمنايعته ؛ وكسى
المُلكَ قد أُرْلِفَ له مقعده ، ومؤمِّلُ الظَّفَرِ قد أُنجِزَ له موعده ؛ والدهرُ مطاوعه
والزمانُ مُسْعِدُه ، وطوائف أوليائه ليوم لقائه تُرْصِدُه ؛ والعهد له قد كُتِبَ ،
ولواء المُلكِ عليه قد نُصِبَ ؛ والمنبرُ باسمه عليه قد خُطِبَ ، والدينارُ والدرهم هذا
وهذا له قد ضُربَ ؛ ولم يبقَ إلا أن يُقْتَرَبَ ، وترى العيونُ منه ما تَرْتَقِبُ ؛ ويجلس
على السَّيرير ، ويُزِمُّعَ المبشِّرَ ويعزِّمُ على المسير ؛ وتُزَيِّنُ الأقاليمُ ، ويبينُ لتسيير شهابه
ما كان يُقْرَأُ له فى التَّقَاوِيمِ ؛ لازال جَيْبُ مُلكه على الأقطار مَزْرُوراً ، وذيلُ نَخَارِهِ
على السماء مجروراً ؛ وحبلُ وَلِيِّهِ متصلاً وقلبه مسروراً ، ومقدمه يحوز له من إرث
آبائه نِعْماً جمّة ومُلْكاً كبيراً ؛ إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ما استقرّ عليه الحال في زماننا إلى خلافة الإمام

المتوكل على الله خليفة العصر)

وهو أن تفتتح المكتبة بالسلام، ويؤتى في ألقاب المكتوب إليه بما يُكتب من الألقاب عن السلطان على ماسياتى ذكره في المكاتبات السلطانيات في الباب الثانى من هذه المقالة، إن شاء الله تعالى .

مثال ذلك : أن تكون المكتبة إلى نائب الشام مثلاً، فالذى يكتب إليه عن السلطان : « أعز الله تعالى أنصار المقرّ الكريم العالى » إلى آخر الألقاب الآتى ذكرها هناك؛ ويكتب عن الخليفة « سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يحض المقرّ الكريم العالى » إلى آخر الألقاب .

قلت : ولو سلكوا سبيل الخلفاء السابقين في المكاتبات الصادرة عنهم : من الابتداء بلفظ « من عبد الله ووليه أبى فلان فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين إلى فلان على ما تقدّم » وأتوا فى ألقاب المكتوب إليه بالألقاب المستعملة فى [ذلك] الزمان فى المكاتبات السلطانية : مثل أن يكتب عن الإمام المتوكل على الله محمد خليفة العصر إلى نائب الشام « من عبد الله ووليه أبى عبد الله محمد الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، إلى المقرّ الكريم العالى الأميرى الكبيرى » إلى آخر الألقاب المقدم بيانها فى المقالة الثالثة . ثم يقال : « وسلام على المقرّ الكريم ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليه الله الذى لا إله إلا هو ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » . ثم يقال : أما بعد، فإن كذا وكذا، ويؤتى على المقصد ويختتم بالدعاء وغيره لكان أذهب مع الصواب، وأوفق لمكتبة الخلفاء السابقين، وأقرب إلى اقتفاء سبيلهم .

الطرف الخامس

(في الكُتُب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية،

وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في الكُتُب الصادرة عنهم على سبيل الإجمال)

وقد ذكر صاحب " مواد البيان " وكان من كبار دولتهم في المكتبات الصادرة عنهم نحو المكتبات الصادرة عن خلفاء بني العباس ببغداد، فقال : وإن كانت المكتبة من الخليفة فينبغي للكاتب أن يفضل من الدرج قدر ذراع ثم يستفتح بسم الله الرحمن الرحيم في سطر أول : لأنها أولى ما يُستفتح به، ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج يسيراً « من عبد الله ووليه فلان بن فلان إلى فلان » ويبدأ بذكر نعتِه إن كان الإمام شرفه بنعت : « سلامٌ عليك فإنَّ أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ويسأله أن يصليَّ على محمدٍ خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الأئمة المهديين ويُسلم تسليماً . ويكون هذا التصدير في سطرين ، يجعل بينهما فضاء قيس شبر، ولا يزيده عن ذلك ولا ينقصه فيخرجه عن حدّه ؛ ثم يترك بعد هذين السطرين فضاء نصف الذي بينهما . ثم يقول : أمّا بعدُ ، ويقصُّ المعاني معنيّ ، فإن كان أمراً أمر به الإمام قال بعد أنقضاء الكلام : وأمر أمير المؤمنين بكذا . ثم يقول بعد فصلٍ أوسع من الفصل الأول « فاعلم ذلك من أمير المؤمنين ورسمه وأعمل عليه بحسبه » . ويقول للمخاطبين من الطبقة العالية : والسلامُ عليك ورحمةُ الله ، ويفرد بالسلام من دونها .

وقد كانت العادة جارية أن يقال في آخر الكتب النافذة عن الإمام « وكتب فلان بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه ؛ ثم بطل هذا الرسم في الدولة العلوية

ولا يكتب أحدٌ بالتصدير إلا الإمام ووليُّ عهده . وهذه المكتبة عامَّةٌ للناس جميعاً في الأمور السلطانية التي تُنشأ فيها الكتب من الدواوين، ولا يخاطبُ أحدٌ عن الخليفة إلا بالكاف .

الجملة الثانية

(في الكتب العامة ؛ وهي على أسلوبيين)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ : « من عبد الله ووليه أبي فلانٍ

فلان الإمام الفلاني » على ما تقدم ترتيبه)

وعلى هذا الأسلوب كان الحال في ابتداء دولتهم وإلى أوساطها .

وهذه نسخة كتاب كتب به الإمام العزيز بالله نزار الفاطمي إلى عامله بمصر يشّره بالفتح حين خرج إلى قتال القرمطي بالشام في سنة سبع وستين وثلاثمائة، مما أورده المسبّحي في تاريخه :

من عبد الله ووليه نزار أبي المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين، إلى حسين بن القاسم . سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على جدّه محمدٍ نبيه ورسوله صلى الله عليه، وعلى الأئمة من عترته الأبرار، الطاهرين المطهرين وسلّم تسليماً .

أما بعد، فالحمد لله الملك العظيم، العليم الحليم، ذي الطول الكريم، والمنّ الجسيم، والعزّ المديد، والمحال الشديد، وليّ الحقّ ونصيره، وماحق الباطل وبُييره، المتكفل بالنصر والتمكين، والتأييد والتحسين، لأوليائه المتقين، وخلفائه المصطفين الذين

عن دينه ، والقائمين بحقه ، والدالين على توحيدِهِ ؛ الحاكم بإعلاء كلمتهم ، وإفلاج مُجَجِّهم وظهورهم على أعدائه المشائين له ، الضالين عن سبيله ، المُلْحِدِينَ في آياته ، الجاحدين نعمه ، المتزلزلين رِجْلُهُ ، وقوارع بأسه على من عصاه فحاده ، وصَدَّ عنه فناده ، القاضى بالعواقب الحُسْنَى والفوز والنعاء لمن أسلم وجهه له وتوكل عليه في أمره ، وفوض إليه حُكْمَهُ ؛ كُلُّ ذَلِكَ فضلاً منه وعدلاً ، وقضاءً فضلاً ؛ وهو الحَكَمُ العَدْلُ الذى لا يظلمُ النَّاسَ شيئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

فتبارك الله الغالبُ على أمره الفردُ في مُلْكِهِ ؛ سبحانه وتعالى علُوًّا كبيراً . والحمد لله الذى آتبعَ عبده المصطفى ، وأمينه المرتضى ؛ من أكرم سِنخ وَنَبْعَةٍ ، وأظهر مِلَّتَهُ وشرعه في أفضل دَهرٍ وعَصْرٍ ؛ وأنزل عليه كتاباً من وحيه حكماً غير ذى عِوَجٍ قِيَمًا بديع النظام ، داخلاً في الأفهام ، خارجاً عن جميع الكلام ، ليس كسَجْعِ الكُفَّانِ ، ولا كتجبير ذوى اللسن والبيان ؛ وقد تفرقت بالأمم أهواؤُهُمْ ، وتوزَّعتهم آراؤُهُمْ ، فضَلَّتْ أحلامُهُمْ وعَمِيَتْ أفهامُهُمْ وأستحوذ عليهم الشيطان ، فعبَدُوا الأصنام والأوثان ؛ جَهْلًا بعبادة الرحمن ، فدعاهم إلى الإقرار بالهِلْهُم ، وعرفهم وحدانية ربهم وكان حريصاً على إرشادهم ، جاداً في الاجتهاد ، هاجراً للدَّعة والمهاد ؛ صابراً على تكذيب المُشْرِكِينَ ، وتفنيد المُلْحِدِينَ ؛ ينصَحُ لهم فيستكبرون ، ويَهْدِيهِمْ فيضَلُّون ، ويحدِّدُهم فيستَهْزِئُونَ ؛ حتَّى ظهروا دينُ الله فسماً ، وطُمِسَ الكُفْرُ فأنمحق وعفا ؛ وعمَّتْ بركتُهُ ، وفُضِّلَتْ على الأمم أُمَّتُهُ ، وعلَّتْ على الملل مِلَّتُهُ ، صلى الله عليه أفضل صلاة المصلين ، وزاده شرفاً في العالمين إلى يوم الدين .

والحمد لله الذى حبَّأ أمير المؤمنين وأنتخبه لخلافته ، وجعله صَفِيَّةً من خلقه وأمينه على عبادِهِ وهادياً إلى سبيله ، قائماً بحقه ، مُقْسِطاً في أرضه ؛ ذاباً عن دينه ، مُحْيِياً ما أماته أهل الكُفْرِ من أحكامه ؛ وأيدَّه بنصره ، وأمدَّه بقُوته ؛ وتكفل له بالتَّجْنِيعِ

فِي مَسْعَاهُ ، وَالظَّفَرُ بِمُتَغَاهُ ، وَنَيْلَ طَلَبَتِهِ فِيمَا أَمَّهُ وَأَرَاتَاهُ . وَحَكَمَ بَكَبَتْ كُلَّ عَدُوِّهِ
وَحَزِيمِهِمْ ، وَإِذْلَاهُمْ وَمَحَقِهِمْ وَخَذْلَهُمْ ، وَإِيْهَانَ كَيْدِهِمْ ، وَضَرْبَ الدَّلَّةِ عَلَيْهِمْ حَيْثُ
كَانُوا وَأَيْنَ كَانُوا ؛ فَلَا يَنْعِقُ نَاعِقٌ مِنْهُمْ يَطْلُلُ ، أَوْ يَسْعَى بَفْسُقٍ وَخَبَالٍ ؛ أَوْ يُدْفَعُ
إِلَى أَفْتَرَاءِ عَلَى اللَّهِ أَوْ مُرُوقٍ عَنْ دِينِهِ أَوْ إِذْهَابٍ مَا فَرَضَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مِنْ طَاعَةٍ
إِلَّا أَصْطَلَمَهُ وَأَنْزَاهُ ، وَأَكْبَهَ لَوَجْهِهِ وَأَرْدَاهُ ، وَقَضَى عَلَيْهِ بِالشَّقْوَةِ فِي دُنْيَاهُ ، وَعَذَابِ
الْآخِرَةِ فِي أُخْرَاهُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَعَ فَأَجْمَلَ ، وَأَعْطَى فَأَجْزَلَ ؛ مِنْ نِعَمِهِ السَّابِقَةِ ، وَالْآلَاءِ الْمَتَابِعَةِ ؛
الَّتِي لَا يُوَازِيهَا شُكْرٌ ، وَلَا يُدْرِكُ كُنْهَهَا ذِكْرٌ ؛ حَمْدًا يُوجِبُ مِنْهُ الْمَزِيدَ ، وَيَسْتَدْعِي
الْمِنَّةَ وَالتَّجْدِيدَ ؛ وَإِلَيْهِ يَرْغَبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ خَاضِعًا وَيَسْأَلُهُ رَاغِبًا حُسْنَ الْعَوْنِ عَلَى
مَا بَلَغَ رِضْوَانَهُ ، وَأَمْتَرَى فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ . وَتَقَدَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ بِمَا هَيَّأَهُ اللَّهُ مِنْ
وُصُولِهِ إِلَى مَدِينَةِ الرِّمْلَةِ عَلَى أَجْمَلِ صُنْعٍ وَأَلْطَفِ كِفَايَةٍ ، وَأَتَمِّ أَمْنٍ ، وَأَكْلَ عِزٍّ
وَأَوْطَدِ حَالٍ ، وَأَحْسَنِ أَنْتِظَامٍ ، وَأَبْسَطِ يَدٍ ، وَأَظْهَرَ قُدْرَةٍ ، وَأَشْمَلَ هَيْئَةٍ ؛ وَبِمَا أَوْلَى
اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَلِّهِ وَطَعْنِهِ ، وَآرْتِحَالِهِ وَثَوَائِهِ : مِنْ نِعَمِهِ الْعَمِيمَةِ ، وَمَوَاهِبِهِ
الْجَسِيمَةِ ؛ وَمِنْحِهِ الْجَلِيلَةِ ، وَمِنْتَنِهِ الْجَزِيلَةِ ؛ وَانَّهُ مِمَّا يَسْتَغْرِقُ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ ، وَيَفُوتُ
الإِحْصَاءَ وَالنَّشْرَ ، وَذَكَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَ اللَّعِينِ التُّرْكِيِّ وَهَرَبَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ
يُلَوِّ عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ بَلَغَ طَبَرِيَّةَ لِلَّذِي تَدَاخَلَ مِنَ الْفَرَقِ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَلَقِ ؛
وَلَمَّا سَكَنَ قَلْبُهُ مِنَ الرَّعْبِ ، وَحَشَاهُ مِنَ الرَّهْبِ ؛ بِقَصْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ وَإِغْذَاذِهِ
السَّيْرَ فِي طَلَبِهِ وَمَوَاصِلَتِهِ الْأَسْبَابَ ، وَمَتَابَعَتِهِ الْإِدَابَ . وَوَصَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا عَلَيْهِ
عِزُّهُ فِي تَنْبُعِهِ وَأَقْتِنَاءِ أَثَرِهِ ، وَالْحُلُولِ بِعَقْوَتِهِ ^(١) حَيْثُ قَصَدَ وَحَلَّ ، لِثِقَتِهِ بِاللَّهِ رَبِّهِ ،
وَتَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ ، وَتَفْوِيضِهِ إِلَيْهِ . وَلَمْ يَزَلْ جَلَّ وَعِزُّ يُولِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - بَعْدَ نَفُوذِ

(١) العقوة ماحول الدار والمحلة ، انظر القاموس ، ووقع في الأصول بالفاء بدل القاف وهو تصحيف .

كتابه - من عزَّ يؤيده ، وظفر يؤكده ، ونصر يوطئه ؛ وآلاء يُجَدِّدها ، ومواهب يُتَابِعُها ، وعدو يذله ، ومناو يقله ؛ وشارد يصرفه إلى طاعته ، ومارق يعيده إلى موالاته ؛ إلى أن تم له من ذلك ما واصل به حمد الله عليه ، وتبَّأ له ما تواتر شكره له جل وعز فيه وكان مع ذلك مواصلاً إلى اللعين الإعذار ، ومتابعا للإنذار ، ومحدِّرا له ما يُعذر ، ومستدعيه إلى ما يُختار ويؤثر ؛ وممَّنَّا له ممَّا يثني به مثله من العفو عنه ، ونعمد ما جرى منه ؛ والإقالة لعثرته ، والتجاوز عن هفوته ، والامتنان عليه بما رغب فيه من تقليده ناحية من نواحي الشام ، وإدراج الأرزاق عليه وعلى رجاله وأصحابه ؛ وإشاره بالفضل الجليل ، واختصاصه بالطول الجزيل . فما نجح في الفاسق وعد ، ولا نجح فيه وعظ ، ولا وفق إلى قبول حظ ؛ ولا أصنى إلى قبول تذكرة ، ولا أناب إلى تبصره . وما زال جادا في تهوكه ، متماديا على تمهكه ؛ جاريا على ضلَّالته ، سالكا سبيل عمَّايته ؛ مترددا في غوايته ، متلذذا في جهالته ؛ مقدرا أن بأس الله لا يرهقه ، وسطوته لا تلحقه ، ورجزه لا يحققه ، وذنوبه لا تُزهِقه ، وأجرامه لا تُؤيقه . وما زال اللعين في خلال ذلك يَبْسُطُ آمال العرب ويرجِّيها ، ويرغبها ويمنِّيها ؛ بأقوال كاذبه ، وآمال خائبه ؛ ومواعيد باطله ؛ حتى أصنى أكثرها إلى غروره ، وقبول إفكه وزوره ؛ وأجابته طائفة طاغية ، ووصلت إليه متابعيه ؛ فتوفَّر جمعه ، وكثُر عدده وأشتد طمعه ، وقوى أمله ؛ وتمكن له باستدراج الله إياه وغضبه عليه أن يورط عُصْبَتَهُ ومن أخذعه يَغِيهِ وأستقرَّ معه جهله ؛ ويوردهم جميعا ونفسه الرذلة موردا لا صدر له ، ولا علل بعده ؛ فخرج من طبرية وحلَّ بيسان ، محلَّ الخزي والهوان ؛ فعندها انتهى إلى أمير المؤمنين خبره وهو يومئذ في المنهل ، الذي حصل فيه بعد رحيله من الرملة وهو الموضع المعروف بالطواحين . فعند ما قرب أستجرأ الفاسق اللعين ، وأعتمد ما يعود بأطاعه ، أقام في الموضع أيا ما ناظرا فيما يحتاج إليه ، متأبها

لما يُريده ، وكان ذلك هو السبب الذى أطمعه . فبعد ما طمع قاده الحين
الغالب ، والقدر الجالب ؛ وما أراد الله عز وجل من استدراجه إلى موضع نكاله ،
ومنهل وباله ؛ ورحل من بيسان رحيل من استعجلته البلية ، واستدعته الرزية ؛
فحل بموضع يعرف بكفر سلام ، كافراً بحدود الإسلام ، متجرباً على الله محارباً لنجل
نبيه عليه السلام ؛ وأقام بها متلداً في حيرته ، متردداً في سكرته ؛ ثم استجره شومه ،
وقاده حينه ولومه ؛ إلى أن رحل فترل بكفر ساباً البريد ، فأنباه أسمها بما حل به من
السبي الميسد والخزى الشديد ؛ ثم لم يلبث أن ضرب مضاربه المأكولة ، ونصب
أعلامه المخدولة ، وأقام صفوفه المفلولة ؛ وأظهر آلة الحرب إقداماً ، و [أخفى]
عن اللقاء إجماعاً .

فأمر أمير المؤمنين بترين العساكر المنصورة والجيوش المظفرة وتعبتها على
مراتبها ، وترتيبها على مواكبها ؛ وتقدم إلى قوادها أن لا يمشوا إلا صفاً ،
ولا يسيروا إلا زحفاً ، وعرفهم أنه سيسير بنفسه ، ويقصد اللعين بموكبه وجهوره
ومن معه من حماة رجاله ؛ وأنه لا يثنيه عن الفاسق ثاين ولا يصرفه عن الاقتحام
صارف ؛ فبدأ من عزائمهم ، وشدة شكائهم ، وخلوص بصائرهم ، وسكون
أفئدتهم ، وثبات أقدامهم ، ما كانت به دلائل النصر واضحاً ، وشواهد الفلج لائحاً ؛
وعلامات الفتح ظاهره ، وآيات النجح باهره ؛ فمشوا على ما أمروا ، وساروا على
ما سيروا ؛ فعند ما دنوا من عدو الله أصابوه بالبلاد معداً ، وفي المحاربة مجتداً ؛
وآستخاروا الله عز وجل وتدانوا للتلاق ، والأخذ بالنواصي والأعناق ؛ وقامت
الحرب على ساق ، وتجرع منها أمر مذاق ؛ فاستطار شرارها ، وتاججت نارها ؛
وآرتفع دخانها ، وعظم شأنها ؛ والتزم الأقران بالأقران ، وأشدت الضرب والطعان ؛

إلى أن مشى أمير المؤمنين بنفسه ، وجمهور موكبه ، متوكلاً على الله ، ماناً إليه بجمعه
 مجد صلى الله عليه وسلم ، متوسلاً بمتقدم وعده ، وسالف إنعامه عنده ، وقصد اللعين
 غير متلوم عن مصادمته ، ولا معرج عن ملاحته ؛ ففويت نفوس أوليائه وعبيده ،
 ومن آشمت عليه عساكره المنصورة ، وجيوشه المظفرة بما تينوه من إقدامه ،
 وشاهدوه من اعتزازه ؛ وحملوا على الفاسق وأحزابه ؛ وقذف الله في قلوبهم الرعب
 فترزلت أقدامهم ، وأرعشت أيديهم ونجبت أفئدتهم ، ولوا الدبر منهزمين ، ومنحوا
 ظهورهم مؤلين ؛ وأفرقوا ثلاث فرق : فرقة قتلت في المعركة ، وصُرعت في الملاحمة ؛
 فاحترت رؤوسهم ، وفرقة أحست وقع السيوف وإرهاق الختوف ؛ فاستأمنت تحت
 الذلة والصغار ، والغلبة والافتقار ، فبقيت عليهم الأرواح ، وحقت منهم الدماء .
 وفرقة أسرت أسرا ، وقيدت قيذا ؛ وهرب التركي اللعين رئيس ضلاتهم ، وعميد
 كفرهم ؛ في شريضة من أصحابه ، فظن أن ذلك من بأس الله يُخيه ، ومن الأخذ
 بكمطه يوقيه ، هيهات ! كما قال الله عز وجل : ﴿ هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ :
 ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ فاتبعه سرعان الخيل
 وخفاف الرجال ؛ مع مفرج بن دغفل بن جراح ، فأخذه قبضا وأتى به قودا أسيرا
 من غير عهد ، وذليلا من غير عقد ؛ وأستولى أهل العساكر المنصورة ، والجيوش
 المظفرة ؛ على مناخه وسواده ، وما كان فيه من مال وأثاث وكراع وقناع ، وقليل
 وكثير ، وجليل وحقير ؛ فآزوه وآسسوا به ، وأكثروا من حمد الله ، وأنصرفوا
 إلى معسكرهم سالمين ، بالمغم والطفر آمنين ؛ لم يكلم منهم أحد ، ولم ينقص لهم عدد ؛
 وكان جملة ما أتوا به معهم من رؤوس الفسقة زائداً على ألف رأس ، ومن أسراهم
 ثمانمائة أسير ، غير من استؤمن وقت الإيقاع بهم ، ولم يفلت من الفسقة إلا من هرب

(١) القناع معانيه كثيرة ومنها السلاح وهو المراد هنا .

بُحْشَاشَةٌ نَفْسُهُ مَعَ مَنْ لَأَمَ التُّرْكِيُّ اللَّعِينُ ، وَصَاحِبُ عَقْدِهِ وَمُورِّطُهُ فِي هَلَاكِهِ ، وَقَائِدُهُ إِلَى نَقِمَاتِهِ ، وَسَائِقُهُ إِلَى مُوَيْقَاتِهِ ؛ وَهُوَ كَاتِبُهُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَمَارَةِ ، فَلَحِقَ بِطَبْرِ يَةٍ فَقُتِلَ هُوَ وَجُلٌّ مِنْ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَأَحْتَرَّ رَأْسُهُ وَأُتِيَ بِهِ ؛ فَكُمَلَتِ النِّعْمَةُ ، وَتَمَّتِ الْمَوْهَبَةُ ؛ وَتَجَدَّدَ حَمْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاتَّصَلَ شُكْرُهُ ، لَمَّا أَوْلَاهُ مِنْ جَلِيلِ عَطَائِهِ ، وَكَرِيمِ حَبَائِهِ ، وَسَنَى آلَاؤُهُ . وَكَانَ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ ، وَأَكْبَرِ شَوَاهِدِهِ ، وَاخْتِصَاصِ اللَّهِ إِيَّاهُ وَاتِّخَاذِهِ لَهُ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عَطَائِهِ الْهَنِيِّ ، وَحَبَائِهِ السَّنِيِّ ؛ وَمَا أَيْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعَزَّ الدِّينِ ، وَقَعَ الْمُشْرِكِينَ ؛ إِذْ كَانَ الْفَاسِقُ اللَّعِينُ ، التُّرْكِيُّ الْعَوِيُّ الْمُبِينُ ؛ ثَلَاثَةً مِنْ ثَلَاثِهِمْ وَرُكْنًا مِنْ أَرْكَانِهِمْ ، وَخِزْبًا مِنْ أَحْزَابِهِمْ ، وَوَسَنًا مِنْ أَوْثَانِهِمْ ، وَطَاغِيَّةً مِنْ طَوَاغِيَّتِهِمْ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بِلَدِ الْمُسْلِمِينَ يَدٌ تَصُدُّ عَنْهُمْ بَأْسَ غَيْرِهِمْ ، وَلَا عُضْدٌ يَدْفَعُونَ بِهَا سِوَاهُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجُلًّا أَنْ يُوزِعَهُ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاهُ ، وَيُوجِدَهُ سَبِيلًا إِلَى بُلُوغِ مُبْتَغَاهُ ؛ مِنْ إِعْزَازِ الْمِلَّةِ وَالِدِّينِ ، وَإِحْيَاءِ شَرِيعَةِ جَدِّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ وَمُجَاهِدَةِ التُّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَقَمْعِ الظَّالِمِينَ وَالْقَانِطِينَ وَالْمَارِقِينَ ؛ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، وَيَجْمَعَ الْقُلُوبُ عَلَى طَاعَتِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِتَعْرِيفِكَ ذَلِكَ ، وَتَلْخِصِ الْكِتَابَ إِلَيْكَ ، لَتَقَفَّ عَلَيْهِ وَتُدْرِيهِ ، وَتَشْهَرَهُ فِيمَا قَبْلَكَ ؛ وَتَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى مَا مَنَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النِّصْرِ ، وَمَكَّنَهُ مِنَ الظَّفَرِ . فَاعْلَمْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . وَكَتَبَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لَخْمَسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَةَ .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بِحُطْبَةٍ مَفْتَحَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ)

وعليه كان الحال في أواخر دولتهم . وعليه جرى في ”مواد البيان“ في الأمثلة التي ذكرها .

وهذه نسخةُ كتاب مما اورده في ”مواد البيان“ بِبشارةِ بفتح، وهي :

الحمد لله مُدِيلُ الْحَقِّ وَمُنِيرُهُ ، وَمُنْذِلُ الْبَاطِلِ وَمُبِيرُهُ ، مُؤَيِّدُ الْإِسْلَامِ بِبَاهِرِ
الْإِعْجَازِ ، وَقَصَمَ وَعَدَهُ فِي الْإِظْهَارِ بَوَاشِيكَ الْإِنْجَازِ ؛ أَنْحَدَ كُلَّ دِينٍ وَأَعْلَاهُ ، وَرَفَضَ
كُلَّ شَرٍّ وَاجْتَبَاهُ ؛ وَجَعَلَهُ نُورَهُ اللَّامِعَ ، وَظَلَّهُ الْمَاتِعَ ؛ وَأَبْتَعَتْ بِهِ السَّرَاجَ الْمُنِيرَ ،
وَالْبَشِيرَ النَّذِيرَ ؛ فَأَوْضَحَ مَنَاجِجَهُ ، وَبَيَّنَّ مَدَارِجَهُ ؛ وَأَنَارَ أَعْلَامَهُ ، وَفَصَّلَ أَحْكَامَهُ ؛
وَسَنَّ حِلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَبَيَّنَّ خَاصَّهُ وَعَامَّهُ ؛ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَحَضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ
بِعَصَمِ دِينِهِ ؛ وَشَمَّرَ فِي نَصْرِهِ مُجَاهِدًا مَنْ نَدَّعَى سَبِيلَهُ ، وَعَنَّدَ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ حَتَّى قَصَّدَ
الْأَنْصَابَ وَالْأَصْنَامَ ، وَأَبْطَلَ الْمَيْسِرَ وَالْأَزْلَامَ ؛ وَكَشَفَ غِيَابَاتِ الْإِظْلَامِ ، وَأَتَنَعَلَتْ
خَيْلُ اللَّهِ بِقِبَائِلِ الْهَامِ .^(١)

يُحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ جَعَلَهُ مِنْ وُلَاةِ أَمْرِهِ ، وَوَفَّقَهُ لَاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِهِ وَأَقْنَعَاءِ
أَثَرِهِ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى تَمْكِينِ الدِّينِ ؛ وَتَوْهِينِ الْمُشْرِكِينَ ، وَشِفَاءِ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَنْهَضَهُ
بِالْمُرَامَةِ عَنِ الْمِلَّةِ ، وَالتَّحَامَةِ عَنِ الْحَوَازَةِ ؛ وَإِعْزَازِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَإِذْلَالِ حَزْبِ
الْكُفْرَانِ . وَيَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى خَيْرَتِهِ الْمُجْتَبَى ، وَصَفْوَتِهِ الْمُتَّصَى ، مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ مِنْ ذَبِّ

(١) كذا في الأصول مضبياً عليه بعلامة التوقف ولعله وتم وعده انخ كما يفيد السجع .

(٢) قبائل الرأس أطباقه وفي الأصول ”نبائل“ بالنون وهو تصحيف يأباه المعنى .

وكلف، وجاهد ونافح؛ وحمى الذمار، وغزا الكفار. صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه على بن أبي طالب سيفه القاطع، ومجته الدافع: وسهمه الصارذ، وناصره العاضد؛ فارس الوقائع، ومعموس (?) الجماع؛ مبيد الأقران، ومبدد الشجعان. وعلى الطهرة من عترته أئمة الأزمان، وخالصة الله من الإنس والجان. وإن أولى النعم بأن يرفل في لباسها، ويتوصل بالشكر إلى لبائها؛ ويتهادى طيب خبرها، ويتفاوض بحسن أثرها؛ نعمة الله تعالى في التوفيق لمجاهدة أهل الإلحاد والشرك، وغزو أولى الباطل والإفك؛ والهجوم عليهم في عقر دارهم، وأجنتات أصلهم وهدم منارهم؛ وأستزالمهم من معاقليهم، وتشريدهم عن منازلهم؛ وتغميض نواظريهم الشوس، واللباسهم لباس البوس؛ لما في ذلك من ظهور التوحيد وعزّه، ونمود الإلحاد وعزّه؛ وعلوامة المسلمين؛ وانخفاض دولة المشركين؛ ووضوح محجة الحق ومجته، وفضوح برهانه وآيته.

وكتب أمير المؤمنين هذا إليك، وقد أنكفأ عن ديار الفلانيين والمشركين إلى دسّت خلافته، ومقر إمامته؛ بعد أن غزاهم براً وبحرا، وشردهم سهلاً ووعراً، وجرعهم من عواقب كفرهم مرّاً؛ وفرق جمائعهم التي تطبق سهوب الفضاء خيلاً ورجلاً، وتضيّق بها المهامة حزناً وسهلاً؛ ومزق كتابهم التي تلحق الوهاد بالنجاد، وتختطف الأبصار ببوارق الأعماق؛ وسبى الذراري والأطفال، وأسر البطاريق والأفيال؛ وأفتتح المعاقل والأعمال، وحاز الأسلاب والأموال؛ وأستولى من الحصون على حصن كذا وحصن كذا. ومحامنها رسوم الشرك وعقاها، وأثبت سنن التوحيد بها وأمضاها. وغنم أولياء أمير المؤمنين ومتطوعة المسلمين من الغنائم ما أقر العيون، وحقق الظنون؛ وأنفصلوا وقد زادت بصائرهم نفاذاً في الدين، وسراثرهم إخلاصاً في طاعة أمير المؤمنين؛ بما أولاهم الله من النصر والإظهار، والإنعزاز والإظهار؛ ووضّح للمشركين بما أنزل عليهم

من الخذلان، وأنالهم إياه من الهوان ؛ أنهم على مضلة من النقي والعمى ، وبعد من الرشد والهدى ؛ فضرعوا إلى أمير المؤمنين في السلم والمودعة ، وتحملوا بذلاً بذلوه تفادياً من الكفاح والمقارعة ؛ فأجابهم إلى ذلك متوكلاً على الله تعالى ، ومتمثلاً بقوله تعالى إذ يقول : ﴿وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . وعاقده طاعتهم على كتاب هُدنة كتبه له ، وأقره في يده ؛ حجة مضمونة .

أشعرَك أمير المؤمنين ذلك لتأخذ من هذه النعمة بنصيبٍ مثلك من المُخلصين ، وتعرف موقع ما تفضل الله تعالى به على الإسلام والمسلمين ؛ فتحسن ظنك ، وتقر عينك ؛ وتشكر الله تعالى شكر المستمد من فضله ، المعتد بطوله ؛ وتتلو كتاب أمير المؤمنين ، على كافة من قبلك من المسلمين ، ليعلموا ما تولاهم الله به من نصره وتمكينه ، وإذلال عدوهم وتوحيته ؛ فاعلم ذلك وأعمل به .

الجملة الثالثة

(في الكتب الخاصة ، كالمكتبة إلى الوزير ومن في معناه)

قال في "موادّ البيان" بعد ذكر صورة المكتبات العامة عنهم : وقد يخاطب الإمام وزيره في المكتبة الخاصة بما يرفعه فيه عن خطاب المكتبة العامة الديوانية ، ويتصرف في ذلك ، ويزاد ويقتص على حسب لطافة محلّ الوزير ومنزله من الفضل والجلالة . قال : وليس لهذه المكتبة الخاصة حدود ينتهي إليها ، ولا قوانين يعتمد عليها ، وطريقها مستفيضة معلومة . وقد تقدّم في المكتبات الخاصة عن خلفاء بني العباس أن مكتبة الوزير «أمتعني الله بك» في أدعية أخرى .

الطَّرَفُ السَّادِسُ

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس)

ولم أَقِفْ على شيء من المكاتبات الصادرة عنهم ، وإن ظَفِرْتُ بشيء منها بعد ذلك ألحقته إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ السَّابِعُ

(في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين ، أتباع المهدي بن تومرت المستمر بقاياهم الآن بتونس وسائر بلاد أفريقيا ، وهي على أسلوبيين)

الأسلوب الأول

(أن تُفتَحَ المكاتبَةُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

وكان الرسم فيها أن يقال : « من أمير المؤمنين فلان » ويُدْعَى له بما يناسبه « إلى فلان » ويُدْعَى له بما يليق به ؛ ثم يُوقَى بالسلام ؛ ثم يُوقَى بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والترضية عن الصحابة ، ثم عن إمامهم المهدي ؛ ثم يُوقَى على المقصود ، ويُخْتَم بالسلام . والخطاب فيه بنون الجمع عن الخليفة وميم الجمع عن المكتوب إليه .

كما كُتِبَ عن عبد المؤمن : خليفة المهدي إمامهم إلى الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سعد :

« من أمير المؤمنين أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعاونته ؛ إلى الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سعد وفقه الله ، ويسره لما يرضاه ، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته . »

أما بعدُ فالحمدُ لله الذي له الاقتدار والاختيار، ومنه العونُ لأوليائه والإقدار،
 وإليه يرجع الأمرُ كُلُّه فلا يَمْنَعُ منه الاستبداد والاستئثار؛ والصلاةُ على محمدٍ نبيِّه
 الذي أبتعثت بمبعثه الأضواء والأنوار، وعمرت بدعوته الأنجاد والأغوار، وخَصَمَ
 بِمُحَبَّتِهِ الكُفْرَ والكُفَّارَ؛ وعلى آلِهِ وصحبه الذين هم الكرامُ الأبرار، والمهاجرين
 والأنصار؛ والرضا عن الإمام المعصوم، المهديِّ المعلوم؛ القائمُ بأمر الله حينَ غيَّرتَه
 الأغيار، وتقدَّم الامتعاظُ له والانتصار. وهذا كتابنا - كتب الله لكم نظرًا يُريكم
 المنهج، ويُليفيكم الأبهجَ فالأبهجَ؛ وآتاكم الله من نعمة الإيمان، وعصمة الانقياد له
 والإذعان، ما تجدون به اليقين والثَّلاج - من حضرة مرَّأئش حرسها الله تعالى،
 ولا أستظهار إلا بقُوته وحوله، ولا أستكثر إلا من إحسانه وطوله.

ولما جعل الله هذا الأمر العظيم رحمةً خلَّقه، ومِطِيَّةً لرقيه وقرارةً لإقامة حَقِّه؛
 وحَمَلَ حَمْلَتَهُ الدعاءَ إليه، والدلالةَ به عليه، والترغيبَ في عظيم ما عنده ونعيم ما لَدَيْهِ؛
 وجعل الإنذارَ والإعذارَ من فُضُولِهِ المستوعبة، وأحكامه المرتَّبة؛ ومنجَّاته المخلَّصة
 من الخطوب المَهْلِكَةِ والأحوال المُعْطِية - رأينا أن نُحاطِبكم بكتابنا هذا أخذًا
 بأمر الله تعالى لرسوله في المَضَاءِ إلى سبيله، والتحريضِ على اغتنام النجاءِ وتَحْصِيلِهِ،
 وإقامة الحجَّةِ في تبليغ القولِ وتوصيله؛ فأجيبوا - رفعكم الله - داعِيَ الله تَسْعُدُوا،
 وتَمَسَّكُوا بأمر المهديِّ - رضى الله عنه - في آتِّبَاعِ سبيلِهِ تَهْتَدُوا؛ وَأَصْرِفُوا أَعْيُنَ
 العِنايةِ إلى النظرِ في المآل، والتفكُّرِ في نَوَاشِئِ التغيُّرِ والزوال، وتَدَبَّرُوا جَرَى هذه
 الأمور وتصرَّف هذه الأحوال؛ وأعلموا أنه لا عِزَّةَ إلا بإعزاز الله تعالى فهو
 ذوالعِزَّةِ والجلال، ولا يَغْنِيكُمْ بالله الغرور، فالدُّنيا دارُ الغرور، وسوقُ المَحَال؛ وليس
 لكم في قَبُولِ النصيحة، وأبتداءِ التوبة الصحيحة؛ والعملِ بثبوت الإيمان في هذه
 العاجلةِ الفَسِيحَةِ؛ إِلَّا ما تَحِبُّونَه في ذات الله تعالى من الأَمَنَةِ والدَّعَةِ، والكرامةِ

المُسْعَة والمكانة المرفعة، والتنعّم بنعيم الراحة المتصلة والنفس الممتعة؛ فنحن لأُريد
لكم ولسائر من نرجو إنايته، ونستدعي قبوله وإجابته، إلا الصّلاح الأعمّ، والنجاح
الآثم؛ وتأملوا - سدّدكم الله - مَنْ كان بتلك الجزيرة - حرسها الله - من أعيانها،
وزعماء شاتها؛ هل تخلص منهم إلى ما يودّه، وفاز بما يدّخره ويُعده، إلا من تمسك
بهذه العروة الوثقى، وآستبق لنفسه من هذا الخير الأديم الأبقى، وتعمّم بما لقي من
هذا النعيم المقيم ويلقى . وأما مَنْ أخلد إلى الأرض وأتبع هواه، ورغب بنفسه
عن هذا الأمر العزيز إلى ما سواه؛ فقد علم بضرورتي المشاهدة والاستفاضة سوء
منقلبه، وخسارة مذهبه ومطلبه، وتثقل منه حادث الانتقام أخسر ما تثقل به؛
وحقّ عليكم - وفقكم الله ويسركم لما يرضاه - أن تُحسنوا الاختيار، وتصلّوا الأدّكار
والإعتبار، وتبتدروا الابتدار؛ وما حقّ من أنقطع إلى هذا الأمر الموصول الواصل،
وأزعم ما يناله من خيره المحوز الحاصل؛ أن يناله منكم شاغل يشغله عن مقصوده،
ويحيط به ما يصرّفه عن محبوه ومودوده؛ فقد كان منكم في أمر أهل بلنسية حين
إعلانهم بكلمة التوحيد، وتعلّقهم بهذا الأمر السعيد ما كان، ثم كان منكم في عقب
ذلك ما أعمد ثمّوه في أمر أهل لوزقة - وفقهم الله - حين ظهر اختصاصهم،
وبان إخلاصهم؛ وليس لذلك وأمثاله عاقبة تُحمد، فالخير خير ما يقصد، والنجاة فيما
يترجّح عن الشر ويبيد؛ وإنا لنرجو أن يكفّكم عن ذلك وأشباهه إن شاء الله تعالى
نظراً موفقاً، ومتاعاً محقّقاً، ويحبّذكم إلى موالاة هذه الطائفة المباركة جاذباً يسعد،
وسائقاً يرشد؛ والله يئنّ عليكم بما يُحييكم، ويمكّن لكم في طاعته أسباب تأمليكم
وترجيكم، بمنّه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في السادس عشر من
جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسةائة .

الأسلوب الثاني

(أن تُفَتِّحَ المكتبة بلفظ « أما بعد »)

والأمر فيه على نحو ما تقدّم في الأسلوب قبله بعد البعديّة ، كما كتب أبوالميمون عن المستنصر بالله : أحد خلفائهم إلى بعض توابه ، وقد نقض العهد على بعض المهادين من النصاري .

”أما بعد حمد الله الأمر بالوفاء بالعهود ، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى الكريم سيّد الوجود ، وعلى آله وصحبه ليوثّ البأس وغيوث الجود ، والرضا عن الإمام المعصوم ، المهديّ المعلوم ؛ الآتي بالتّعت الموجود ، في الزّمن المحدود ، وعن خلفائه الواصلين بأمره إلى التّهايم والنّجود ؛ والدعاء لسيدنا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين بسعدٍ تدلّ له النواصي ، ويهدّ الأقطار القواصي ؛ فكتبناه - كتبكم الله ممّن إذا هم بأمر تدبّر عواقبه ، وإذا عزّم على رُكوب غير ألفي معاطبه - من فلانة كلاًها الله تعالى . وقد بلغنا ما كان منكم من اكتساح النصاري ، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى ؛ ونعوذ بالله من شهوة تغلب عقلاً ، ونخوة تُعقب هواناً ودُلاً ؛ وقد أخطأتم في فعلتكم الشّنعاء من ثلاثة أوجه : أحدها أنه خلاف ما أمر الله تعالى به من الوفاء بالعهد ، والوقوف مع العقد ؛ والثاني عصيان الأمر العزيز وفيه التّغريض بالمُهْج ، وترك السّعة للخروج ؛ والثالث أنكم تُثيرون على أنفسكم من شرّ عدوكم - قصمه الله - شرّاً يستعير ، وضراً يعلّم فيه المتصرّ ، فليتكم إذ تحلّيتُم بالعِصيان ، ورَضِيتُم الغدر المحترَم في سائر الأديان ؛ ثبّتُم للعدوّ إذا دَهَمَكُم ، ولقيتموه بالجانب القويّ متى زَحَمَكُم ؛ بل تتدرّعون له الفِرار ، وتتركونه في مخلفيكم وما آخِثار ؛ وقد جرّبتُم مرّات أنكم لا ترزؤنهم ذرّه ، إلا رَزءَوكُم ألف بدّره ؛ ولا تُصيبونهم مرّه ، إلا أصابوكم ألف مرّه ؛ وإلى متى

تُهَوَّنُ فَلَا تَنْهَوْنَ ؟ وَحَتَّامٌ تُنْهَوْنَ فَلَا تَنْتَهَوْنَ ؟ فَاذَا وَا فَا كَمْ كَتَبْنَا هَذَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ
فَادُّوا مَنْ أَسْرَئْتُمْ إِلَى مَأْمَنِهِ ، وَرُدُّوا مَا آتَيْتُمْ إِلَى مَسْرَحِهِ ؛ وَلَا تُنْكِسُوا مِنَ الْأَسَارَى
بَشَعْرَهُ ، وَلَا مِنَ الْمَاشِيَةِ بَوْبَهُ ؛ وَمَنْ سَمِعْنَا عَنْهُ - بَعْدَ وَصُولِ هَذَا الْكِتَابِ - أَنَّهُ تَعَدَّى
هَذَا الرَّسْمَ ، وَخَالَفَ هَذَا الْحُكْمَ ، أَنْفَعْنَا عَلَيْهِ الْوَاجِبَ ، وَحَكَّمْنَا فِيهِ الْمَهْدَّ الْقَاضِبَ ؛
فَلْتُسْرِعْ مِنْ نَوْمَةِ الْغَفْلَةِ لِإِفَاقَتِكُمْ ، وَلَا تَنْتَرِضُوا مِنَ الشَّرِّ لِمَا تَعْجِزُ عَنْهُ طَاقَتُكُمْ ؛ وَنَحْنُ
مَتَعَرِّفُونَ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مَنْ تَأَنُّ أَوْ يَدَارُ ، وَمُقَابِلُونَ لَكُمْ بِمَا يَصْدُرُ عَنْكُمْ مِنْ إِقْرَارٍ
وإنكارٍ ؛ وَهُوَ يُرْشِدُكُمْ بِمَنَّةٍ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ” .

قلت : ثم طرأ بعد ذلك الإكثار من ألقاب خلفائهم في المكاتبات الصادرة عنهم ،
والمبالغة في مدحهم ، وإطرائهم على ما سيأتى ذكره في الكلام على المكاتبات الواردة
من ملوك الأقطار إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ الثَّامِنُ

(في الأجوبة ، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُضَاهِي الْأَجُوبَةَ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، وَهُوَ عَلَى أُسْلُوبَيْنِ)

الأسلوب الأول

(أَنْ يُفْتَحَ الْجَوَابُ بِلَفْظِ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ »)

مثل أن يكتب « من عبد الله ووليه أبى فلان فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين »
إلى آخر الصدر على ما تقدّم فى الابتداءات ؛ ثم يقال : أما بعدُ ، وينساق منه إلى
ذكر الكتاب الوارد وعرضه على الخليفة ، وما اقتضته آراء الخلافة فيه ، ويُكَلِّ

على نحو الابتداء . كما كتب عن المقتنى لأمر الله ، إلى غياث الدين مسعود بن ملكشاه السلجوقي في جواب كتابه الوارد عليه ، يخبره بأن بعض من كان خرج عن طاعته دخل فيها ، وأنحاز إليه ، وهو :

”من عبد الله أبي عبد الله محمد الإمام المقتنى لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان بالقابه .

أما بعد - أطال الله بقاءك - فإن كتابك عُرض بحضرة أمير المؤمنين مُعرباً عن أخبار سعادتك ، وبحري الأمور على إرادتك ؛ وبلوغ الأغراض من الوجهة التي توجّهت إليها ، والأطراف التي أشرقت سعادتك عليها ؛ بما ينم ما يتق به من الطاعة الإمامية وتضميره ، وتعتقده من الإخلاص وتستشعره ؛ وأن ركن الدين محمداً ومن أنضم إلى جلته وأنظم في سلك موافقته لما ظفروا منك يذمام أطمأنوا إليه وسكنوا ، وأمان وثقوا به وركنوا ، أبصروا الرشد فاتبعوه ، واستجابوا الداعي إذ سمعوه ؛ وأذعنوا لطاعتك مسرعين ، وأنقادوا إلى متابعتك مهطعين ؛ على استقرار مسيرهم تحت لوائك إلى باب همدان ليكون تقرير القواعد الجامعة للصالح عند وصولها ، والتوفر على تحزى ماتقتر به الخواطر مع حلولها ؛ والانفصال إلى من يفد إلى الأبواب العزيزة مؤنساً بقرب الدار ، ومستسعداً بالخدمة الشريفة الإمامية المؤذنة ببلوغ الأوطار . ووقف عليه وعرف مضمونه ؛ وجدد ذلك لديه من الابتهاج ، والاعتباط الواضح المنهاج ، ما تقتضيه ثقته بجانبك واعتقاده ، وتغويله على جميل معتقدك وأعماده ؛ وأعضاده من طاعتك بجبل لا تنقض الأيام مبرمه ، وسكونه من ولائك إلى وزر لا تروّع المخاوف حرمه ؛ وواصل شكر الله تعالى على ما شهدت به هذه النعمة العظيمة ، والموهبة الجسيمة ، من إجابة الأدعية التي مازالت جنودها نحوك مجهزة ، ووعوده - جلّت عظمتة - بقبول أمثالها منجزه ؛ وإمدادك منها بأمداد تستدعي

لك النصر وتستزله ، وتستكمل الحظ من كل خير وتستجزله ؛ وتبلغ الأمل منك
 فيمن هو العدة للممات ، والحامى لتقرير الأئس من روائع الشتات ، ومن يبقائه تكف
 عن الامتداد أكف الخطوب ، وتطلق وجوه المسار من عقل القطوب ؛ ويأبى الله
 العادل فى حكمه وحكمته ، الرؤوف بعباده وخليقته ؛ إلا إعلاء كلمة الحق بالهمم
 الإماميه ، والإجراء على عوائد صنيعة الحفيه ، الكافلة بصلاح العباد والعيه ؛
 وقد أقيمت أسواق التهته بهذه البشرى ، وأفادت جدلاً تتابع وفوده ترى ؛ لاسيما
 مع الإشارة إلى قرب الأوبة التى تدنى كل صلاح وتجلبه ، وتزيل كل خلل أتعب
 القلوب وتذهب . وإلى البارى جل اسمه الرغبة فى اختصاصك من عنايته بأحسن
 ما عهده وأجمله ، وصلة آخر وقتك فى منجى المسامى بأوله ؛ وأن لا يخلي الدار
 العزيزة من إخلاصك فى ولأئها ، ورغبتك فى تحصيل مرضيها وشريف آرائها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين - أدام الله تأييدك - آبتغى الله جزاءك فيها على عادة
 تكريمته ، وأعرب بها عن اعتقاده فىك وطويته ؛ ومكانك الأثيل فى شريف
 حضرته ، وأتباعه بنعمة الله عندك وخيرته ؛ فتأملها تأملاً يشاكل طاعتك الصافية
 من الشوائب والأقذاء ، وتلقها بصدق الاعتماد عليها وحسن الإصغاء ؛ تفز بالإصابة
 قدأحك ، ويقرن بالتوفيق مغداك ومرأحك ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك
 ورحمة الله وبركاته .



وكما كتب بعض كتاب الفاطميين عن الحافظ لدين الله : أحد خلفائهم إلى شمس
 الدولة أبى منصور محمد بن ظهير الدين بن نورى بن طغتكين ببغلبك جوابا عن
 كتابه الوارد عنه على الخليفة ، ويذكر أنه حسن لفخر الملك رواج وروده على الخليفة
 بالديار المصرية ، ويذكر نصرته على الفرنج بطرابلس ، وقتله القومص ملكها .

«من عبدالله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى الأمير فلان .

أما بعد ، فإنه عُرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك من يدفتاه ووزيره ، وصفيّه
وظهيره ؛ السيد الأجل الأفضّل ؛ الذي بذل نفسه في نصره الدين تُقّى وليّانا ، وأوضح
الله للدولة الحافظيّة بوزارته مُججّة وبرهانا ، وأسبغ النعمة على أهلها بأن جعله فيهم
ناظرا ولهم سلطانا ؛ ووقفه في حُسن التدبير ، والعمل بما يقضى بمصالح الصغير والكبير ؛
وبما أعاد المملكة إلى أفضل ما كانت عليه من النُصرة والبهجة ، ولم يخرج المادحون
لها إذا اختلفوا عن التحقيق وصدق اللّهجه ؛ فقد ساوت سياسته بين البعيد
والقريب ، وأخذ كل منهما بأجل حظّ وأوفر نصيب ؛ وسارت سيرته الفاضلة
في الآفاق مسير المثل ، وأستوجب من خالقه أجر من جمع طاعته بين القول
والعمل . وشفع عرضه من وصفك وشُكرك ، والثناء عليك وإطابة ذِكرك ؛ وأنهى
ما أنت عليه من الولاء ، وشُكر الآلاء ؛ بما يُضاهي ما ذكرته فيه مما علّم عند تلاوته ،
وأُضغى إليه عند قراءته . وقد آستقرّ بحضرة أمير المؤمنين مكانك من المشايعة ،
وموقعك من المُخالصه ؛ وكونك من ولاء الدولة على قضية كسبتك^(١) شرفا تقيّات
ظلاله ، وأفاضت عليك ملبسا جرّرت أذياله ؛ وسمت بك إلى محل لا يُباهى من
بلغه ولا يُطاوّل من ناله ؛ وكنّت في ذلك سالكا للمنهج القويم ، ومعتمدا ما أهل
بيتك عليه في القديم ؛ لا جرم أنه عاد عليك من حُسن رأى أمير المؤمنين بما تقصّر
عنه كلّ أمنيّه ، ويشهد لك بخالصيّة جمعت فيها بين عملٍ ونيّة ؛ والله يضاعف

(١) في المصباح في مادة كسب "ويتعدى بنفسه إلى مفعول ثان فيقال كسبت زيدا مالا وعلميا أى أنلته .
قال ثعلب وكلهم يقول كسبك فلان خيرا إلا ابن الأعرابيّ فإنه يقول أكسبك بالألف ."

أجرك على اعتصامك من طاعة أمير المؤمنين ، بالحبل المتين ، ويوزعك شكر ما منحك من الاستضاءة بنور الحق المبين .

فأما الأمير الأسفهلار نخر الملك رواج وبعثك له على الوصول إلى الباب ، وحضك إياه على التعلق من الخدمة بمحصد الأسباب ؛ فما كان الإذن له في ذلك إلا لأن كتابه وصل بلمتمسه ، وعرض فيه نفسه وبذل المناصحة والخدمة ، ويسأل سؤال من يعرف قدر العارفة بالإجابة إليه وموقع النعمة ؛ فأجيب إلى ذلك إسعافاً له بمراحه ، وعملاً برأى الدولة فيمن يرغب إلى التحيز إليها من أقطاره وبلادها ؛ وإلا فلا حاجة لها إليه ولا إلى غيره ، لأن الله تعالى - وله الحمد - وفر حظها من الأولياء والأشياء ، والأنصار والأتباع ؛ والعساكر والجيوش والأجناد والأنجاد ، والأعوان الأقوياء الشداد ؛ وعبيد الطاعة الذين يتبارون في النصيح ويتنافسون في الاجتهاد والحرص ، وسعة الأموال ، وعمارة الأعمال ، وجمع الرجال في العزائم بين الأفعال والأقوال ؛ ولو وصل المذكور لكنت المنسة للدولة عليه ، والحاجة له في ذلك لا إليه ، قال الله عز من قائل : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَامُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُنتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

وأما توجهه إلى طرابلس وظفره بقومصها وقتله إياه مع من بها ، وعظيم أمره فيها ؛ فإله تعالى يعز الإسلام وينشر لواءه ، ويعلي مئاره ويخذل أعداءه ؛ وينصر عساكره وأجناده ، ويبلغه في أحزاب الكفر والضلال مراده ؛ وهو عز وجل يمتك من الولاء بما منحك ، ويُنيلك في دينك ودُنْيَاك أملك ومُقْتَرَحْك ؛ فأعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

(أن يُفْتَحَ الجواب بلفظ «أما بعد»)

كما كُتِبَ عن المقتنى إلى السلطان محمود بن محمد السَّلْجُوقِ جواباً عن كتابه الوارد بإخباره بإجتماعه مع عمه سنجر؛ ونسخته :

أما بعدُ فإنَّ كتابك عُرضَ بحضرة أمير المؤمنين ناطقاً بدرك الأوطار ، وحصول المقاصد على الآثار ، وما أنهيته من الاجتماع بعز الدنيا والدين جمع الله في طاعته شملكما ! ووصل بالألفة والتوَادُدَ حبلكما ! ومن إكرام الوفادة الذى أنت أهله ووليّه ، وحقيق أن يتبع وسميه لديك وليّه ؛ والموافقة على كل حال آذنت ببلوغ الأغراض وتيسرها ، ونجاز المساعي على أتم وفاق وتقرُّرها ؛ وانتظام الأمور على أجمل معتاد وأكمل مُراد ، وأحسن اتِّساق وأطراد ؛ واستقرار القواعد على الوصف الجامع أشتات الاتفاق ، الدالّ على صدق المحافظة بينكما وقرط الإشفاق ؛ محفوقاً بالسعادة التى لا تزال ما تُرك في الطاعة الإمامية تملك قيادها ، وتُقَلِّدك على الاتصال بنجاحها ، فتهللت بهذا النبأ المبهج أسرة البشرى ، وأصبح الجدُل بمكانه أفعم عرفاً وأذكى نشرًا ، وقامت لأجله في عِراض الدار العزيزة مواسم ، أضحت المسرة بها مُفترّة الثغور ضاحكة المباسم ؛ وجدير بمن كان له من الهمم الشريفة مددٌ واف ، ومنجد يدفع في صدر كل خطب مؤاف ؛ أن تكتنّفه الميامين والسعود ، ويصدق في كل مرمى يُخوه من النجح الموعود ؛ وتنقاد له المصاعب دُللاً ، ويعود يمين تقيته كل عافٍ من الصلاح جديداً مُقتبلاً ؛ ولا ينفك صنع الله جلّ اسمه لطيفاً ، ويربّاه

(١) الولي على فعل المطر بعد المطر وقد يخفف عن كراع أنظر اللسان ج ٢٠ مادة ول ي .

(٢) لعله ويصادف النجح .

مُحَدِّقًا مُطِيفًا ؛ وَالتَّوْفِيقُ مُصَاحِبَهُ أَتَى حَلَّ وَثَوَى ، أَوْ ثَنَى عِصَانَهُ إِلَى وَجْهِهِ وَلَوْى ؛
وَاللَّهُ يَمْتَعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ بِالْعَضُدِ الَّذِي يُدْبُّ عَنْ دَوْلَتِهِ وَيَحَامِي ، وَيُنَاضِلُ دُونَهَا
بِجُنُودِ الْإِخْلَاصِ وَيُرَامِي ؛ وَلَا يُحْلِيكَ مِنْ رِعَايَتِهِ الَّتِي لَا يَزَالُ يَسْتَقِرُّ فِيهَا إِلَيْكَ ،
وَيَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي إِسْبَاغِ لِبَاسِهَا عَلَيْكَ ، حَتَّى تُنَسِّئَ لَكَ الْمَطَالِبَ مَعًا ، وَيَقْدُوا الزَّمَانَ
فِيهَا يَنْشَأُ مَتَّبِعًا .

هذه مفاوضة أمير المؤمنين إليك ، أدام الله تأييدك ، أجزاك فيها على مألوف
العادة ، وجدد لك بها بُرُودَ الْفَخَّارِ وَالسَّعَادَةِ ؛ فَاجِرْ عَلَى وَيَتَرَكْ فِي إِتْحَافِ حَضْرَتِهِ
بَطِّيبِ أَخْبَارِكَ ، وَجَارِي الْأُمُورِ فِي إِبْرَادِكَ وَإِصْدَارِكَ ؛ تُهْدِ إِلَيْهَا آتِبَهَا جَاوِافِرًا ،
وَأَبْتَسَامًا يَظَلُّ لثَامُهُ عَنْ حَمْدِ اللَّهِ الْمُسْنَدِ بِهَا سَافِرًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(أَنْ يَكُونَ الْإِفْتِتَاحُ فِي الْجَوَابِ مُصَدِّرًا بِمَا فِيهِ مَعْنَى وَصُولِ الْمَكَاتِبَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ)
فَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْكُتَّابِ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ ذَلِكَ بِلَفْظِ «الْعَرَضُ عَلَى
الْخَلِيفَةِ» وَيُؤْتَى فِيهِ عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ الْكِتَابُ الْمَجَابُ عَنْهُ ، ثُمَّ يُخْتَمُ كَمَا تُخْتَمُ الْإِبْتِدَائَاتُ .
كَأَنَّ كِتَابَ الْعَلَاءِ بْنِ مُوَصَّلَايَا عَنْ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى «أَنْسَرِ» عِنْدَ وَرُودِ كِتَابِهِ
عَلَى أَبْوَابِ الْخِلَافَةِ يَتَضَمَّنُ أَنْتَظَامَهُ فِي سِلْكِ الطَّاعَةِ وَغِلْبَتِهِ الْأَعْدَاءِ ، وَهُوَ :

عَرِضَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى تَمَسُّكِكَ مِنَ الطَّاعَةِ الْإِمَامِيَّةِ
بِمَا لَا تَزَالُ تُجِدُّ فِيهِ مَلَائِسَ التَّوْفِيقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَتُجِدُّ بِهِ مَرَاثِرَ السَّعْدِ مُحْصَفَةً
فِي كُلِّ حَلٍّ وَتَرْحَالٍ ؛ مُنْبِئًا عَنْ تَوَفُّرِكَ عَلَى الْمَقَامَاتِ الَّتِي آتَتْكَ بِهَا لِلْهُدَى مِنَ
الضَّلَالِ ، وَأَسْتَقَمَّتْ فِيهَا حَتَّى أَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ صِلَاحٍ مُمْتَدِّ الظَّلَالِ ؛ شَاهِدًا بِمَا أَنْتَ

عليه من موالاة لا تألوا جُهداً في التزام شروطها بادئاً عائداً ، ولا تخلو فيها من حُسن أثرٍ يكونُ لدعائم الصواب عَمِداً ، وتُرى فيه قاصداً لا اجتلاب الخير عائداً . ووقف عليه وقوف من أرتضى ما يتوالى من قُربائك التي لا تزال في إعذاب ورؤدها ساعياً . ولما يُفِضى إلى إعشاب مرعاها في طلب الحمد مُراعياً ؛ وأنتضى منك للخدمة بتلك الأعمال حُساماً باتراً آجال بقايا الكُفْر هناك ، ماضياً في كل ما يقضى بانفساح مجال آمالك في الدهر ومبارك ؛ وأعتد لك بما أنهاء عنك رسول أمير المؤمنين العائد من قبلك ، وأوضحه من زلفك التي شفع قولك فيها عملك ؛ وطالع به الرسول الذي نفذته معه لقصد بابه ، والمُناب في تأكيد دواعي النُجج وتمهيد أسبابه ؛ وحل كل ذلك لديه المحل الذي ستجني ثمره كلما يطيب ويحلو ، ويسلم من كل الاستزادة ويخلو ، ويعز مهر الفوز به على غيرك ويغلو ؛ وتأمل لك من الرتبة بحضرته ما يُدني لك كل مطلب إلى مُرادك آئل ، ويدوي قلب كل منحرف عن وفائك مائل ؛ وصرت من أعيان الخُلصاء الذين سَمَت الهدى أفعالهم بالحمد ، سَمَت بالطاعة آمالهم إلى توكل هِضاب المحب ؛ فما تهم بك الغير إلا وتتقطع دُونك أعناقها ، وترجع في جلباب الخيبة وحيضها إليك وإعناقها ؛ ولا تمتد نحوك يد ضد إلا ردّها عنك جميل الآراء الشريفة فيك وغلّها ، وأوجب نهلها عن موارد القصور وغلّها ؛ وكيف لا يكون ذاك ولك في الطاعة كل موقفٍ آغتنى بلبان الحمد ، وآغتنى باشتهاره بلوغ المدى في وصفه والحد ؛ فأحسن الله توفيقك فيما أنت بإزائه من إخماد لهب الباطل بتلك الشّعب ، وإجهاد النَّفس في إخمال المتاعب وإذلال الصّعب ؛ وأمدك بالعون على ما بدأت له من جب فيما يليك ، وطبّ أدواء الفساد في نواحيك . ومع

(١) كذا في الأصول ولعله من خلال الاستزادة وفي المختار والقاموس "استزاده استقصه" .

(٢) بياض في الاصول بهذا المقدار ولعله من جب أصول العناد الخ .

مأفَرتَ به من هذه المنحة التي قد جاز قدرها التقدير والظن ، وجاد لك الدهر فيها بما كان شخ به على أمثالك وضمن ؛ فيجب أن تستديهما ، وتخصن من النغل أديهما ، بمزيد من الخدمة تنهز الفُرض بالإسراع إليه والبدار ، وتنتهج أقوم الجُدُد في مقابلة الإيراد منه بالإصدار ، وتنفذ وتسعك في كل مسعى ينثني إليك عنانُ النشاء معه ، وتُنفي عُمرَكَ في كل أمرٍ يجمع لك مرأى الرضا عنك ومسمعَه ؛ لتجد من جدوى ذلك ما ينظم في السعادة شملك ، ويضحى به القيادُ فيما يصدق أملك أملك ؛ وأن تُحمد السيرة في الرعايا الذين غدوا تحت كنفك ، وتجعل الاشتمال على مصالحهم مُعرباً عن فضل شغفك بالخير وكلفك ؛ فإنهم ودائع الله تعالى يلزم أن تُحصى من ضياع يتسلط عليها في حال ، وتُحمى من در الإحسان برضايع لا يخطر الفطام عنه ببال ؛ فلا تقف عند غاية في إفاضة الفضل عليهم وإسباغ ظله ، وأعتادهم بتخفيف ثقل الحيف عنهم أو إزالة كُله ؛ ليكونوا في أفياء الأمن راتعين ، ولحرق كل ملء بحسن ملاحظتك راقعين ؛ فالذى يراه أمير المؤمنين في فرضك حتى يزداد باعك طولا ، ولا يترك لك على الزمان اقتراحا ولا سولا ؛ يقتضى أن يُتبع كل سابق إليك من الإحسان بلا حق ، ويُمرع جناب النعمى لديك عند ذر كل شارق . وكذلك يرى أن يجدد لك من تشريفه المنور مطالع الفجر ، المنوه بالذكر في الدهر ؛ الذى لا تزال الهِمُّ العالية تصبُو إلى الفوز به وتميل ، وتقِف عند حد الرجاء والتأمل ، ما أصحب رسولك المشار إليه لتدريج من خلاله ما الشرف الأكبر في مطاويه ، وتمتطى من صهوة العز فيه ما يبعد على النظراء إدراك مراميه . ويجب أن تتلقى مقدم ذلك عليك بما يُنبي عن اقتران النعمة الغراء فيه ، واقم أهلة التوفيق عندك بما تقصد في المعنى وتنحيه ؛ وإذا عاد رسولك إلى باب أمير المؤمنين حسب ما ذكرت ، أصدِر على يده من ضروب التشريفات ما يُقِر

فِيكَ عُيُونَ مَنْ يَوَدُّكَ ، وَيَقْرَئُ فِي مَغَانِيكَ كُلِّ سَعْدٍ يُورِي فِيهِ زَنْدُكَ ؛ فَاسْكُنْ إِلَى
حَبَائِكَ بِالْمَزِيدِ مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ أَهْلَتْ لَهَا ، وَكُنْ بِحَيْثُ الظَّنُّ فِيكَ تُوفَّرُ عَلَيْكَ أَقْسَامُ
الْحَمْدِ كُلُّهَا ؛ وَثِقْ بِمُتَرَادِفِ آلَاءٍ يَنْضُمُ لَدَيْكَ شَمْلُهَا ، وَيُنْقِلُ كُلَّ كَاهِلٍ حَمْلَهَا ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطرف التاسع

(فِي الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ بِالْخِلَافَةِ)

لَمْ أَقِفْ عَلَى مَكْتَابَةٍ صَرِيحَةٍ فِي التَّصْوِيرِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ ، غَيْرَ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا جَعْفَرَ
النَّحَاسَ فِي "صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ" بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ صُورَةَ الْمَكْتَابَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ : «مَنْ
عَبَدَ اللَّهَ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ الْإِمَامَ الْفُلَانِي إِلَى فَلَانٍ» أَتَّبَعَ ذَلِكَ بَأَن قَال : وَلَيْسَ أَحَدٌ
مِنَ الرُّؤَسَاءِ يُكَاتِبُ عَنْهُ بِالتَّصْدِيرِ إِلَّا الْإِمَامَ وَوَلِيَّ الْعَهْدِ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ . وَقَدْ فَسَّرَ
أَبْنُ حَاجِبٍ النَّعْمَانَ فِي "ذَخِيرَةِ الْكُتَّابِ" التَّصْدِيرَ بِأَن قَال : يَكْتُبُ «مَنْ عَبَدَ اللَّهَ
أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ» بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ وَنَعْتِهِ . وَيُقَالُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي فَلَانٍ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَى آخِرِهِ ، عَلَى
مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ .

وَذَكَرَ النَّحَاسُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْعُنْوَانِ مِنَ الرَّئِيسِ إِلَى الْمَرْءِ وَسُ أَنَّهُ يُحَدَفُ
مِنَ الْكُتَّابِ عَنْ وَلِيَّ الْعَهْدِ لَفْظُ الْإِمَامِ ، وَلَفْظُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُقَالُ فِيهِ : وَلِيَّ
الْعَهْدِ . وَظَاهِرُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَكْتَابَةَ عَنْ وَلِيَّ الْعَهْدِ مُشَابِهَةٌ لِلْمَكْتَابَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ ،
وَأَنَّ لَفْظَ وَلِيَّ الْعَهْدِ فِي الْمَكْتَابَةِ عَنْهُ يَقُومُ مَقَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَكْتَابَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ
نَفْسِهِ ؛ وَحِينَئِذٍ فَيَتَجَهَّ أَنْ تَكُونَ الْمَكْتَابَةُ عَنْهُ «مَنْ عَبَدَ اللَّهَ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ الْمُعْتَصِدُ بِاللَّهِ
مَثَلًا وَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ . سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَمَا بَعْدُ : فَإِنْ كَذَبَ وَكَذَا »
وَيُؤْتِي عَلَىٰ الْمَقْصِدِ إِلَىٰ آخِرِهِ . وَعَلَىٰ ذَلِكَ يَدُلُّ كَلَامُ صَاحِبِ « ذَخِيرَةِ الْكَتَابِ » .
فَإِنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ الْمَكَاتِبَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ : وَكَذَلِكَ الْمَكَاتِبَةُ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ . عَلَىٰ أَنَّ
الْمَكَاتِبَةَ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ قَدْ بَطَلَتْ فِي زَمَانِنَا جَمَلَةً .

الطَّرْفُ الْعَاشِرُ

(من المكاتبات عن الخلفاء المكاتبات إلى أهل الكفر)

وَكَانَ الرَّسْمُ فِيهَا أَنْ يُكْتَبَ « مِنْ فُلَانٍ إِلَىٰ فُلَانٍ » . وَيَقَعُ التَّخْلُصُ فِيهَا
إِلَىٰ الْمَقْصُودِ بـ « أَمَا بَعْدُ » . وَيَخْتَمُ الْكِتَابُ بِلَفْظِ « وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ أَتَىٰعَ الْهُدَىٰ » .
فَقَدْ حَكَىٰ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ « الْأَوَائِلِ » أَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ الرُّومِ مَلِكَةٌ ،
وَكَانَتْ تُلَاطِفُ الرَّشِيدَ وَلَهَا ابْنٌ صَغِيرٌ ، فَلَمَّا نَشَأَ قُوِّضَتِ الْأَمْرُ إِلَيْهِ فَعَاثَ
وَأَفْسَدَ ، نَخِافَتْ أُمُّهُ عَلَىٰ مُلْكِ الرُّومِ فَقَتَلَتْهُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهَا تَقْفُورُ مَلِكِ الرُّومِ فَقَتَلَهَا
وَأَسْتَوْلَىٰ عَلَىٰ مُلْكِهَا وَكَتَبَ إِلَىٰ الرَّشِيدِ :

« أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَضَعْتَكَ مَوْضِعَ الشَّاهِ ، وَوَضَعْتَ نَفْسَهَا مَوْضِعَ الرَّخِّ ،
وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي أَنَا الشَّاهُ وَأَنْتَ الرَّخُّ . فَأَدِّ إِلَيَّ مَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ تُؤَدِّي إِلَيْكَ » .
فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ ، قَالَ لِكُتَّابِهِ أَجِيبُوا عَنْهُ ، فَكَتَبُوا مَا لَمْ يَرْضَ بِهِ ، فَكَتَبَ هُوَ إِلَيْهِ :

« مِنْ عَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَىٰ تَقْفُورِ كَلْبِ الرُّومِ . أَمَا بَعْدُ فَقَدْ فَيَّهَمْتُ
كِتَابَكَ ، وَالْجَوَابُ مَا تَرَاهُ لَا مَا تَسْمَعُهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ أَتَىٰعَ الْهُدَىٰ » .

وَيَقَالُ : إِنَّهُ كَتَبَ « الْجَوَابُ مَا تَرَاهُ لَا مَا تَسْمَعُهُ ، وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُنِيَ
الدَّارُ » . وَلَا يَخْفَىٰ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَعَ الْإِيحَازِ .

وَمَا كُتِبَ عَنِ الْحَافِظِ لَدِينِ اللَّهِ : أَحَدِ خُلَفَاءِ الْفَاطَمِيِّينَ بِمَصْرٍ إِلَى صَاحِبِ صِقْلِيَّةٍ^(١) وَمَا مَعَهَا مِنْ مُلُوكِ الْفَرَنْجِ :

«من عبد الله وولّيه عبد المجيد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، إلى الملك بجزيرة صِقْلِيَّةٍ ، وَأَنْكُورِيَّةٍ وَأَنْطَالِيَّةٍ وَقِلْوَرِيَّةٍ وَسُتْرُلُو وَمَلَفٍ وَمَا أَنْصَافٍ إِلَى ذَلِكَ ، وَفَقَّهَ اللَّهَ فِي مَقَاصِدِهِ ! وَأَرْشَدَهُ إِلَى الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ فِي مَصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ ؛ سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَبَعَ الْهَدْيَ ، وَآمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ؛ الْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

أما بعد : فإنه عُرضَ بحضرة أمير المؤمنين الكتاب الواصل من جهتك ، فُقِضَ خُتَامُهُ وَأُجْتُبِيَ ، وَقُرِئَ مَضْمُونُهُ وَتُبِّلَ ؛ وَوَقَعَتِ الْإِصَاخَةُ إِلَى فُصُولِهِ ، وَحَصَلَتِ الْإِحَاطَةُ بِجَمَلِهِ وَتَفَاصِيلِهِ ؛ وَالْإِجَابَةُ تَأْتِي عَلَى أَجْمَعِهِ ، وَلَا تُخِلُّ بِشَيْءٍ مِنْ مُسْتَوَدَعِهِ ؛ أَمَا مَا أَفْتَتَحْتُهُ بِهِ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ ، وَتَوْسِيعِكَ الْقَوْلَ فِيهَا أَوَّلَاكَ مِنْ إِحْسَانِهِ وَكَرَمِهِ ؛ فَإِنَّ مَوَاهِبَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنَنَهُ الَّتِي جَعَلَ تَوَالِيَهَا آخْتِبَارَ شُكْرِ الْعَبْدِ وَامْتِحَانَهُ عَلَى أَنَّهُ بِخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ عِلْمٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِيمَنْ أَنْفَى عَلَيْهِمْ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لَا يَزَالُ مُضَاعَفَهَا وَمُرَادِفَهَا ، وَمُتَبِّعًا سَالِفَهَا آفَهَا ؛ وَهُوَ يُؤَلِّمُهَا كُلًّا مِنْ عِبِيدِهِ بِقَدْرِ مَزَلَّتْهُ عِنْدَهُ ، وَيُخَصُّ أَصْفِيَاءَهُ بِأَوْفَى مَا تَمَنَّاهُ الْأَمَلُ الْمُبَالِغُ وَوَدَّهَ ؛ وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَمْنَحُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبَاءَهُ الْأَئِمَّةَ الرَّاشِدِينَ ؛ مَا غَدَتْ مُسْتَقْدِمَاتُ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ عِنْدَ لَوَازِمِهِ مُسْتَأَنَرِهِ ، إِذْ كَانَ أَفْرَدَهُمْ دُونَ الْخَلِيقَةِ بِأَنْ أُعْطَاهُم الدُّنْيَا ثُمَّ أُعْطَاهُمْ مَعَهَا

الآخِرِه ، وَاخْتَصَّصَهُمْ مِنْ حَبَائِهِ بِمَا لَا يُحْصِيهِ عِدْدٌ ، وَخَوَّلَهُمْ مِنْ آلَائِهِ بِمَا لَا يَقُومُ بِشُكْرِ أَحَدٍ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ افْتِتَاحِكَ الْجَزِيرَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِجَزِيرَةِ لَمَّا شَرَحْتَهُ مِنْ عُدْوَانِ أَهْلِهَا ، وَعُدُولِهِمْ عَنْ طُرُقِ الْخِيَرَاتِ وَسُبُلِهَا ، وَاجْتِرَائِهِمْ فِي الطُّغْيَانِ عَلَى أَسْبَابِ لَا يَجُوزُ التَّغَافُلُ عَنْ مِثْلِهَا ، وَاسْتِعْمَالِهِمُ الظُّلْمَ تَمَرُّدًا ، وَتَمَادِيهِمْ فِي النِّغَى تَبَاهِيًّا فِي الْبَاطِلِ وَغُلُوًّا ، يَأْسًا مِنَ الْجَزَاءِ لَمَّا اسْتَبْطَئُوهُ ، فَإِنْ مِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَتُهُ حَقِيقٌ أَنْ تَكُونَ الرَّحْمَةُ عَنْهُ نَائِيَةً ، وَخَلِيقٌ أَنْ يَأْخُذَهُ اللَّهُ مِنْ مَأْمَنِهِ أَخْذَةً رَاسِيَةً ، كَمَا أَنَّهُ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّلَامَةِ ، وَسَالَكًا سَبِيلَ الْإِسْتِقَامَةِ ، وَمُقْبِلًا عَلَى صَلَاحِ شَانِهِ ، وَغَيْرِ مُتَعَدٍّ لِلْوَاجِبِ فِي سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ ، تَعَيَّنَ أَنْ نُوَفِّرَ مِنَ الرِّعَايَةِ سَهْمَهُ ، وَنُجْزِلَ مِنَ الْعِنَايَةِ نَصِيبَهُ وَقِسْمَهُ ، وَيُؤَمِّنَ مِمَّا يُقْلِقُهُ وَيُزِجُّهُ ، وَيُقْصِدَ بِمَا يُسِرُّهُ وَيُبْهَجُهُ ، وَيُصَانِ عَنْ أَنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ ، وَيُنْجَى مِنْ أَدَى يُلُمُّ بِهِ وَيَعْرُوهُ .

وَأَمَّا شُكْرُكَ لَوْزِيرِكَ الْأَمِيرِ تَأْيِيدِ الدَّوْلَةِ وَعَضُدِهَا عِزِّ الْمَلِكِ وَفَخْرِهِ نِظَامِ الرِّيَاسَةِ ، أَمِيرِ الْأَمْرَاءِ ، فَإِنَّ مِنْ تَهْدَبَ بِتَهْذِيبِكَ ، وَتَخَلِّقُ بِأَخْلَاقِكَ وَتَأْدِبُ بِتَأْدِيبِكَ ، لَا يُنْكَرُ مِنْهُ إِصَابَةُ الْمَرَامِيِّ ، وَلَا يُسْتَغْرَبُ عِنْدَهُ نُجْحُ الْمَسَاعِي ، وَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَجْعَلَ قَلْبَهُ إِلَّا مَثْوًى لِلنِّصَائِحِ ، وَأَنْ لَا يَزَالَ عُمُرُهُ بَيْنَ غَادٍ فِي الْخَالِصَةِ وَرَائِحٍ .

وَأَمَّا الْمَرْكَبُ الْعُرُوسُ وَوَصُولُ كِتَابِ وَكِيلِهِ ذَا كَرَامَةٍ مَا اعْتَمَدَهُ مُقَدِّمُ أُسْطُولِكَ مِنْ صَوْنِهِ وَحِمَايَتِهِ ، وَحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ ، وَإِعَادَةِ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ قَبْلَ الْمَعْرِفَةِ بِأَنَّهُ جَارٍ فِي الدِّيَوَانِ الْخَاصِ الْحَافِظِي ، فَفِعْلٌ يَجْمَلُ عَنْكَ صَدْرُهُ ، وَيَلِيقُ بِكَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْكَ ذِكْرُهُ وَخَبَرُهُ ، وَيَدُلُّ عَلَى عِلْمِ أَصْحَابِكَ بِرَأْيِكَ وَإِحْكَامِ مُعَاقَدَةِ الْمُودَةِ ، وَيُعْرِبُ عَنْ إِثَارِكَ لِإِبْرَازِهَا كُلِّهَا تَقَادِمَ عَهْدِهَا فِي مَلَائِسِ بَهْجَةٍ مُسْتَجِدَّةٍ ، وَهَذَا الْفِعْلُ مِنْ

خلائِكَ الرضِية غيرُ مُستَبَدَّعٍ ، وقد ذَخَرْتَ مِنْهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا حَصَلَ فِي أَعْرَ
مَقَرٍّ وَأَكْرَمِ مُسْتَوْدَعٍ ؛ لِأَجْرَمِ أَنْ أَوَامِرِهِ خَرَجَتْ إِلَى مَقْدَمِي أُسَاطِيلِهِ الْمَظْفَرَةِ بِمَا
يُجْنِيكَ ثَمَرَةَ مَا غَرَسْتَهُ ، وَيُعَلِّي مَنَارَ ثَنَائِكَ الَّذِي قَوَّرْتَهُ عَلَى أَقْوَى أَصِيلٍ وَأَسْسَتَهُ ؛
وَقَدْ نَفَذْتَ مَرَامِيَّهُ بِإِجْرَائِكَ عَلَى غَلَاتِكَ الْمُسْتَمَرَّةِ فِي الْمَسَاحَةِ بِمَا وَجِبَ لِلدِّيَوَانِ
عَمَّا وَصَلَ بِرُشْمِكَ عَلَى مَرَاكِكَ ، وَبَرَسَمِ الْأَمِيرِ تَأْيِيدَ الدَّوْلَةِ وَزِيرِكَ ، وَالرَّسُولِينَ
الْوَارِدِينَ عَنْ حَقِّ الْوُرُودِ إِلَى نَغْرِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ حَمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ إِلَى مَصْرَحِهَا اللَّهُ
وَحَقِّ الصَّدُورِ عَنْهُمَا ، وَكُلِّ مَا يَصِلُ مِنْ جِهَتِكَ فَعَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ .

وَأَمَّا شُكْرُكَ عَلَى الْأَسْرَى الَّذِينَ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِإِطْلَاقِهِمْ إِبَاجَةً لِرَغْبَتِكَ ، وَرَسْمِ
بِتَسْيِيرِهِمْ إِلَيْكَ مَحَافِظَةً عَلَى مَرَادِكَ وَبُغْيَتِكَ ؛ فَأَوْزَعْنَا شِعَارَهُمْ أَنَّهُمْ عُتْقَاءُ شِفَاعَتِكَ ،
وَأَرْقَاءُ مِتَّتِكَ ؛ فَذَلِكَ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ جَمِيلِ الرَّأْيِ وَكَرِيمِ النَّيِّهِ ،
وَمِنَ الشَّوَاهِدِ بَأَنَّهُ يُوجِبُ لَكَ مَا لَا يُوجِبُهُ لِأَحَدٍ مِنْ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ .

وَأَمَّا سَأْلُكَ الْآنَ فِي إِطْلَاقِ مَنْ تَجَدَّدَ أَسْرُهُ ، وَإِنْهَاؤُكَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُهْمُكَ
أَمْرُهُ ؛ فَقَدْ شَفَعْتُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِجَابَةِ إِلَيْهِ عَلَى مَا أَلَّفَ مِنْ كَرِيمِ شِمَّتِهِ ، وَسَيَّرَ إِلَيْكَ
مَعَ رَسُولِكَ مَنْ تَضَمَّنَ الثَّبْتَ ذَكَرَ عِدَّتَهُ ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ بَهْرَامَ وَوَصُولِهِ
إِلَى الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهَا شَرِيدًا طَرِيدًا ؛ قَدْ نَبَتْ بِهِ أَوْطَانُهُ ، وَقَذَفَتْهُ
دِيَارُهُ ؛ لَا مَالَ لَهُ وَلَا حَالٍ ، وَلَا عَشِيرَةَ وَلَا رِجَالَ ؛ فَقَبِلْتَهُ أَحْسَنَ قَبُولٍ ، وَبَلَغْتَ بِهِ
فِي الْإِحْسَانِ مَا يَزِيدُ عَلَى السُّوْلِ ؛ وَغَمَّرْتَهُ مِنَ الْإِنْعَامِ مَا يَقْصُرُ عَنْ اقْتِرَاحِهِ كُلِّ أَمَلٍ ،
وَجَعَلْتَهُ فَوَاضِلُهَا يَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْحَيْلِ وَالْحَوْلِ ؛ وَكَانَتْ أُمُورُهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي نَمُوٍّ
وَزِيَادَةٍ ، وَأَحْوَالُهُ تُؤَنِّي عَلَى الْبُغْيَةِ وَالْإِرَادَةِ ، إِلَى أَنْ جَرَتْ نَوْبُهُ أَقْتَضَى التَّنْذِيرُ
فِي وَقْتِهَا أَنْ عُذِّقْتُ بِهِ الْوِزَارَةَ ، وَنَيْطُتُ بِهِ السَّفَارَةَ ؛ فَوْسُوسُ لَهُ خَاطِرُهُ مَا زَخَرَفَهُ

البَطَرُ وَزَيْنَهُ ، وَصُورَهُ الشَّيْطَانُ وَحَسَنَهُ ؛ وَأَظْهَرَ مَاظْهَرَتْ أَمَارَاتُهُ ، وَوَضَحَتْ أَدِلَّتُهُ
وَعَلَامَاتُهُ ؛ فَاسْتَدْعَى قَبِيلَهُ وَأَمْرَتَهُ ، وَجَنَسَهُ وَعَشِيرَتَهُ ؛ بِمَكَاتِبَاتٍ مِنْهُ سِرِّيَّةً ،
وَخُطُوطٍ عُثِرَ عَلَيْهَا بِالْأَرْمَنِیَّةِ ؛ فَكَانُوا يَصْلُونُ أَوَّلَ أَوَّلٍ ، إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ عَشْرُونَ
أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَمِنْ جَمَلَتِهِمْ أَبْنَاءُ أَخِيهِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِهِ ، فَدَلُّوهُ
بِالْفُرُورِ ، وَحَمَلُوهُ عَلَى مَا قَضَى بِالْأَسْتِحْشَاشِ مِنْهُ وَالنُّفُورِ ؛ وَقَفُوا عِزَمَهُ فِيمَا يُوَدَّى
إِلَى أَضْطِرَابِ الْأَحْوَالِ وَاخْتِلَالِ الْأُمُورِ ، فَامْتَعَضَ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ مِمَّا أَسَاءَ بِهِ
سِيَاسَتَهُمْ ، وَأَبَوُا الصَّبْرَ عَلَى مَا غَيَّرَ بِهِ رَسْمَهُمْ وَعَادَتَهُمْ ؛ فَلَمَّا رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ
أَسْتَظْهَرَ الْحَالِ فِيهِ ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ التَّفَاوُلَ عَنْهُ يَقْضِي بِمَا يُعْسِرُ أَسْتَدْرَاكَهُ وَتَلَاْفِيهِ ؛
فَكَاتَبَ وَلِيَّهُ وَصَفِيَّهُ الَّذِي رُبِّيَ فِي شَجَرِ الْخِلَافَةِ ، وَسَمَّا بِهِ أَسْتَحْقَاقَهُ إِلَى أَعْلَى دَرَجِ
الْإِنَافَةِ ؛ وَحَصَلَتْ لَهُ الرِّيَاسَةُ بِاِكْتِسَابِهِ وَأَنْتِسَابِهِ ، وَغَدَا النَّظَرُ فِي أُمُورِ الْمَمْلُوكَةِ
لَا يَصْلُحُ لِغَيْرِهِ وَلَا يَلِيْقُ إِلَّا بِهِ ؛ السَّيِّدُ الْأَجَلُّ الْأَفْضَلُ ، وَهُوَ يَوْمِئِذٍ وَالِى الْأَعْمَالِ
الْغَرْبِيَّةِ ، وَصَدَرَتْ كُتُبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُشْعِرُهُ بِهَذَا الْأَمْرِ الصَّعْبِ ، وَتَسْتَكْشِفُ بِهِ
مَا عَمَرَ الدَّوْلَةَ مِنْ هَذَا الْخَطْبِ ؛ فَأَجَابَ دُعَاءَهُ ، وَلَبَّى نِدَاءَهُ ؛ وَقَامَ قِيَامَ مِثْلِهِ مِنْ
أَجْزَلِ اللَّهِ حَظَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَجَعَلَهُ جَلًّا وَعِزًّا حَسَنَةً هَذَا الزَّمَانِ ؛ وَاخْتَصَّ بِعِنَايَةِ
قُوِيَّةٍ ، وَأَمَدَهُ بِمَوَادِّ عُلُوِيَّةٍ ؛ وَأَيْدَهُ بِاعَانَةِ سَمَآوِيَّةٍ ، تَخْرُجُ عَنِ الْإِسْتِطَاعَةِ الْبَشَرِيَّةِ ؛
بِجَمْعِ النَّاسِ وَقَامَ خُطْبِيًّا فِيهِمْ ، وَبَاعَثَاهُمْ عَلَى مَا يُزِلُّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَيُخْطِئُهُمْ ؛ وَمَوْضَحَاهُمْ
مَا يُخْشَى عَلَى الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ كَاجْتِمَاعِهِمْ يَوْمَ الْحَشْرِ ؛ وَغَضَّتْ
النُّجُودُ وَالْأَغْوَارُ ، وَآمَتَلَاتِ الشُّهُولُ وَالْأَوْعَارُ ؛ وَضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى سَاعَتِهَا
بِالْخَلَائِقِ ، وَارْتَفَعَتْ فِي تَوْجِّهِهِمْ لَطْلُبِ الْمَذْكُورِ الْأَعْدَارُ وَالْعَوَائِقُ ؛ وَلَمْ يَبْقَ فِضَاءٌ
إِلَّا وَهُوَ بِهِمْ شَرِيقٌ ، وَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مِنْزَعَجٌ بِقَصْدِهِ وَعَلَى تَأَثُّرِ ذَلِكَ قَلِقٌ . وَكَانَ
بِهِرَامُ وَأَصْحَابُهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ كَالشَّامَةِ فِي اللَّوْنِ الْبَسِيطِ ، وَكَالْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ الْحَمِيطِ ؛

وسأروا مع السيد الأجلّ الأفضّل نحوه مُسارعين ، وعلى الأقباض عليهم
متهاوتين ؛ فلما شعر بذلك لم يبقَ له قرار ، ولأذّ بالهرب والفرار ، يهجر المناهل ،
ويطوى المراحل ؛ ويرى الشroud غمًا ، ويعدّ السلامة حلمًا ؛ وأستقرت وزارة
أمير المؤمنين لهذا السيد الأجلّ الأفضّل الذي لم تزل فيه راغبه ، وله خاطبه ؛
ونحو توليه إياها متطلعه ، وإلى نظره فيها مبادرة متسرّعه ، ولم تنفكّ لزينة دسّمها
مستبطّته ، وفي التلّيف على تأخر ذلك مُعيدة مُبدئه ؛ فأحسن إلى الكافة قولاً
وفِعلاً ، وعَمِلَ في حقّ الدولة ما لم يجعل له في الوزراء شِبهاً ولا في الملوك العُظَاء
مثلاً ؛ وغدا للملّة الحنيفيّة حُجّة وبرهاناً ، وأولى الأولياء إعزازاً وتكريماً والأعداء
إذلالاً وإهواناً ؛ وصانَ الخلافة عن نفاذ حيله ، وتماّم غيله ؛ ومُحادعة ما كره ، ومُخاتلة
غادر ؛ فلذلك انتضاه أمير المؤمنين حُساماً باتراً ماضى الغرار ، واجتباها هُمّاماً
في المصالح لا يطعم جفنه غير الغرار ؛ وأصطفاه خليلاً وظهيراً لتساوى باطنه
وظاهره في الصفاء ، وأستخلصه لنفسه لمفآخره الجمّة التي ليس بها من خفاء ،
وأنتظمت الأمور بكفّالته في سلك الوفاق ، وعمّت الخيرات بوزارته عمومَ الشمس
بأنوارها جميع الآفاق ؛ فسعدت بنظره الحدود ، وتظاهرت ببركاته الميامين والسعود ؛
وأصبح غُصن المعالي يمينه مورقاً ، وعلى الملّة من يمين آرائه تمامٌ من مسّ الحوادث
ورقاً ، فآثاره تُوفى على ضياء الصّباح ، وعزّ مائه تُرى بمضاء المهنة الصّفّاح ، ومآثره
تُقوّت شأواً الثناء وغاية الإمتداح . فالله تعالى يحفظ النعمة على الخلافة الحافظيّة ،
ويوزع شكره على سُبوغها كافّة البريّة ؛ بكرمه وفضله ، ومنّه وطوله .

ولما أمعن بهرام في الهرب ، وجَدّت العساكر المنصورة وراءه في الطّلب ؛
وضاقت عليه المسالك ، وتيقّن أنه في كل وجهة يقصدها هالك ؛ عاد لمكارم الدولة

وعواطفها ، وسأل أماناً على نفسه من متالفها ، فشملت الرحمة ، وكتب له الأمان
فعادته النعمة ، واختلط رجال العساكر المنصورة ، وصار حظه بعد أن كان
مبحوساً من الحظوظ الموقرة .

وأما اعتذار الكاتب عما وجه إليه بأن من الكلام ما إذا نُقِلَ من لغةٍ إلى لغةٍ
أخرى اضطرب مَبْنَاهُ فَاخْتَلَّ معناه ، ولا سيما إن غُرس فيه لفظٌ ليس في إحدى
اللغتين سواء ؛ فقد أبان فيما نُسب إليه السهو فيه عن وضوح سببه ، وقد قيل عذره
ولم تُفكَّ يده عن التمسك به .

وأما ما سيرته إلى خزان أمير المؤمنين تحفة هديّة ، وأبنت به عن همة بدواعي
المجد مليّة ؛ فإنه وصل وتسلم كل صنف منه متولى الخزان المختصة به بعد عرضه
على الثبّت المعطوف كتابك عليه وموافقته ، وقد أجرى رسولك في إكرامه وملاحظته
على أفضل ما يعتمد مع مثله بمنزلة من ورد من جهته ، وعلى قدر من وصل برسالته ؛
وقد سير أمير المؤمنين من أسراء دولته ، ووجوه المقدمين بحضرته ؛ الأمير المؤمن ،
المنصور ، المنتخب ، مجد الخلافة ، تاج المعالي ، نحر المُلْك ، مؤلّي الدولة وشجاعها ،
ذا النجابتين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبا منصور جعفر الحافظي رسولاً بهذه الإجابة ،
لما هو معروف من سداده ، وموصوف من مستوفق قصده ومستصوب اعتاده ،
وألقي إليه ما يذكره ويشرحه ، وعول عليه فيما يُشافه به ويوضحه ؛ وأصحابه من سجاياه
والطافه ، ماتضمنه الثبّت الواصل على يده ، إبانةً لملكه عنده ، وموقفك منه ، ومكانك
لديه . وأمير المؤمنين متطلع إلى ورود كتبك متضمنة من سائر أنباءك وطيب أخبارك
ما يسكن إلى معرفته ، ويثق بعلم حقيقته ؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم مما الجارى عليه الحال
في زماننا ، وهو على قسمين)

القسم الأول

(المكاتباتُ الصادرةُ عن الملوك إلى أهل الإسلام ، وفيه أطراف)

الطرف الأول .

(في مكاتباتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه ثلاث جمل)

الجمل الأولى

(في ترتيب كتبهم إليه صلى الله عليه وسلم على سبيل الإجمال)

كانت أمراء سَراياه صلى الله عليه وسلم ومن أسلم من الملوك تفتتح المكاتبة إليه
صلى الله عليه وسلم باسمه صلى الله عليه وسلم ، ويُثَنُّون بأنفسهم ، ويأتون بالتحميد
والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، ويتخلَّصون إلى المقصود بأما بعد أو غيرها ،
ويختتمون بالسلام . وملوك الكفر يبدؤون بأنفسهم ، وربما بدءوا باسمه صلى الله
عليه وسلم . وكان المكتوب عنه منهم يعبر عن نفسه بلفظ الإفراد . مثل : أنا ، ولى ،
وقلت ، وفعلت . وربما عبر بعض الملوك عن نفسه بنون الجمع . ثم إن كان المكتوب
عنه مسلماً ، خاطبه صلى الله عليه وسلم بلفظ الرسالة والنبوة مع كاف الخطاب
وتاء المخاطب ؛ وإن كان كافراً ، خاطبه بالكاف والتاء المذكورتين ، وربما خاطبه
باسمه . فإن كان المكتوب عنه مسلماً ختم الكتاب بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم .

أما عُنُونُهُ هذه الكُتُبُ ، فيظهر أنها إن أُفْتُتِحَتْ باسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنُتِيَ بِاسْمِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ عُنُونَتُ كَذَلِكَ ، فَيَكْتُبُ فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ «لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ» .
أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَفِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ «مَنْ فُلَانٌ» وَإِنْ كَانَتْ مِمَّنْ يَفْتَتَحُ الْمَكْتُوبَةَ بِاسْمِ نَفْسِهِ عُنُونَتُ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ .

الجملة الثانية

(في صورة مكاتبتهم إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

[وفيه أسلوبيان :

الأسلوب الأول

(^(١) أن تفتتح المكتبة باسم المكتوب إليه)

كما كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلام بني الحارث ،
بالكتاب الذي تقدمت إجابته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه ، وهو على ما ذكره ابن هشام
في "السيرة" .

"لمحمد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله من خالد بن الوليد :

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله
إلا هو . أما بعد يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ،
وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا
قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام ثلاثة أيام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا

(١) الزيادة ساقطة من الأصول وهي لازمة لتنظيم الكلام واتساقه كما يظهر من الأسلوب الثاني الآتي .

قَاتِلْتُهُمْ . وَإِنِّي قَدِمْتُ إِلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعَثْتُ فِيهِمْ كِتَابًا^(١) : يَا بَنِي الْحَارِثِ أَسْلِمُوا تَسْلِمُوا . فَاسْلَمُوا وَلَمْ يُقَاتِلُوا وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، أَمَرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنَّهُمْ عَمَّا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَعْلَمُهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَسُنَّةَ النَّبِيِّ حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ! “ .



وَكَمَا كَتَبَ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوَابِ كِتَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ .

وَنَسَخْتُهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ :

” إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ ،

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَمَا ذَكَّرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى فَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَّرْتَ تُفْرِقُوا ، إِنَّهُ لَكَمَا قُلْتَ ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْنَا ، وَقَدِمَ ابْنُ عَمِّكَ وَأَصْحَابُهُ (وَفِي رَوَايَةٍ : وَقَدْ قَرَّبْنَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابَهُ) وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ [صَادِقًا مَصَدَّقًا] ، وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ ، وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِإِنِّي ، وَإِنْ شِئْتَ

(١) فِي ” مِفْتَاحِ الْافْكَارِ “ ص ٦٦ وَبَعَثْتُ فِيهِمْ رِكَابًا قَالُوا يَا بَنِي الْحَارِثِ . وَالزِّيَادَةُ الَّتِي فِي آخِرِ

أَتَيْكَ [بِنَفْسِي] فَعَلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُهُ حَقٌّ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .”



وَكَمَا كَتَبَ الْمُقَوِّسُ صَاحِبُ مَصْرٍ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَابَ كِتَابِهِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ مِنْهُ فِي رَوَايَةٍ ذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَهُوَ :

”لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، مِنَ الْمُقَوِّسِ عَظِيمِ الْقَبْطِ . سَلَامٌ عَلَيْكَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَمَاتَدَعُوْا إِلَيْهِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا قَدْ بَقِيَ وَكَنتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يُخْرَجُ بِالشَّامِ ، وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لَهَا مَكَانٌ فِي الْقَبْطِ عَظِيمٌ وَكِسْوَةٌ ، وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَغْلَةً لَتَرْكَبَهَا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .”

وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا . وَزَادَ غَيْرُهُ أَنَّ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ : أَنَّ فِي كِتَابِهِ إِلَيْهِ :

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، مِنَ الْمُقَوِّسِ إِلَى مُحَمَّدٍ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ وَفَهِمْتُهُ وَأَنْتَ تَقُولُ إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ رَسُولًا ، وَفَضَّلَكَ تَفْضِيلًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ قُرْآنًا مُبِينًا ، فَكَشَفْنَا عَنْ خَبْرِكَ فَوَجَدْنَاكَ أَقْرَبَ دَاجِعٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَصْدَقَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالصِّدْقِ ، وَلَوْلَا أَنِّي مَلَكَتُ مُلْكًا عَظِيمًا ، لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِكَ ، لِعِلْمِي أَنَّكَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِمَامُ الْمُرْسَلِينَ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

(١) الزيادة من رواية المواهب ج ٣ ص ٣٩٥ وروايته أتيك . قال شارحه : في موضع المفعول

الأسلوب الثاني

(أن تفتَحَ المكتبةُ باسمِ المكتوبِ عنه)

كما كتب مسليمةُ الكذابُ إليه صلى الله عليه وسلم الكتابَ الذي تقدَّمتُ إجابته صلى الله عليه وسلم في المكتاباتِ الصادرةِ عنه ، وهو :

« من مُسَيِّمةِ رسولِ الله إلى محمدِ رسولِ الله .

أما بعدُ ، فَإِنِّي قد أَشْرَكْتُ في الأمرِ مَعَكَ ، إِنَّ لَنَا نِصْفَ الأَرْضِ ولقريشِ نِصْفَ الأرضِ ، وَلَكِنَّ قَرِيشًا قومٌ يَعْتَدُونَ » .

الجملة الثالثة

(في المكتاباتِ التي كُتبتِ إليه قبلَ ظُهوره صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته)

أما الكُتُبُ التي كُتبتِ إليه صلى الله عليه وسلم قبلَ ظُهوره ، فقد حكى "صاحبُ الهناء الدائمِ بمولدِ أبي القاسمِ" أن تَبَعَ الأوَّلَ حينَ مرَّ بمَوْضِعِ المدينةِ النبويَّةِ ، على ساكنها أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ ، أَخْبَرَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ مُهَاجَرُ نَبِيِّ يُخْرَجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَعَمَّرَ هُنَاكَ مَدِينَةً وَأَسْكَنَ فِيهَا جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ :

«أما بعدُ ، يا محمدُ فَإِنِّي آمَنْتُ بِكَ وَبِرَبِّكَ وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِكَتَابِهِ الَّذِي يُنْزِلُهُ عَلَيْكَ وَأَنَا عَلَى دِينِكَ وَسُنَّتِكَ . آمَنْتُ بِرَبِّكَ وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِكُلِّ مَا جَاءَ مِنْ رَبِّكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ . وَإِنِّي قُلْتُ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَدْرَكْتُكَ فِيهَا وَنِعِمَّتْ ، وَإِنْ لَمْ

أَدْرَكَكَ فَاشْفَعْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَنْسَنِي ، فَإِنِّي مِنْ أُمَّتِكَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَابِعْتُكَ قَبْلَ
 حَيْثُكَ وَقَبْلَ أَنْ يُرْسَلَكَ اللَّهُ ، وَأَنَا عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ^(١) .
 وَخَتَمَ الْكِتَابَ . وَنُقِشَ عَلَيْهِ « لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ
 بِنَصْرِ اللَّهِ » .

وكتب عنوانه : « إلی محمد بن عبد الله خاتم المرسلین ورسول رب العالمین صلی الله
 علیه ، من تبع الأول حمیر ، أمانة الله في يد من وقع إليه أن يدفعه إلی صاحبه » .
 ودفعه إلی رئیس العلماء الذين رتبهم بالمدينة ، فبقی عنده وعند بنيه يتداولونه
 واحداً بعد واحد ، حتى هاجر النبي صلی الله علیه وسلم إلی المدينة ، فلقیه الذي صار
 الكتاب إلیه يومئذ من بني ذلك العالم في طريق المدينة ودفع إلیه الكتاب .



وأما الكتب التي تكتب إلیه صلی الله علیه وسلم بعد وفاته ، فقد جرت عادة
 الأمة من الملوك وغيرهم بكتابة الرسائل إلیه صلی الله علیه وسلم بعد وفاته بالسلام
 والتحية والتوسل والتشفع به إلی الله تعالى في المقاصد الدنيوية والأخروية ،
 وتسيرها إلی تربته صلی الله علیه وسلم . وأكثر الناس معاطاة لذلك أهل المغرب
 لبعد بلادهم ، وتزوح أقطارهم .

ومن أحسن ما رأيت في هذا المعنى ما كتب به ابن الخطيب وزير ابن الأحمر
 بالأندلس ، وصاحب ديوان إنشائه عن سلطانہ يوسف بن قرچ بن نصر :

إِذَا فَاتَنِي ظِلُّ الْحَمَى وَنَعِيمُهُ ، * كَفَانِي وَحَسْبِي أَنْ يَهْبَ تَسِيمُهُ !

وَيُقْنِعْنِي أَنِّي بِهِ مُتَكَيِّفٌ : * فَرَمَزَهُ دَمْعِي ، وَجِسْنِي حَظِيمُهُ !
يَعُودُ فُؤَادِي ذِكْرُ مَنْ سَكَنَ الْغَضَى * فَيُقْعِدُهُ فَوْقَ الْغَضَى وَيُقِيمُهُ !
وَلَمْ أَرَشِيئًا كَالنَّسِيمِ إِذَا سَرَى ، * شَفَى سَقَمَ الْقَلْبِ الْمَشُوقِ سَقِيمُهُ !
نَعَلْتُ بِالتَّذْكَارِ نَفْسًا مَشُوقَةً * نُذِيرُ عَلَيْهَا كَأْسَهُ وَنُدِيمُهُ !
وَمَا شَفَنِي بِالْغَوْرِ رَنْدٌ مُرَّخٌ ، * وَلَا شَاقِي مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ رِيمُهُ ،
وَلَا سَهَرَتْ عَيْنِي لَبْرِقِ ثَنِيَّةٍ * مِنَ الثَّغْرِ يَبْدُو مَوْهِنًا فَأَشِيْمُهُ .
بَرَّانِي شَوْقٌ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * يَسُومُ فُؤَادِي بَرَحَهُ مَا يَسُومُهُ !
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَادَاكَ ضَارِعٌ * عَلَى الْبُعْدِ مُحْفُوظُ الْوَدَادِ سَلِيمُهُ
مَشُوقٌ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ * تَهَمُّ بِهِ تَحْتَ الظَّلَامِ هُمُومُهُ
إِذَا مَا حَدِيثُكَ عَنكَ جَاءَتْ بِهِ الصَّبَا ، * سَجَّاهُ مِنَ الشَّوْقِ الْحَدِيثِ قَدِيمُهُ
أَيُّجْهَرُ بِالنَّجْوَى ، وَأَنْتَ سَمِيعُهَا ! * وَيَسْرَحُ مَا يَخْفَى ، وَأَنْتَ عَلِيمُهُ !
وَتُعَوِّزُهُ السُّقْيَا ، وَأَنْتَ غِيَاثُهُ ! * وَتُثَلِّفُهُ الْبَلْوَى ، وَأَنْتَ رَحِيمُهُ !
يُنِيرُكَ نُورُ اللَّهِ قَدْ أَشْرَقَ الْهُدَى * فَأَقْمَارُهُ وَضَاحَةٌ وَبُحُومُهُ !
بِكَ أَنْهَلَ فَضْلُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ سَابِجًا * فَأَنْوَاوُهُ مُتَفَسِّةٌ وَغِيومُهُ !
وَمِنْ فَوْقِ أَطْبَاقِ السَّمَاءِ بِكَ أَقْدَى * خَلِيلُ الَّذِي أَوْطَا كَهَا وَكَلِيمُهُ !
لَكَ الْخَلْقُ الْأَرْضِيُّ الَّذِي بَانَ فَضْلُهُ * وَمُجِّدَ فِي الذِّكْرِ الْعَظِيمِ عَظِيمُهُ !
يَجِلُّ مَدَى عَلَيْكَ عَنْ مَدْحِ مَادِحٍ * فَوْسِرُ دُرِّ الْقَوْلِ فِيكَ عَدِيمُهُ !
وَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيكَ وَرَائَهُ ! * وَمُجِّدُكَ لَا يَنْسَى الدَّمَامَ كَرِيمُهُ ،

وَعِنْدِي إِلَى أَنْصَارِ دِينِكَ نِسْبَةٌ * هِيَ الْفَخْرُ لَا يَحْشَىٰ ائْتِقَالًا مُقِيمُهُ !
 وَكَانَ يُودِي أَنْ أَزُورَ مَبَوًّى * بِكَ أَفْتَحَرْتُ أَطْلَالَهُ وَرُسُومُهُ !
 وَقَدْ يُجْهِدُ الْإِنْسَانُ طَرْفَ اعْتِرَامِهِ * وَيُعَوِّزُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَرُومُهُ .
 وَعُذْرِي فِي تَسْوِيفِ عَزَمِي ظَاهِرٌ * إِذَا ضَاقَ عُذْرُ الْعَزْمِ عَمَّنْ يَلُومُهُ .
 عَدَتْنِي بِأَقْصَى الْغَرْبِ عَنْ تُرْبِكَ الْعِدَا ، * جَلَالَتُهُ الثَّغَرِ الْغَرِيبِ وَرُومُهُ ،
 أَجَاهِدُ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِكَ أُمَّةً * هِيَ الْبَحْرُ يُعَيِّ أَمْرُهَا مَنْ يَرُومُهُ !
 فَلَوْلَا أَعْنَاءُ مِنْكَ يَأْمَلُجَا الْوَرَى ! * لَرِيعَ حِمَاهُ ، وَأَسْتَيْحَ حَرِيمُهُ !
 فَلَا تَقْطَعْ الْحَبْلَ الَّذِي قَدْ وَصَلْتُهُ ، * فَمَجْدُكَ مَوْفُورُ النِّوَالِ عَمِيمُهُ !
 وَأَنْتَ لَنَا الْغَيْثُ الَّذِي تَسْتَدِرُّهُ ، * وَأَنْتَ لَنَا الظِّلُّ الَّذِي تَسْتَدِيمُهُ !
 وَلَمَّا نَأَتْ دَارِي وَأَعْوَزَ مَطْمَعِي * وَأَقْلَقَنِي شَوْقٌ تُسَبِّحُ جَحِيمُهُ ،
 بَعَثْتُ بِهَا جُهْدَ الْمُقِلِّ مُعَوَّلًا * عَلَىٰ مَجْدِكَ الْأَعْلَى الَّذِي جَلَّ خِيمُهُ !
 [وَكَلْتُ بِهَا هَمِّي وَصِدْقَ قَرِيحَتِي * فَسَاعَدَنِي هَاءُ الرُّوَى وَمِيمُهُ ^(١)]
 فَلَا تَنْسِنِي يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى * فَمِنْكَ لَا يُنْسَىٰ لَدَيْهِ خَدِيمُهُ !
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا دَزَّ شَارِقُ ، * وَمَا رَأَىٰ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ وَسِيمُهُ !

إلى رسو، الحق، إلى كافة الخلق، وغمام الرحمة الصادق البرق، والحاظر في ميدان
 أصطفاء الرحمن قصب السبق، خاتم الأنبياء، وإمام ملائكة السماء، ومن وجبت له
 النبوة وآدم بين الطين والماء، شفيع أرباب الذنوب، وطبيب أدواء القلوب،
 ووسيلة الخلق إلى علام الغيوب، نبي الهدى الذي طهر قلبه، وغفر ذنبه، وختم به

الرسالة ربّه، وَجَرَى فِي الثُّقُوسِ مَجْرَى الْإِنْفَاسِ حُبّه؛ [الشَّفِيع] المُشَفِّعُ يَوْمَ الْعَرْضِ،
 الْمَحْمُودُ فِي مَلَأِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ صَاحِبِ اللَّوَاءِ الْمُنشُورِ يَوْمَ النُّشُورِ، وَالْمُؤْتَمِّنُ عَلَى
 سِرِّ الْكَتَابِ الْمَسْطُورِ، وَمُخْرِجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ؛ الْمُؤَيَّدُ بِكَفَايَةِ اللَّهِ
 وَعِصْمَتِهِ، الْمَوْفُورِ حَظُّهُ مِنْ عِنَايَتِهِ وَحُرْمَتِهِ، الظَّلُّ الْخَفَّاقُ عَلَى أُمَّتِهِ؛ مَنْ لَوْ حَازَتْ
 الشَّمْسُ بَعْضُ كِمَالِهِ مَا عَدِمَتْ إِشْرَاقًا، أَوْ كَانَ لِلْآبَاءِ رَحْمَةٌ قَلْبِهِ ذَابَتْ نَفُوسُهُمْ
 إِشْفَاقًا؛ فَائِدَةُ الْكَوْنِ وَمَعْنَاهُ، وَسِرُّ الْوُجُودِ الَّذِي بَهَرَ الْوُجُودَ سَنَاهُ، وَصَفَى حَضْرَةَ
 الْقُدُسِ الَّذِي لَا يَنَامُ قَلْبُهُ إِذَا نَامَتْ عَيْنَاهُ؛ الْبَشِيرِ الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ الْبُشْرَى، وَرَأَى
 مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، وَنَزَلَ فِيهِ سَبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ؛ مِنَ الْأَنْوَارِ مَنْ غُنُصِرَ نُورُهُ
 مَسْتَمَدَّهُ، وَالْآثَارُ تَخْلُقُ وَأَثَرُهُ مَسْتَجِدَّهُ؛ مَنْ طَوَى لِسَاطِ الْوَحْيِ لَفَقْدَهُ، وَسَدَّ بَابُ
 الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوءَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْتَى جَوَامِعَ الْكَلِمِ فَوْقَقَتِ الْبَلَاغُ حَسْرَتِي دُونَ حَدِّهِ؛
 الَّذِي آتَنَقَلَ فِي الْغُرَرِ الْكَرِيمَةِ نُورُهُ، وَأَضَاءَتْ لِمِلَادِهِ مَصَانِعُ الشَّامِ وَقُصُورُهُ،
 وَطَفِقَتْ الْمَلَائِكَةُ تُحِيَّهِ وَفُودُهَا وَتَزَوَّرُهُ؛ وَأَخْبَرَتِ الْكَتَبُ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِ
 وَصِفَاتِهِ، وَأَخَذَ عَهْدَ الْأَنْبِيَاءِ بِهِ عَلَى مَنْ آتَنَصَلَتْ بِمَبْعَثِهِ مِنْهُمْ أَيَّامَ حَيَاتِهِ؛ الْمَفْرَعُ
 الْأَمْنَعُ يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ، وَالسِّنْدُ الْمَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي أَهْوَالِ الْمُحْشَرِ. ذِي الْمُعْجَزَاتِ
 الَّتِي أَثْبَتَهَا الْمَشَاهِدَةُ وَالْحِسُّ، وَأَقْرَبَهَا الْجَنُّ وَالْإِنْسُ: مِنْ جَمَادٍ يَتَكَلَّمُ، وَجِدْعٍ لِفِرَاقِهِ
 يَتَأَلَّمُ، وَقَمَرٍ لِهَيْشَقٍ، وَشَجَرٍ يَشْهَدُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ؛ وَشَمْسٍ بَدَعَانَهُ عَنْ مَسِيرِهَا
 تُحْبَسُ، وَمَاءٍ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ يَتَبَجَّسُ؛ وَغَمَامٍ بِاسْتِسْقَائِهِ يَصُوبُ، وَطُورٍ بِصَقِّ
 فِي أَجَاجِهَا فَاصْبَحَ مَائُوهَا وَهُوَ الْعَذْبُ الْمَشْرُوبُ. الْمَخْصُوصُ بِمَنَاقِبِ الْكَمَالِ وَكِمَالِ
 الْمَنَاقِبِ، الْمُسَمَّى بِالْحَاشِرِ الْعَاقِبِ، ذِي الْمَجْدِ الْبَعِيدِ الْمَرَامَى وَالْمَرَاقِبِ؛ أَكْرَمُ مِنْ

(١) الزيادة عن فتح الطيب (ص ١٧٥، ج ٤) المطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٧٩ هـ .
 وكذا هو في الريحانة .

(٢) في النسخ "الإيمان به"، وكذا هو في ريحانة الكتاب .

رُفِعَتْ إِلَيْهِ وَسِيلَةُ الْمُعْتَرِفِ الْمُغْتَرِبِ، وَنَجَحَتْ لَدَيْهِ قُرْبَةُ الْبَعِيدِ وَالْمُقْتَرِبِ، سَيِّدِ
الرُّسُلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ الَّذِي فَازَ بِطَاعَتِهِ الْمُحْسِنُونَ، وَاسْتُنْقَذَ
بِشَفَاعَتِهِ الْمُذْنِبُونَ، وَسَعِدَ بِاتِّبَاعِهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَبْرُقْ، وَهَمَعَ وَدَقَّ؛ وَطَلَعَتْ شَمْسُ، وَنَسَخَ الْيَوْمَ أَمْسُ.

مَنْ عَتِيقُ شَفَاعَتِهِ، وَعَبْدُ طَاعَتِهِ؛ الْمُعْتَصِمُ بِسَبِيهِ، الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ ثُمَّ بِهِ؛ الْمُسْتَشْفَى
بذِكْرِهِ كُلَّمَا تَأَلَّمَ، الْمُفْتِاحُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ كُلَّمَا تَكَلَّمَ؛ الَّذِي إِنْ ذُكِرَ تَمَثَّلَ طُلُوعُهُ بَيْنَ
أَصْحَابِهِ وَآلِهِ، وَإِنْ هَبَّ النَّسِيمُ الْعَاطِرُ وَجَدَ فِيهِ طِيبَ خِلَالِهِ؛ وَإِنْ سَمِعَ الْأَذَانَ
تَذَكَّرَ صَوْتَ يَلَالِهِ. وَإِنْ ذُكِرَ الْقُرْآنُ اسْتَشْعَرَ تَرْدُّ جَبْرِيلَ بَيْنَ مَعَاهِدِهِ وَحِلَالِهِ؛
[لَا تُمْ تَرْبُهُ وَمَوْمِلُ قُرْبِهِ، وَرَهْنِ طَاعَتِهِ وَحُبِهِ^(١)] الْمُتَوَسِّلُ بِهِ إِلَى رِضَا رَبِّهِ؛
«يُوسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ نَصْرٍ».

كُتِبَتْهُ [إِلَيْكَ] يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالْدمْعُ مَاحٍ، وَخَيْلُ الْوَجْدِ ذَاتُ جَمَاحٍ؛ عَنْ شَوْقٍ
يَزْدَادُ كُلَّمَا نَقَصَ الصَّبْرُ، وَأَنْكَسَارٍ لَا يُتَاحُ لَهُ إِلَّا بَدْؤُ مَزَارِكِ الْجَبْرِ؛ وَكَيْفَ لَا يُعْنَى
مَشُوقُكَ بِالْأَمْرِ، وَيُوطِئُ عَلَى كَيْدِهِ الْجَمْرُ، وَقَدْ مَطَلَتِ الْأَيَّامُ بِالْقُدُومِ عَلَى تُرْبَتِكَ
الْمُقَدَّسَةِ الْقُدِّ، وَوَعَدَتِ الْأَمَالَ وَدَانَتْ بِإِخْلَافِ الْوَعْدِ؛ وَأَنْصَرَفَتِ الرَّفَاقُ وَالْعَيْنُ
بُنُورِ ضَرِيحِكَ مَا أَكْتَحَلَتْ، وَالرَّكَائِبُ إِلَيْكَ مَا رَحِلَتْ، وَالْعِزَائِمُ قَالَتْ وَمَا فَعَلْتُ؛
وَالنَّوَظِرُ فِي تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الْكَرِيمَةِ لَمْ تَسْرَحْ، وَطُيُورُ الْأَمَالِ عَنْ وَكُورِ الْعَجْزِ لَمْ تَبْرَحْ؛
فِيَالَهَا مِنْ مَعَاهِدٍ فَازَ مَنْ حَيَّاهَا، وَمَشَاهِدَ مَا أَعْطَرَ رِيَّاهَا؛ بِلَادُ نَيْطَتْ بِهَا عَلَيْكَ
الْتِمَائِمُ، وَأَشْرَقَتْ بُنُورُكَ مِنْهَا التَّجُودُ وَالتَّهَائِمُ؛ وَنَزَلَ فِي حُجْرَاتِهَا عَلَيْكَ الْمَلَكُ، وَأُنْجِلَى
بِضْيَاءِ قُرْآنِكَ فِيهَا الْحَلَاكُ؛ مَدَارِسُ الْآيَاتِ وَالسُّورِ، وَمَطَالِعُ الْمُعْجَزَاتِ السَّافِرَةِ

الْغَرَبَ ، حَيْثُ قُضِيَتِ الْفَرُوضُ وَحُتِمَتِ ، وَأُفْتُتِحَتِ سُورَةُ الْوَحْيِ وَخُتِمَتِ ؛
وَأَبْتَدِئَتِ الْمَلَّةُ الْحَنِيفِيَّةُ وَتَمَّتْ ، وَنُسِخَتِ الْآيَاتُ وَأُحْكِمَتْ . أَمَا وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ هَادِيَا ، وَأَطْلَعَكَ لِلخَلْقِ نُورًا بَادِيَا ؛ لَا يُطْفِئُ غُلَّتِي إِلَّا شَرْبُكَ ، وَلَا يُسَكِّنُ لَوْعَتِي
إِلَّا قُرْبُكَ ؛ فَمَا أَسْعَدَ مِنْ أَفَاضَ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ إِلَى حَرَمِكَ ، وَأَصْبَحَ بَعْدَ آدَاءِ
مَا فَرَضْتَ عَنْ اللَّهِ ضَيْفَ كَرَمِكَ ؛ وَعَفَّرَ الْخَلْدَ فِي مَعَاهِدِكَ وَمَعَاهِدِ أَسْرَتِكَ ، وَتَرَدَّدَ
مَا بَيْنَ دَارِي بَعْتِكَ وَهَجْرَتِكَ !

وإِنِّي لَمَّا عَاقَنِي عَنْ زِيَارَتِكَ الْعَوَاقِقُ وَإِنْ كَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ ، وَعَدَّتْنِي الْأَعْدَاءُ
فِيكَ عَنْ وَصْلِ سَبَبِي بِسَبَبِكَ ، وَأَصْبَحْتُ مَا بَيْنَ بَحْرِ تِلَاطُمِ أَمْوَاجِهِ ، وَعَدَوْتُ تَكَانُفَ
أَفْوَاجِهِ ، وَيَحْجِبُ الشَّمْسُ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ عَجَاجُهُ ؛ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ وَطُنُونَا
عَلَى الصَّبْرِ نَفْسَهُمْ ، وَجَعَلُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ لِبُوسِهِمْ ؛ وَرَفَعُوا إِلَى مُصَارَحَتِكَ
رُءُوسَهُمْ ، وَاسْتَعْدَبُوا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتِكَ بُوسَهُمْ ؛ يَطِيرُونَ مِنْ هَيْعَةٍ
إِلَى أُخْرَى ، وَيَتَلَفَّتُونَ وَالْخَاوِفُ يُنْمَى وَيُسْرَى ، وَيَقَارِعُونَ - وَهُمْ الْفَتَنَةُ الْقَلِيلَةُ -
جَمُوعًا بِكُمُوعٍ قِصَرَ وَكُسْرَى ؛ لَا يَلْتَفُونَ مِنْ عَدُوِّكَ كَالَّذَرِّ عِنْدَ انْتِشَارِهِ ، مِعْشَارَ مِعْشَارِهِ ؛
قَدْ بَاعُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، لِأَن تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُلْيَا ؛ فَيَالَهُ مِنْ
سِرْبِ مَرُوعٍ ، وَصَرِيحٍ إِلَّا عَنْكَ مَمْنُوعٍ ، وَدَعَاءٍ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ مَرْفُوعٍ ؛ وَصِبْنِي حُمُرَ
الْحَوَاصِلِ ، تَخَفِّقْ فَوْقَ أَوْكَارِهَا أَجْنَحَةُ الْمَنَاصِلِ ؛ وَالصَّلِيبُ قَدْ تَمَطَّى وَمَدَّ ذِرَاعَيْهِ ،
وَرَفَعَتِ الْأَطْغَاةُ بَضْبِعَيْهِ ؛ وَقَدْ حُجِبَتْ بِالْقَتَامِ السَّمَاءُ ، وَتَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُ الْحَدِيدِ
وَالْبَاسِ الشَّدِيدِ فَالْتَقَى الْمَاءُ ؛ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الدَّمَاءُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَمَا ضَعُفَتِ الْبَصَائِرُ
وَلَا سَاءَتِ الظُّنُونُ ، وَمَا وَعِدَ بِهِ الشَّهْدَاءُ تَعْتِقُهُ الْقُلُوبُ حَتَّى تَكَادَ تَرَاهُ الْعُيُونُ ،
إِلَى أَنْ نَلْقَاكَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ أَبْلَيْنَا الْعُدْرَ ، وَأَرْغَمْنَا الْكُفْرَ ، وَأَعْمَلْنَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَسَبِيلِكَ الْبَيْضَ وَالسُّمْرَ .

(١) اسْتَنْبَت رُفْعِي هَذِهِ لِتَطِيرَ إِلَيْكَ [مِنْ شَوْقِي] بِجَنَاحِ خَافِقٍ ، وَتُسَعِّدَ مِنْ نِيَّتِي الَّتِي
تَصْحُبُهَا بِرْفِيقٍ مُوَافِقٍ ؛ فَنُؤَدِّي عَنْ عَبْدِكَ وَتَبْلُغَ ، وَتَعْفَرَ الْخَلْدَ فِي ثُرْبَتِكَ وَتَمْرُغَ ؛
وَتَطْيِبُ بِرَبِّهَا مَعَاهِدَكَ الطَّاهِرَةَ وَبُيُوتَكَ ، وَتَقِفُ وَقُوفَ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ تُجَاهَ تَابُوتِكَ ؛
وَتَقُولُ بِلِسَانِ التَّمَلُّقِ ، عِنْدَ التَّشَبُّثِ بِأَسْبَابِكَ وَالتَّعَلُّقِ ، مِنْكَسِرَةَ الطَّرْفِ ، حَذِرًا بِهَرَجُهَا
مِنْ عَدَمِ الصَّرْفِ : يَا غِيَاثَ الْأُمَّةِ ، وَغَمَامَ الرَّحْمَةِ ؛ اِرْحَمِ غُرْبَتِي وَأَنْقِطَاعِي ، وَتَعَمَّدْ
بَطُولِكَ قِصْرَ بَاعِي ، وَقَوِّ عَلَى هَيْبَتِكَ خَوَرِ طِبَاعِي ؛ فَكَمْ جُرْتُ مِنْ لُجٍّ مُهُولٍ ، وَجُبْتُ
مِنْ حُرُونٍ وَسُهُولٍ ؛ وَقَابِلُ الْقَبُولِ نِيَابَتِي ، وَتَجَلَّى بِالرَّضَا إِجَابَتِي . وَمَعْلُومٌ مِنْ كَمَالِ
تِلْكَ الشَّيْمِ ، وَسَجَايَا تِيكَ الدِّيمِ ؛ أَنْ لَا تُحَيِّبَ قَصْدَ مَنْ حَطَّ بِفَنَائِهَا ، وَلَا يَظْمَأُ
وَارِدُ أَكْبَّ عَلَى إِثْنَائِهَا .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ جَعَلْتَهُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ بِالْمَعْنَى وَآخِرَهُمُ بِالصُّورَةِ ، وَأَعْطَيْتَهُ لُؤَاءَ الْحَمْدِ يَسِيرَ
أَدَمُ مِنْ دُونِهِ تَحْتَ ظِلَالِهِ الْمُنْشُورَةِ ؛ وَمَلَكَتْ أُمَّتُهُ مَا زُيِّى لَهُ مِنْ زَوَايَا الْبَسِيطَةِ
الْمَعْمُورَةِ ، وَجَعَلْتَنِي مِنْ أُمَّتِهِ الْمَجْبُولَةِ عَلَى حُبِّهِ الْمَفْطُورَةِ ؛ وَشَوْقَتَنِي إِلَى مَعَاهِدِهِ الْمَبْرُورَةِ ،
وَمُشَاهِدِهِ الْمَزُورَةِ ؛ وَوَكَّلْتَ لِسَانِي بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَقَلْبِي بِالْحَيْنِ إِلَيْهِ ، وَرَغْبَتِي
بِالْتِمَاسِ مَا لَدَيْهِ ؛ فَلَا تَقْطَعْ عَنْهُ أَسْبَابِي ، وَلَا تَحْرِمْنِي فِي حُبِّهِ أَجْرَ ثَوَابِي ، وَتَدَارِكُنِي
بِشِفَاعَتِهِ يَوْمَ أَخْذِ كِتَابِي .

هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسِيلَةٌ مِنْ بَعْدِ دَارِهِ ، وَشَطَّ مَزَارِهِ ، وَلَمْ يُجْعَلْ بِيَدِهِ اخْتِيَارُهُ ؛
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْقَبُولِ أَهْلًا فَانْتَ لِلْإِعْضَاءِ وَالسَّامِحِ أَهْلًا ، وَإِنْ كَانَتْ أَلْفَاظُهَا وَعَرَّةً لِفَنَابِكَ
لِلْقَاصِدِينَ سَهْلًا ؛ وَإِذَا كَانَ الْحُبُّ يُتَوَارَثُ كَمَا أَخْبَرْتُ ، وَالْعُرُوقُ تُدَسُّ حَسَبَ مَا
إِلَيْهِ أَشْرَتْ ؛ فَلِي بِإِنْتِسَابِي إِلَى (سَعْدٍ) عَمِيدِ أَنْصَارِكَ مَزِيَّةً ، وَوَسِيلَةً أَثِيرَةً خَفِيَّةً ،
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي عَمَلٌ تَرْضِيهِ فَلِي نِيَّةٌ ؛ فَلَا تَنْسَنِي وَمَنْ بِهِذِهِ الْجَزِيرَةِ الْمَفْتَتَحَةِ بِسَيْفِ

كلمتك، على أيدى خيار أمتك؛ فإنما نحنُ بها وديعةٌ تحتَ بعضِ أقفالِكَ، نعوذُ بوجهِ ربِّكَ من إغفالِكَ؛ ونستَشِقُّ من رِيحِ عَنایتِكَ نَفْحَهُ، ونَرْقُبُ من نُورِ حَيَّا قَبُولِكَ لَحْمَهُ؛ نُدَافِعُ بها عَدُوًّا طَغَى، وَبَغَى، وَبَلَغَ من مُضَايَقَتِنَا مَا آبَتَغَى؛ فهُوَ أَقْبُ التَّحْيِصِ قِدَ أَعْيَتْ مَنْ كَتَبَ وَوَرَّخَ، وَالْبَحْرُ قَدْ أَصَمَّتْ من آسْتَصْرَخَ؛ وَالطَّاغِيَةُ فِي الْعُدْوَانِ مُسْتَبْصِرٌ، وَالْعَدُوُّ مُحَلَّقٌ وَالْوَلِيُّ مَقْصَرٌ. وَيَجَاهُكَ نَذَعُ مَا لَا نُنْطِيقُ، وَبِعَنَايَتِكَ نَعَالِجُ سَقِيمَ الدِّينِ فُيُفِيْقُ؛ فَلَا تُفَرِّدْنَا وَلَا تُهْمِلْنَا، وَنَادِ رَبَّكَ فِينَا: رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا؛ وَطَوَائِفُ أَمْتِكَ حَيْثُ كُنَّا عَنَايَةً مِنْكَ تَكْفِيهِمْ، وَرَبُّكَ يَقُولُ لَكَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ طَافَ وَسَعَى، وَأَجَابَ دَاعِيًا إِذَا دَعَا؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلَائِكَ وَأَلِّكَ، صَلَاةً تَلِيقُ بِجَلَالِكَ وَتَحِقُّ لِكَمَالِكَ؛ وَعَلَى صَحْبَيْكَ وَصِدِّيقَيْكَ، وَحَبِيبَيْكَ وَرَفِيقَيْكَ: خَلِيفَتِكَ فِي أَمْتِكَ، وَفَارُوقِكَ الْمُسْتَخْلَفَ بَعْدَهُ عَلَى جِلَّتِكَ، وَصَهْرِكَ ذِي النُّورَيْنِ الْمُخْصُوصَ بِرِّكَ وَنَحْلَتِكَ، وَأَبْنِ عَمَلِكَ بِسِفِكَ الْمَسْلُوكِ عَلَى حَلَّتِكَ، بِدَرِ سَمَائِكَ وَوَالِدِ أَهْلَتِكَ؛ وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ ^(١)

[كَثِيرًا بَثِيرًا] وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

من حضرة جزيرة الأندلس غرناطة صانها الله ووقاها، ودفع عنها بركتك كيد عداها.

الطرف الثاني

(في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء السرايا، إلى الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في ترتيب هذه المكاتبات على سبيل الإجمال)

كانت المكاتبُ إليهم تُفتَحُ تارةً بلفظ « من فلان إلى فلان » ويؤتى في الصدر بالسلام والتحميد على نحو ما تقدم في المكاتب عن الخلفاء . ويقع التخلُّص إلى المقصود بـ « أما بعد » وتارةً يقع الافتتاح بـ « أما بعد » ويؤتى بالمقصود تلو ذلك ؛ ويعبرُ المكتوبُ عنه فيها عن نفسه بلفظ الإفراد ، وعن الخليفة بأمر المؤمنين ، وتختتمُ بالسلام على أمير المؤمنين .

الجملة الثانية

(في صورة هذه المكاتبات ، وهي على أسلوبيْن كما تقدمت الإشارة إليه)

الأسلوب الأول

(أن تُفتَحَ المكاتبُ بلفظ « لفلان من فلان »)

وكان الرسم فيها أن يُكتَبَ : « لعبد الله فلان أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك فأني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعدُ فإن كذا » .

كما كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جواب الكتاب منه إليه المقدم ذكره في المكاتب عن الخلفاء من الصحابة ، وهو : « لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك فأني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعدُ ، فإنه أتاني كتابُ أمير المؤمنين يذكر فيه فاشية مالٍ فشالي ، وأنه يعرفني قبلي

ذَلِكَ وَلَا مَالٌ لِي ، وَإِنِّي أَعْلَمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي بِلَيْدِ السَّعْرِ فِيهِ رَخِيسٌ ، وَأَنْتَ أَعَالِجُ
مِنَ الزَّرَاعَةِ مَا يُعَالِجُهُ النَّاسُ ، وَفِي رِزْقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَعَةٌ . وَوَاللَّهِ لَوِ رَأَيْتُ خِيَانَتَكَ
حَلَالًا مَا خُتُّكَ ، فَأَقْصِرْ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّ لَنَا أَحْسَابًا هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ لَكَ ، إِنْ
رَجَعْنَا إِلَيْهَا عَشْنَا بِهَا ! . وَلَعَمْرِي إِنَّ عِنْدَكَ مَنْ لَا يَذُمُّ مَعْشِيَةً وَلَا تُذَمُّ لَهُ ، فَإِنْ
كَانَ ذَلِكَ فَلَمْ يَفْتَحْ قُفْلَكَ وَلَمْ يَشْرَكَكَ فِي عَمَلِكَ ؟

الأسلوب الثاني

(أن تَفْتَحَ المَكْتَابَةَ بلفظ «أما بعد» ويتوصل منه إلى المقصود)
كما كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية - وهو على بعض أعماله - يستعفيه
عن العمل .
أما بعد ، فقد كبر سنِّي وِرَقَّ عَظْمِي وَأَقْتَرَبَ أَجَلِي وَسَفَّهَنِي سُفْهَاءُ قُرَيْشٍ ، فَرَأَى
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَمَلِهِ .

الطرف الثالث

(في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال ، وأمراء السرايا أيضا
إلى خلفاء بني أمية ، وهي في ترتيبها على ما تقدم في المكاتبات إلى الخلفاء
من الصحابة رضي الله عنهم . وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن تُفْتَحَ المَكْتَابَةُ بلفظ «من فلان إلى فلان» على نحو ما تقدم في المكاتبة
عنهم إلى الخلفاء من الصحابة مع زيادة الدعاء بطول البقاء)
كما كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان في جواب كتابه الوارد عليه
منه ، في توبيخه له بسبب تعرضه لأنس بن مالك رضي الله عنه على ما تقدم ذكره .

«لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين» ^(١) [أصلح الله] أمير المؤمنين وأبقاه، وسهل حظه وحاطه ولا عِدْمَانَه؛ فقد وصلني كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وجعلني من كل مكروه فداه؛ يذكرك شئني وتوخي بآبائي، وتعييري بما كان قبل [نزول النعمة بي] ^(٢) من عند أمير المؤمنين أتم الله نعمته عليه، وإحسانه إليه. ويذكر أمير المؤمنين استظالة مني على أنس بن مالك، وأمير المؤمنين أحق من أقال عثرتي، وعفا عن ذنبي وأمهاني ولم يعجزني عند هفوتي؛ للذي جيل عليه من كريم طبائعه، وما قلده الله من أمور عبادته؛ فرأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - في تسكين روعتي، وإفراج كربتي؛ فقد ملئت رعباً وقرقا من سطواته، وقلات نقماته؛ وأمير المؤمنين - أقاله الله العثرات، وتجاوز له عن السيئات؛ وضاعف له الحسنات، وأعلى له الدرجات - أحق من صفح وعفا، وتغمد وأبق؛ ولم يشمت بي عدواً مكجاً، ولا حسوداً مضباً؛ ولم يجرعني غصصاً. والذي وصف أمير المؤمنين من صنيعته إلى، وتوحيه لي بما أسند إلى من عمله؛ وأوطاني من رقاب رعيته، فصادق فيه مجزي عليه بالشكر، والتوسل مني إليه بالولاية، والتقرب له بالكفاية؛ وقد خضعت عند كتاب أمير المؤمنين، فإن رأى [أمير المؤمنين] ^(٣) - طوقني الله بشكره، وأعانني على تأدية حقه، وبلغني إلى ما فيه موافقة مرضاته، ومدلى في أجله - أن يأمر بالكتاب إلى من رضاه، وسلامة صدره، ما يؤمنني به من سفك دمي، ويرد ما شرد من نومي، ويطمئن به قلبي فعل، فقد ورد

(١) في الأصل "سلام على أمير الخ" والتصحيح عن مفتاح الأفكار (ص ١٨٢).

(٢) بياض بالاصول، والتصحيح عن مفتاح الأفكار. وفيه بعد لفظ أنس بن مالك مانصه.

"خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراً على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد إلى غير محبته ونزل عند خطته، وأمير المؤمنين أصلحه الله من قرابته من مجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الهدى وخاتم النبيين أحق الخ".

(٣) الزيادة عن مفتاح الأفكار.

على أمر جليل خطبه ، عظيم أمره ، شديد كربه . أسأل الله أن لا يسخط أمير المؤمنين على ، وأن يُنبئه في خزئه ، وعزيمه ، وسياسته ، وفراسته ، ومواليه ، وحششه ، ومعماله ، وصنائه ، ما يحمد به حسن رأيه ، إنه ولي أمير المؤمنين والذاب عن سلطانه ، والصانع له في أمره ، والسلام .

الأسلوب الثاني

(أن يُفتَح الكتاب بلفظ «أما بعد» ويُتوصَّل منه إلى المقصود)

كما كتب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلى عبد الملك بن مروان في خلافته :
أما بعد ، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر . سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأمرني بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه فيما أستطعت .

الطَّرَف الرابع

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم إلى خلفاء
بنى العباس ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات العامة من الملوك إلى الخلفاء ، ولها حالتان)

الحالة الأولى

(ما كان الأمر عليه في ابتداء دولة بنى العباس وأوساطها)

أما ابتداء دولتهم ، فكان الأمر فيه على ما تقدم في مكاتبات العبال ونحوهم إلى خلفاء بنى أمية ، وقد تقدم تمثيله . إلا أنه زيد فيه في صدور المكاتبات سؤال الصلاة

على النبي صلى الله عليه وسلم من حين رتبته المأمون في صدور الكتب، وتكنيته الخليفة من حين أحدثه الأمين في كتبه على ما تقدم بيانه في المكاتبات عن الخلفاء فيما سلف .



وأما أوساط دولتهم من حين ظهور ملوك بني بويه وغلبيتهم على الأمر ، فللكتاب فيه أسلوبان :

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بلفظ «لفلان من فلان» وتصدر بالسلام والتحميد وسؤال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويتخلص إلى المقصود بأما بعد) والرسم فيه على ما ذكره قدامة في كتاب الخراج أن يكتب : «لبعد الله فلان أبي فلان - بأسمه وكنيته ونعته - أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد ، أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وكرامته وحراسته ، وأتم نعمته عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وفضله عنده وجميل بلائه لديه ، وجزيل عطائه له .»

وزاد في «صناعة الكتاب» : في السلام «ورحمة الله وبركاته» . قال في «صناعة الكتاب» : ثم يقال : أما بعد فقد كان كذا وكذا ، حتى يأتي على المعاني التي يحتاج إليها . وتكون المكتبة : - وقد فعل عبد أمير المؤمنين كذا - فإن زادت حاله لم يقل عبد أمير المؤمنين ، فإذا بلغ إلى الدعاء ترك فضاء وكتب : أتم الله على أمير المؤمنين نعمته وهنأه وكرامته ، وألبسه عفوّه وعافيته وأمنه وسلامته : والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم كذا وكذا من شهر كذا من سنة كذا .

وقال الفضل بن سهل : يُدعى للخليفة :

أما بعدُ ، أطل الله بقاءَ أمير المؤمنين ، وأدام عزَّه وتأييده ، وأتمَّ نعمته وسعادته وتوفيقه ؛ وزاد في إحسانه إليه وموآبه له . ولا يكتب إليه « وجعلني فداه » ويكون أول فصوله : أخبر أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - أن كذا وكذا . ثم يوالى الفصول بـ « أيده الله وأدام عزه » . ونحو هذا .

وإن شئت كتبت : أما بعدُ أطل الله بقاءَ أمير المؤمنين ، وأدام عزَّه وتأييده وكرامته ، وأتمَّ نعمته عليه ، وزاد فيها عنده وحاطه وكفاه ، وتولى له ما ولّاه .

وإن شئت كتبت : أطل الله بقاءَ أمير المؤمنين في العزِّ والسلامة ، وأدام كرامته في السَّعادة والزيادة ؛ وأتمَّ نعمته في السُّبُوح والغِبطة ، وأصلحه وأصلح على يديه ونصره ؛ وكان له في الأمور كلّها وليًّا وحافظا .

وإن شئت كتبت : أطل الله بقاءَ أمير المؤمنين في أعزِّ العزِّ ، وأدوم الكرامة والسُّرور والغِبطة ، وأتمَّ نعمه في علوِّ من الدرجة ، وشرف من الفضيلة ، ومُنَاج من العائدة ، ووهب له السلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

والذى كانت عليه قاعدةُ ملوك بني بويه فمن بعدهم إن كان الكتاب في معنى حدوثِ نعمةٍ من فتح ونحوه ، أتى بعد ذلك بالتحميد مابين مرّةٍ واحدةٍ إلى ثلاث مرّات . ويعبرُ المكتوبُ عنه عن نفسه بلفظ الإفراد ، وعن الخليفة بأمر المؤمنين ، ويُختمُ الكتابُ بالإنهاء وما في معناه .

وهذه نسخةُ كتابٍ كتب به أبو إسحاق الصّابي عن عز الدولة بن بويه إلى المُطيع لله عند فتحه الموصل ، وهزيمة أبي تغلب بن حمدان صاحب حلب في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وهى :

(١)
لَعَبِدِ اللَّهِ الْفَضْلِ [الإمام] الْمُطِيعِ لِلَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ عَبْدِهِ وَصِيْعَتِهِ عَنِ الدَّوْلَةِ
أَبْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . سَلَامٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَإِنِّي أَحْمَدُ
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

أَمَّا بَعْدُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ لَهُ الْعِزَّ وَالنَّائِيْدَ، وَالتَّوْفِيقَ وَالتَّسْدِيْدَ؛
وَالْعُلُوَّ وَالْقُدْرَةَ، وَالظُّهُورَ وَالتَّنْصُرَ - فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، الْأَزَلِيِّ الْقَدِيمِ؛ الْمُتَفَرِّدِ
بِالْكِبَرِيَاءِ وَالْمُلْكُوتِ، الْمُتَوَحِّدِ بِالْعَظَمَةِ وَالْجَبْرُوتِ؛ الَّذِي لَا تُحَدِّثُهُ الصِّفَاتُ،
وَلَا تُحَوِّزُهُ الْحِجَاهَاتُ؛ وَلَا تُخْصِرُهُ قَرَارَةُ مَكَانٍ، وَلَا يُغَيِّرُهُ مُرُورُ زَمَانٍ؛ وَلَا تُنْثَلِهُ الْعُيُونُ
بِنَوَاطِرِهَا، وَلَا تُتَحَيَّلُهُ الْقُلُوبُ بِخَوَاطِرِهَا . فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَمَا تُظِلُّ، وَخَالِقِ الْأَرْضِ
وَمَا تُقِلُّ؛ الَّذِي دَلَّ بِلَطِيفِ صَنْعَتِهِ، عَلَى جَلِيلِ حِكْمَتِهِ؛ وَبَيِّنَ بِجَلِيِّ بُرْهَانِهِ، عَنْ
خَفِيِّ جِدَّانِهِ؛ وَاسْتَغْنَى بِالْقُدْرَةِ عَنِ الْأَعْوَانِ، وَاسْتَعَلَّى بِالْعِزَّةِ عَنِ الْأَقْرَانِ . الْبَعِيدِ
عَنْ كُلِّ مُعَادِلٍ وَمُضَارِعٍ، الْمُمْتَنِعِ عَلَى كُلِّ مُطَاوِلٍ وَمُقَارِعٍ؛ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَزُولُ
وَلَا يَحْوُلُ، الْعَادِلِ الَّذِي لَا يَظْلُمُ وَلَا يَظْوَرُ؛ الْكَرِيمِ الَّذِي لَا يَبْضُنُّ وَلَا يَنْخَلُّ، الْحَلِيمِ الَّذِي
لَا يَعْجَلُ وَلَا يَجْهَلُ؛ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَادِعُوهُ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، مُنْزِلُ
الرَّحْمَةِ عَلَى كُلِّ وَلِيٍّ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ؛ وَأُتْمَرَ لِأَمْرِهِ، وَأَزْدَجَرَ بِزَوَاجِرِهِ،
وَحُلِّلَ النِّقْمَةُ بِكُلِّ عَدُوٍّ صَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَسُنَّتهِ، وَصَدَفَ عَنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَّتهِ، وَحَادَهُ
فِي مَكْسَبِ يَدِهِ وَمَسَاعِدِ قَدَمِهِ، وَخَائِنَةُ عَيْنِهِ وَخَافِيَةُ صَدْرِهِ؛ وَهُوَ رَاتِعٌ رَتْعَةَ النَّعَمِ
السَّائِمَةِ، فِي أَكْلَاءِ النَّعَمِ السَّابِغَةِ؛ وَجَاهِلٌ جَهْلَهَا بِشُكْرِ آلَاتِهَا، ذَاهِلٌ ذُھُولَهَا عَنْ
طُرُقِ اسْتِبْقَائِهَا؛ فَلَا يَلْبِثُ أَنْ يُنْزَعَ سَرَابِلُهَا صَاغِرًا، وَيَتَعَرَّى مِنْهَا حَاسِرًا؛ وَيَجْعَلُ

الله كَيْدَهُ فِي تَضْلِيلٍ ، وَيُورِدُهُ شَرَّ الْمَوْرِدِ الْوَبِيلِ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ،
وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ .

والحمد لله الذي أصطفى للنُّبُوَّةِ أَحَقَّ عِبَادِهِ بِحُلِّ أَعْبَائِهَا ، وَأَرْتَدَاءِ رَدَائِهَا ؛ «مَجْدًا»
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وَعَظَّمَ خَطَرَهُ وَكَرَّمَهُ ؛ فَصَدَعَ بِالرَّسَالَةِ ، وَبَالَغَ فِي الدَّلَالَةِ ؛
وَدَعَا إِلَى الْهِدَايَةِ ، وَنَجَّى مِنَ الْغَوَايَةِ ؛ وَنَقَلَ النَّاسَ عَنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، إِلَى
طَاعَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ وَأَعْلَقَهُمْ بِجَبَائِلِ خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ ، وَعِصْمَةِ مُحْيِيهِمْ وَمُمِيتِهِمْ ؛
بَعْدَ اتِّحَالِ الْأَكَاذِبِ وَالْأَبَاطِيلِ ، وَاسْتِشْعَارِ الْحَالَاتِ وَالْأَضَالِيلِ ؛ وَالتَّهَوُّكِ
فِي الْأَعْتِقَادَاتِ الذَّائِدَةِ عَنِ النَّعِيمِ ، السَّائِقَةِ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ؛ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
مَنْ نَاطِقٍ بِالْحَقِّ ، وَمُقَدِّمٌ لِلْخَلْقِ ؛ وَنَاصِحٌ لِلرَّبِّ ، وَمَوْدِّ لِلْفَرَضِ ؛ صَلَاةً زَاكِيَةً نَامِيَةً ،
رَاحَةً غَادِيَةً ؛ تَزِيدُ عَلَى اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَعَاقِبِ الْأَعْوَامِ وَالْأَدْوَارِ .

والحمد لله الذي آتَجَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ [أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ] ^(١) مِنْ ذَلِكَ السَّنَخِ الشَّرِيفِ ،
وَالْعُصْرِ الْمُتَيْفِ ؛ وَالْعِثْرَةِ الثَّابِتِ أَصْلُهَا ، الْمُنْتَدِّ ظُلُمًا ، الطَّيِّبِ جَنَاهَا ؛ الْمَنْوُوعِ حِمَاهَا ؛
وَحَازِلِهِ مَوَارِيثَ آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ؛ وَأَخْتَصَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ
بِتَطَاوُلِ أَمَدِ الْخِلَافَةِ وَاسْتِخْصَافِ حَبْلِهَا فِي يَدِهِ ؛ وَوَفَّقَهُ لِإِصَابَةِ الْغَرَضِ مِنْ كُلِّ
مَرَمَى يَرْمِيهِ ، وَمَقْصِدٍ يَنْتَجِيهِ ؛ وَهُوَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - الْحَقِيقُ بِإِتِمَامِ ذَلِكَ عَلَيْهِ ،
وَالزِّيَادَةُ فِيهِ لَدَيْهِ . وَأَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدًا أَبْتَدَيْتُهُ ثُمَّ أُعِيدَهُ ؛ وَأَكْرَرَهُ وَأَسْتَرِيدُهُ ؛
عَلَى أَنْ أَهْلَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ أَبَا عَلِيٍّ ، وَعُضُدَ الدَّوْلَةِ أَبَا شَجَاعٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَهْلَتِي
لِلْأَثَرَةِ عِنْدَهُ الَّتِي بَذَنَّا فِيهَا الْأَكْفَاءَ ، وَفُتْنَا فِيهَا الْقُرَنَاءَ ؛ وَتَقَطَّعَتْ دُونَهَا أَنْفَاسُ
الْمُنَافِسِينَ ، وَتَضَرَّمَتْ عَلَيْهَا أَحْشَاءُ الْحَاسِدِينَ . وَأَنْ أَوْلَانِي فِي كُلِّ مَغْزَى فِي خِدْمَةِ

أمير المؤمنين أغزوه، ومنحى أنحوه؛ ونأى أرابه، وشعث ألمه؛ وعدو أرغمه، وزائع أقومه؛ أفضل ما أولاه عباده السليمة غيوبهم، النقية جيوبهم؛ المأمونة ضمائرهم، المشحودة بصائرهم؛ من تمكين يد، وتثبيت قدم؛ ونصرة راية، وإعلاء كلمة؛ وتقريب بغية، وإنالة أمانة؛ وكذلك يكون من إلى [ولاء] ^(١) أمير المؤمنين أعتراه، وبشعاره أعتراه؛ وعن زناذه قدحه، وفي طاعته كدحه؛ والله ولي ^(١) [بإدامة] ماخوليه من هذه المنقبه، وسوغنيه من هذه الموهبه؛ وأن يتوجه أمير المؤمنين في جميع خدمه الدائين عن حوزته، المتتمين إلى دعوته؛ بمن الطائر، وسعادة الطالع؛ ونجاح المطلب، وإدراك الأرب؛ وفي أعدائه الغامطين لنعمته، الناقضين مواثيق بيعته؛ بإضرار الخلد، وإنعاس الخلد؛ وإخفاق الأمل، وإحباط العمل، بقدرته .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] ^(١) ينكر قديماً من "فضل الله" بن ناصر الدولة أحوالاً حقيقاً مثلها بالإنكار، مستحقاً من ارتكبا الإعراض؛ وأنا أذهب في حفظ غيبه، وإجمال محضه؛ وتمثل مجبه وتلقيها، وتأليف معاذيره وتميقها؛ مذهبي الذي أعم به كل من جرى تجراه من ناشئ في دولته، ومغتذ بنعمته؛ ومنسب إلى ولايته، ومشتهر بصنيعته؛ وأقدر أن أستصلحه لأمر المؤمنين - أطال الله بقاءه - وأصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشد، ومناهج السداد؛ وهو يريني أن قد قبل وأرعوى، وأبصر وأهتدى؛ حتى رغبته إلى أمير المؤمنين فيما شفعني متفضلاً فيه، من تقليده أعمال أبيه، والقناعة منه في الضمان بميسور بذله، وإيثاره به على من هو فوقه من كبراء إخوته وأهله .

فلما بَلَغَ هذه الحال، أَلَطَ بِالْمَالِ، وَخَاسَ بِالْعَهْدِ، وَطَرَّقَ لَفْسَخَ الْعَقْدِ؛ وَأَجْرَى إِلَى أُمُورِ كَرِهَتِهَا، وَنَفَدَ الصَّبْرَ مَنَى عَلَيْهَا؛ وَخِفَتْ أَنْ أَسْتَمِرَّ عَلَى الْإِغْضَاءِ عَنْهَا وَالْمَسَاحَةِ فِيهَا، فَيَطَّلِعَ اللَّهُ مَنَى عَلَى إِضَاعَةِ الْأَحْتِيَاظِ فِي أَمْرِ قَلْدَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زِمَامَهُ، وَضَمَّنِي دَرَكَهُ، وَإِرْخَاءِ لَبِّ رَجُلٍ قَبِيلٍ فِي الْأَعْتَادِ عَلَيْهِ رَأْيِي، وَعَوَّلَ فِي أَخْذِهِ بِمَا يُلْزِمُهُ عَلَى نَظَرِي وَأَسْتَيْفَانِي - فَتَنَّاوَلْتُهُ بِأَطْرَافِ الْعَدْلِ مُلَوَّحًا، ثُمَّ بَأْتَبَاجَهُ مُفَصِّصًا مُصَرَّحًا .

وَرَسَمْتُ لِعَبْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِحِ أَبِي طَاهِرٍ أَنْ يُجِدَّ بِهِ وَبُوسَطَانَهُ وَسُفَرَانَهُ فِي حَالٍ، وَيَدْخُلَ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَشُورَةِ وَالرَّفَقِ فِي أُخْرَى، وَيَتَّقَلَ مَعَهُ بَيْنَ الْخُشُونَةِ الَّتِي يَقْفُو فِيهَا أَثَرِي، وَاللَّيْنِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُحِسَّه مَنَى، تَقْدِيرًا لَأَنْتَانَاهُ، وَزَوَالِ أَلْتَوَائِهِ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى رَسْمِهِ فِي الثَّانِي لِكُلِّ فَاسِدٍ حَتَّى يَصْلُحَ، وَلِكُلِّ آبٍ حَتَّى يَسْمَحَ؛ وَلَمْ يَدَّعِ التَّنَاهِيَّ فِي وَعْظِهِ، وَالتَّمَادِيَّ فِي نُصْحِهِ وَتَعْرِيفِهِ سُوءَ عَاقِبَةِ الْجَبَّاحِ، وَمَغْبَةِ الْإِحْرَاجِ؛ وَهُوَ يَزِيدُ طَمَعًا فِي الْأُمُورِ وَشَرًّا، وَعَمَى فِي الرَّأْيِ وَعَمَّهَا؛ إِلَى أَنْ كَادَ أَمْرُنَا مَعَهُ يَخْرُجُ عَنْ حُدِّ الْإِنْتِظَارِ، إِلَى حُدِّ الرِّضَا بِالْإِصْرَارِ؛ فَاسْتَأْنَفْتُ أَدْرَاعَ الْحَزْمِ، وَأَمْتَطَاءَ الْعَزْمِ؛ وَنَهَضْتُ إِلَى أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ وَعِنْدِي أَنَّهُ يُغْنِينِي عَنِ الْإِتِمَامِ، وَيَتَلَقَّانِي بِالْإِعْتَابِ وَيُنْقَادُ إِلَى الْمُرَادِ، وَيَتَجَبَّبُ طَرَّقَ الْعِنَادَ .

فَإِنْ عَرَفَ خَبَرَ مَسِيرِي، وَجَدَّيْ فِيهِ وَتَشْمِيرِي؛ بَرَزَ بِرُوزِ الْخَالَفِ الْمَكَاشِفِ، وَتَجَرَّدَ تَجَرَّدَ الْمَوَاقِفِ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ إِذَا أَزْدَدْتُ مِنْهُ قُرْبًا، أَزْدَادَ مِنِّي رُعْبًا؛ وَإِذَا دَلَقْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، نَكَصَ عَنِّي بَاعًا .

وتوافّت إلى حضرتى وجوه القبائل من عُقِيلٍ وشَيْبَانَ وغيرهما فى الجمع الكَثِيفِ
من صَعَالِيكهما ، والعديد الكثير من صَنَادِيدِهما ؛ داخِلِينَ فى الطاعة ، متَصَرِّفِينَ
فى عَوَارِضِ الخِدْمَةِ .

فلما شارَفْتُ الحَدِيثَةَ ، اَنْتَقَضَتْ عِزَائِمُ صَبْرِهِ ، وتقَوَّضَتْ دَعَائِمُ أَمْرِهِ ؛ وبَطَلَتْ
أَمَانِيهِ ووساوسُهُ ، وأَضْمَحَلَّتْ خَوَاطِرُهُ وهَوَاجِسُهُ ؛ وأَضْطَرَبَ عَلَيْهِ من ثِقَايِهِ وَغِلْمَانِهِ
مَنْ كَانَ بِهِمْ يَعْتَصِدُ ، وعليهم يَعْتمِدُ ؛ وبدءُوا بِجَذْلَانِهِ والأَخْذِ لِنَفُوسِهِمْ ، ومُفَارَقَتِهِ
وَالطَّلَبِ بِمَحْظُوظِهِمْ ؛ وحَصَلَ مِنْهُمْ بِحَضْرَتِي إلى هذه الغَايَةِ زُهَاءٌ نَحْسَمَاءَةُ رَجُلٍ
ذَوِي خَيْلٍ مَخْتَارَةٍ ، وأَسْلِحَةٍ شَاكِيةٍ ؛ فصادَفُوا عِنْدِي مَا أُمِّلُوا من فَائِضِ الإِحْسَانِ ،
وِغَايَةِ الأَمْتِنَانِ ؛ وَذَكَّرُوا عَمَّنْ وَرَاءَهُمْ من نُظَرَائِهِمُ التَّنَزَّى إلى الأَنْجَذَابِ ، وَالْحِرْصِ
عَلَى الأَسْتِمْنَانِ ؛ وَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ ، وَيُيَادِرُونَ وَلَا يَتَلَوَّمُونَ .

ولَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ ، لم يَمْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ مَضَى هَارِبًا عَلَى طَرِيقِ سِنْجَارٍ ، مِنْكَشِفًا
عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ قَانَعًا مِنْ تِلْكَ الآمَالِ الْخَائِبَةِ ، وَالظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ ؛ بِسَلَامَةِ حُشَاشَةٍ
هِيَ رَهِينَةُ غِيَّهَا ، وَصَرِيعةُ بَغْيِهَا .

وكان أَنَهْزَامُهُ بعد أَنْ فَعَلَ الفِعْلَ السَّخِيفَ ، وَكَادَنَا الكَيْدَ الضَّعِيفَ ؛ بِأَنْ أَغْرَقَ
سُفْنَ المَوْصِلِ وعِروْبَهَا ، وَأَحْرَقَ جَسْرَهَا وَأَسْتَدَمَّ^(٢) إلى أَهْلِهَا ؛ وَتَزَوَّدَ مِنْهُمْ اللَعْنُ
المُطِيفَ بِهِ أَيْنَ يَمُّ ، الكَائِنَ مَعَهُ حَيْثُ خِيَمَ .

ودَخَلَتْهَا يَوْمِي هَذَا - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - دُخُولُ الفَائِزِ الظَّافِرِ ، المُسْتَعْلَى
الظَّاهِرِ ؛ فَسَكَنْتُ نَفُوسَ سُكَّانِهَا ، وَشَرَحْتُ صُدُورَ قُطَّانِهَا ؛ وَأَعْلَمْتُهُمْ مَا أَمَرَنِي

(١) نوع من السفن الرواكد كان فى دجلة ولكنه عبر عنها فى القاموس بالعربات . أى فواحدها
عربة بالتحريك .

(٢) أى فعل ما يذم عليه .

به أمير المؤمنين - [أدام الله عزّه] وأعلى الله أمره - من تأييس وحشتهم، ونظم ألقيتهم، وضمّ نشرهم، ولمّ شعثهم؛ وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم وعلقتهم، وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم؛ فكثرت منهم الثناء والدعاء؛ والله سامع ما رفعوا، ومجيب ما سألوا.

وأجلت حال هذا الجاهل - أيد الله أمير المؤمنين - عن أقبح هزيمه، وأذلّ هزيمه، وأسوأ رأى، وأنكر اختيار؛ لأنه لم يلقني لقاء البائع بالطاعة، المعتذر من سالف التفريط والإصاعة؛ ولا لقاء المصدق لدعواه في الاستقلال بالمقارعة، المحقق لزمه في الثبات للدافعه؛ ولا كان في هذين الأمرين بالبرّ التقي، ولا الفاجر الغوي، بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره، وفضيحة جبنه وخوره؛ متنكباً للصّلاح، عادلاً عن الصّواب؛ قد ذهب عنه الرّشاد، وضربت بينه وبينه الأسداد، وأنزله الله منزلة مثله ممن أساء حفظ الوديعه، وجوار الصّنيعه؛ واستوجب نزعهما منه وتحويلهما عنه.

وتأملت - أيد الله مولانا أمير المؤمنين - أمره بالتجريب، وتصفّحته على التقلب؛ فإذا هو الرجل الذي أطاع أبوه فيه هوى أمه^(١)، وعصى دواعي رأيه وحزمه؛ وقدمه من ولده على من هو أنس رُشداً، وأكبر سنّاً؛ وأثبت جأشاً، وأجرأ جناناً؛ وأشجع قلباً، وأوسع صدراً؛ وأجدر بخايل النّجابه، وشمائل اللّبابه.

فلما اجتمعت له أسباب القُدرة والثّروه، وأمكته مناهز الغزاة والفُرصه، وثب عليه وثبة السّرحان، في ثلّة الضّان؛ وجراه جزاء أمّ عامرٍ لمحيها، إذ فرّته بأنيابها وأظافيرها؛ واجتمع [هو] وأخوه من الأئمّ، المرتضع معه لبان الإثم؛ المكنى

(١) هي فاطمة بنت أحمد الكردية وكانت مالكة أمر ناصر الدولة. من هامش مختارات الصابي المطبوعة.

أبا البركات - وليس بأب لها ، ولا حرى بشيء منها - على أن نَسَرَ عنه وعَقَاه ، وقَبَضَا عليه وأَوْتَقَاه ؛ وأَقْرَاه من قَلْعَتِهما بحيث تُقَرَّ العُتَاهُ ، وتُعَاقَبُ الجُنَّاهُ ؛ ثم أَتَبَعَا ذلك باستِحْلَالِ دمه ، وإفَاضَةِ مُهْجَتِهِ ، غَيْرَ رَاعِيَيْنِ فِيهِ حَقَّ الأَبُوهِ ، وَلَا حَانِيَيْنِ عَلَيْهِ حُقُوقُ البُتُوهِ ؛ وَلَا مُتَذَمِّمَيْنِ مِنَ الإِقْدَامِ عَلَى مِثْلِهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَتْ عِنْدَ سُلْطَانِهِ قَدَمُهُ ، وَتَوَكَّدَتْ أَوَاصِرُهُ وَعِصْمُهُ ؛ وَلَا رَاحِمِينَ لَهُ مِنْ ضَعْفِ شَيْخُوخَتِهِ ، وَذَهَلِ كِبَرَتِهِ ؛ وَلَا مُضْغِيَيْنِ إِلَى وَصِيَّةِ اللَّهِ إِيَّاهُمَا ، الَّتِي نَصَّهَا فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ؛ وَكَرَّرَهَا فِي آيِهِ وَبَيِّنَاتِهِ إِذِ يَقُولُ : ﴿ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ وَإِذِ يَقُولُ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝ .

فَبَأَيَّ وَجْهِ يَلْقَى اللَّهُ قَاتِلُ وَالِدٍ حَدِيدٍ قَدْ أُمِرَ أَنْ لَا يَنْهَرَهُ ؟ وَبَأَيَّ لِسَانٍ يَنْطِقُ يَوْمَ يُسْأَلُ عَمَّا اسْتَجَازَهُ فِيهِ وَقَعْلُهُ ؟ وَتَاللَّهِ ! لَوْ أَنَّ بِمَكَانِهِ عَدُوًّا لَهُمَا قَدْ قَارَضَهُمَا الذُّحُولُ ، وَقَارَعَهُمَا عَنِ الثُّفُوسِ ؛ لَقَبِجَ بِهِمَا أَنْ يَلُومَا ذَلِكَ اللُّؤْمَ عِنْدَ الظُّفْرِ بِهِ ، وَأَنْ يَرْكَبَا تِلْكَ الْخَطَّةَ الشَّنْعَاءَ فِي الْأَخْذِ بِنَاصِيَتِهِ ؛ وَلَمْ يَرْضَ « فَضْلُ اللَّهِ » بِمَا أَتَاهُ إِلَيْهِ حَتَّى آسْتَوْفَى حُدُودَ قَطْعِ الرَّحِمِ ، بَأَنْ تَتَّبِعَ أَكْبَرَ إِخْوَتِهِ السَّالِكِينَ خِلَافَ

(١) فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ قَبِضَ أَبُو تَغْلِبَ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنُ حُدَانَ عَلَى أَبِيهِ وَجَسَهُ فِي قَلْعَةٍ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا وَسَاءَتْ أَخْلَاقُهُ وَضَيَّقَ عَلَى أَوْلَادِهِ وَخَالَفَهُمْ فِي أَهْوَائِهِمْ فَضَجَرُوا مِنْهُ وَكَانَ مِنْ جَمَلَةٍ مَا خَالَفَهُمْ فِيهِ أَنَّهُ عِنْدَ وَفَاةٍ مَعَزِ الدَّوْلَةِ وَوَلَايَةِ ابْنِهِ بِخِتَارِ عَزَمُوا عَلَى قَصْدِ الْعِرَاقِ فَنَعِمَهُمْ قَاتِلًا أَنْ مَعَزِ الدَّوْلَةِ قَدْ خَلَفَ لَوْلَاهُ مِنَ الْمَالِ مَا يُمْكِنُ مَعَهُ مِنَ الظُّهُورِ فَاصْبَرُوا حَتَّى يَتَفَرَّقَ مَالُهُ فَوُشِبَ عَلَيْهِ أَبُو تَغْلِبَ وَوَضَعَهُ فِي مَحْبَسٍ فَغَضِبَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ وَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ وَانْتَشَرَ أَمْرُهُمْ . وَكَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْصِرُ بِابْنِهِ حُدَانَ عَلَى أَبِي تَغْلِبَ وَأَبَى بَرَكَاتٍ فَنَقَلَاهُ إِلَى قَلْعَةِ كَوَاشِي وَتَوَفَّى فِي الْإِعْتِقَالِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ أَهْ مِنْ هَامِشِ الْمُخْتَارَاتِ الْمَطْبُوعَةِ .

سَبِيلَهُ ، المتَّبِعِينَ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَظِيمٍ مَا كَتَسَبَ ، وَوَحِيمٍ مَا أَحْتَقَبَ ؛ لَمَّا غَضِبُوا
لَأَيِّهِمْ ، وَامْتَعَضُوا مِنَ الْمُسْتَحَلِّ فِيهِ وَفِيهِمْ : فَقَبِضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ حِيلَةً
وَعِيْلَةً ، وَغَدَرًا وَمَكِيدَةً ؛ وَنَابَذَ حَمْدَانَ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مُنَابَذَةً خَارَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا ، بَأَن
أَصَارَهُ مِنْ فَنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَانِبِ الْعَزِيزِ ، وَالْحَرْزِ الْحَرِيزِ ؛ وَأَن أُجْرِيَ اللَّهُ عَلَى
يَدِهِ الْحَرْبُ الْوَاقِعَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ بِكُنْيَتِهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ، الَّتِي لَقَّاهُ اللَّهُ فِيهَا نَحْسَهُ ،
وَأَتْلَفَ نَفْسَهُ ؛ وَصَرَعَهُ بِعُقُوقِهِ وَبَغْيِهِ ، وَقَنَعَهُ بِعَارِهِ وَخِزْيِهِ ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَتَّعِظُ ،
وَلَا يَتَرَعُ وَلَا يُقْلَعُ وَلَا يَزْدَحِرُ ؛ إِمْرَارًا عَلَى الْحَرَائِرِ الَّتِي اللَّهُ عَنْهَا حَسْبِيهِ ، وَبِهَا طَلِبِيهِ ؛
وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ مُرْصَدَتَانِ لَهُ بِالْجَزَاءِ الْمَحْقُوقِ عَلَيْهِ ، وَالْعِقَابِ الْمَسْئُوقِ إِلَيْهِ .

وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - خَطْبًا ، وَأَوْعَرُ مَسَلَكًا وَلَحْبًا ، أَنَّ
مِنْ شَرَائِطِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ عُهُدَ إِلَيْهِ ، وَالْعَقْدِ الَّذِي عُقِدَ لَهُ ؛ وَالضَّمَانِ الْمُخَفَّفِ
مَبْلَغُهُ عَنْهُ ، الْمَأْخُوذِ عَقْوُهُ مِنْهُ ؛ أَن يَتَنَاهَى فِي ضَبْطِ الثَّغُورِ وَجِهَادِ الرُّومِ وَحِفْظِ
الْأَطْرَافِ ، وَرَمِّ الْأَكْافِ ؛ فَمَا وَفَى بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؛ بَلْ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى الْأَسْتِثْنَاءِ
بِالْأَمْوَالِ وَأَقْطَاعِهَا ، وَإِحْرَازِهَا فِي مَكَامِنِهَا وَقِلَاعِهَا ؛ وَالضَّنِّ بِهَا دُونَ الْإِنْجَاحِ
فِي وُجُوهِهَا ، وَالْوَضْعِ لَهَا فِي حُقُوقِهَا ؛ وَأَن تَرَاحَى فِي أَمْرِ عَظِيمِ الرُّومِ مُهْمَلًا ، وَأَطْرَحَ
الْفِكْرَ فِيهِ مُغْفَلًا ؛ حَتَّى هَجَمَ فِي الدِّيَارِ ، وَأَثَرُ الْآثَارِ ؛ وَنَكَى الْقُلُوبَ ، وَأَبْكَى الْعُيُونَ ؛
وَصَدَعَ الْأَعْبَادَ ، وَأَحْرَّ الصُّدُورَ ؛ فَمَا كَانَ عِنْدَهُ فِيهِ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْمُسْلِمِ الْقَارِئِ لِكِتَابِ
اللَّهِ إِذْ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَهِمَّ الْجَنَّةَ يَقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى
بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِلَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ بَلْ صَدَفَ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ لَاهِيًا ، وَعَدَلَ عَنْ كِتَابِهِ سَاهِيًا ؛ وَاسْتَفْسَخَهُ ذَلِكَ الْبَيْعَ وَالْعَقْدَ ، وَتَجَزَّه
الْوَعْدَ لَا الْوَعْدَ ، وَلَا طَفَّ طَاغِيَةَ الرُّومِ وَهَادَاهُ ، وَمَارَهُ وَأَعْطَاهُ ؛ وَصَانَعَهُ بِمَالِ

المسلمين الذى يلزمه - إن سلم دينه وصح يقينه - أن ينفقه فى مَرا بَاطهم ، ويذَّب به عن حريمهم ؛ لا أن يعكسه عن جهته ، ويلفته عن وجهته ؛ بالنقل إلى عدوهم ، وإدخال الوهن بذلك عليهم . وقاد إليه من الخيل العتاق ما هو الآن عون للكفر على الإيمان ، وتجدد للطاغية على السلطان ؛ وكان فيما أئحفه به الخمر التى حَظَر الله عليه أن يشربها ويسقيها ، وتعبده بأن يحتنبا ويحتويها ؛ وُصْلان ذهب صاغها له وتقرب بها إليه تقرباً قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأذناه من الجهالة والضلالة ؛ حتى كأنه عامل من عماله ، أو بطريق من بطارقه .

فأما فشله عن مكلفته ، ولهجه بملاطفته ، فضد الذى أمره الله به فى قوله تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وأما نقله ما نقل من الخيل من ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم ، فنقيض قوله عز وجل
﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .
وأما إهداؤه الخمر والصُّلْبَان ، بخلاف عليه تبارك اسمه ، إذ يقول : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

كل ذلك عناداً لرب العالمين ، وطمساً لأعلام الدين ؛ وضناً بما يحايى عليه من ذلك الخطام ، المجموع من الحرام ، المثمر من الآثام ، المقتطع من فء الإسلام ؛ وقد فعل الآن بى وبالعساكر التى معى ومن نضم من أولياء أمير المؤمنين الذين هم إخوته وصحبه - إن كان مؤمناً ، وأنصاره وحزبه - إن كان مؤقناً ؛ من توعير المسالك وتغريق العُروب ، وتضييق الأقوات ، واستهلاك الأزواد ؛ ليوصل إلينا الضرر ، ويلحق بنا الجهد ؛ فعلى العدو المبين ، المخالف فى الدين ؛ فهل يجتمع

[في أحد من المسأوى - أيد الله أمير المؤمنين - ما اجتمع^(١) في هذا النداء العائد ، والشاذ الشارد ؟ ، وهل يُطمع من مثله في حق يقضيه ، أو فرض يؤديه ؛ أو عهد يرعاه ، أو ذمام يحفظه ؛ وهو لله عاص ، وإمامه مخالف ، ولوالده قاتل ، ولرحمه قاطع ؟ كلا والله ! بل هو الحقيق بأن تُثنى إليه الأعنة ، وتُشرع نحوه الأسنة ؛ وتُنصب له الأرصاد ، وتُسحذ له السيوف الحداد ؛ ليقطع الله بها دأره ، ويحجب غاربه ؛ ويصرعه مصرع الأثيم المليم ، المستحق للعذاب الأليم ؛ أو يفى إلى الحق ، إفاة الداخل فيه بعد خروجه ، العائد إليه بعد مرُوقه ، النائب المنيب ، النازع المستقيل ؛ فيكون حكمه شبيهاً بحكم الراجع عن الردة ، المحمول على ظاهر الشريعة ؛ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فالحمد لله الذى هدانا لمرشدنا ، ووقف بنا على السبيل المنجية لنا ؛ والمقاصد المفضية إلى رضاه ، البعيدة من سطاه .

والحمد لله الذى أعز أمير المؤمنين بالنصر ، وأعطاه لواء القهر ؛ وجعل أوليائه العالين الظاهرين ، وأعداءه السافين الهابطين ؛ وهنأ الله هذا الفتح ولا أخلاه من أشكال له تقفوه وتتبعه ، وأمثال نثلوه وتشفعه ؛ واصلأ فيها إلى ما وصل فيه إليه من حيازته مهناً ؛ لم يُسفك فيه دم ، ولم يُنتهك محرم ، ولم يُنل جهْد ، ولم يمسس نصب .

أنهت إلى أمير المؤمنين ذلك ؛ ليُضيف صنع الله له فيه ، إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه ، وليجدد من شكره جلّ وعلا ما يكون داعياً إلى الإدامة والمزيد ، مقتضياً للعون والتأييد ؛ إن شاء الله تعالى .

(٢) [وكتب يوم الجمعة لتسع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة]

(١) الزيادة عن مختارات رسائل الصابي المطبوعة (ج ١ ، ص ٩١) وهى لازمة لانتظام الكلام .

(٢) الزيادة من مختارات رسائل الصابي .

الأسلوب الثانى

(أن تفتَحَ المكتبة بلفظ «كتابى للخليفة والحال على كذا وكذا» ويدعى للخليفة

بطول البقاء فى أثناء ذلك ، ويعبرُ الملكُ المكتوب عنه عن نفسه

بلفظ الأفراد مع التصدير بالعبودية ، ويخاطبُ الخليفة

بأمر المؤمنين ويُحتمُّ بالدعاء ونحوه)

كما كتب أبو الفرج البغا عن السلطان أبى تغلب بن ناصر الدولة أحد ملوك بنى
حمدان بحلب وما معها ، جواباً للكتاب الوارد عليه من الطائع أو المطيع بالكنية
والخلع مأمورته :

«كتابى - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - وعبدُ أمير المؤمنين مستديمٌ بشكر الله تعالى
مدد النعم المتظاهرة عليه ، والمنح المتناصرة لديه ؛ بحمىل رايه أدام الله علوه
وتقديمه - معترفٌ بما طوّقته به السعادة من عوارف تشريفه ؛ متمسكٌ من الطاعة
بما أحله كنف إحسانه ، متوصلٌ بالطرف إلى الاستزادة من طوله وأمتانه .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، محمد وآله الطاهرين .

ووصل كتابُ أمير المؤمنين - أدام الله نصره - مشتملاً على فوائد الإرشاد
والتوقيف ، مقتراً بخصائص التكرمة والتشريف ؛ فاقتديت من أوامره - أعلاها
الله تعالى ! - بأهدى دليل ، وسلكتُ فى شكر ما أعتمدنى من إيثاره أوضح سبيل ؛
وبرزت لسائر من أختارنى - أيدى الله - لسياسته من الخاصة والعامة فى الحلل
الحالية بسمات تشريفه وإكرامه ، متدبراً ثوبى هديه وسكيتته ، ومختالاً منهما بين كنفى
دفاعه ومعاونته ؛ ومتقلداً غضبه الذى هز النصر غراره ، وأطلق المضاء شفقاره ؛

وعالياً على عُتق الزمان، بامتطاء ما حَبَّأَني به من الحِلاَن؛ مسترَقِّ النِبة بالرَّغْبة إليه،
ومستَخْدِمِ النُّطق بالثناء عليه؛ ومقتَضِ أثرَ أسلافِي في خِدْمَتِهِ وخِدْمَةِ آبائِهِ المؤمنين،
من الخلفاء الراشدين، صلواتُ الله عليهم أجمعين؛ وأقتفَاء مَذْهَبِهِم في الذَّبِّ عن فِتْنَةِ
الخلافة والمُرَامَةِ دُونَ المِلَّةِ، والاجْتِهَادِ في طاعة الأئمَّة .

فالحمدُ لله الذي جعل صنائعَ أمير المؤمنين مستقرَّةً عند مَنْ يَرْتَبِطُهَا بَعَلَاتِقُ الشُّكْرِ،
ويَحْرُسُهَا بالتَوْفُّرِ على ما أفاد الإجماعَ وجميلَ الذِّكْرِ؛ وأدامَ علوَ أمير المؤمنين ! وأيدنا
بِعِزِّ دولته، وبَسَطَ بالتمكين قُدْرَتَهُ، وحَرَسَ من الغيرِ سلطَانَهُ، وقرَنَ بِنَفَازِ الأمرِ يَدَهُ
ولسانَهُ، ولا أخلاه من ولى ينشيه ويضنعه، وشكَّور يُعليه ويرفعه؛ وعزَّم يَحْمَدُ أثرَهُ
ويرتضيه، ورأيي بالتوفيق يُبرِّمه ويُمنِّضيه . ووفَّقني من القيام بحقوق خِدْمَتِهِ،
والتَّمسُّكِ بفرائض طاعته؛ والمعرفة بمواقع أصْطِنَاعِهِ وتفضُّلِهِ، والاعتدادِ بِمَنْحِ إِنْعامِهِ
وتَطَوُّلِهِ؛ لما يَسْتَرِيدُنِي من أيادِيهِ وآلائِهِ، ويَحْرُسُ على مَكَانِي من جميل آرائِهِ،
إنَّه جواد كريم .

وقد آذَنْتُ مَنْ بَعْدَ وَقَرَبَ برفع أمير المؤمنين - أدام الله بَسْطَته - ذِكْرِي عن
تعريفِ الأسمِ بنباهة الكُنْيَةِ، وإصدار ذلك إلى الأسماع من شَرِيفِ عبارته،
والإِذْنِ فيه لسائر مَنْ يذكُرُنِي بِحَضْرَتِهِ، زادَ الله في جلالَتِها . وتقدَّمتُ بِإثبات ذلك
على عُنْوَانَاتِ الكُتُبِ آمْتِثَالاً لأمرِهِ، وأخذاً بإِذْنِهِ، ووُفُوفاً عند رِشْمِهِ؛ عارفاً قَدْرَ
النِّعْمَةِ والمَوْهِبَةِ فيه . وأَعَدَدْتُ بِمَا أَعْلَمْنِيهِ أمير المؤمنين من نِيَابَةِ فلان عِبدِهِ
وما تَوَخَّاهُ من محمودِ السِّفَارَةِ، وحُسْنِ الوَسَاطَةِ، ووجدتُ ما يَجْمَعُنِي وإِيَّاهُ من
الإخلاص في ولاء أمير المؤمنين أَقْرَبَ الأنسابِ، وأوَكَّدَ الأسبابِ؛ في تأكُّدِ
الألْفَةِ، وتثبيتِ قِوَامِ الطَّاعَةِ؛ واللهُ يَحْرُسُ أمير المؤمنين في كافَّةِ رِعْيَتِهِ، وخاصَّةِ
أوليائِهِ وصَنَائِعِ دولته؛ من أختلاف الآراءِ، وتشدُّبِ الأهواءِ؛ ويُعِينُنِي مِنَ النُّهُوضِ

بمفترضات أياديهِ ، وواجبات مايسُديه إلىّ ويُوليه ؛ [على] ماقرَّب منه وإليه ، وأزَلَفَ عنده ولَدَيْهِ ؛ بمنه ومَشيئته ، وحَوَله وقُوته .



الحالة الثانية — من مكاتبات الملوك إلى خلفاء بنى العباس ما كان عليه الأمر في آخر دولتهم ببغداد .

والحال فيه مختلف : فتارةً يفتتح بالدعاء للديوان العزيز ، وتارةً بالدعاء لما يعود عليه ، وتارةً بالصلاة ، وتارةً بالسلام . وربما أفتتحت المكاتبُ بآية من القرآن الكريم مناسبة للحال .

قال المقرّر الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف " : والصدر نحو العبد أو المملوك أو الخادم يُقبل الأرض ، أو العتبات ، أو مواطئِ المواقع أو غير ذلك . ويخاطب الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان العزيز ، وبالمواقف المقدسة أو المشرفة ، والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى أو الشريف ، وبأمر المؤمنين مجزدةً عن سيدنا ومولانا ، ومرةً غير مجزدة مع مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربه . ويختم الكتاب تارةً بالدعاء ، وتارةً بطالع أو أنهى أو غيرهما مما فيه معنى الإنهاء .

قال : وأختلِف فيما يخاطبُ به المكتوب عنه عن نفسه : فكتب صلاح الدين ابن أيوب « الخادم » وكتب بنو العادل أخوه « المملوك » وكتب الكامل بن العادل « العبد » وجرى على هذا أبْنُه الصالح . وكتب الناصر بن العزيز « أقل الممالك » وكتب الناصر داود « أقل العبيد » ؛ وكان علاء الدين خوارزم شاه يكتب « الخادم المطواع » وتبعه على ذلك أبْنُه جلال الدين ، وكانت أم جلال الدين تكتب « الأمة الداعية » . هذا على شتم أنوف الخوارزمية وعُلُو شأنهم .

وعنوان هذه المكاتبات على اختلافها « الديوان العزيز، العالى، المولوى، السيدى، النبوى، الإمامى، الفلافى (بلقب الخلافة) أدام الله أيامه، أو خلد الله أيامه، أو أدام الله سلطانه » على مناسبة ما فى صدر الكتاب .
ثم هو على ستة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن تفتتح المكتبة بالدعاء للديوان العزيز)

قال فى "التعريف" : والمراد بالديوان ديوان الإنشاء، لأن المكاتبات عنه صادرة وإليه واردة . قال : وسبب مخاطبتهم بالديوان الخضعان عن مخاطبة الخليفة نفسه ، ويكون الدعاء للديوان بما فيه معنى دوام العز والسلطان وبسط الظل وما أشبه ذلك . مثل : أدام الله أيام الديوان العزيز، أو أدام الله سلطان الديوان العزيز، أو خلد الله أيام الديوان العزيز، أو خلد الله سلطان الديوان العزيز، وأدام الله ظل الديوان العزيز، وخلد الله ظل الديوان العزيز، وبسط الله ظل الديوان العزيز، وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة كتاب كتب به القاضى الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف ابن أيوب» صاحب الديار المصرية ، إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد ، بفتح القدس وما معه ، واقتلاع ذلك من أيدي القرنج وإعادته إلى ما كان عليه من الإسلام، وهى :

«أدام الله أيام الديوان العزيز النبوى الناصرى» ، ولا زال مظفر الحد بكل جاحد ، [غنى^(١)] التوفيق عن رأى كل رائد ، موقوف المساعى على اقتناء مطلقات

(١) بياض فى الاصول والتصحيح من رسائل القاضى الفاضل الفتوغرافية .

الحامد، مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقداً، وارد الجود والسحاب على الأرض غير وارد، متعدد مساعي الفضل وإن كان لا يليق إلا بشكر واحد، [ماضي حكم القول بعزم لا يمضي إلا بنسل غوي وریش راشد] ولا زالت غيوث فضله [إلى الأولياء] أنواء إلى المراح وأنواراً إلى المساجد، وبُعوث رُعبه إلى الأعداء خيالاً إلى المراقب وخيالاً إلى المراقد .

كتب الخادم هذه الخدمة تلوماصدر عنه مما كان يجري مجرى التبشير بصبح هذه الخدمة ، والعنوان لكتاب وصف هذه النعمة ، فإنها بحر للأقلام فيه سبح طويل ، ولطف الحق للشكر فيه عبء ثقیل ، وبشرى للخواطر في شرحها مآرب ، وبشرى للأسرار في إظهارها مسارب ، والله في إعادة شكره رضا ، وللنعمة الراحنة به دوام لا يقال معه هذا مضي . وقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصايرها ، وأستتبعت عقائد أهلها على بصائرهما ، وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط ، وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط ، وكان الدين غريباً فهو الآن في وطنه ، والفوز معروضا فقد بذلت الأنفس في ثمنه ، وأمر أمر الحق وكان مستضعفاً ، وأهل رُعبه وكان قد عيف حين عفا ، [وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راعمه] فأدبلت السيوف إلى الآجال وهي نائمة ، وصدق وعد الله في إظهار دينه على كل دين ، وأستطارت له أنواراً أبانت أن الصباح عندها حيان الحين ، وأسترد المسلمون ثرائنا كان عنهم أيقا ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيقاً على النأي طارقاً ، وأستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم ، وتلاقى على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما تشفى بالماء غلهم .

(١) الزيادة من رسائل الفاضل الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية نمرة ٢٢٩٤ أدب ص ٣٥ .

ولما قَدِمَ الدينُ عليها عرف منها سُويْدَاءَ قلبه ، وهنَّا كنفُها الحجرُ الأسودُ بَنَتْ
عِصْمَتِهَا من الكافرِ بجرِّه ؛ وكان الخادم لا يَسْعَى سَعْيَهُ إِلَّا لِهَذِهِ الْعُظْمَى ، ولا يُقَاسِي
تلك البُؤْسَى إِلَّا رَجَاءَ هَذِهِ النُّعْمَى ؛ ولا يُنَاجِزُنِ اسْتِطْلَهَ فِي حَرْبِهِ ، ولا يُعَاتِبُ بِأَطْرَافِ
الْقَنَّا من تَمَادَى فِي عَتَبِهِ ؛ إِلَّا لَتَكُونَ الْكَلِمَةُ مَجْمُوعَةً ، والدَّعْوَةُ إِلَى سَامِعِهَا مَرْفُوعَةً ؛
فَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وليَفُوزَ بِجَوْهَرِ الْآخِرَةِ لَا بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى من الدُّنْيَا ؛
وكانت الألسنةُ رِمَا سَلَقَتْهُ فَأَنْصَحَ قُلُوبَهَا بِالْإِحْقَارِ ، وكانتِ الْخَوَاطِرُ رِمَا غَلَتْ
عَلَيْهِ مَرَّاجِلُهَا فَأَطْفَأَهَا بِالْإِحْتِمَالِ وَالْأَصْطِبَارِ ؛ وَمَنْ طَلَبَ خَطِيرًا خَاطِرًا ، وَمَنْ رَامَ
صَفْقَةً رَاجِحَةً تَجَاسَرَ ، وَمَنْ سَمَّا لِأَنْ يُحَلِّيَ عَمْرَةً غَامِرَةً ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الْقُعُودَ يُلِينُ تَحْتَ نِيُوبِ
الْأَعْدَاءِ الْمَعَاجِمَ فَنَعُضُّهَا ، وَيُضْعِفُ فِي أَيْدِيهَا مَهْرَ الْقَوَائِمِ فَنُقْضُهَا ؛ هَذَا إِلَى
كَوْنِ الْقُعُودِ لَا يَقْضِي فَرَضَ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ ، وَلَا يُرْعَى بِهِ حَقُّ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ ؛ وَلَا يُوفَى
بِهِ وَاجِبُ التَّقْلِيدِ الَّذِي تَطَوَّقَهُ الْخَادِمُ مِنْ أُمَّةٍ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ،
وَخَلَفَاءُ اللَّهِ كَانُوا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ لِهَذَا يَسْأَلُونَ ؛ لِأَجَرَمَ أَنَّهُمْ أَوْرَثُوا سُورَهُمْ وَسِرِّيهِمْ
خَلْفَهُمُ الْأَطْهَرُ ، وَتَجَلَّهَمُ الْأَكْبَرُ ؛ وَبَقِيَّتُهُمُ الشَّرِيفَةُ ، وَطَلَعَتْهُمُ الْمُنِيفَةُ ، وَعُلُوَّانَ صَحِيفَةِ
فَضْلِهِمْ لَا عَدِمَ سَوَادُ الْعِلْمِ وَبَيَاضُ الصَّحِيفَةِ ؛ فَمَا غَابُوا لَمَّا حَضَرَ ، [وَلَا غَضُوا] ^(١) لَمَّا
نَظَرَ ، بَلْ وَصَلَهُمُ الْأَجْرُ لَمَّا كَانَ بِهِ مَوْصُولًا ، وَشَاطَرُوهُ الْعَمَلَ لَمَّا كَانَ عَنْهُ مَنَقُولًا
وَمِنْهُ مَقْبُولًا ؛ وَخَلَّصَ إِلَيْهِمُ إِلَى الْمُضَاجِعِ مَا أَطْمَأْنَنْتَ بِهِ جُنُوبَهَا [وَالِإِلَى الصَّفَاحِ
مَا عَبَقَتْ بِهِ جُيُوبَهَا] ^(١) وَفَازَ مِنْهَا بِذِكْرِ لَا يَزَالُ اللَّيْلُ بِهِ سَمِيرًا ، وَالنَّهَارُ بِهِ بَصِيرًا ؛ وَالشَّرْقُ
يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ ، بَلْ إِنْ أَبْدَى نُورًا مِنْ ذَاتِهِ هَتَفَ بِهِ الْغَرْبُ بِأَنْ وَارِهِ ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ
لَا تَكُنْهُ أَغْسَاقُ السُّدُفِ ، وَذَكَرَ لَأَنْوَارِهِ أَوْرَاقُ الصُّحُفِ .

(١) الزيادة من رسائل الفاضل الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية نمرة ٢٢٩٤ أدب ص ٣٥ .

وهي لازمة كما لا يخفى .

وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا ، وطارت فرقه
 قرقا ، وفل سبه فصار عصا ، وصيدت حصاته وكان الأكثر عددا وحصا ، فككت
 حملاته وكانت قدرة الله تُصرّف فيه العنان بالعيان ، عقوبة من الله ليس لصاحب يديها
 يدان ، وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفه ، وغضت عينه وكانت عيون السيوف
 دونها كسيفه ، ونام جفن سيفه وكانت يقظته تُريق نطف الكرى من الجفون ، وجذعت
 أنوف رماحه وطالما كانت شاحمة بالمنى أو راعقة بالذنون ، وأضحت الأرض المقدسة
 الطاهرة وكانت الطامث ، والرّب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث ، فيبوت
 الشرك مهذومه ، ويوب الكفر مهتومه ، وطوائفه المحاميه ، مجتمعة على تسليم البلاد
 الحاميه ، وشجعانه المتوافيه ، مدعنة ببذل المطامع الوافيه ، لا يرون في ماء الحديد
 لهم عُصره ، ولا في فناء الأفيّة لهم نُصره ، وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنه ،
 وبذل الله مكان السيئة الحسنه ، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشامة إلى
 أيدي أصحاب الميمنة .

وقد كان الخادم لقيهم اللقاء الأولى فأمده الله بمداركنه ، وأنجده بملائكنه ،
 فكسرهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا يعيش معها بمشيئة الله كُفر ،
 وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من فتكت به المناصيل ،
 وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح [والكفار ، وعن أنصاف محيل
 فانه قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكسار ، فنيّلوا بثار من السلاح ونالوه
 أيضا بشار] ، فكم أهلة سيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت كالعراجين ،
 وكم أنجم رماح تبادلت الطعان حتى صارت كالطاعين ، وكم فارسية ركض عليها
 فارسها السهم إلى أجل فاختلسه ، وفقرت تلك القوس فاها فإذا فوها قدنesh القرن

على بُعد المسافة فافتَرَسَه ؛ وكان اليومُ مشهوداً ، وكانتِ الملائكةُ شُهوداً ؛ وكان الكُفْرُ مفقوداً ، والإسلامُ مولوداً ، وجعل الله ضلوعَ الكُفَّارِ لِنارِ جهنَّمَ وقوداً ؛ وأَسِرَ المَلِكُ وبِيدهِ أوثقُ وثائِقِهِ ، وآكُدُ وَصْلِهِ بالدينِ وعلائِقِهِ : وهو صَليْبُ الصَّلبوتِ ، وقائدُ أهلِ الجَبَرُوتِ ؛ وما دُهِمُوا قَطُّ بأمرٍ إلا وقام بين دَهائِمِهِم يَبْسُطُ لَهِم بَاعَهُ ، ويَحْزُضُهُم وكان مَدُّ اليدينِ في هذه الدَّفْعَةِ ودَّاعَهُ ؛ لا جَرَمَ أَنَّهُم تَهافتَ على نارِهِم فَرَأَتْهُم ، وتَجَمَّعَ في ظِلِّ ظَلامِهِ خَشائِصُهُم ؛ فيقاتلون تحت ذلك الصَّليْبِ أَصْلَبَ قتالٍ وأَصْدَقَهُ ، ويَرُونَهُ ميثاقاً يَنْبُونُ عليه أَشَدَّ عَقْدٍ وأوثَقَهُ ، وَيَعُدُّونَهُ سُوراً تَحْفِرُ حوافِرُ الخيلِ خَنَدَقَهُ .

وفي هذا اليومِ أُسِرَتْ سَرَاتُهُم ، وَذَهَبَتْ دُهائُهُم ؛ ولم يُفْلِتْ معروفٌ إلا القومُصَّ وكان لَعَنَهُ اللهُ مِلياً يومَ الظَّفَرِ بالقتالِ ، ويومَ الخِذلانِ بالاحتِمالِ ؛ فَجَباً وَلَكِنْ كَيْفَ ، وطارَ خَوْفاً من أن يَلْحَقَهُ مِئْسَرُ الرُّمْحِ وَجَنَاحُ السَّيْفِ ، ثم أَخَذَهُ اللهُ بعدَ أَيَّامٍ بِيَدِهِ ، وأَهْلَكَهُ لِمَوْعِدِهِ ؛ فكان لِعِدَّتِهِمْ فَذَالِكَ ؛ وَأَنْتَقَلَ من مَلِكِ الموتِ إلى مالِكِ .

وبعدَ الكَسْرِ مرَّ الخادِمُ على البلادِ فَطَوَّأَهَا بما نَشَرَ عليها من الرايةِ العَبَّاسِيَّةِ السوداءِ صَبْغاً ، البِيضَاءِ صُنْعاً ، الخالِقةُ هِيَ وَقُلُوبُ أَعْدَائِهَا ؛ الغالبَةُ هِيَ [وعِزَّتُهُمْ أُولِيائُهَا] ^(١) المستَضَاءِ بِأنوارِها إِذا فَتَحَ عَيْنُهَا اليَشَرَ ، وَأشارَتْ بِأَنامِلِ العَذَابِ إلى وَجهِ النَّصْرِ ؛ فَافْتَتَحَ بَلَدَ كَذَا وَكَذَا وَهَذِهِ أَصْصَارُ وَمُدُنُ ، وَقَدْ تَسَمَّى البلادُ بِلاداً وَهِيَ مَزَارِعُ وَفُدُنُ ؛ وَكُلُّ هَذِهِ ذَوَاتُ مَعَاقِلَ وَمَعَاقِرَ ، وَبَحَارٍ وَجَزَائِرَ ؛ وَجَوَامِعَ وَمَنَائِرَ ، وَجُمُوعَ وَعَسَاكِرَ ؛ يَتَجَاوَزُهَا الخادِمُ بعدَ أَنْ يُحَرِّزَهَا ، وَيَتْرُكُهَا وراءَهُ بعدَ أَنْ يَنْتَهِزَهَا ؛ وَيَحْصُدُ مِنْهَا كُفْراً وَيَزْرَعُ إِيماناً ، وَيُحِطُّ مِنْ مَنَائِرِ جَوَامِعِهَا صُلْبَاناً وَيَرْفَعُ أَذَاناً ؛ وَيَبْدِلُ المَذَاجَ

منابر والكائس مساجد، ويؤى بعد أهل الصلبان أهل القرآن للذب عن دين الله
مقاعداً؛ ويُقر عينه وعيون أهل الإسلام أن تعلق النصر منه ومن عسكره بيجار
ومجور، وأن ظفر بكل سور ما كان يُخاف زلزاله وزياله إلى يوم النفخ في الصور.
ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد، واعتصم بمنعها
كل قريب منهم وبعيد، وظنوا أنها من الله مانعهم، وأن كنيستها إلى الله شافعهم؛
فليباً نازلها الخادم رأى بلداً كبلاد، وجمعاً كيوم التناد، وعزائم قد تألفت وتألبت
على الموت فزلت بعرضته، وهان عليها مورد السيف وأن تموت بغصته؛ فزاول البلد
من جانب فإذا أودية عميقة، ولجج وعرة غريقه، وسور قد آنعطف عطف السوار،
وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار؛ فعدل إلى جهة أخرى كان للطامع
عليها معرج، ولخيل فيها متولج؛ فتل عليها، وأحاط بها وقرب منها؛ وضربت
خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه، ويزاحمه السور بكافه؛ وقابلها ثم قاتلها،
ونزلها ثم نازلها؛ وبرز إليها ثم بارزها، وحاجزها ثم ناجزها؛ فضمها ضمة آرتقب
بعدها الفتح، وصدع أهلها فإذا هم لا يصبرون على عبودية الجذ عن عتق الصفع؛
فراسلوه ببذل قطيعة إلى مدته، وقصدوا نظرة من شدة وانتظاراً لنجده؛ فعرفهم
في لحن القول، وأجابهم بلسان الطول؛ وقدم المنجنقات التي نتول عيوب
الحصون عصيتها وحبالها، وأوترهم قسيها التي تضرب فلا تفارقها سهامها ولا يفارق
سهامها نصالها؛ فصاحت السور بكافه فإذا سهمها في شأيا شرفاتها سواك،
وقدم النصر نسرًا من المنجنق يُخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه إلى السماء؛
فشج مرادع أبراجها، وأسمع صوت عيجها، ورفع مئار تجاجها، فأخلى السور من
السياره، والحرب من النظاره؛ فأمكن الثقاب، أن يسفر للحرب الثقاب، وأن يُعيد

الجر إلى سيرته من التراب ؛ فتقدم إلى الصخر فضع سرده ، بأنياب مِعُولِهِ ، وحلَّ عقده ، بضربه الأخرق الدالَّ على لطافة أئمَّله ، وأسمع الصخرة الشريفة حنينه واستغاثته إلى أن كادت ترق لمُقبِّلِهِ ؛ وتبرَّأ بعضُ الحجارة من بعض ، وأخذ الخرابُ عليها موتفا فلنَّ تبرَّح الأرض ؛ وفتح في السور بابُ سدٍّ من نجاتهم أبوابا ، وأخذ نقب في حجره قال عنده الكافر : ياليتني كُنتُ تُرابا ؛ حينئذ يئس الكُفَّارُ من أصحاب الدُّور ، كما يئس الكُفَّارُ من أصحاب القبور ، وجاء أمرُ الله وغرَّهم بالله الغرور . •

وفي الحال خرج طاغيةُ كفرهم وزِمَامُ أمرهم ابنُ بارزان سائلا أن يُؤخذَ البلدُ بالسلم لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسُّطوة ؛ وألقى بيده إلى التهلكة ، وعلاه ذلُّ المملَكة بعد عزِّ المملَكة ؛ وطرح جبينه في التراب وكان حينًا لا يتعاطاه طارح ، وبذل مبلغا من القطيعة لا يطمح إليه طرفٌ أملٍ طامح ؛ وقال : ها هنا أسارى مؤمنون يتجاوزون الألوف وقد تعاقد الفرنج على أنهم إن هُجِمت عليهم الدار ، وحلَّت الحربُ على ظهورهم الأوزار ؛ بُدئَ بهم فُعجِّلوا ، وئثي بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا ، ثم استقتلوا بعد ذلك فلم يُقتل خَصَمٌ إلا بعد أن يَنصِفَ ، ولم يُسلَّ سيفٌ من يده إلا بعد أن تنقطع أو ينقص ؛ وأشار الأمراءُ بالأخذ بالميسور ، من البلد المأسور ؛ فإنه إن أخذ حربا فلا بد أن تقتحم الرجالُ الأتجاد ، وتبذل أنفُسَها في آخر أمرٍ قد نيل من أوله المراد . وكانت الجراحُ في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات ، واعتاق الحركات ، فُقيلَ منهم المبدولُ عن يدٍ وهم صاغرون ، وأنصرف أهلُ الحرب عن قُدرة وهم ظاهرون ، وملك الإسلامُ خطَّةً كان عهدُهُ بها دِمنة سَكَّان ، فخدمها الكُفَرُ إلى أن صارت روضة جنان ؛ لا جرم أن الله أخرجهم منها وأهبطهم ، وأرضى أهل الحق

وَأَخْطَطَهُمْ، فَإِنَّهُمْ - خَذَلَهُمُ اللَّهُ - حَمَّوْهَا بِالْأَسَلِ وَالصَّفَاحِ [وَبَنَوْهَا بِالْعَمَدِ وَالصَّفَاحِ^(١)]
 وَأَوْدَعُوا الْكِنَاسَ بِهَا وَبَيَّوتَ الدِّيْوِيَّةَ وَالْإِسْتَبَارِيَّةَ مِنْهَا كُلَّ غَرِيبَةٍ مِنَ الرِّخَامِ الَّذِي
 يُطْرَدُ مَائُوهُ، وَلَا يُطْرَدُ إِلَّا لَأَوَّهِ، قَدْ لَطَفَ الْحَدِيدُ فِي تَجْزِيعِهِ، وَتَفَنَّنَ فِي تَوْشِيعِهِ،
 إِلَى أَنْ صَارَ الْحَدِيدُ، الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ، كَالذَّهَبِ الَّذِي فِيهِ نَعِيمٌ عَتِيدٌ، فَمَا تَرَى
 إِلَّا مَقَاعِدَ [لِلرِّيَاضِ لَهَا مِنْ بَيَاضِ التَّرْخِيمِ رَقْرَاقٍ، وَعَمَدًا كَالْأَشْجَارِ لَهَا مِنْ^(١)
 الْجَنِينِ أُرَاقٍ] .

وَأَوْزَعَ الْخَادِمُ بَرْدَ الْأَقْصَى إِلَى عَهْدِهِ الْمَعْهُودِ، وَأَقَامَ لَهُ مِنَ الْأَيْمَةِ مَنْ يُؤْفِيهِ
 وَرَدَّهُ الْمَوْرُودَ، وَأُقِيمَتِ الْخُطْبَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ شَهْرِ شَعْبَانَ، فَكَادَتِ السَّمَوَاتُ
 يَتَفَطَّرْنَ لِلسُّجُومِ لَا لِلْوُجُومِ، وَالْكَوَاكِبُ يَنْثَرِنَ لِلطَّرَبِ لَا لِلرُّجُومِ، وَرُفِعَتْ إِلَى اللَّهِ
 كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَكَانَتْ طَرَائِقُهَا مَسْدُودَةً، وَظَهَرَتْ قُبُورُ الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَتْ بَيْنَهُمُ بِالنَّجَاسَاتِ
 مَكْدُودَةً؛ وَأُقِيمَتِ الْخُمْسُ وَكَانَ التَّثْلِيثُ يُقْعِدُهَا [وَجَهَرَتِ الْأَلْسُنُ بِاللَّهِ أَكْبَرَ وَكَانَ
 سِحْرُ الْكُفْرِ يَعْقِدُهَا^(١)] وَجُهِرَ بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قُطْبِهِ الْأَقْرَبِ مِنَ الْمُنْبَرِ، فُرِحَّ بِهِ
 تَرْحِيبَ مَنْ بَرَّ بِمَنْ بَرَّ، وَحَقَّقَ عِلْمَاهُ فِي حِفَافِهِ، فَلَوْ طَارَ بِهِ سُرُورًا لَطَارَ بِجَنَاحِهِ .

وَكُتِبَ الْخَادِمُ وَهُوَ مُجِدَّدٌ فِي اسْتِفْتَاكِ بَقِيَّةِ النُّغُورِ، وَاسْتِشْرَاحِ مَا ضَاقَ بِتَمَادِي
 الْحَرْبِ مِنَ الصُّدُورِ، فَإِنَّ قُوَى الْعَسَاكِرِ قَدْ اسْتَنْفَدَتْ مَوَارِدَهَا، وَأَيَّامَ الشِّتَاءِ
 قَدْ مَرَدَّتْ مَوَارِدُهَا، وَالْبِلَادُ الْمَأْخُودَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا قَدْ جَاسَتْ الْعَسَاكِرُ خِلَالَهَا،
 وَنَهَبَتْ ذَخَائِرَهَا وَأَكَلَتْ غِلَالَهَا . فَهِيَ بِلَادٌ تُرْفَدُ وَلَا تُسْتَرْفَدُ، وَتُجْمُ وَلَا تُسْتَفَدُ،
 وَيُنْفَقُ عَلَيْهَا وَلَا يُنْفَقُ مِنْهَا، وَتُجْهَزُ الْأَسَاطِيلُ لِبَحْرِهَا، وَتَقَامُ الْمَرَابِطُ لِبَرِّهَا، وَيَذَابُ
 فِي عِمَارَةِ أَسْوَارِهَا وَمَرَمَاتِ مَعَاقِلِهَا، وَكُلُّ مَشَقَّةٍ فَهِيَ بِالإِضَافَةِ إِلَى نِعْمَةِ الْفَتْحِ

مَحْتَمَلَةٌ ، وَأَطَاعُ الْفَرَنْجِ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ مَذَاهِبُهَا غَيْرُ مُرْجِيَّةٍ وَلَا مُعْتَرَلَةٍ ، فَلَنْ يَدْعُوا دَعْوَةَ
يَرْجُو الْخَادِمُ مِنْ اللَّهِ أَنَّهُ لَا تَسْمَعُ ، وَلَنْ تَزُولَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَطْوَاقِ الْبِلَادِ حَتَّى تُقْطَعَ .
وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص ، ولا بما سوى
المشاهدة تتلخص . فلذلك نفّذنا لسانا شارحا ، ومبشرا صادحا ، ينشر الخبر على
سياقته ، ويعرض جيش المسرة من طليعته إلى ساقته .

الأسلوب الثاني

(أَنْ يَفْتَحَ الْكِتَابَ بِالْدَّعَاءِ لَغَيْرِ الدِّيَّانِ بِمَا فِيهِ تَعْظِيمُ الْخَلِيفَةِ)

كما كتب القاضي الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
إلى ديوان الخلافة ببغداد .

أَسْعَدَ اللَّهُ عِظَاءَ الْأَمْلَاقِ بِالِاتِّسَابِ إِلَى الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَأَوْزَعَهُمْ
مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهَا . وَخَلَّدَ مُلْكَ الدِّيَّانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ مَا دَامَتِ الْأَفْلَاقُ قَائِمَةً ،
وَالنُّجُومُ نَاجِمَةً ، وَنَقَعَ بَعْمَانُهَا غُلْلَ الْأَمَالِ الْحَاسِمَةِ ، وَفَسَّرَ بِمَكَارِمِهَا حُلْمَ الْأَمَانِيِّ
الْحَالِمِ ، وَرَتَّقَ بِتَدْيِيرَاتِهَا الْمَعْصُومَةَ فَتَوَقَّ النَّوْبَ الْمُتَعَاظِمَةَ ، وَأَظْهَرَ عَلَى أَيْدِي
أَوْلِيَائِهَا مَعْجَزَاتِ نَصْرِهَا ، وَصَرَّفَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ بَيْنَ الْمَرْضِيِّينَ لِلَّهِ نَهْيِهَا وَأَمْرِهَا ،
وَأَوْدَعَ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِمُودَعِهَا وَمُسْتَقَرِّهَا .

الملوك - وإن كان قد يسر الله له منذ أطلقت عذبة لسانه خدمة الدولة العباسية ،
فتفسح في وسيع مآثرها ، وتخير من بديع جواهرها ، وامتاح من نعيم زواجرها .
فإنه لا يعتذر عن الحصر الذي اعتراه في وصف المنعم عليه به من الخطاب الشريف ،

الذى لولا أنَّ عِصْمَةَ المِوَالَةِ ثُبَّتْ فُؤَادَهُ الخَافِقُ ، وَتَسَدَّدَ لِسَانُهُ النَاطِقُ ، لَمَا تَعَاطَى
وَصَفَّ مَا أَعْطَاهُ مِنْ كِتَابِهِ المَرْقُومِ ، وَسَبَقَ إِلَيْهِ مِنْ سَحَابِهِ المَرْكُومِ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَشْفُ
عَنْهُ الأَمَلُ نَاكِصًا وَهُوَ كَسِيرٌ ، وَيَنْقَلِبُ دُونَهُ البَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ، إِلَّا أَنْ الإِنْعَامَ
الشَرِيفَ يَبْدَأُ الأَوَّلِيَاءَ بِمَالِهِمْ وَكُلَّهُمْ إِلَى أَمَانَتِهِمْ لَتَهَيَّبَتْ أَنْ تَتَعَاطَى حَظِيَّتُهُ ، وَلَوْ فَوْضَهُ
إِلَى رَاحَتِهِمْ لَنَكَلَّتْ عَنْ أَنْ تَتَرَقَّى بَصِيَّتُهُ ، وَلَا غَرَوَ لِلسَّحَابِ أَنْ يُصَافِحَ قَطْرَهُ الثَّرَى ،
وَالْفَجَرِ أَنْ يُشْرِقَ نُورُهُ عَلَى عَيْنِ الكَرَى وَالسَّرَى .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَرَّبَ عَلَى المَمْلُوكِ مَنَالَ الآمَالِ ، وَثَبَّتْ حَصَاةَ فُؤَادِهِ لِمَا لَا تَسْتَقِيلُ
بِحِمْلِهِ صُومُ الجِبَالِ . وَيَسْتَنْبِئُ عَنْ جَهْرِ الشُّكْرِ بِسِرِّ الأَدْعِيَةِ ، وَيَقْصُرُ عَلَى مَا يُفْضَى بِهِ
إِلَى المَحَارِبِ وَإِنْ لَمْ يُقْصَرْ عَمَّا يُقْصَى فِي الأَنْدِيَةِ ، وَيُطَالَعُ بِأَنْ مَمْلُوكِ الخِدْمَةِ
وَأَبْنِ مَمْلُوكِهَا أَخَذَ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ ، وَشَكَرَ لخدمَةِ أَشْرَفِ خَلَافَةِ لِأَشْرَفِ نُبُوَّةٍ ، وَتَلَقَّاهُ تَلَقَّى
أَبِيهِ الأَوَّلِ الكَلِمَاتِ ، وَرَأَى إِطْلَاعَ اللَّهِ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِهِ مِنْ طَاعَتِهِ
إِحْدَى العِجْزَاتِ وَالكِرَامَاتِ ، وَسَمِعَ المِشَافَهَةَ خَاشِعًا مُتَضَدِّعًا ، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهَا بِفَهْمِهِ
سَامِيَا طَرَفُهُ مُتَطَلِّعًا .

وَلَقَدْ أَشْبَهَ هَذَا الكِتَابُ الكَرِيمُ بَيْعَةً أُخِذَتْ عَلَيْهِ ، مَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ آخِذًا بِكِلْتَا يَدَيْهِ .
وَالْمَمْلُوكُ يَرْجُو بَلَّ يَتَحَقَّقُ أَنَّ هَذَا العَبْدَ المِشَارَ إِلَيْهِ سَيُوفِي عَلَى سَابِقِهِ مِنْ عِبِيدِ الدَّوْلَةِ
الْعَبَّاسِيَةِ فِي الزَّمَانِ ، وَيَكُونُ بِمِثْلَةِ اللَّهِ أَسْبَقَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ .

وَقَدْ صَدَرَتْ خِدْمَتَانِ مِنْ جِهَتِهِ وَبَعْدَهُمَا تَصَدَّرَ الخِدْمَ ، وَلَا يَأْلُو جَهْدًا فِي الخِدْمَتَيْنِ
مُبَاشَرًا بِيَدِهِ السَّيْفِ وَمُسْتَنْبِيًا عَنْهَا العِلْمَ ، وَلَهُ نُصْرَةٌ بَاقِيَةٌ فِي الوَلَاءِ وَهُوَ غَنَى بِهَا
عَنِ النُّصِيرِ ، وَسِرِّيَّةٌ بَادِيَةٌ فِي الطَّاعَةِ هِيَ إِلَيْهَا أَسْكَنُ مِنْهَا إِلَى كُلِّ مُشِيرٍ . يَعُودُ
الْمَمْلُوكُ إِلَى مَا لَا يَزَالُ يَفْتَحُّ بِهِ الصَّلَوَاتِ المَفْرُوضَةَ ، وَيَخْتِمُ بِهَا الخَتَمَاتِ المَعْرُوضَةَ :

من الدعاء الصالح الذى [وان] أغنى الله وليه عنه فقد أحوج ذوى العقائد السليمة إليه :
 لأنه مُزَكَّى لأعمالهم ؛ بل متمم لإسلامهم ، وكيف لا يدعون لمن يدعون به يوم يُرعى
 كل أناس بإمامهم ؛ فيقول : - جمع الله لأُمير المؤمنين طاعة خلقه ! ، وأذلّ رقاب
 الباطل سيفُ حقه ! ، وجعل الله ما هو قبضته فى الأخرى قبضة أمير المؤمنين
 فى الأولى ! من الأرض التى هى موطوءة كالسّموات العلى ، وأدام نعمه على
 هذه الأمة بإمامته ، وأظهر كرامة نبيه عليه السلام بما يُظهره من كرامته ؛ وعجّل
 لمن لا يقوم بفرض ولايته إقامة قيامته ، وردّ بسُيوفه التى لا تُردّ ما الإسلام ممطوّل
 به من ظلامته ، وأقام به مناهج الدين لأهله ، وأظهره بمظاهرتة على الدين كله ،
 حتّى يلقى الله وما خلف فى الدنيا كافراً ، ولا ضميراً إلا بالتوحيد عامراً ، ولا بلدًا
 إلا وقد بات الإسلام به أهلاً وقد أصبح منه الكفر دأثراً ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(أن يبدأ بآية من كتاب الله تعالى تناسب الحال)

كما كتب القاضى الفاضل ، عن السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
 إلى الخليفة المستضىء ببغداد بشرى بفتح بلد من بلاد النوبة والنصرة عليها :
 « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » :
 « سلامٌ قولاً من ربّ رحيم » : « فروحٌ وريحانٌ وجنةٌ نعيم » . وصلاةٌ يتبعها
 تسليم ، وكأسٌ يمزجها تسنيم . وذكرٌ من الله سبحانه فى الملا الأعلى ورحمة الله وبركاته
 معلومة من النشأة الأولى على مولانا الإمام « المستضىء بالله » المستضاء بأنواره ،
 المستضاف بداره ، الداعى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، الراعى للخلق كما يرعى

النسيم النسيم، العام فضله، التام عدله، المطروق موريد فثائه، المصدق في مورد ثنائه، المحقوق من كل ولي بولائه، ابن السادة العتر، والقادة الزهر، والذادة الخمس، والشادة للحق على الأُس، سُقاة الكوثر وزمزم والسحاب، وولاة الموسم والموقف والكتاب، والموصول الأنساب [يوم] إذا نُفخ في الصور فلا أنساب، والصابرون على حساب أنفسهم فهم الذين يُؤتون أجرهم بغير حساب .

مملوك العتبات الشريفة وعبدها، ومن آسئل على خاطره ولأوها وودها، وكانت المشاهدة لأنواره العلية التي يودها، ومن يَقْرَن بقرض الله سبحانه فَرْضها، ويُسَاقِ بطاعته إلى جنة وصفها الله تعالى بقوله ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ﴾ : يَلُم وجه ثرابها، ويرى على بُعد دارها الأنوار التي تُرى بها، ويقف لديها وقوف الخاضع، ويضع أثقال الآثام عن ظهره منها بأشرف المواضع للواضع، ويُنَجِّت إليها إخبات الطامخ الطائع، ويرجو فضلها رجاء الطامخ الطائع . ولولا أن الكتاب حجاب بينه وبين المهابة التي تحول بين المرء وقلبه، والجلالة التي هو في تعظيمها على نور من ربه، لكان خاطره في قبضة الهلع أسيرا، ولا نَقَلَب إليه البصر خاسئا حسيرا، ولكن قلمه قد تساجع، أن كان لسانه عن الإبانة قد راجع . فيقول :

إن الله قد رفع ملة الإسلام على الملل، وكفل نصرها وكفى ما كفل، وحمى ملكها وحمل، وجعل لها الأرض في أيدي المخالفين ودائع، ومكن يده من أعناقهم فهي إما تعقد الأغلال أو تصوغ الصنائع، والحق بها قائم العمود، والسيف الكفاية لازم العمود، والبشائر مُسَكِّ الصباح وتُخَلِّق الدجى، والخليل على طول ما تستعمل الوحا تتنعل الوجى، والأيام زاهره، والآيات باهره، وعزة أوليائها قاهره، وذلة أعدائها ظاهره، وعنايات الله لديها متواليّة متظاهره . إذا تغرب أسمها يوما عن

مَنْبِرٍ أُعِيدَ إِلَى وَطَنِهِ غَدًا ، وَإِذَا أُوقِدَتْ نَارُ فَنَّةٍ فِي مَعْصِيَتِهَا أُوقِدَتْ فِي طَاعَتِهَا نَارُ هُدًى .

وقد كان النيلُ قَدَمَا قَرَّتْ عن الفُراتِ أُنْبَاؤُهُ ، وَتَحَصَّنَتْ غُلَلُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ فَلَمْ يَتَغَلَّلْ إِلَيْهَا مَأْوُهُ ، وَكَادَتْ السَّمَاءُ لَا تُعِينُهُ بِمَطَرِهَا ، وَالْأَرْضُ لَا تُؤَشِّيه بِزَهَرِهَا ، وَالْأَعْنَاقُ قَدْ تَهَاصَرَدُونَ الرَّاجِينَ بَدْوِ مَعْصِهَا ^(١) ، وَالْقُلُوبُ قَدْ لَادَتْ بِاسْتَارِ الْجِدَارِ مَعْصِهَا ، وَالْأَوْثَانُ مَنْصُوبُهُ ، وَالْآيَاتُ مَغْصُوبُهُ ، وَالتَّيَّجَانُ بَغِيرَ أَكْفَائِهَا مِنَ الْهَامَاتِ مَعْصُوبُهُ ، وَالَّذِينَ أَدْيَانَا ، وَالْمَذَكَّرُونَ بِالْآيَاتِ يَخْرُونَ عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمِيَانَا ، وَالْعَادِلُونَ بِاللَّهِ قَدْ وَطَنُوا أَلْسِنَةً وَصَرَّحُوا عَقَائِدَ ، وَالْمُعْتَدُونَ قَدْ أَضَلُّوا فِعَالًا وَضَلُّوا مَقَاصِدَ ، وَكَرَاسِيُّ خِلَافَةِ اللَّهِ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهَا أَجْسَادُ كَانَتْ تَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ ، وَمَنَابِرُ كَلِمَاتِ اللَّهِ قَدْ كَادَ كَيْدُهُمْ يَأْتِي بُنْيَانَهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَبَحَرَتْ عَلَى بُنْيَانِ النَّبُوَّةِ أَشَدُّ نَبْوِهِ ، وَقَصُرَتْ الْإِيدَى فَلَا حُدَّ سَوَاطِ وَلا حُدَّ سَطْوُهُ ، ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُ ^(٢) (فَهِيَ كَالْجَمْرَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَهُ) وَغَرَّتِ الْآيَامُ وَمَا وَعَدَتْ ، وَأُورِدَتْ الْهِمَمُ وَمَا أَصْدَرَتْ ، وَطَغَى طُوفَانُ الطُّغْيَانِ وَلا عَاصِمَ ، وَسَمَا بَنَاءُ الْبُهْتَانِ وَلا هَادِمَ ، وَضَاقَتِ الصُّدُورُ ، وَرَحَلَتْ بِغَلِيلِهَا إِلَى الْقُبُورِ ، وَظَنَّ أَنَّ طَى دَوْلَتِهِمْ مَعْدُوقٌ بِالنُّشُورِ ، حَتَّى إِذَا جَلَّاهَا اللَّهُ لَوْحَهَا ، وَأُنْجَزَ جَمُوعَ الضَّلَالِ إِلَى مِيعَادِ شَتَائِهَا ، وَأَرَاهِمُ آيَةَ مَعْدِلَتِهِ ^(٣) (وَمَا نُزِيهِهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) (وَجَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ كَارِهُونَ) : (وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

كَانَتْ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ يُنْثَى عَلَى الْمَمْلُوكِ أَنْ أَنْتَجَبَهُ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ أَرْضِهِ ، وَأَنْتَجَبَهُ لِإِقَامَةِ مَا أَمَاتَ الْبَاطِلُ مِنْ فَرْضِهِ ، وَيَسِّرَهُ لِمَا يَسِّرُهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ ، وَبَشَّرَهُ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ بِهَذَا الرِّسْمِ وَلَمْ نَعُثْ عَلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي الرِّسَالَةِ .

بما بَشَّرَهُ من لواء النصر ومدٍّ من ظِلِّهِ ، وألهمه الهمَّةَ التي آفَتَرَغَ منها بَكَرا ، ومنحه
النُّصرةَ فما يستطيع العدوُّ صَرْفاً ولا نصراً . مَكَّنَهُ من صِيَّاصِيهِمْ فِجْلَهَا ، ومن دِمَائِهِمْ
فَطْلَهَا ، ومن سيوفِهِمْ فَفْلَهَا ، ومن أقدامِهِمْ فاستَرَّتْهَا ، ومن مَنابِرِ دُعَاتِهِمْ فَعَجَّلَ تَدَاعِيَهَا ،
ومن أَنْفُسِ أَعْدَائِهِمْ فَأَكْثَرَ تَتَاعِيَهَا ، وأَبْرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ،
وَيَسَّرَ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمُ الْعَفْوُ إِلَى مَنَافِعِهِمْ ، وَثَرَّ خَرَازِ الْمُلْكِ مِنْ تَيْجَانِهَا ، وَفَضَحَ
عَلَى يَدِهِ وَبَلْسَانِهِ مَا زَوَّرْتَهُ مِنْ أَنْسَابِهَا ، وَحَاسَبَهَا فَأَظْهَرَ زَيْفَ حِسَابِهَا ، وَنَقَلَهَا مِنْ
ظُهُورِ أَسْرَتِهَا إِلَى بُطُونِ ثُرَابِهَا ، وَعَمَدَ إِلَى أَهْلِ دَعْوَتِهَا الَّذِينَ بَسَقُوا بِسُقُ النُّخْلِ
فَأَعْلَاهُمْ عَلَى جُدُوعِهَا ، وَحَمَلَتْ قُلُوبُهُمْ فُوفَ الْحَقْدِ فَأَخْرَجَهَا مِنْ أَكْجَامِ طُلُوعِهَا ، فَهَلْ
تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيهِ ، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ مِنْ لَاحِيهِ ، أَوْ تَجِدُ إِلَيْهِمْ مِنْ صَاحِيهِ ، فَأَصْبَحُوا
لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ أَوْ مَسَاكِينُهُمْ ، وَحَصَدُوا حَصْدَ الْحَشِيشِ ثُمَّ لَأُخَافُ سَيُوفَهُمْ
وَلَا سَكَاكِينُهُمْ ، وَاسْتَزَلُّوا مِنْ عِقَابِ اللُّوحِ ، وَسُجِنُوا فِي الْهَمِّ مِنْ طَوْلِ مُدَاوِمَةِ عِقَابِ
الرُّوحِ ، ثُمَّ تَدَارَكُوا إِلَى الدَّرَكِ ، وَاشْتَرَكُوا فِي الشَّرْكِ ، وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ عِرَاصُ ، وَزَهَدَتْ
فِيهِمْ خَوَاصُ ، وَعُلِمَ أَنَّ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبٌ ، وَأَنَّ لَيْسَ يُقُوتهُ طَالِبٌ ، وَأَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ
وَحْدَهُ ، وَأَنَّ الْوَيْلَ لِمَنْ تَجَاوَزَ أَمْرَهُ وَحْدَهُ .

وَكَانَ الْمَمْلُوكُ مِنْ عَطَلٍ مِنْ أَوْنَانِهِمْ ، وَأَبْطَلٍ مِنْ أَدْيَانِهِمْ ، فَائِزًا بِخُسْنَةِ نِظَرٍ إِلَى
حَسَنَاتِ خَلِيلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَيْدِهِ الْأَصْنَامِ وَتَكْسِيرِهَا ، وَتَضْلِيلِهِ عَابِدِيهَا
وَتَكْفِيرِهَا . وَعَمَدَ الْمَمْلُوكُ إِلَى الْحَاضِرِ بِجَمْعِهَا ، وَإِلَى الْمُنَابرِ فَرَفَعَهَا ، وَالْجَمْعَةَ فَأَطَاعَ
مِنْ شَرْعِهَا ، وَأَسْمَاءَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَصَّلَهَا بِاسْمِهِ وَمَا قَطَعَهَا ،
وَعَمُومَتِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَتَلَاهَا لَهُ وَاتَّبَعَهَا ، وَأَشَادَ بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَتَكُونَ
الصَّلَاةُ جَامِعَةً ، وَالذِّكْرُ شَامِلَةً وَالْإِمَامَةُ لِلْجَمَاعَةِ شَارِعَةً ، وَالْهَدَايَةُ لِلضَّلَالَةِ صَارِعَةً ،
فَعَادَتْ لِللَّهِ أَعْيَادُ ، وَأَخْضَرَتْ لِلنَّبَرِ أَعْوَادُ ، وَأُنْجِزَ لِلْأُمَّةِ مِيعَادُ .

وبعد ذلك تحاشدت أولياء الذاهبين وتنادت، وتساعت نحو مستقر المملوك وتعادت
 ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ
 فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ وكانوا حمية حامية
 من بنى حاتم كالجراد أرجلا ، إلا أن الله أصلاها بنيرانه ، وكلماء مدا إلا أن الله
 أغرقها بطوفانه ، وكانمل لونا وطرقا إلا أن الله حطمها بسليانه ، مع من أنضم
 إليهم من ألقاف وأطراف ، وأوشاب وأوباش : من جندى كسبه سيفه ذلّه ، وطرده
 عن مواقف الكرام وبحال الخزي أحله ، ومن أرمى كانوا يفرعون إلى نصرة
 نصرانيته ، ويعتمدون منه على ابن معموديته ، ومن عاتى أجابهم لفرط عماء وتفريط
 عاميته ، فملأ العيون سوادهم الأعظم ، ووراءهم بأس الله الذى لا يرد عن أجرم ،
 فأمطرتهم السيوف مطرا كانوا غطاء لسيوله الجوارف ، وعصفت بهم الأعنة عصفا
 كانوا هباء لهوجه العواصف ، ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ وعوتبت الأنفس
 والأرؤس ﴿فَقَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ . وظلت قحاف بنى حاتم تحت غربان الفلا غربانا ،
 وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض أفعالا وألوانا ، وصفت موارد السلطان
 من القذى ، وطفئ ذلك الفحم فلا يجد التفاق بعده ما تتعلق به الحدى ، وبلغت
 الغيات فى كشف كل أذى ، لا بضرب بموعيد يقال فيه إذا .

وكتب المملوك ، واسم أمير المؤمنين قد كتب سطره على جبين النقدين ، وسمع
 لفظه من قم المنبرين بالبلدين ، ومد كل منبريدا بل يدين ، فحين سمع الناس قالوا
 حقا ما قاله ذو اليمين ، وصارت تلك الأسماء دبر الآذان ووراء الظهور ، وحصلت
 المحبة العباسية سرا من أسرار القلوب إذا حصل ما فى الصدور ، والخلائق مبايعة
 متابعة وافية بعهد متوافية ، داخلون فى الحق أفواجا ، سالكون منه شريعة
 ومنهاجا .

والحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين إماما خلّقه ، ووارثا لأرضه ولم يذّر فوق الأرض
منازعا لحقه ، ولا مناهبا لأرضه ، وأرتجع له الحقّ الذى كان نادا ، وردّ عليه الأمر
الذى لم يكن له غير الله رادا ، وبلغ كلّ مؤمن من إعلاء كلمة الإيمان به ما كان له
وآدا ، وأخذ بيد انتقامه من كان عن سبيله صادّا ، والإسلام قد استنار كنشاته ،
والزمان قد استدار كهيئته ، والحقّ قد قرّر في نصّابه ، والأمر قد قرّر عن صوابه .
فقد وفى الله القرار له بضمانه ، وأخذ بيده ما روى عن ابن عمه صلى الله عليه وسلم
وأصفى من لسانه .

فالحمد لله الذى صدّقه وعده ، وأورثه الأرض وحده ، وجدّد علاه وأعلى جدّه ،
وأسعد نجمه وأنجم سعده ، ووعده تُجحه وأنجح وعده ، وأورده وصفه وأصفى ورده .
الملك ينتظر الأمثلة ليتّمتلها ، والأمانة ليتحمّلها ، والتقليدات المطاعة ليتلوها ،
والتشريفات الشريفة ليَجْلُوها ، والسواد ليَجْلِي الحلك عن ضمائر المبطلين ، والسيف
الحالى لحكمه فى رقاب المعطلين ، والآراء الشريفة فصل برهانها ، وفصل سلطانها ،
وأمرها الذى لا يخرج حين يخرج عن عزّ الملة وتوطيد بُنيانها ، وعزمها الذى يرفع
حين يرفع ظلمة أدرانها . إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الرابع

(أن يتبدأ الكتاب بالصلاة)

كما كتب القاضى الفاضل ، عن الملك الناصر "صلاح الدين يوسف بن أيوب"
الى الخليفة ببغداد ، فى البشرى بفتح بلده من بلاد النوبة أيضا ، وانهازم ملكها
بعساكره .

صلوات الله التي أعدها لأوليائه وذخرها ، وتحياتها التي قدف بسهمها شياطين أعدائه ودحرها ، وبركاته التي دعا بها كل موحد فأجاب ، وأنقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانجاب عن أنجاب ، وزكاته التي هي للمؤمنين سكن ، وسلامه الذي لا يعتري المؤمنين في تربيده حصر ولا لكن - على مولانا عاقد ألوية الإيمان ، وصاحب دور الزمان ، وساحب ذيل الإحسان ، وغالب حرب الشيطان ، الذي زلزلت إمامته قدم الباطل ، وحلت خلافته ترائب الدهر العاطل ، واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غريم باطل ، وأمضت غرب كل عزم للحق مفلول وأطلعت غارب نجم كل هدى آفل ، وشفعت يقظات استغفاره إلى غافر ذنب كل غافل ؛ وعلى آباءه الغاية والمفرع ، والملاذ في وقت الفرع ، والقائمين بحقوق الله إذ قعد الناس ، والحاكمين بعذل الله إذ عدم القسطاس ، والمستضيئين بأنوار الإلهام الموروثة من الوحي إذا عجز الاقتباس ، والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس ؛ نحران الحكم ، وحفاظها ، ومعاني النعم ، وألفاظها ، وأعلام العلوم المنشورة إلى يوم القيامة ، وكالبي الشروح المنتشرة من كلا سيد الإمامه ، ومن لا ينفذ سهم عمل إلا إذا شحذ بمواليتهم ، ولا يتألق صبح هداية إلا إذا استصبح الساري بدلالاتهم .

الملوك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومنازله ، ومرابع المجد ومعاقله ، ومجالس الجود ، ومحال السجود ، ومختلف أنباء الرحمة المنزل ، ومرسى أطواد البسيطة المترزله ، ومفتر مباسم الإمامه ، ومجتر مساحب الكرامه ؛ ومكان جنوح أجنحة الملائك ، ومشتجر مناسك المناسك ، حيث يدخلون من كل باب مسلمين ، ويتبعهم ملوك الأرض مستسلمين ؛ ومشاهد الإسلام كيوم أنزل فيه اليوم أكلت لكم دينكم - وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله : قاتلوا الذين يلوونكم ، ويتأخوها

(١) كذا في الأصول مضبياً عليه وفي الضوء "المنتشرة بيد الامامة" .

بلسان جلى الإخلاص الصادق عقيدته ، وأنشط الولاء السابق عقيلته ؛ وأرهف الإيمان الناصع مضاربه ، وفسح المعتقد الناصح مذهبه ؛ فأعرب عن خاطر لم يحظر فيه لغير الولاء خطره ، وقلب أعانه على ورود الولاء [أن] صفاء المصافاة فيه فطره . ويخبر أنه ما وهن عما أوجبته آلاؤه ولا وهى ، ولا أنتنى عزمه عن أن يقف حيث أطلت سدرة المنتهى ، ووضعت الآيات لأولى النهى . والله سبحانه يزيل عنه فى شرف المثول عوائق القدر وموانعه ، ويكشف له عن قناعات الأنوار التى ليست همته بما دون نظرها قانعه . وكان توجه منصوراً بجيش دعائه ، قبل جيش لوائه ؛ وبمسكر إقباله ، قبل عسكر قتاله ، وبنصال سلطاناه ، قبل نصال أجفانه ؛ لاجرم أن كتائب الرعب سارت أمام الكتائب ، وقواضب الحذر غمضت فى جفونها عيون القواضب . وسار أولياء أمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أمه ، وتداعوا بلسان النعمة ، وتصرفوا بيد الخدمه ، وصالوا بسيف العزمه ؛ متواخية نياتهم فى الإقدام ، متألفة طوياتهم فى طاعة الإمام ؛ كالبنيان المرصوص انتظاماً ، وكالغاب المشجر أعلاماً ؛ وكانهار المانع حديداً وهاجاً ، وكالليل الشامل عجاجاً وعجاجاً ؛ وكانهر المتدافع أصحاباً ، وكالمشط المطرد أصطحاباً ؛ والأرض ترجل برجلهم لما ترفعه الحوافر من غيومها ، والسماء تنزل نزولهم لما تضعه الدوابل من نجومها ؛ فما انتشرت رياضها المزهره ، وغياضها المشجره ؛ إلا دلت على أن السحاب الذى سقاهم كريم ، والإنعام الذى غمرهم عظيم ، والدنيا التى وسعته من عزمتهم تظعن وتقيم .

ولما علم العدو أن الخطب المظنون قد صرح خطابه ، والأمل المخدوع قد صفر وطأه ؛ راسل ورأى سل السيوف يغمده ، وما كرم ما كرم لعلمه أن الحنف يعمده ، وأندفع هارباً هائباً ، وخضع كاتباً كاذباً ؛ ففضى المملوك قداماً ، وحمله ظلمه وقد خاب من حمل ظلمه ؛ وأجابه بأنه إن وطئ اليساط برجله وإلا وطئه برأسه ، وإن قدم

على المملوك بأمله وإلا أقدمه بياسه، وإن لم يُظهر أثر التوبة وإلا أقام عليه الحد بسكرة الموت من كأسه ؛ فلم يخرج من مراوغة تحتها مغاوره ، ومكاسرة وراءها مكاسره ؛ فاستخار الله في طلبه ، وآتتهز فيه فرصة شغل قلبه بريبه ، ولم يغتره ما أملي له في البلاد من ثقليه ؛ وسار ولم يزل مقتحما ، وتقدم أول العسكر محتدما ؛ وإذا الدار قد ترحل أهلها منها فبانوا ، وظعنوا عن ساحتها فكأنهم ما كانوا ؛ ولم يبق إلا مواقد نيران رحلت قلوبهم بضرامها ، وأثافي دهم أعجلت المهابة مارد سغبهم عن طعامها ؛ وغربان بين كأنها في الديار ما قطع من رءوس بني حامها ، وعوافي طير كانت تنتظر من أشلائهم فطر صيامها ؛ وعادت الرسل المنقذة لاقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم ؛ ذاكرة أنهم ليسوا الليل حدادا على النعمة التي خلعت ، وغسلوا بماء الصبح أطماع نفيس كانت قد تطلعت ؛ وأنهم طلعوا الأوعار أوعالا والعقاب عقبانا ، وكانوا لمهابط الأودية سيولا ولأعلى الشجر قضبانا - فرأى المملوك أن الكتاب فيهم قد بلغ أجله ، والعزم منهم قد نال أمله ، والفتك بهم قد أعمل منصله ؛ وأن سيوف عساكر أمير المؤمنين مزهية أن تريق إلا دماء أكفائها من الأبطال ، وأن تلقى إلا وجوه أنظارها من الرجال ؛ وأن المذكورين تمل حطمه سليمان عليه السلام وجنوده ، ورمل أطاره العاصف الذي يسحفه ويقوده - وأصدر هذه الخدمة والبلاد من معرفتهم عاريه ، والكلمة بانخفاضهم غالية عليه ؛ ويد الله على أعدائه عاديه ، وأنفس المخاذيل في وثاق مهابته العالية عانيه - فرأى المملوك أن يرتب بعده الأمير فلانا ليبدل الأمانات ، لسوقه أهل البلاد ومزارعيها ، ويفصل المحاكمات ، بين متابعي السلطنة ومطواعيها ، ويفسح مجال الإحسان لمعاودي المواطن ومراجعيها ؛ فيعمر من البلاد ما قد شغرت ، ويشعر بالأمنية من لا شعر ؛ فإن مقام المملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطلعها ،

(١) هو بالقاء من قولهم سحفت الريح السحاب اذا ذهب به والفاف في الأصول تصحيف .

وترد جرية البحر عن موقعها ؛ مما يضرب الغلال وينسفها ، ويحجف بالرعايا ويعسفها .

فالحمد لله الذى جعل النصر لائذاً بأعطاف أعتارمه ، وأنامل الرعب السائر إلى الأعداء محرقة عذبات أعلامه ؛ والعساكر المناضلة بسلاح ولائه ، تُغنى بأسمائها عن مرهقاتها ، والكائب المقاتلة بشعار علائه ، تقرأ كتب النصر من حماها .

الأسلوب الخامس

(أن يتبدأ الكتاب بالسلام)

كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان "صلاح الدين" أيضاً ، يعتذرله عن تأخر الكتب ، ويذكر له خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية من ملوك النصرانية من الروم والفرنج :

سلام الله الأطيب ، وبركاته التى يستدرها الحضر والغيب ؛ وزكواته التى ترفع أولياءه إلى الدرج ، ونعمه التى لم تجعل على أهل طاعته فى الدين من حرج - على مولانا سيد الخلق ، وساد الخرق ، ومسدد أهل الحق ؛ ولايس الشعار الأطهر سواداً ، ومستحق الطاعة التى أسعد الله من خصه بها بدءاً ومعاداً ، ومولى الأمة الذى تشابه يوم نذاه وبأسه إن ركض جوداً أو جواداً ؛ وواحد الدهر الذى لا يئس ، وإليه القلوب تُثنى ؛ ولا يقبل الله جمعاً لا يكون لولائه جمع سلامة لا جمع تكسير ، ولا استقبال قبلة ممن لا تكون محبته فى قلبه تقيم وأسمه فى عمله إلى الله يسير ؛ مولانا أمير المؤمنين ؛ وعلى آبائه المائى الأرض عدلاً ، الملاء أهلاً وقضلاً ، والضارين فيصلاً والقائلين فضلاً ، ومن تقول الجنة لأهلها بهم أهلاً ؛ المخصوصين بالعناية الإلهية ،

الحاكين فكلُّ أمةٍ بطاعتهم مأمورةٌ وعن معصيتهم منهيةٌ ، والمشرِّف الأسارى على أسيرة الشرف فكم ملأتِ البهوَ مناظرهم البهية .

المملوك — يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بإعظامه ، والبساط المقبل بطول آستلامه ، والستر الذى أسبله الله على العباد بتحيته وسلامه ، وينهى أنه آخرُ الخدم عن أن ينتظم الأوقات المتجددة ، ويقتضب الحالات المتجرِّدة ، والرُّسل عن أن تتوارد دراكا ، وتتوالى وشاكا ، والإنهاءات عن أن تثبت بالمقامات الشريفة النبوية ، ومجالس العرض العلية ، ما انتهت إليه الأقدار ، وما أفضى إليه من كثير المناجح وقليل الأعذار ، فإن أدب الأمل عن المطالعة كالصوم لا يفيض ختامه ، ولا يحلُّ نظامه ، إلا بعيدَ يطلع هلاله مبشرا ، ويثبت خبره فى الآفاق معطرا ، فلو أن متكلِّفا أفرط قبل مواعده ، وورد الماء قبل مؤرده ، لكان مفسدا لعقده ، ناكثا لعهد .

كذلك المملوك أمسك حين كانت الأخبار بجانبه مشتبه ، والحقائق لديه غير متوجَّه ، فإن طاعنى الكفر بقسطنطينية وصقلية كانا قد أوقدا للحرب نارا ، ورفعا لها أوزارا ، واتخذها أسطولا جاريا وعسكرا جرارا ، وتباريا ولم يزد الله الظالمين إلا تبارا ، وكتبنا إلى الفرنج بعد أن هزمهم بالنجدة والنصرة ، وتضمننا لهم الخروج والكفر ، ويصفان ما استعدا به بما لا يعبر عنه إلا بالكثرة ، واستطارت الشناعة وتداولتها الألسن ، وخرجت من الأفواه حتى لقد كادت تدخل فيما رآته الأعين ، وورد إلى المملوك رسول من طاعية القسطنطينية وهو أقدم ملوك النصرانية قدما ، وأكثرهم مالا متعيا ، فعرض عليه موادة يكون بها عسكره مودعا ، ويكون له بها مقرعا ، له ولصاحب صقلية الذى زعم أنه أصل للشريك كون الشر منه مقرعا ، فلم ين ولم يجب إلى السلم ، ولم يزعه أن عسكره خذله الله مبار في البروفى اليم ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب السادس

(أن تُفتَحِ المَكاتِبُ بِمُخَطَبَةٍ مُفَتَّحَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ)

وذلك يُخْتَصُّ بِالْفَتْوحِ وَغَيْرِهِ مِمَّا حَدَثَ فِيهِ نِعْمَةٌ ، وَرَبَّمَا بَدِثَتْ بَايَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، كَمَا كَتَبَ الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ عَنِ السُّلْطَانِ "صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ" إِلَى النَّاصِرِ لَدِينِ اللَّهِ بِبَغْدَادَ بِفَتْحِ الْقُدْسِ :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ .
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُنْجِزَ مِنْ هَذَا الْوَعْدِ ، عَلَى نُصْرَتِهِ لِهَذَا الدِّينِ الْحَنِيفِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ؛ وَعَلَى أَنْ أَجْرَى هَذِهِ الْحَسَنَةَ الَّتِي مَا أَشْتَمَلَ عَلَى شِبْهِهَا كَرَامُ الصَّحَافِ ، وَلَمْ يُجَادِلْ عَنْ مِثْلِهَا فِي الْمَوَاقِفِ ؛ فِي الْأَيَّامِ الْإِمَامِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ زَادَهَا اللَّهُ غَرَارًا وَأَوْضَاحًا ، وَوَالَى الْبَشَائِرِ فِيهَا بِالْفُتُوحِ غُدُوًّا وَرَوَاحًا ؛ وَمَكَّنَ سُيُوفَهَا فِي كُلِّ مَازِقٍ ، مِنْ كُلِّ كَافِرٍ وَمَارِقٍ ، وَلَا أَخْلَاهَا مِنْ سِيرَةٍ سَرِيَّةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ مَصْلُحَةِ مَخْلُوقٍ وَطَاعَةِ خَالِقٍ ، وَأَطَالَ أَيْدِيَ أَوْلِيَائِهَا لِتَحْمِيٍّ بِالْحَقِيقَةِ حِمَى الْحَقَائِقِ ، وَأُنْجِزَهَا الْحَقَّ وَقَدَفَ بِهِ عَلَى الْبَاطِلِ الزَّاهِقِ ، وَمَلَكَهَا هَوَادِي الْمَغَارِبِ وَمَرَامِي الْمَشَارِقِ ؛ وَلَا زَالَتْ آرَائُهَا فِي الظُّلُمَاتِ مَصَابِجَ ، وَسُيُوفُهَا لِلْبِلَادِ مَفَاتِحَ ، وَأَطْرَافُ أَسْنَنِهَا لِدِمَاءِ الْأَعْدَاءِ نَوَازِحَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَصَرَ سُلْطَانَ الدِّيَّانِ الْعَزِيزِ وَأَيَّدَهُ ، وَأَظْفَرَ جُنْدَهُ الْغَالِبَ وَأُنْجَدَهُ ، وَجَلَّاهُ بِهِ جَلَّابِيبَ الظُّلُمَاءِ وَجَدَّدَ جُدُّدَهُ ؛ وَجَعَلَ بَعْدَ عُسْرِ يُسْرًا ، وَقَدْ أَحْدَثَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمْرًا ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي مَا كَانَ الْإِسْلَامُ يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ صَبْرًا ، وَخُوطُبَ الدِّينِ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ : فَالْأَوَّلَى فِي عَصْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ ، وَالْأُخْرَى هَذِهِ الَّتِي عَتَقَ فِيهَا مِنْ رِقِّ الْكَآبَةِ ؛ فَهُوَ قَدْ أَصْبَحَ حُرًّا فَالزَّمَانُ كَهَيْئَتِهِ أَسْتَدَارَ ، وَالْحَقُّ بِمُهْجَتِهِ قَدْ أَسْتَنَارَ ؛ وَالْكُفْرُ قَدْ رَدَّمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ

المُسْتَعَار، وَغُسِلَ ثَوْبُ اللَّيْلِ بِمَا جَفَّرَ الْفَجْرُ مِنْ أَنْهَارِ النَّهَارِ؛ وَأَتَى اللَّهُ بِنِيبَانِ الْكُفْرِ
 مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَشَفَى غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ بِرُقَاقِ مَاءِ الْمَوْرِدَاتِ الْبَوَارِدِ. أَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً لَمْ تَظْهَرِ لِلْعُيُونِ إِلَّا حِظُّهُ، وَلَمْ تَخَفْ عَنِ الْقُلُوبِ إِلَّا حِفْظُهُ؛ عَزَّتْ سِيمَا
 الْإِسْلَامِ بِمَسْوَمِهَا، وَتَرَادَفَ نَصْرُهُ بِمَرْدَفِهَا، وَأَخَذَتِ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَتَرَى مُتَرَفِيهَا
 كَأَنَّ لَمْ تُؤَوِّ فِيهَا؛ فَكَمْ أَقْدَمَ بِهَا حَيْزُومٌ، وَرَكَضَ فَاتَّبَعَهُ سَحَابٌ عَجَاجٌ مَرْكُومٌ، وَضَرَبَ
 فَإِذَا ضَرْبُهُ كَتَابُ جِرَاحٍ مَرْقُومٌ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الْحُرُوبَ إِنَّمَا عُقِدَتْ سِجَالًا، وَإِنَّمَا جُمِعَتْ
 رِجَالًا، وَإِنَّمَا دَعَتْ خِيفًا وَتَقَالًا؛ فِيمَا سَيُوفٌ تَقَاتِلُ سَيُوفًا، أَوْ زُخُوفٌ تَقَاتِلُ
 زُخُوفًا؛ فَيَكُونُ حَدُّ الْحَدِيدِ بِيَدٍ مُدْكَرًا وَبِيَدٍ مُؤَنَّثًا، وَيَكُونُ السَّيْفُ فِي الْيَدِ الْمَوْحِدَةِ
 يُغْنِي بِالضَّرْبَةِ الْمَوْحِدَةِ فِي الْيَدِ الْمَثَلَّةِ لَا يُغْنِي بِالضَّرْبِ مَثَلًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي فِتْنَتَيْنِ
 التَّقَاتَا، وَعُدُوتَيْنِ لَغَيْرِ مَوَدَّةٍ أَعْتَنَقَتَا. وَإِنْ هَذِهِ النُّصْرَةُ إِنْ زُوِيَتْ عَنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ
 بُجِدَتْ كِرَامَاتُهُمْ، وَإِنْ زُوِيَتْ عَنِ الْبَشَرِ فَقَدْ عُرِفَتْ قَبْلُهَا مَقَامَاتُهُمْ؛ فَمَا كَانَ
 سَيْفٌ يَلْقِظُ مِنْ جَفْنِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْبَهَ الصَّرِيخُ، وَلَا كَانَ ضَرْبٌ يُطِيرُ الْهَامَ قَبْلَ ضَرْبِ
 يَرَاهُ النَّاضِرُ وَيَسْمَعُهُ الْمُصِيبُ، فَكَمْ فَرِيَةً كَانَتْهَا هِجْرَةُ الْمَوْتِ وَبِهَا التَّارِيخُ، وَكَمْ طَعْنَةً
 تَخْتَرُ لَهَا هِضَابُ الْحَدِيدِ وَلَهَا شَمَارِيخُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَادَ الْإِسْلَامَ جَدِيدًا نَوْبُهُ، بَعْدَ أَنْ كَانَ جَدِيدًا حَبْلُهُ، مُبَيِّضًا
 نَصْرُهُ، مُحَضَّرًا نَصْلُهُ، مَتَسِّعًا فَضْلُهُ، مُجْتَمِعًا شَمْلُهُ. وَالْخَادِمُ يَشْرَحُ مِنْ نَبَأِ هَذَا الْفَتْحِ
 الْعَظِيمِ، وَالنَّصْرِ الْكَرِيمِ؛ مَا يَشْرَحُ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَمْنَحُ الْحُبُورَ لِكَاغَةِ الْمُسْلِمِينَ؛
 وَيُكَرِّرُ الْبُشْرَى بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ - مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ

(١) أَيْ مَقْطُوعًا قَالَ الشَّاعِرُ .

أَبِي حَبِي سَلَمَى أَنْ يَبِيدَا * وَأَمْسَى حَبْلُهَا خَلْقًا جَدِيدًا

فَمَا فِي الْأَصْلِ وَالضُّوءِ مِنَ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ أَهَالٍ مِنَ النَّاسِخِ .

إلى يوم الخميس منسلخه - وتلك سبع ليالٍ وثمانية أيام حُسُومها سَخَّرها الله على الكُفَّار ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَانْتُمْ أَنْجَازُ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ورايتها إلى الإسلام ضاحكة كما كانت من الكُفْرِ باكية ؛ فيومَ الخميس الأول فُتِحَتْ طَبْرِيَّةٌ وفَاضَ رِىُّ النَصْرِ من بُحَيْرَتِهَا ، وَقَضَتْ عَلَى جَسَرِهَا الْفَرَجُ فَقَضَتْ نَحْبَهَا بِحَيْرَتِهَا ؛ وفي يوم الجمعة والسبت كُسِرَ الْفَرَجُ الْكُسْرَ التِّى مَالَهُمْ بَعْدَهَا قَائِمُهُ ، وَأَخَذَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِهِ أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ . وفي يوم الخميس منسلخ الشهر فُتِحَتْ عَكَّا بِالْأَمَانِ ، وَرُفِعَتْ بِهَا أَعْلَامُ الْإِيمَانِ ؛ وَهِيَ أُمُّ الْبِلَادِ ، وَأَخْتُ إِرَمِ ذَاتِ الْعِمَادِ ؛ وَقَدْ أَصْبَحَتْ كَأَنَّ لَمْ تَغْنَ بِالْكَفْرِ وَكَأَنَّ لَمْ تَقْتَرِ مِنَ الْإِسْلَامِ .

وقد أصدر هذه المطالعة وصليب الصلْبُوتِ مَأْسُورٌ ، وَقَلْبُ مَلِكِ الْكُفْرِ الْأَسِيرِ جَيْشُهُ الْمَكْسُورُ مَكْسُورٌ ؛ وَالْحَدِيدُ الْكَافِرُ الَّذِي كَانَ فِي الْكُفْرِ يَضْرِبُ وَجْهَ الْإِسْلَامِ ، قَدْ صَارَ حَدِيدًا مُسَلِمًا يُفَرِّقُ خُطُوبَاتِ الْكُفْرِ عَنِ الْأَقْدَامِ ؛ وَأَنْصَارُ الصَّلِيبِ وَبِكَارِهِ ، وَكُلُّ مَنْ الْمَعْمُودِيَّةُ تُحْمَدُهُ وَالذِّيرُ دَارُهُ ؛ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ يَدُ الْقَبْضَةِ ، وَأَخَذَ رَهْنًا فَلَا تُقْبَلُ فِيهِ الْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ؛ وَطَبْرِيَّةٌ قَدْ رُفِعَتْ أَعْلَامُ الْإِسْلَامِ عَلَيْهَا ، وَنَكَّصَتْ مِنْ عَكَّا مِلَّةُ الْكُفْرِ عَلَى عَقَبِيَّهَا ، وَعَمَّرتْ إِلَى أَنْ شَهِدَتْ يَوْمَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ خَيْرُ يَوْمَيْهَا ؛ بَلْ لَيْسَ مِنْ أَيَّامِ الْكُفْرِ يَوْمٌ فِيهِ خَيْرٌ ، وَقَدْ غُسِلَ عَنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ بَدْمَاءُ الشَّرْكِ مَا كَانَ يَتَخَلَّلُهَا فَلَا ضَرَرَ وَلَا ضَرِيرَ ؛ وَقَدْ صَارَتْ الْبَيْعُ مَسَاجِدَهُمْ بِهَا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ؛ وَصَارَتْ الْمَنَاحِرُ مَوَاقِفَ لِحُطْبَاءِ الْمَنَابِرِ ، وَأَهْتَرَتْ أَرْضُهَا لَوْقُوفِ الْمَسَامِينِ فِيهَا وَطَلَمًا اِرْتَجَّتْ لِمَوَاقِفِ الْكَافِرِ ؛ وَالْبَأْسُ الْإِمَامِيُّ الْنَاصِرِيُّ قَدْ أَمْضَى مِشْكَاتُهُ عَلَى يَدِ الْخَادِمِ حَتَّى بِالذَّنِيِّ فِي الْكَائِسِ ، وَإِنْ عَزَّ أَوَّلُ الْإِسْلَامِ بِحِطِّ تَاجِ فَارِسَ ، فَكَمْ حَطَّتْ سَيُوفُهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ تَاجِ فَارِسَ .

فأما القَتْلُ والأسارى فإنها تزيد على ثلاثين ألفاً .

وأما قُرسان الديوية والاستبارية فقد أمضى الله حكمه فيهم وقطع بهم سيوف نار الجحيم ، ووصل الراحل منهم إلى الشقاء المقيم ؛ وفنك بافرنس كافر الكفار ، ومشيد النار ، من يده في الإسلام كما كانت يد الكليم ؛ وأقترت النصرة عن نغر عكا بحمد الله الذي يسر فتحها ، وتسلمتها الملة الإسلامية بالأمان وعرفت في هذه الصفقة ربحها .
وأما طبرية فافتترتها يد الحرب فأنهت الحرب جرحها .

فالحمد لله حمداً لا تضرب عليه الحدود ، ولا تُزكى بأزكى منه العقود ؛ وكأنه بالبيت المقدس وقد دنا الأقصى من أقصاه ، وبلغ الله فيه الأمل الذي علم أن يُحصيه وأحاط بأجله وأقصاه ؛ لكل أجل كتاب ، وأجل العدو هذه الكتائب الجامعة ، ولكل عمل ثواب ، وثواب من هدى لطاعته جنات نعيمه الواسع ؛ والله المشكور على ما وهب ، والمسئول في إدامة ما استيقظ من جد الإسلام وهب .

وقد توجه من جانبه الأمير رشيد الدين دام تأييده في إهداء هذه البشري نيابة عن الخادم ، ووصف ما يئسره الله لأوليائه من العزائم . والبلاد والمعاقل التي فتحت هي : « طبرية ، عكا ، الناصرة ، صفورية ، قيسارية ، نابلس ، حيفا ، معليا ، القزله ، الطور ، الشقيف ، وقلاع بين هذه كثيرة . والولد المظفر تقي الدين بصور وحضن تينين . والأخ العادل سيف الدين نصره الله قد أوفت (؟) بالوصول من عنده من عنده من العساكر فينزل في طريقه على غزّة وعسقلان ، ويجهز مراكب الأسطول المنصور ويكثر عددها ، ويسير بها إلى نغر عكا المحروس ويسكنها بالرجال ويوفر سلاحها وعددها ، والنهوض إلى القدس فهذا أو أن فتحه ولقد دام عليه ليل الضلال ، وقد آن أن يستقر فيه الهدى مشكور الإحسان ، إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الخاصة ، إلى خلفاء بني العباس)

قال أبو جعفر النحاس : وقد يكتبُ الإمامُ بغير تصدير إذا لم يكن ذلك في شيء من الأمور التي سبيلها أن تُنشأ الكتبُ بها من الدواوين . كما كتب القاسمُ بن عبد الله إلى المكتفي مهتئلاً بالخلافة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والسلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وأسأل الله أن يعظمَ بركةَ هذا الأمرِ على أمير المؤمنين وعلى الأمة كافةً .

قال : والمستعملُ في هذا الوقت في مكتبة الوزير الإمام :

أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين ! وأعزّه وأيدّه ، وأتمَّ نعمته عليه ، وأدام كرامته له .

ثم قال : وربما استحسنَت مكتبة المرءوس إلى الرئيس على غير ترتيب الكتاب . كما كتب إبراهيم بن أبي يحيى إلى بعض الخلفاء يعزيه :

أما بعد فإنَّ أحقَّ من عَرَفَ حقَّ الله عليه فيما أخذ منه ، مَنْ عَظُمَ حقُّ الله عليه فيما أبغاه له ، وأعلم أنَّ أجر الصابرين فيما يُصابون أعظمُ من النعمة عليهم فيما يُعافون فيه .

الطرف الخامس

(في المكاتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية)

قد ذكر في "مواد البيان" أن المستعمل في دولتهم أن يقال بعد البسملة : أفضلُ صلواتِ الله وبركاته ، وأشرفُ رضوانه وتحياته ؛ على مولانا وسيدنا الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، وعلى آبابه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين - إن كان له أبناء - فإن لم

يكن له أبناء قيل مكان الأكرمين : المتظرين . ثم يقال بعد فضاء واسع : كتب عبد الموقف النبوي خلد الله ملكه ، من مقر خدمته بناحية كذا ، وأمور ما عُدق به ورد إلى نظره منتظمة بسعادة مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى جدّه - والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما . ثم يقال : العبد يُنبئ كذا وكذا ينص الأغراض التي بُني الكتاب على إنهاؤها وشرح حالها . قال : فإن كان الكتاب مبنياً على المطالعة ببعض الأخبار ، قيل في آخره بعد فضاء يسير : ” أنهى العبد ذلك ليستقر علمه بالموقف الأشرف “ إن شاء الله تعالى . وإن كان مبنياً على الاستمرار في بعض الأحوال ، قيل في هذا الموضع : ” ولمولانا أمير المؤمنين صلى الله عليه الرؤى العالی في ذلك “ إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة كتاب من هذا النمط في جواب عن كتاب ورد من الخليفة بالسؤال عن المكتوب عنه في مرضه ، وهو :

صلوات الله الزاكية ، وتحياته الذكية الداكية ، وسلامه الذي يتزل على الروح بالروح ، ويؤذن من رضا الله بأشرف موهوب وأكرم ممنوح ، وبركاته التي فيها للمؤمنين سكن ، وبشفاعتها تُقبل أعمال المؤمن بقبول حسن - على إمام الحق المنظور المغنى عن المتظر ، وحجة الله التي أرسلها نذيراً للبشر ، وخليفة الله الذي نزلت بمدحه مَرَاتِلُ السُّور ، قبل مراتب السَّير ، وبعثه الله بالنور الذي لا يمكن الكافر من إطفائه ، وبرهان الله الذي لا يطمع الجاحد في إخفائه ، ونائب النبوة ووارثها ، ونحيي القلوب وباعثها ، ومفيض أسرار الأنوار وناقضها ، سيدنا ومولانا الإمام الفلاني : ولا زالت الأقدار له جُنوداً وجُدوداً ، والجديدان يسوقان إليه من أيامهما ولياليهما إماءً وعبيداً ، وعلى آباءه الذين سبقَتْ لهم من ربه الحُسنى ، ورغبوا عن عَرْض هذا الأدنى ، ولا تهم ولا تُهم على الخيان ، ولا يُمُّ للثقلين أن ينفدوا ما لم يكونوا منهم

بُسْطَان - وعلى أبنائه وجوه الهدى البارزة من الأكنة ، وأيدي الندى والأعنة
والأسنة .

كتب عبد الموفق النبوى خلد الله ملكه من مقرر خدمته بالمكان الفلانى ،
وأمر ما عُدق به ورد إلى نظره على أتم حال وأكله ، وأحسن نظام وأجمله ؛ بسعادة
مولانا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى جدّه وآبائه الطاهرين . العبد يُنبئ
أنه لو أخذ في شكر المنن التى تُرقّيه فى كل يوم لهضاب بعيدة المرتقى ، وتورده جمات
قريبة المستقى ، وتوجب على لسانه أن يبذل جهد من أسترسل وعلى قلبه أن يبذل
جهد من أتى ؛ لقصر به الوصف ، وأعياء من ورق الجنة الخصف ؛ وكيف يُجارى
من يده ديمة الله بقلبه ، أو كيف يترج بحر الجود الذى يمدّه سبعة أبحر نعمه ،
ولما ورد عليه التشرىف بالسؤال الذى أحياء بنسيم روحه ، ونفخ فيه من روحه ؛
فوقع له ساجدا ، وثاب إلى السجود عائدا ؛ وبذل مع ضراعتة الابتال جاهدا ،
وأخلص فرض الولاء معتقدا ورفع لواء الحمد عاقدا ؛ وكشف عنه الضر ، وأطلعت
على وجهه النعم الغز ، وتكافأت الأنداد فى محل عيشه فلى الحلو ومرّ المتر ؛ وأتتهى
من الدعوات إلى ما أتتهى به المرض ، وتقلل منه الجوهر الذى عُزل به العرض ،
وصالح بمهجته السهام التى نقد بها الغرض ؛ وكاد يشاهده مرتفعا به الضنى والألم ،
وفعلت أنواره فى ظلمته ما لا تفعل الأنوار فى الظلم ؛ ولم يردّ قبله حلو الأول والآخِر ،
مأمون الموارِد والمصادر ، مضمون الشفاء فى الباطن والظاهر ، عادت القلوب
على الأجسام بفضله ، وسطت العافية على الأسقام بفضله بل بفضله ؛ والله سبحانه
يملكه أعناق البلاد ، كما أجرى على يديه أرزاق العباد ، إن شاء الله تعالى . وكتب
فى يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا .

الطرف السادس

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم

إلى خلفاء بني أمية بالأندلس)

وكانت المكتبة إليهم بالافتتاح بالدعاء بطول البقاء، مع الإطباب في الإطراء في شأن الخليفة ومدحه والثناء عليه والدعاء له ، والخطاب فيه للخليفة بأمر المؤمنين منعوتاً بمولاي وسيدى ونحو ذلك ؛ والتعبير عن المكتوب عنه بلفظ الوحدة من ناء المتكلم ونحوها . كما كتب أبو المطرف بن المنثني من إنشائه عن المنصور إلى هشام ابن الحكم يخبره بمرىان الصلح بينه وبين الموفق ، بعد ما كان بينهما من عداوة :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ! مولاي وسيدى وسيد العالمين ، وآبن الأئمة الراشدين ؛ عزيزاً سلطاناً ، مُنيراً زمانه ؛ ساميةً أعلامه ، ماضيةً أحكامه ؛ ظاهرًا على من ناواه ، قاهرًا لمن عاداه ؛ كما يحبُّ - أيد الله أمير المؤمنين مولاي وسيدى على أحسن ما يكون عليه .

العبدُ المخلص ، والمولى المتخصَّص ؛ الذى حسن مُضمره ، وأستوى سِرهُ وجَهْرهُ ؛ ولاح استبصاره وجِدَهُ ، وتناهى سعيه وجُهدهُ ؛ فى مضمار الجرى إلى الطاعة ، وبذل إذعانه وأنقياده ، وأستعبد إمكانه وإجهاده ؛ فيما يفي بتمكين الإمامة المهدية ، والخلافة المرصية ، ويسدُّ مبانى المملكة المصدقة لتبشير اليمن والبركة ؛ والله سبحانه ولىّ العون والتأييد ، والملىّ بالتوفيق والتسديد ، لاربِّ غيره .

وبعد - أبقى الله أمير المؤمنين - فإن كتابى إليه سلف مُعرباً عن النَزعة التى كانت بينى وبين الموفق مملوكه ، وقديما نَزغ الشيطان بين المرء وصديقه ، والأخ وشقيقه ؛ وضربَ ساعياً بالتشتيت والتشغيب ، والتباعد والتقريب ؛ بين الأب الحانى الشفيق ،

والأبن البر الرفيق ؛ ثم يعود ذُو البصائر والنهى ، وأولو الأحلام والحجبا ؛ إلى ما هو
 للشحناء أذهب ، وبالتجامل أولى وأوجب . وكتابى هذا وقد نسخ الله بيننا آية
 الاقتراق ، بالاتصال والاتفاق ؛ ومحاسنة التباين والخلاف ، وبدؤ التآلف والإنصاف ؛
 وعادت النفوس إلى صفائها ، وأنطوت على وفائها ؛ وخبث نار الفتنة ، وأمتد رواق
 الهدنة ؛ وثبتت الأسباب الراسخة ، والأواصر العاطفة بأزمة قلوبنا إلى معاهد الخلة
 القديمة ، ومواطن العشرة الكريمة ؛ والمعروف من الامتزاج فى كل الأحوال والتشابك
 وجلاء الشك باليقين ، وقرت بالانتظام العيون ، وصرنا فى القيام بدعوة أمير المؤمنين
 مولانا سيدنا رضى لىبان ، وشريكى عنان ؛ وألفى تناصر ، وحليفى تطافر ؛ فنحن
 عن قوس واحدة فى بُصرتها نرمى ، ومن ورائها ندودُ جاهدين ونمضى ؛ قد قُتْنَا الحِيَادَ
 فى السبق إلى الطاعة ، وأحرزنا قَصَبَ السبق فى المظاهرة والمشايعه ؛ فما نَقُتْنا نسعى
 فى تمهيدها ونذهب ، ولا ننْفَكُ نَكْدَحُ لها ونَنْصَبُ ؛ والله الكفيل بانجادنا بعزته
 وقُدرته ، وحوله وقوته ؛ لا إله إلا هو .

وإن الذى عقده الله تعالى لنا ، وحسمه من دواعى القطيعة عنا ؛ ما أطرد وتأثى ،
 وسنح وتها إلا بسعد طائر أمير المؤمنين سيدنا ومولانا أعزه الله ، ويمن نقيته ،
 فمن تمسك بعروته وعاد بعصمته ، فقد فاز قدحه ، وتبلغ فى ظلم الأمور صُبْحُه ؛
 وأستدل بأوضح الدليل ، وعرض بالرأى الأصيل ؛ وأستنار بأضواء سراج ، وسلك
 على أقصِدِ منهاج ؛ ولم يزايل الرِشَادُ آراءه ، وصاحب السداد أنحاءه . والله تقدس اسمه
 لا يزال يعترفنا من سعادة الدعوة الزكية ما يصلح به أحوالنا ، ويُفسيح به آمالنا ، بمنه .

ولما أتاح الله من السلم ما أتاحه ، وأزاح من المكروه ما أزاحه ؛ لم أجد فى فُسحة
 ولا غنى ولا سعة ؛ من إطلاع أمير المؤمنين مولائى وسيدى من ذلك على الحليّة ،

وإعلامه بالصورة؛ فأنهضت إلى حضرته العالية ذا الوزارتين عبد الرحمن بن مطروح
رسولى وعبدى وخاصتى مملوكه لينهى إليه الحال على حقيقتها، ويوفىها بكائيتها؛
وأقرن به رسول الموفق، متحملاً مثل ما تحمله رسولى، ومتقلداً كالذى تقلده؛
ولأمير المؤمنين مولاي وسيدى الفضل العميم فى الإصغاء إليهما، والوعى عنهما،
والسماع منهما جميع ما يؤردانه ويوضحانه، ويستوفيانه ويشرحانه، والتطوّل
بالمراجعة فيه، بما يستوجبُه ويقتضيه، واصلاً لعز مننه وأياديه؛ إن شاء الله تعالى .

الطـرف السابع

(فى المكتبة الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب، القائم بقاياهم الآن بتونس
وما معها من سائر بلاد أفريقيا . وفيه ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن تُفتَح المكتبة بالدعاء، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(أن تكون المكتبة من ملك آخر)

والرسم فيه أن تُفتَح بالدعاء المناسب للحال، ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بنون
الجمع ويخاطب المكتوب إليه بأمير المؤمنين . كما كتب القاضى الفاضل عن السلطان
«صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن :
أحد خلفائهم فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة، يستجيشه على الروم الفرنج القاصدين
بلاد الشام والديار المصرية، وهو :

فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين ، وسيد العالمين ، وقسيم الدنيا والدين ؛
أبواب الميكن ، وأسباب المحاسن ؛ وأحلّه من كفايته في الحرم الآمن ، وأنجزه
من نصرة الحق ما الله له ضامن ، وأصلح به كلّ رأى عليه الهوى رائن ؛ ومكّن له
في هذه البسيطة بسطه ، وزاده بالعلم غبطه ؛ حتى يكون للأنبياء بالعلم وللأرض
بالعزم وارثا ، وحتى يُشيد بجادٍ قديما من مجده الذى لا يزال بفضّ الحديث حادنا .

كان من أوائل عزّمتنا وفواتح رأينا عند ورودنا الديار المصرية مفتوحة دولة سيدنا ،
وأن نتمن بمكاتبها ، وتزّين بمخاطبتها ؛ ونهض إليها أمائل الأصحاب ، ونستسقى
معرفتها استسقاء السحاب ؛ وننتجعها بالخواطر ونجعل الكتب رسلها ، وأيدى الرسل
سبلها ؛ ونمسك طرفا من جبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه ، ونمسح
غرة سبقي وارثها وارث نورها سلفه ؛ ونتجاذب أعداء الله من الجانبين ، لاسميا
بعد أن بُنينا عنه نياتين في نوبتين : فالأولى تطهير الأرضين المصرية واليمينية من ضلالة
أغضت عيون الأيام على قذاها ، وأنامت عيون الأنام بائعة يقظتها بكرها ؛ ونيابة
ثانية في تطهير بيت المقدس من كان يعارض برجسه تقديسه ، ويُرّج بيناء ضلاله
تأسيسه ؛ وما كان إلا جنة إسلام فخرج منها المسلمون خروج أبيهم آدم من الجنة ،
وأعقبهم فيها إبليس الكفر وما أجارته مما أعقبه اللعنه ، وما كانت لنا بذلك قوة
بل لله القوه ، ولا لنا على الخلق منة بل لله المنّة .

ولما حطّت لدين الكفر تيجان ، وحطّمت لذويه صُلبان ؛ وأخرس النافوس
الأذان ؛ ونسخ الإنجيل القراءن ؛ وفكّت الصخرة من أسرها ، وخفّ ما كان على
قلب الحجر الأسود بخفة ما كان على ظهرها ؛ وذلك أن يد الكفر غطّتها وعمرتها .
فله الحمد أن أحرم الصخرة بذلك البُنيان المحيط ، وطهرها ماطر من دم

الكُفْر وما كان يُطهرها البحر المحيط ؛ فهناك غلب الشرك وأتقلب صاغرا ،
واستجاش كافر من أهله كافرا ؛ وأستغضب أنفاره النافره ، وأستصرخ نصرانيته
المتناصرة ؛ وتظاهروا علينا وإن الله مولانا ، وطاروا إلينا زرافاتٍ ووحدانا ؛ فلم يبق
طاغية من طواغيتهم ، ولا أنفة من أنافيتهم ؛ إلا ألجم وأسرج ، وأجلب وأرهم ، ونخرج
وأخرج ، وجاد بنفسه أو بولده ، وبعده وبعده ؛ وبذات صدره وبذات يده ،
وبكتابه برّا ، وبمراكبه بحرا ؛ وبالأقوات للخيّل والرّجال ، والأسلحة والجُنّ لليمين
والشّمال ؛ وبالتقدين على اختلاف صنفيهما في الجمع ، وأتلاف وصفيهما في النّفع ؛
وأنهض أبطال الباطل ، من فارس وراجل ، ورايح ونابل ، وحافٍ وناعل ،
ومواقف ومقاتل ؛ كلٌ خرج متطوعا ، وأهطع مُسرعا ، وأتى متبرعا ، ودعا نفسه قبل أن
يُسَدَّعى ؛ وسعى إلى حتفها قبل أن يُسْتَسعى ؛ حتّى ظنّا [أن] في البحر طريقا يسّا ،
وحثّ تيقنا أن ماوراء البحر قد خلا وعسا ؛ وقلنا : كيف تترك ، وقد علم أنه يُدرَك ؛
وزادت هذه الحشود المتوافيه ، وتجاغت عنها الهمم المتجافيه ؛ وكثرت إلى أن خرجت
من سجن حصرها ، ومستقر كفرها ، وبقية نعرها - وهو صور - فنازلت نغرا عكا
في أسطول ملك بحره ، وجمع سلك برّه - فهضنا إليه ، ونزلنا عليهم وعليه ؛ فضرب
معنا مصاف قتلت فيه فرسانه ، وجذلت شجاعته ، وحذلت صلبانه ؛ وساوى الضرب
بين حاسر القوم ودارعهم ، وبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ؛ فهناك
لأدوا بالخنّادق يحفرونها ، وإلى الستائر ينصبونها ؛ وأخذوا إلى الأرض متناقلين ،
وحملوا أنفسهم على الموت متحاملين ، وظاهروا بين الخنادق ، وراوخوا بين المجانيق ؛
وكلما يُجَنُّ القتل من عددهم مائة أو صلها البحر من يصل وراءه بألف ، وكلما قلوا
في أعيننا في زحف ، قد كثروا فيما يليه من الزحف ؛ ولو أن دُرْبة عسا كرنا في البحر

كدرتبا في البر، لَجَلَّ اللهُ منهم الانتصاف وأستقلَّ واحدنا بالعشرة ومائتتا بالآلف؛ وقد أشتهر خروجُ ملوك الكُفَّار في الجمع الجَمِّ، والعدد الدُّهُم؛ كأنهم إلى نُصْبٍ يُوفِضُونَ، وعلى نارٍ يُعْرَضُونَ؛ ووصلهم على جهة القسطنطينية - يسر الله فتحها - على عزم الاتهام إلى الشام في مُنْسلَخ الشتاء ومستَهْل الصيف، والعساكر الإسلامية لهم تستَقِيل، وإلى حربهم تنتقل؛ فلا يُؤْمَن على ثغور المسلمين أن يتطرَّق العدو إليهم وإليها، ويقرَّغ لها ويتسلَّط عليها؛ والله من ورأيهم مُحِيط. وإذا قُسمت القوة على تلقِّي القادم وتوقِّي المُقيم، فربَّما أضر بالإسلام انقسامها، وتلَّه والعياذ بالله انثلامها. ولما تخَّض النظر زُبده، وأعطى الرأي حقيقة ما عنده؛ لم نرَ لمُكَاتَرَة البحر إلا بحرًا من أساطيله المنصورة فإنَّ عددها واف، وشطرها كاف؛ ويمكنه - أدام الله تمكينه - أن يمدَّ الشام منه بعدَّ كَثِيف، وحدَّ رَهِيف، ويعهد إلى واليه أن يُقيم إلى أن يَرْتَبِع ويَصِيف؛ ويمكنه أن يَكفَّ شطرا لأُسْطُول طاغية صِقْلِيَّة ليَحْصَّ جناح قُلُوعه أن تَطِير، ويَعْقِل عِبَابَ بَحْرِهِ أن يُغِير، ويعتقله في جزيرته، ويَجْرَى إليه قَبْلَ جَرِيرته؛ فيذهب سيدنا وعقبه بِشَرَفٍ ذِكْرٍ لا تُردُّ به المحامدُ على عَقِبها، ويُقيم على الكفر قِيامَةً يُطْلَعُ بها شمس النصر من مغربها؛ فإذا نفَذَ طريقه وعلم الناس بمَوفِدِهِ، أوردوا وأصدروا في مَورِدِهِ؛ وشخص المسلم والكافر: هذا ينتظرُ بُشْرَى البِدَار، وهذا يستطلع لمن تكونُ عُقْبَى الدار؛ وخاف وطأة من يصل من رجال المساء من وصل من رجال النار. ولو بزقت عليهم بازقة غريبة لأغرَقهم طوفانها، ولو طلعت عليهم جارية بحرية لنعقت فيهم بالشَّاتِ غربانها.

وما رأينا أهلاً لهذه العزِّمة إلا حضرة سيدنا أدام الله صدق محبة الخير فيه؛
(١)
إذ كان منحه عادة في الرضى به وقُدرة على الإجابة، ورغبة في الإجابة؛ ولاية لأمر

(١) كذا في الأصول ولم نثر عليها في رسائل القاضي الفاضل.

المسلمين، ورياسة للدنيا والدين، وقيامًا لسلطان التوحيد القائم بالموحدين؛ وغضبًا لله ولدينه، وبذلاً لمذخوره في الذب عنه دون ما عوده؛ والآن فقد خلا الإسلام بملائكته، لما خلا الكفر بشياطينه؛ وما أجلت السوابق إلا لإطلاقها، ولا أثلت الذخائر إلا لإتفاقها؛ وقد آستشرف المسلمون طلوعها من جهته المحروسة جارا من الأساطيل تغشى البحار، وليالي من المراكب تركب من البحر النهار؛ وإذا خفقت قلوبها خفقت للقلاع قلوب، وإذا تجافت جنوبها عن الموج تجافت من الملاعين جنوب؛ فهي بين ثغر كفر تعتقه وتحصره، وبين ثغر إسلام تفرج عنه وتنصره، يكون بها مصائب عند المسلمين(؟) وتظل قلائد المشركين لغربان بحره طرائد، ويمضي سيف الله الذي لا يعدم في كل زمان فيعلم معه أن سيف الله خالد؛ أعز الله الإسلام بما يزيد حضرة سيدنا من عزها، فيما مدد عليها من ظلها، وبما يسكنه من حرزها، فيما ينسط على الأعداء بها من بأسها ويترل بهم من رجزها، وبما يجرده من سيوفها التي تقطع في الكفر قبل سلها وهزها.

وقد أوفدناه على باب حضرة سيدنا، وهو الداعي المسمع، والمبلغ المقتنع، والمجمع المستجمع؛ علمناه أمرا يسرا، وبوأناه الصدر فكان وجها، وأودعناه السر فكان صدرا.

الضرب الثاني

(أن تكون المكاتبه صادرة عن بعض الأتباع)

والرسم فيه أن تفتتح المكاتبه بالدعاء بطول البقاء، مثل أن يكتب أحد أتباعه إليه؛ ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بلفظ الأفراد، وعن الخليفة بأمر المؤمنين. كما كتب أبو الميمون عن بعض أهل دولتهم إلى بعض خلفائهم جواب كتاب ورد بالكشف عن عامل ثغر شقورة.

« أطل الله بقاء أمير المؤمنين ، وناصر الدين والدنيا بفضله العَميم ؛ ولا برِحت مصالح العباد بباله الكريم جائلةً مائله ، وسيرته الحميدة لدانيهم وقاصيهم شاملةً كافله ، ولا زال الله في أرضه بالقسط قائماً ، وعلى ما ينفع الناس محافظاً دائماً .

كتبته - أيد الله أمره ! صدر جمادى الأولى ، سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، بعد أمثال ما حده ، والآنهاء إلى ماوجب الانتهاء عنده ؛ من أمر نغر شقورة حرسه الله ! على ما أنص مناقله ، وأعرض مراتبه ومنازله ؛ وذلك أن كتابه العزيز وافانى على يد رجل من أهلها فيه فصول رفعها ، وأحاديث سطرها وجمعها ؛ وأندرج الكتاب المرفوع بذلك طيه ، لينظر إليه من أدعى عليهم رفعه ، ويستبين حقيقته أو وضعه ؛ وبإبطاء هذا الرافع سبقته الأنباء ، واستقرت عند جمعها الأفاض والأئحاء ؛ فأجتمعوا إلى عاملهم فلان وفقه الله ، وحضرهم حاكم الجهة أبقاءه الله ؛ وتبعوا تلك الوجوه بالرد لها ، والإنكار على القائم بها ؛ وعقدوا في كل عقد منها عقداً يناقضه ، وأستظهروا بشهادات تنافيه وتعارضه ؛ وأندرجت العقود ، نابتة في كتاب الحاكم على السبيل المعهود في إثبات العقود ؛ فثبتت عندي لثبوتها عنده ، وخاطبوني مع ذلك متبرين من هذا الرافع ، واضعين له في عقله ودينه بأحطّ المواضع ؛ وصرّحوا بارتضايمهم بسيرة عاملهم وأغلباتهم بحمايته وسداد نظره ، وعلى تيفّة ذلك وصل هذا الرافع بالكتاب العزيز وما أندرج طيه على ما قدمت ذكره ؛ فاستأنفت النظر ، وأعدت العمل ، وخاطبت الحاكم والأعيان والكافة هنالك بما ورد في أمرهم ؛ وأردفت الكتاب المرفوع ليقفوا على نصّه ، وينظروا إلى شخصه ؛ فراجعوني أنّه لا مريد عندهم على ما قدموه ، ولا خلاف فيما تقدّوه وأحكموه ، وأحالوا على ما ثبت به العقود ، وهى من الناس المقاطع والحدود ؛ فأقتضى النظر إعلام أمير المؤمنين وناصر الدين أعلى الله أمره ، حسب ما حده ، بما وقعت عليه الحال ، ليرفع الإشكال ،

ولا يتعلق بهذه الحيلة البال ؛ وقد أدرجتُ إلى حضرته السامية الكتب المذكورة
لتعرض عليها ، وتستقر الحيلة منها لديها ؛ إن شاء الله .

وأندرجت العقود إلى الفقيه فلان قاضي الحضرة وفقه الله ، والله يشكر لأمر المؤمنين
واناصر الدين تحريه واجتهاده ، وتوفيقه وسداده ؛ ويؤالي من والاه ، ويكيد
من عاداه . ولو كانت الحال بشقورة على ماصوره هذا الرفع لما أنطوت عني أسرارها ،
ولا [خفيت على] على البعد أخبارها ؛ وسفوف إلى فلانة يين ، وهو متشرع متدين ،
وعضده على ما هو بسبيله في ذلك الثغر متعين ؛ والله يسر الجميع إلى ما يقضي
حقوق النعمة ، ويقيم فروض الخدمه ؛ بعونه وقدرته ! .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة بالقاب الخليفة نفسه ثم يؤتى بالصدر معبرا عن المكتوب
عنه بالعبد . ومخاطبا للخليفة بيمين الجمع للتعظيم ، ويختم الكتاب
بالسلام . وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يوصف الخليفة بالمقام)

كما كتب أبو الميمون أيضا عن بعض أهل دولتهم إلى الناصر لدين الله أحد
خلفائهم :

المقام الأعلى ، المقدس ، المكرم ، الإمامي ، الطاهر ، الزكي ، مقام الخليفة
المؤيد بنصر الله ، الإمام « الناصر لدين الله » كلاً الله جلّاهم ، وفيّاً لظلالهم ، وبواً
وفود السعود ووجود الظهور والصعود مواظهم المقدسة وحلائهم .

(١) كذا في الأصول وعليه علامة توقف ولعله وتعفف والى فلانة الخ والمراد براءته مما نسب إليه .

عندهم المتقلب في نعمتهم ، المتقرب إلى الله عز وجل بالمناصحة في خدمتهم ،
المتسبب إلى الزلنى عندهم بالترام طاعتهم ، والاعتصام بعصبتهم ، فلان .

كتب عبدُ المقام الأعلى ، والندي الذي أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
وأحتوى على الفضائل وأستولى ، من موضع كذا حماه الله تعالى ؛ وجنّاه لطاعتكم
قُطب ، ولسانهُ بشكر نعمتكم رطب ؛ فبتلك رجاء الفوز ، وبها ابتغاء نيل الآمال
والخوْز ؛ وكيف لا يطاوعه الجنان ، وشكر اللسان مستمداً لإدراك الإحسان ؛ وللمقام
الأسنى عوارف ، لا يتقلص ظلها الوارف ، وقطرات بالرحمة مسطرات بمذرار سبحانها
الواكف ؛ وقد كانت للعبد سهام ، فاضت عليه بها من النعمة رهام ؛ ثم جَزَرَ الماءُ
باسترجاعها الآن ، وسقى العبدُ بانتزاعها كأس الحزن مَلَأَتْ ؛ وردت لك بهذه
الجهة أنقطاع المواساة ، وأمتناع الألسن بالمكابدة لشطف العيش والمقاساة ؛
وإلى المقام الأعلى الأسنى نفزع حين نفزع ، ونذهب حين نرجو ونزهب ، ولنجا
فلا تؤخر طلبائناً ولا تُرجأ ، وخدمة العبد هذه تتوب عنه في تقبيل ذلك المقام الأسنى ،
والتعرض لما عهد لديه من نفحات الرضى ، والتضرع في إدراك ما جَزَرَ من تلك
المنة ، وغِيْض من فيض تلك النعمى ؛ ويُنبى من رغبته في بركة تلك الأدعيه ،
التي هى للخيرات كالأوعيه ؛ ما يرجوه بشفاعه تأكّد الأمتنان ، ومجرد عوارف الرأفة
والحنان ؛ إن شاء الله تعالى .

والرب تعالى يُبقي المقام الأعلى والنصر له مظاهر ، والخير لديه متظاهر ،
والسعد لوليّه ناصر ، ولعدوه قاهر ، بحول الله تعالى وقوته لا ربّ غيره ، ولا خير
إلا خيره ، والسلام .

الضرب الثاني

(أن يعبر عن الخليفة بالحضرة)

كما كتب أبوالمطوف بن عميرة عن صاحب أرغون من الأندلس إلى المستنصر بالله أحد خلفائهم ، يستأذنه في وفادة صاحب أرغون من الأندلس أيضا على أبواب الخلافة مغاضبا لأهل مملكته :

الحضرة الإمامية المنصورة الأعلام ، الناصرة للإسلام ، المخصوصة من العدل والإحسان بما يحلونه نوره متراكم الإظلام ؛ حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، أبي يعقوب آبن سادتنا الخلفاء الراشدين ؛ وصل الله لها إسعاد القدر ، وإنجاد النصر والظفر ؛ ولا زال مقامها الأعلى سامي النظر ، مبارك الورد والصدر ؛ ويفيض منه الجود ، فيض المطر ، ويحيط به السعود ، إحاطة الهالة بالقمر .

نساء أيامها الغز ، وربى إنعامها المواظب على الحمد والشكر ، المشرف باستخدامها الذي هو نعم العون على التقوى والبر ، عبدها وآبن عبدها فلان .

سلام الله الطيب المبارك وتحياته ، تخص المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله وبركاته . وبعد فكتب العبد - كتب الله للمقام الأعلى فتوحا يعم جميع الأمصار ، وسعودا يفيض بقل السمر الطوال والبيض القصار - من بلنسية ، وبركاته تظهر ظهور النهار ، وتفيض على البلاد والعباد فيض الأنهار ، فأنخلق من واري في سلسالها المعين ، وراج للذي منها وهو من رجائه على أوضح مراتب اليقين ؛ والله يبقى عز الإسلام ببقائه ، ويعيننا على آمتثال أوامره المباركة معشر عبيده وأرقائه ! بمنه .

(١)
وقد تقرر له من المقام الكريم - أدام الله علوه ، وكبت عدوه ؛ أمر بالسك -
وطال ماله في البلاد الأرغونية من زعامة في شأوها برز ، ولغايتها أحرز ؛ وكان
قد كفّل صاحب أرغون في الزمان المتقدم كفالة دار أمرها عليه ، وألّقي زمامها
إليه ؛ وتفرد منها بعبد وحمله ، وخطة بلغ منها أمله ؛ ثم إنه حطّ من رتبته ،
وتأكدت المبالغة في نكته ؛ لقضية عرضت له مع أهل أرغون ، فلفظته تلك
الجنّات ، وأزعجه أمر لم يمكنه عليه الثبات ؛ ورأى أن يلجأ بحاله إلى المقام الباهر
الأنوار ، العزيز الحوار ؛ فواصل هذا الموضع قبل مقدّم العبد عليه ، مقرراً ما نزل به ،
ومستأذناً في الوجه الذي تعرّض لطلبه ؛ فأذن له في مقصده ، وأنصرف عن التأهب
للحركة من بلده ؛ ثم لما وصل العبد هذه الجهة وفرغ هو من شأنه أقبل متوجّهاً إلى
الباب الكريم ، ومتوسّلاً بأمله إلى فضله العميم ؛ والظاهر من حقّه على أهل أرغون
وشدة عداوته لهم ، وما تأكّد من القطيعة بينه وبينهم ؛ أنه إن صادف وقت فتنة
معههم ووجد مايؤمّله من إحسان الأمر العالى أيّده الله فينتهي من نكايتهم والإضرار
بهم إلى غاية غريبة الآثار ، مُفضية به إلى درك النار ؛ وكثير من زعماء أرغون
ورجالها أقاربهُ وفُرسانه ، وكلّهم في حبّله حاطب ، ولا نجاده متى أمكنه خاطب ؛
وللقام الكريم أعلى الرأي فيه أبقاه الله شافياً للعِلل ؛ وكافياً طوارق الخطب الجلل ،
مأمولاً من ضروب الأمم وأصناف الملل ، وهو سبحانه يُديم سعادة جدّه ، ويخصّه
من البقاء الذي يسرّ أهل الإيمان ويضعف بهجة الزمان بأطولهِ وأمدّه ،
والسلام .

الأسلوب الثالث

(أن تُفتَح المكتبةُ بأوصاف الخلافة والثناء عليها، والخطابُ فيه بأمير المؤمنين وعن المكتوب عنه بنون الجمع)

وهذه المكتبة من المكاتبات البديعة المُسفرة عن صُبح البلاغة .

ونسختُها بعد البسملة على ما كتب به ابن الخطيب عن سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس إلى المستنصر بالله أبي إسحاق إبراهيم خليفة الموحدين يومئذ بالأندلس . والاستفتاح :

الخلافة التي أرتفع عن عقائد فضلها الأصيل القواعد الخلاف ، واستقلت مباني نحرها الشائع وعزها الذائع على ما أسسه الأسلاف ؛ ووجب لحقها الجازم وفرضها اللازم الاعتراف ؛ ووسعت الآملين لها الجوانب الرحية والكثاف ، فامتزجنا بعلائها المنيف ، وولآئها الشريف ، كما أمتزج الماء والسلاف ؛ وثأؤنا على مجدها الكريم ، وفضلها العميم ، كما تأرجت الرياض الأفواف [لما زارها الغمام الوكاف^(١)] ودعأونا بطول بقائها ، واتّصال علائها ، يسمو به إلى قرع أبواب السموات العلاء الاستشراق ؛ وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة ، وفواضلها العميمة ، لاحتصره الحدود ولا تدركه الأوصاف ؛ وإن عذر في التقصير ، عن نبيل ذلك المرام الكبير ، الحق والإنصاف . خلافة وجهه تعظيمنا إذا توجهت الوجوه ، ومن تؤثره إذا همنا ما نرجوه ، ونفديه ونبديه إذا استمنح المحبوب وآستدفع المكروه ؛ السلطان [الخليفة^(١)] الجليل ، الكبير ، الشهير ، الامام ، الهام ، الأعلى ، الأوحد ، الأصعد ، الأسعد ، الأسمى ، الأعدل ، الأفضل ، الأسنى ، الأطهر ، الأظهر ، الأرضى ، الأحفل ، الأكل ، أمير المؤمنين أبي إسحاق

(١) الزيادة من كتاب "ريحانة الكتاب" المخطوط المحفوظ بدار الكتب الخديوية تحت نمرة ٤ أدب ش .

أَبْنُ الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ الْبَاطِلِ الْهَامِ، عَيْنُ الْأَعْيَانِ، وَوَاحِدِ الزَّمَانِ، الْكَبِيرِ، الشَّهِيرِ،
الطَّاهِرِ، الظَّاهِرِ، الْأَوْحَدِ، الْأَعْلَى، الْحَسِيبِ، الْأَصِيلِ، الْأَسْمَى، الْعَادِلِ،
الْحَافِلِ، الْفَاضِلِ، الْمَعْظَمِ، الْمَوْقَرِّ، الْمَاجِدِ، الْكَامِلِ، الْأَرْضَى، الْمُقَدَّسِ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَبِي يُحْيَى أَبِي بَكْرٍ، أَبْنِ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ، الْجَلِيلِ، الرَّفِيعِ، الْمَاجِدِ، الظَّاهِرِ، الطَّاهِرِ،
الْمَعْظَمِ، الْمَوْقَرِّ، الْأَسْمَى، الْمُقَدَّسِ، الْمَرْحُومِ أَبِي زَكْرِيَّا، أَبْنِ الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ، الْمَجَاهِدِ الْهَامِ
[الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ، الْخَطِيرِ، بَطْلِ الْمِيدَانِ، مَفَخَّرِ الزَّمَانِ، الطَّاهِرِ الظَّاهِرِ، الْأَمْضَى الْمُقَدَّسِ
الْأَرْضَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي إِسْحَاقَ أَبْنِ الْخَلِيفَةِ ^(١) الْهَامِ الْإِمَامِ ذِي الشَّهْرَةِ الْجَامِحَةِ، وَالْمَقَانِرِ
الْوَاضِحَةِ، عِلْمِ الْأَعْلَامِ، نَخْرِالِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ، الْمَعْظَمِ، الْمَجْدِّ، الْمُقَدَّسِ، الْأَرْضَى،
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَكْرِيَّا أَبْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ
أَبْقَاهُ اللَّهُ. وَمَقَامِهِ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ رِزْقًا وَأَمَانًا، لَا يَخْصُ جَلْبُ الثَّرَاتِ إِلَيْهِ وَقْتًا وَلَا يُعَيِّنُ
زَمَانًا، وَكَانَ عَلَى مَنْ يَخْطُفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِ مُؤَيِّدًا بِاللَّهِ مُعَانًا. مَعْظَمُ قَدْرِهِ الْعَالَى
عَلَى الْأَقْدَارِ، وَمُقَابِلُ دَاعِي حَقِّهِ بِالْإِبْتِدَارِ، الْمُثْنَى عَلَى مَعَالِيهِ الْمَخْلُودَةِ الْآثَارِ،
فِي أَصُونَةِ النَّظَامِ وَالنَّتَارِ، ثَاءُ الرُّوضَةِ الْمُعْطَارِ عَلَى الْأَمْطَارِ، الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ بِطَوْلِ
بِقَائِهِ فِي عِصْمَةِ مَنْسِدِلَةِ الْأَسْتَارِ، وَعِزَّةٍ ثَابِتَةِ الْمَرْكَزِ مُسْتَقِيمَةِ الْمَدَارِ، وَأَنْ يَخْتَمَ لَهُ
بَعْدَ بُلُوغِ غَايَاتِ الْأَجَالِ وَنَهَايَاتِ الْأَعْمَارِ، بِالزُّلْفَى وَعُقْبَى الدَّارِ.

سَلَامٌ كَرِيمٌ كَمَا حَمَلَتْ نَسَمَاتِ الْأَنْجَارِ، أَحَادِيثَ الْأَزْهَارِ، وَرَوَتْ تُغُورَ الْأَقَاخِي
وَالْبَهَارِ، عَنْ مَسَلْسَلَاتِ الْأَنْهَارِ، وَتَجَلَّى عَلَى مَنَصَّبَةِ الْأَشْتِهَارِ، وَجْهَ عُرُوسِ النَّهَارِ،
[يَخْصُ خِلَافَتَكُمْ الْكَرِيمَةَ النَّجَارَ ^(١)] الْعَزِيزَةَ الْجَارِ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَخْفَى حِكْمَتَهُ الْبَالِغَةَ عَنْ أَذْهَانِ الْبَشَرِ، فَعَجَزَتْ عَنْ قِيَاسِهَا،
وَجَعَلَ الْأَرْوَاحَ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ، أَجْنَادًا مُجَنَّدَةً تَحْنُ إِلَى أَجْناسِهَا. مُجَدِّ هَذِهِ

الملة ، من أولياته الحِلَّة ، بمن يروض الآمال بعد شماسها ، وييسر الأغراض قبل التماسها ، ويعنى بتجديد المودات في ذاته وابتغاء مرضاته على حين إخلق لباسها ، الملك الحق واصل الأسباب بحوله بعد انتكاث أمراسها ، ومغنى النفوس بطوله بعد إفلاسها - حمدا يدر أخلاف النعم بعد إلباسها ، ويثبترم الآمال من أرماسها ، ويقدس النفوس بصفات ملائكة السموات بعد إلباسها .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله سراج الهداية ونيراسها ، عند أقتناء الأنوار وأقتباسها ، مطهر الأرض من أوضارها وأدناسها ، ومُصطفى الله من بين ناسها ، وسيد الرسل الكرام ما بين شيثها وإلباسها ، الآتي مهمينا على آثارها في حين قترتها ، ومن بعد نصرتها وأستثناسها ، مُرغم الضراغم في أخياسها ، بعد أفتزارها وأفتراسها ، ومعفر أجرام الأصنام ومُصميت أجزاسها .

والرضا عن آله وأصحابه وعترته وأحزابه حمة شرعته البيضاء وحراسها ، وملقحي غراسها ، ليوث الوغى عند احتدام مراسها ، ورهبان الرجاء نتكفل بمناجاة السميع العليم ، في وحشة الليل البهيم ، بإيناسها ، وتفاوح نواسم الأسفار عند الاستغفار بطيب أنفاسها .

والدعاء لخلافكم العلية المستنصرية بالسعادة التي تشعشع أيدي العزة القعساء من أكواسها ، ولا زالت العصمة الإلهية كفيلة باحترامها واحتراسها ، وأنباء الفتوح ، المؤيدة بالملائكة والروح ، ريجان جلاسها ، وآيات المفارح ، التي ترك الأول للآخر ، مكتبة الأسطار بأطراسها ، وميادين الوجود مجالا لجياد جودها وباسها ، والعز والعدل منسوين لفسطاطها وقسطاسها ، وصفيحة النصر العزيز تفيض كفتها المؤيدة بالله على رياسها ، عند أحتياج أصدادها وشرة إنكاسها ، لآتهاب البلاد وأنتاسها ، وهبوب رياح رياحها وتمرد مرداسها .

فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من كتّاب نصره أمداداً تُدَعْنُ أعناقُ الأنام،
 لطاعة ملككم المنصورِ الأعلام ، عند إحساسها ، وآتاكم من آيات العِناياتِ آيةً
 تُضْرِبُ الصخرةَ الصّماءَ من عصاها بعصاها فتُبَادِرُ بانجاسها - من حمراءِ غُرناطة -
 حرسها الله - وأيامُ الإسلام ، بعناية الملك العَلّام ، تحتفل وفودُ الملائكة الكرام
 لولائهما وأعراسها ، وطواعينُ الطّعان ، في عدوّ الدين المُعان ، تجددُ عهدُها
 بِعامِ عَمَواِسِها .

والحمدُ لله حمداً يُعيدُ شوارِدَ النّعم ، ويستندِرُ مواهِبَ الجُودِ والكرّم ، ويؤمّنُ من
 أنتكّابِ الجُدودِ وأنتكاسِها ، ولىّ الآمالِ ومكاسِها . وخلافتكم هي المثابّة التي
 يُزهِى' الوجودُ بحاسنِ مجدها زهو الرّياضِ بوردها وآسها، وتُسَمِّدُ أضواءُ الفضائل من
 مِقْباسِها ، وتُروى رُواةُ الإفادة والإجادة غريبَ الوجادة عن صَحّاكها وعِبّاسِها ،
 وإلى هذا أعلى الله معارجَ قَدْرِكُم وقد فَعَلَ، وأنطق بِحُجَجِ نَفْرِكُم من أحتفى' وأنتعل ؛
 فإنّه وصلنا كتّابكم الذى حَسَبناه على صنائع الله لنا تيممةً لا تَلْقَعُ بعدها عَيْنٌ، وجعلناه
 على حُلّ مواهِبه قِلادةً لا يُحتاج معها زَيْنٌ، ودَعَوناه من جِيبِ الكِتابَةِ آيةً بيضاءَ الكِتابَةِ
 لم يبق معها شكٌ ولا مَينٌ ، وقرأنا منه وثيقةً ودَّ هُضِمَ فيها عن غَريمِ الزمانِ دينٌ ؛
 ورأينا منه إنشاءً، خَدَمَ اليراعُ بين يديه وشاء، وأخترعَ بهميّان عُقدته مَشَاءً، وسئِلَ
 عن معانيه الاختراعُ فقال : إنا أنشأناهُنَّ إنشاءً ؛ فأهلاً به من عربى' أتى يصف
 السانح وألبانه ، ويُبَيِّنُ فبحُسنِ الإبانَةِ أدّى الأمانة ، وسئِلَ عن حيّه فانتقى' إلى كَنّاه ؛
 وأفصحَ وهو لا يَنبَسُ ، وتهلّلت قَسَماته وليلُ حَبْرِهِ يَعْبَسُ ؛ وكانَ خاتمةَ المُقفلِ على
 صَوّانه ، المُتخَفِّ بباكرِ الوَرْدِ في غيرِ أوّانه ، رَعَفَ مِنْ مسكِ عُنوانه . والله من قَلَمٍ

دَجَّجَ تلكَ الحُللَ ، ونَقَعَ يُحَاجِ الدَّوَاةَ المُسْتَمِتَّةَ من عَيْنِ الحَيَاةِ الغُللَ ؛ فلقد تخارق
 في الجُودِ ، مُقْتَدِيًا بالخِلافةِ التي حُلِّدَ نَفَرُهَا في الوجودِ ؛ فجَادَ بِسِرِّ اليَّانِ وُلبَّاهُ ،
 وَسَمَحَ في سَبِيلِ الكَرَمِ حَتَّى بَمَاءِ شَبَابِهِ ؛ وَجَمَعَ لِفِرطِ بَشَاشَتِهِ وَفَهَامَتِهِ ، بعدَ شَهادَةِ
 السَّيْفِ بِشَهَامَتِهِ ، فَنَشَى 'من التَّرحيبِ في الطَّرْسِ الرَّحِيبِ 'على' أُمِّ هَامَتِهِ .

وَأَكْرَمَ بِهِ من حَكِيمٍ أَفْصَحَ بَمَلْغُوزِ الإِكْسِيرِ ، في اللفظِ اللَّيْسِيرِ ، وَشَرَحَ بِلِسَانِ
 الخَبِيرِ ، سِرَّ صِنَاعَةِ التَّدْيِيرِ ؛ كَأَنَّمَا خَدَمَ الْمَلَكَةَ السَّاحِرَةَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ ، قَبْلَ أَشْتِجَارِ
 الْجِلَادِ ، فَاتَّرَتْهُ بِالطَّارِفِ من سِحْرِهَا وَالتَّلَادِ ؛ أَوْ عَثَرَ بِالمَعْلَقَةِ ، وَتِيكَ الْقَدِيمَةِ الْمُطْلَقَةِ ؛
 بِدِفْنَةِ دَارِ ، أَوْ كَتَرَتْ حَتَّى جِدَارِ ، أَوْ ظَفَرَ لِبَانِي الْحَنَايَا ، قَبْلَ أَنْ تَقْطَعَ بِهِ عَن أَمَانِيَّةِ
 الْمَنَايَا ، بِبِدْيَعَةٍ ، أَوْ خَلَفَ جَرَجِيرَ الرُّومِ ، قَبْلَ مَنَازِلَةِ الْقُدُومِ ، عَلَى وَدِيعِهِ ؛ أَوْ أَشْهَمَهُ
 أَبْنُ أَبِي سَرْحٍ ، فِي نَسَبِ اللَّفْطِ وَسَرْحٍ ؛ أَوْ حَتَمَ لَهُ رَوْحَ بَنِ حَاتِمٍ بِبُلُوغِ الْمَطْلَبِ ،
 أَوْ غَلَبَ الْحُظُوظَ بِخِدْمَةِ آلِ الْأَغْلَبِ ؛ أَوْ خَصَّه زِيَادَةُ اللَّهِ بِمَزِيدِ ، أَوْ شَارَكَ الشَّيْعَةَ
 فِي أَمْرِ ابْنِ أَبِي يَزِيدٍ ؛ أَوْ سَارَ عَلَى مِناهِجِ ، فِي مُنَاصَحَةِ بَنِي صِنَاهِجِ ، وَفَضَحَ بِتَخْلِيدِ
 أُمْدَاحِهِمْ كُلِّ هَاجِ .

وَأَعْجَبْ بِهِ ! وَقَدْ عُرِّزَ مِنْهُ مِثْنَى الْبَيَانِ بِثَالِثِ ، بِخَلَبِ سِحْرِ الْأَسْمَاعِ ، وَاسْتَرْفَاقِ الطَّبَاعِ
 بَيْنَ مِثْنَى الْإِبْدَاعِ وَمِثَالِثِ . كَيْفَ أَقْتَدَرَ عَلَى هَذَا الْمُجِيدِ ، وَنَاصَحَ مَعَ التَّثْلِيثِ مَقَامَ
 التَّوْحِيدِ ؛ نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَلِيَّ الْعَوْنِ ، عَلَى الصَّمْتِ وَالصُّوْنِ ، فَالْقَلَمُ هُوَ الْمَوْحَدُ قَبْلَ
 الْكَوْنِ ، وَالْمُتَصِفُ مِنْ صِفَاتِ السَّادَةِ ، أَوْلَى الْعِبَادَةِ ، بِضُمُورِ الْجِسْمِ وَصُفْرَةِ
 اللَّوْنِ ؛ إِنَّمَا هِيَ كَرَامَةٌ فَارُوقِيَّةٌ ، وَأَنَارَةٌ مِنْ حَدِيثِ سَارِيَّةٍ وَبَقِيَّةٍ ؛ سَفَرُ وَجْهِهَا
 فِي الْأَعْقَابِ ، بَعْدَ طُولِ الْإِتْقَابِ ، وَتَدَاوُلِ الْأَحْقَابِ ، وَلِسَانُ مُنَابٍ ، عَنْ كَرِيمِ
 جَنَابٍ ؛ وَإِصَابَةُ السَّهْمِ لِسِوَاهُ مُحْسُوبَةٍ ، وَإِلَى الرَّامِي الَّذِي سَدَّدَهُ مَنَسُوبَةٍ ؛ وَلَا تُشْكِرُ

على الغمام بارقه ، ولا على المتحققين بمقام التوحيد كرامة خارقه ، فما شاءه الفضل من غرائب رُوحه ، ومحارِبِ خُلُقِ كريم رُكع الشكر فيها وسجد . حديقه بيان استنارت نواسم الإبداع من مهبها ، واستارت غمام الطباع من مصبها ، فأتت أكلها مرتين بإذن ربها ؛ لا ، بل كتيبة عز طاعت بقنا الألفات سطورها ، فلا يرومها التقد ولا يطورها ، ونزعت عن قسي الثنونات خطوطها ، وأصطفت من بياض الطرس وسواد النقش بُلُق تحوطها .

فكأس المدير ، على الغدير ، بين الخورنق والسدير ؛ تقامر بنرد الحباب ، عقول ذوى الألباب ، وتغرق كسرى فى العباب ، وتهدى وهى الشمطاء نشاط الشباب ؛ وقد أسرج ابن سريج وألحم ، وأفصح الغريص بعد ما جمجم ، وأعرب النسائى الأعجم ؛ ووقع مَعْبَد بالقضيب ، وشرعت فى حساب العقد بنائ الكف الحضيبي ؛ وكأن الأنامل فوق مثاليث العود ومثانيه ، وعند إغراء الثقيل بثانيه ؛ وإجابة صدى الغناء بين مغانيه ؛ المرأود تشرع فى الوشى ، أو العناكب تُسرع فى المشى ؛ وما الخبر بنيل الرغائب ، أو قدوم الحبيب الغائب ؛ لا بل إشارة البشير ، بكم المشير على العشير . بأجلب للسرور ، من زائره المتلق بالبرور ؛ وأدعى للعبور ، من سفيره المبهج للسفور ؛ فلم نر مثله من كتيبة كتاب تُجنب الجرد ^(١) [تمرح] فى الأرسان ، وتشتوف مجالى ظهورها إلى عرائس الفرسان ؛ وتهز معاطف الأرياح ، من صهيلها الصراح ، بالنغمات الحسان ، إذا وجدت الصريح نازعت أثناء الأعنة ، وكاثرت بأسنة آذانها مُسرعة الأسنة ، فإن أدعى الظلم أشكاه فهو ظالم ، أو نازعها الظبي هو أدبها وأكفالمها فهو هاذي أو حالم ، وإن سُئل عن عيوب الغرر والأوضح ، قال مشيرا إلى وجوها الصباح ، جلدة بين العين والأنف سالم ؛ من كل عبل الشوى ،

(١) الزيادة من "الريحانة".

مُسَابِقٍ لِلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ، سَامِي التَّلِيلِ، عَرِيضَ مَا تَحْتَ الشَّلِيلِ، مَمْسُوحَةٍ أَعْطَاهُ
بِمَنْدِيلِ النَّسِيمِ الْبَلِيلِ : مِنْ أَحْمَرَ كَالْمُدَامِ، تُجَلَّى عَلَى النَّدَامِ عَقِبَ الْفِدَامِ، أُتْحَفَ
لَوْنُهُ بِالْوَرْدِ، فِي زَمَنِ الْبَرْدِ، وَحَيَّ أَفُقُ حُيَّاهُ بِكُوكَبِ السَّعْدِ، وَتَشَوَّفُ الْوَاصِفُونَ
إِلَى عَدِّ مَحَاسِنِهِ فَأَعَيْتُ عَلَى الْعَدِّ، بِحُرِّ سَاجِلِ الْبَحْرِ عِنْدَ الْمَدِّ، وَرِيحُ تَبَارَى الرِّيْحِ عِنْدَ
الشَّدِّ، بِالذَّرَاعِ الْأَشَدِّ، جَحَمَ لَهُ مَدِيرُ فَلَكِ الْكَفَلِ بِاعْتِدَالِ فَضْلِ الْقَدِّ، وَمِيزَهُ قَدْرُهُ
الْمَيِّزُ يَوْمَ الْأَسْتَبَاقِ، بِقَصَبِ السَّبَاقِ، عِنْدَ اعْتِبَارِ الْحَدِّ، وَوَلَدَ مَخْطُ غُرَّتِهِ أَشْكَالَ
الْجَمَالِ، عَلَى الْكَمَالِ، بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ وَتَقَاءِ الْحَدِّ، وَحَفِظَ رَوَايَةَ الْخَلْقِ الْوَجِيهَ
[عَنْ جَدِّهِ الْوَجِيهَ] وَلَا تُتَكَرَّرُ الرِّوَايَةُ عَلَى الْحَافِظِ بْنِ الْحَدِّ - وَأَشْقَرُ أَبِي الْخَلْقِ وَالْوَجْهَ الطَّلُقِ
أَنْ يَحْقِرَ كَأَنَّمَا صَبِغَ مِنَ الْعَسَجِدِ، وَطَرَفَ بِالذَّرِّ وَأَنْعَلَ بِالزَّبْرِجَدِ، وَوُسِمَ فِي الْحَدِيثِ
بِسِمَةِ الْيَمْنِ وَالْبَرَكَةِ، وَأَخْتَصَّ بِفُلْجِ الْخِصَامِ، عِنْدَ اشْتِجَارِ الْمَرْكَةِ، وَأَفْرَدَ بِمُضَاعَفِ
السَّهَامِ [الْمُنْكَسِرَةِ عَلَى الْهَامِ] فِي الْفَرَايِضِ الْمَشْتَرَكَةِ، وَاتَّصَفَ فَلَكُ كَفَلُهُ بِحَرَكَتِي
الْإِرَادَةِ وَالطَّبْعِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَرَكَةِ، أَصْنَعِي إِلَى السَّاءِ بِأُذُنِ الْمُتْلِهِمْ، وَأَعْرَبَ لِسَانُ
الصَّهِيلِ، عِنْدَ التَّبَاسِ مَعَانِي الْهَمْزِ وَالتَّسْمِيلِ، بَيَانِ الْمُبْهَمِ، وَفُتِنَتِ الْعَيُونُ مِنْ ذَهَبِ
جِسْمِهِ، وَجُلِينِ نَجْمِهِ بِحُبِّ الدِّينَارِ وَالدَّرْهِمِ، فَإِنْ انْقَضَ فَرَجُهُ أَوْ رِيحُهَا هَجْمُ،
وَإِنْ أَعْتَرَضَ فَشَفَقَ لَاحَ بِهِ لِلنَّجْمِ نَجْمٌ - وَأَصْفَرَ قَيْدَ الْأَوَايِدِ الْحَزَّ، وَأَمْسَكَ الْحَاسِنَ
وَأَطْلَقَ الْغُرَّةَ، وَسُئِلَ مَنْ أَنْتَ فِي قُودَادِ الْكَتَّابِ، وَأُولَى الْأَخْبَارِ الْعَجَائِبِ،
فَقَالَ أَنَا الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ، نَزَجَسَ هَذِهِ الْأَلْوَانِ، فِي رِيَاضِ الْأَكْوَانِ،
تَحِيًّا بِهِ وَجْهَهُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ، أَغَارَ بِنَحْوَةِ الصَّائِلِ، عَلَى مُعْصَفَرَاتِ الْأَصَائِلِ فَارْتَدَّاهَا،
وَعَمَدَ إِلَى خِيُوطِ شُعَاعِ الشَّمْسِ، عِنْدَ جَانِحَةِ الْأَمْسِ، فَالْحَمَّ مِنْهَا حُلَّتَهُ وَأَسْدَاها،
وَأَسْتَعَدَّتْ عَلَيْهِ مَلِكُ الْحَاسِنِ فَا أَعْدَاها، فَهُوَ أَصِيلٌ تَمَسَّكَ بِذَيْلِ اللَّيْلِ عُرْفُهُ

وَذَيْلُهُ ، وَكَوَكَبٌ يُطْلَعُهُ مِنَ الْقَتَامِ لَيْلُهُ ، فَيَحْسُدُهُ فَرَقْدَ الْأَفْقِ وَسَهِيلُهُ - وَأَشْهَبَ
تَغَشَّى مِنْ لَوْنِهِ مُضَاضُهُ ، وَتَسْرَبَلُ مِنْهُ لَأَمَةٌ فَضْفَاضُهُ ، قَدْ أَحْتَفَلَ زَيْنُهُ ، لَمَّا رُقِمَ
بِالنَّبَالِ بُلْحَيْنُهُ ، فَهُوَ الْأَشْمَطُ ، الَّذِي حَقُّهُ لَا يُغْمَطُ ، وَالذَّرَاعُ الْمَسَارِعُ ، وَالْأَعْزَلُ
الدَّارِعُ ، وَرَاقِي الْحِضَابِ الْفَارِعُ ، وَكَتُوبُ الْكِتَابَةِ الْبَارِعُ ؛ وَأَكْرَمُ بِهِ مِنْ مُرْتَاضٍ
سَالِكٍ ، وَجَاهِدٍ عَلَى غَايَاتِ السَّائِقِينَ الْأَوَّلِينَ مُتَهَالِكٍ ، وَأَشْهَبُ يَرُوى مِنَ الْخَلِيفَةِ ،
ذِي الشِّيمِ الْمُنِيفَةِ ، عَنْ مَالِكٍ - وَحُبَارَى كَلَّمَا سَابَقَ وَبَارَى ، أَسْتَعَارَ جَنَاحَ الْحُبَارَى ؛
فَإِذَا أُعْمِلَتْ هَذِهِ الْحِسْبَةُ ، قِيلَ مِنْ هُنَا جَاءَتِ النَّسْبَةُ ، طَرَدَ النَّيْمُ ، لَمَّا عَظُمَ
أَمْرُهُ وَأَمِرُ ، فَنَسَخَ وَجُودَهُ بَعْدَمِهِ ، وَأَبْتَرَهُ الْفُرُوعَ ثُمَّ لَطَّخَهُ بَدَمِهِ ، وَكَأَنَّ مَضَاعِفَ
الْوَرْدِ تُثَرِّ عَلَيْهِ مِنْ طَبَقِهِ ، أَوْ الْفَلَكَ ، لَمَّا ذَهَبَ الْحَلَكُ ، مُزِجَ فِيهِ بَيَاضَ صُبْحِهِ بِحَمَةِ
شَفَقِهِ - وَفِرْطَاسِيَّ حَقُّهُ لَا يَجْهَلُ ، حَتَّى مَاتَرَقَى الْعَيْنَ فِيهِ تَشْهَلُ ، إِنْ نَزَعَ عَنْهُ جُلَّهُ ،
فَهُوَ نَجْمٌ كُلُّهُ ، أَنْفَرَدَ بِمَادَّةِ الْأَلْوَانِ ، قَبْلَ أَنْ تَشُوبَهَا يَدُ الْأَكْوَانِ ، وَتَمْزِجَهَا أَقْلَامُ
الْمَلَوَانِ ، يَتَقَدَّمُ مِنْهُ الْكِتَابَةُ الْمُقْبِلَةُ لَوَاءً نَاصِعٍ ، أَوْ أَيْضُ مِمَّا صَعٍ ، لَيْسَ وَقَارَ
الْمَشِيبِ ، فِي رَيْعَانِ الْعُمَرِ الْقَشِيبِ ، وَأَنْصَتَتْ الْآذَانُ مِنْ صَهِيلِهِ الْمُطِيلِ الْمُطِيبِ ،
لَمَّا آرْتَدَى بِالْبَيَاضِ إِلَى نَعْمَةِ الْخَطِيبِ ، وَإِنْ تَعَتَّبَ مِنْهُ لِلتَّأْخِيرِ الْمُتَعَتَّبِ ،
قَلْنَا الْوَأُولَا تَرْتَّبُ ، مَا يَنْبَغُ لِحُلِّ وَحَرِّهِ ، وَبِهِرْمَانَةِ وَدُرِّهِ ، وَيَا لَهِ مِنْ آبَتَسَامِ غُرِّهِ ،
وَوُضُوحِ يَمْنٍ فِي طُرِّهِ ، وَبِهِجَةِ لِلْعَيْنِ وَقُرِّهِ ، وَإِنْ وَلَعَ النَّاسُ بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ ،
وَخَصُّوا الْحَدِيثَ بِفَرَى الْأَدِيمِ ، وَأَوْجَبَ الْمُتَعَصِّبُ ، وَإِنْ أَبَى الْمَنْصِبُ ، مَرْتَبَةُ
التَّقْدِيمِ ، وَطَمَحَ إِلَى رُتْبَةِ الْمُخْدُومِ طَرَفُ الْحَدِيدِ ، وَقُرْنُ الْمُثْرَى بِالْعَدِيمِ ، وَبُخْسُ
فِي سُوقِ الْحَسَدِ الْكَيْلِ ، وَدَجَى اللَّيْلِ ، وَظَهَرَ فِي فَلَكِ الْإِنْصَافِ الْمَيْلُ ، لَمَّا تَدَوَّرَتْ
الْحَلِيلُ ، بِغْيٍ بِالْوَجِيهِ وَالْخَطَّارِ ، وَالذَائِدِ وَذِي الْخِمَارِ ، وَدَاحِيسِ وَالسَّكْبِ ،
وَالْأَيْجَرِ وَزَادَ الرُّكْبِ ، وَالْجُوحُ وَالْيَحْمُومُ ، وَالْكُكَيْتُ وَمَكْتُومُ ، وَالْأَعْوَجُ وَحُلُوانُ ،

ولاحقٍ والغضبان ، وعفور^(٩) ، والزّعفران ، والمحبر ، واللّعاب ، والأغرّ والغراب ،
 وشُعلة العقاب ، والفيّاض واليعبوب [والمُذهَب واليعسوب ، والصّموت
 والقطيب ، وهيدب والصبيب وأهلوب^(١١)] وهَدّاج ، والحُرُون ونَحّاج ، وجلوى ،
 والجناح والأخوى ، ونُجّاج والعَصَا ، والنّعامه ، والبَقَاء والحمامه ، وسَكّاب والجَرّاده ،
 وحَوْصاء ، والعرّاده . فكم بين الشاهد والغائب ، والفُرُوض والرغائب ؛ وفرق ما بين
 الأثر والعيان ، غيبي عن البيان ؛ وشتان بين الصريح والمشتبه ، والله القائل في مثلها
 « خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ » والناسخ يختلف به الحكم ، وشر الدواب عند
 التفضيل بين هذه الدواب الصّم البكم ؛ إلا ماركبه نبي ، أو كان له يوم الافتخار برهان
 خبي ؛ ومفضل ما سمع على ما رأى غيبي ، فلو أنصفت محاسنها التي وصفت
 لأقضمت حبّ القلوب علقا ، وأوردت ماء الشئنة نطفًا ؛ وأنخذت لها من عُذر
 الحدود الملاج عُذر موشيه ، وعُلّت بصفير ألحان القيّان كلّ عشيّه ؛ وأنعلت
 بالأهله ، وغطيت بالرياض بدّل الأجلّة .

إلى الرقيق ، الخليق بالحسن الحقيق ، تسوقه إلى مثوى الرعاية روفة الفتيان
 رعاته ويهْدِي عقيقتها من سبجه أشكالا تشهد لاختراع سبحانه بإحكام مخترعاته ،
 وقفت ناظر الاستحسان لا يريم ، لمّا بهره منظرها الكريم ، وتخالل الظلم وتضاءل
 الرّيم ، وأخرس مقوله اللسان وهو بملكات البيان الحفيظ العليم ، وناب لسان الحال ،
 عن لسان المقال ، عند الاعتقال ، فقال يخاطب المقام الذي أطلعت أزهارها غمائم
 جوده [وأقتضت اختيارها بركة وجوده^(١)] : لو علمنا أيها الملك الأصيل ،
 الذي كرم منه الإجمال والتفصيل ؛ أن الشاء يوازيها لكنّا لك بكلك ،

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

أو الشكر يُعَادِلُهَا وَيُجَازِيهَا لَتَعْرِضُنَا بِالْوَشْلِ إِلَى نَيْلِ نَيْلِكَ ، أَوْ قُلْنَا : هِيَ الَّتِي
أَشَارَ إِلَيْهَا مُسْتَصْرِخُ سَلَفِكَ الْمُسْتَنْصِرُ بِقَوْلِهِ : أَذْرِكُ بِحَيْلِكَ ، حِينَ شَرِقَ بِدْفَعِهِ
الشَّرْقُ ، وَأَنْهَزَمَ الْجَمْعُ وَأَسْتَوَى الْفَرْقُ وَاتَّسَعَ فِيهِ وَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْخَرْقُ ، وَرَأَى أَنْ
مَقَامَ التَّوْحِيدِ بِالْمَظَاهِرَةِ عَلَى التَّثْلِيثِ ، وَحِزْبِهِ الْخَلِيفَةِ ، هُوَ الْأَوَّلَى وَالْآخِرُ .
وَالْآنَ قَدْ أَغْنَى اللَّهُ بِتِلْكَ النَّيَّةِ ، عَنْ إِنْجَادِ الطَّوَالِ الرَّدِّيَّةِ ، وَبِالدَّعَاءِ مِنْ تِلْكَ
الْمَثَابَةِ الدِّينِيَّةِ إِلَى رَبِّ الْبَيْتِ ، عَنْ الْأُمْدَادِ السَّيِّئَةِ ، وَالْأَجْوَادِ تَخَوُّضِ بَحْرِ الْمَاءِ
إِلَى بَحْرِ الْمَنِيِّ ، وَعَنْ الْجُرْدِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَقَاوِدِ اللَّيْثِ الْأَبْيَةِ . وَجَدَّدَ بِرِسْمِ هَذِهِ
الْهَدْيَةِ ، مَرَّاسِيمَ الْعُهُودِ الْوُدِّيَّةِ ، وَالذَّمَّ الْمُوَحَّدِيَّةِ ، لِتَكُونَ عَلَامَةً عَلَى الْأَصْلِ ،
وَمَكْدَبَةً لِدَعْوَى الْوَقْفِ وَالْفَصْلِ ، وَإِشْعَارًا بِالْأَلْفَةِ الَّتِي لَا تَزَالُ أَلْفُهَا أَلْفَ الْوَصْلِ ،
وَلَا مُهَا حَرَامًا عَلَى النَّصْلِ .

وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيْنَا رَسُولُكُمْ فَلَانَ فَقَرَّرَ مِنْ فَضْلِكُمْ ، مَا لَا يُنْكِرُهُ مَنْ عَرَفَ عُلُوَّ
مِقْدَارِكُمْ ، وَأَصَالَةَ دَارِكُمْ ، وَفَلَكَ إِبْدَارِكُمْ ، وَقُطْبَ مَدَارِكُمْ ، وَأَجْبَنَاهُ عَنْهُ بِجُهْدِ مَا تُكَا
لْتَقِعُ مِنْ حَنَاهُ الْمَهْتَصِرِ ، بِالْمَقْتَضَبِ الْمُخْتَصِرِ ، وَلَا تُقَابِلِ طُولَ طَوْلِهِ بِالْقِصَرِ ،
لَوْلَا طُرُوءُ الْحَصْرِ .

وَقَدْ كَانَ بَيْنَ الْأَسْلَافِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرِضْوَانُهُ - وَدُ أُبْرِمَتْ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ
مَعَاقِدُهُ ، وَوُثِّرَتْ لِحُلُوصِ ، الْجَلِيلِيِّ النَّصُوصِ ، مُضَاجِعُهُ الْقَازَةِ وَمَرَاقِدُهُ ، وَتَعَاهُدُ
بِالْجَمِيلِ تَوَجَّعَ لِقَدِّهِ فَاقِدُهُ ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكُمْ الْفَضْلُ فِي تَجْدِيدِهِ ،
وَالْعَطْفُ بِتَوَكُّدِهِ ، فَنَحْنُ الْآنَ لَا نَذَرِي أَيْ مَكَارِمَكُمْ نَذَرَ ، أَوْ أَيْ قَوَاضِيَكُمْ نَشْرَحُ
أَوْ نَشْكُرُ ، أَمْفَاتُحْتَكُمُ الَّتِي هِيَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِيقَةِ فَتَحُ ، أَمْ هِدْيَتَكُمْ وَفِي وَصْفِهَا لِلْأَقْلَامِ
سَبَّحَ ، وَلَعَدُوَ الْإِسْلَامَ بِحِكْمَةٍ حَكَمْتُهَا كَبَّحَ ، إِنَّمَا نَكُلُ الشُّكْرَ لِمَنْ يُؤَيِّ بِجَزَاءِ الْأَعْمَالِ

البرّة، ولا يَحْسُ مثقال الذّرة ولا أدنى [من] مثقال الذّرة، ذى الرحمة الثّرة، والألطف المتصلة المستمّرة، لا إله إلا هو .

وإن تَسَوَّقَم إلى الأحوال الراهنة، وأسباب الكُفْرِ الواهية بقدرة الله الواهنة؛ فنحن نُظَرِّفكم بِطَرَفِها، ونُطَلِّعكم على سبيل الإجمال بِطَرَفِها؛ وهو أننا لمّا أعاد الله من التّحْيِص، إلى مثابة التّخْصِص، من بعد المَرَام العويص؛ كَلَمْنَا بتوفيق الله بَصَرَ البصيرة، ووقفنا على سبيله مساعي الحياة القَصِيرَة؛ ورأينا كما نُقَلِّ إلينا، وكُرِّر على مَنْ قَبَلنا وعلينا؛ أَنَّ الدّنيا - وإن غَرَّ الغُرُور، وأنام على سُرُر الغفلة السُّرُور؛ فلم ينفع الخُطُور على أجداث الأحباب والمُرُور - جَسْرُيَعْبَر، ومتاع لا يُغْبَط من حَيٍّ به ولا يُجْبَر، إنما هو خبر يُجْبَر، وأن الحَسرة بمقدارها على تركه تجبر؛ وأنّ الأعمار أحلام، وأنّ الناس نِيَام؛ ورُبَّمَا رَحَلَ الراحل عن الخان، وقد جَلَّه بالأذى والدُّخان؛ أو ترك به طِينًا، وثناء يقوم بعده للآتي خَطِيئًا؛ فجعلنا العدل في الأمور مِلَاكًا، والتفقد للثُّغُور مِسْوَكا؛ وَصَحِّح المِهَاد، حديث الجهاد، وأحكامه مَنَاط الاجتهاد، وقوله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ)) من مُجِج الاستشهاد، وبادرنا من الحُصُون المُضَاعَة وجنحُ التَّقِيَّة دَامِس، وسا كُنْها بِأَس، والأعصم في شَعَقَاتِها من العِصْمَة يَأْس؛ فزَيَّنَّا بِيض الشُّرُفَات، ثَنَايَاها، وأفَعَمْنَا بالعُذْب الفُرَات، رَكَايَاها؛ وَعَشَّيْنَا بالصَّفِيح المُضَاعَف أبوابها، وأَحْتَسَبْنَا عند مُوَفِّي الأَجُور ثَوَابَهَا، وَبَيَّضْنَا بِنَاصِع الكِلْس أَثْوَابَهَا؛ فَهِيَ اليوم تُوَهِّم حَسَّ العِيَان، أنها قَطَعَ من بِيض العَنَان، تكاد تَتَاوَل قُرْصُ البدر بالبَنَان، متكفِّلةً لِلْؤْمَن من فَرَز الدّنيا والآخِرَةِ بِالْأَمَان؛ وَأَقْرَضْنَا الله قَرْضًا، وأَوْسَعْنَا مَدُونَةَ الجِيش عَرْضًا، وفَرَضْنَا إِنْصَافَهُ مع الأَهْلَة فَرْضًا؛ وَاسْتَدْنَا مِنَ التَّوَكُّل على الله الغنى الحميد إلى ظِلِّ لَوَاء،

وَنَبَذْنَا إِلَى الطَّاغِيَةِ عَهْدَهُ عَلَى سَوَاءٍ ۖ وَقُلْنَا : رَبَّنَا أَنْتَ الْعَزِيزُ وَكُلُّ جَبَّارٍ لِعِزِّكَ ذَلِيلٌ ، وَحِزْبُكَ هُوَ الْكَثِيرُ وَمَا سِوَاهُ قَلِيلٌ [أَنْتَ الْكَافِي ، وَوَعْدُكَ الْوَعْدُ الْوَاقِي ، فَأَفْضُ عَلَيْنَا مَوَازِعَ الصَّابِرِينَ ^(١)] وَكَتَبْنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِحَطُوطِ رِضَاكَ الظَّافِرِينَ ، وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

فَنَحَرْنَا أُولَى الْحَرَكَاتِ ، وَفَاتِحَةَ مُصْحَفِ الْبَرَكَاتِ ۖ فِي خِيفٍ مِنَ الْحُشُودِ ، وَأَقْتَصَارٍ عَلَى مَا بِمَحْضَرَتِنَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمُظَفَّرَةِ وَالْجُنُودِ ۖ إِلَى حِصْنِ آشِ الْبَازِي الْمُطِلِّ ، وَرُكَابِ الْعَدُوِّ الضَّالِّ الْمُضِلِّ ، وَمُهْدَى نَفَثَاتِ الصَّلِّ ۖ عَلَى أَمْتِنَا وَارْتِفَاعِهِ ، وَتَمُؤَيِّفَاتِهِ ۖ وَمَا بَدَّلَ الْعَدُوِّ فِيهِ مِنْ أَسْتَعْدَادِهِ ، وَتَوْفِيرِ أَسْلِحَتِهِ وَأَزْوَادِهِ ، وَأَنْتِخَابِ أَنْجَادِهِ ۖ فَصَلَّيْنَا بِنَفْسِنَا نَارَهُ ، وَزَاخَمْنَا عَلَيْهِ الشُّهَدَاءَ نُصَابِرُ أَوَارِهِ ۖ وَتَلَقَّ بِالْجَوَارِحِ الْعَزِيزَةِ سَهَامَهُ الْمُسُومَةَ ، وَجَلَّامِدَهُ الْمَلُومَةَ ، وَأَحْجَارَهُ ۖ حَتَّى فَرَعْنَا بِحَوْلٍ مَنْ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ أَبْرَاجَهُ الْمُنِيْعَةَ وَأَسْوَارَهُ ، وَكَفَفْنَا عَنِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ أَضْرَارَهُ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَضَفْنَا إِلَيْهِ حِصْنَ السَّهْلَةِ جَارَهُ ۖ وَرَحَلْنَا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ شَحَّاهُ رَابِطَةً وَحَامِيَهُ ، وَأَزْوَادَا نَامِيَهُ ۖ وَعَمَلْنَا بِيَدِنَا فِي رَمِّ مَائِلَمِ الْقِتَالِ ، وَبَقَرْنَا مِنْ بَطُونِ مَسَالِحِهِ الرِّجَالِ ، وَأَقْتَدَيْنَا بِنَبِينَا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامِهِ فِي الْخَنْدَقِ لَمَّا حَمَى ذَلِكَ الْمَجَالَ ، وَوَقَعَ الْأَرْتِجَازُ الْمُنْقُولُ خَبْرَهُ وَالْأَرْتِجَالُ ، وَمَا كَانَ لِيَقَرَّ لِلْإِسْلَامِ مَعَ تَرْكِهِ الْقَرَارِ ، وَقَدْ كُتِبَ الْجَوَارِ ، وَتَدَاعَى الدَّعْرَةُ وَتَعَاوَى الشَّرَارُ .

وَكُنَّا أَغْرَيْنَا الْجِهَةَ الْغَرْبِيَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَدِينَةِ بُرْغَةِ الَّتِي سَدَّتْ بَيْنَ الْقَاعَدَتَيْنِ : مَالَقَةَ وَرَنْدَةَ الطَّرِيقِ ، وَأَلْبَسْتُ دُلَّ الْفِرَاقِ ذَلِكَ الْفَرِيقَ ، وَمَنْعْتُهُمَا أَنْ يُسَيِّغَا الرِّبْقَ ۖ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، لَطِيفِ الْمَنَامِ فِي الْأَحْلَامِ ، وَلَا رِسَالَةَ إِلَّا فِي أَجْنَحَةِ

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

هَدَى الْحَمَامُ ؛ فَيَسِّرَ اللَّهُ فَتْحَهَا ، وَجَعَلَ مِنْحَهَا ؛ بَعْدَ حَرْبٍ أَنْبَتَتْ فِيهَا النُّحُورُ ،
وَتَزَيَّنَتْ الْحُورُ ؛ وَتَبِعَ هَذِهِ الْأُمُّ بَنَاتُ شَهِيدِهِ ، وَبَقِيَ لِلزَّرْعِ وَالضَّرْعِ خَيْرُهُ ، فَشَفِيَّ
النَّعْرِ مِنْ بُوسِهِ ، وَتَهَلَّلَ وَجْهُ الْإِسْلَامِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ بَعْدَ عُبُوسِهِ .

ثُمَّ أَعْمَلْنَا الْحَرَكَةَ إِلَى مَدِينَةِ الْجَزِيرَةِ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى ، وَتَعَلَّقَهَا عَلَى بِلَادِ الْعِدَا ،
وَأَقْتَحَمَ هَوْلَ الْقَلَا وَغَوْلَ الرَّدَا ؛ مَدِينَةٌ بَنَتْهَا حِمصٌ فَأَوْسَعَتِ الدَّارَ ، وَأَغْلَتِ الشَّوَارَ ،
وَرَاعَتْ الْأَسْتِخَارَ ، وَبَسَطَتْ الْأَعْتِمَارَ ؛ رَجَّحَ إِلَيْنَا قَصْدَهَا عَلَى الْبُعْدِ ، وَالطَّرِيقِ
الْجَعْدِ ؛ مَا آسَفَتْ بِهِ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ اسْتِئْصَالِ طَائِفَةٍ مِنْ أَسْرَاهُمْ مَرَّوًا بِهَا آمِنِينَ ،
وَبَطَائِرِهَا الْمَشُومِ مُتَمِّينَ ؛ قَدْ أَنَهَكَهُمُ الْإِعْتِقَالُ ، وَالْقِيُودُ الثَّقَالُ ؛ وَأَضْرَعَهُمُ
الْإِسَارَ ، وَجَلَّلَهُمُ الْإِنْكَسَارَ ؛ فَجَدَّلُوهُمْ فِي مَصْرِعٍ وَاحِدٍ ، وَتَرَكُوهُمْ عِبْرَةً لِلرَّائِي
وَالْمُشَاهِدِ ؛ وَأَهْدَوْا بِوَقِيعَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ تُكُلُّ الْوَاحِدَ ، وَتِرَّةَ الْمَاجِدِ ؛ فَكَبَسْنَاهَا
كَبَسًا ، وَخَنَأْنَاهَا بِالْهَامِ مِنْ لَا يَضِلُّ وَلَا يَنْسَى ؛ فَصَبَّحَتْهَا الْخَلِيلُ ، ثُمَّ تَلَا حَقَّ الرَّجُلِ
كَمَا جَنَّ اللَّيْلُ ، وَحَاقَ بِهَا الْوَيْلُ ؛ فَأُبِيجَ مِنْهَا الدَّمَارُ ، وَأَخَذَهَا الدَّمَارُ ، وَحُقِقَتْ
مِنْ مَصَابِعِهَا الْبَيْضِ الْأَهْلَةُ وَخُسِفَتِ الْأَقْفَارُ ، وَشَفِيَتْ مِنْ دِمَاءِ أَهْلِهَا الضُّلُوعُ
الْحَرَارَ ، وَسَلَطَتْ عَلَى هَيَاكِلِهَا النَّارُ ، وَأَسْتَوَى عَلَى الْأَلْفِ الْعَدِيدَةِ مِنْ سَبِيهَا
الْإِسَارَ ، وَانْتَهَى إِلَى إِشْيِيلَةِ الثُّكُلَى الْمَغَارَ ، بَحَلَّ وَجْهَهُ مِنْ بَهَا مِنْ كِبَارِ النُّصْرَانِيَةِ
الصُّغَارِ ، وَأَسْتَوَلَتْ الْأَيْدَى عَلَى مَا لَا يَسْعُهُ الْوَصْفُ وَلَا تَقْلُهُ الْأَوْقَارُ .

وَعُدْنَا وَالْأَرْضُ تَمُوجُ سَبِيًا ، لَمْ تَتْرُكْ بَعِثَرَيْنِ سَبِيلًا وَلَا بُوَجْرَةَ طَيِّبًا ؛ وَالْعَقَائِلُ
حَسْرَى ، وَالْعَيُونُ تَبْهَرُهَا الصُّنْعُ الْأَسْرَى ، وَصَبَحُ الشَّرَى قَدْ حُمِدَ مِنْ بَعْدِ بَعْدِ الْمَسْرَى ،
فُسُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى . [وَلِسَانُ الْحَمِيَّةِ يُنَادِي ، فِي تِلْكَ الْكَائِسِ الْخُزْبَةِ وَالنُّوَادِي ،
يَا لِنَارَاتِ الْأَسْرَى] ^(١) .

ولم يكن إلا أن نُفِلَت الأُنْفَال ، وُصِمَت بالأَرْضَاخ الأَغْفَال ، وتميزت الهَوَادِي
والأَكْفَال ، وكان إلى غزو مدينة جِيَّانَ الاحتفال ؛ قُدْنَا إليها الجُرْدُ تُلَاعِبَ الظَّلَال
نَسَاطًا ، والأَبْطَال تَقْتَحِمُ الأَخْطَارَ رِضًا بما عِنْدَ اللَّهِ وَاعْتِبَاطًا ، والمِهْنَدَةُ الزُّرْقُ تَسْبِقُ
إلى الرِّقَابِ أَسْتِلَالًا واختراطًا ، والرُّدَيْنِيَّةُ السُّمُرُ تسترط حياة النفوسِ أَسْطَرَا ،
وأزحنا العِلَلِ عَمَّنْ أرادَ جِهَادًا مُنْجِيَا غُبَارُهُ من دُخَانِ جَهَنَّمَ وَرِبَاطًا ؛ وَنَادَيْنَا الجِهَادَ
الجِهَادَ ، يَا أَمَّةَ الجِهَادِ ، رَايَةَ النَّبِيِّ الهَادِ ، الْجَنَّةُ الْجَنَّةُ تحت ظلال السيوفِ الحِدَادِ ؛
فَهَزَّ الندَاءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ عَامِرٍ وَغَامِرٍ ، وَأَثْمَرَ الْجُثْمَ من دعوة الحقِّ إِلَى أَمْرِ أَمْرٍ ،
وَأَتَى النَّاسَ من التَّجُوجِ العميقة رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ؛ وَكَاثَرَتِ الرِّايَاتُ أَزْهَارَ
الْبَطَاحِ لَوْنًا وَعَدَا ، وَسَدَّتِ الحُشُودُ مَسَالِكَ الطَّرِيقِ العَرِيضَةِ سَدًّا ؛ وَمَدَّ بِحَرْهَا
الزَّاحِرُ مَدًّا ، فَلَا يَجِدُ لَهَا النَّاظِرُ وَلَا المُنَاطِرُ حَدًّا .

وهذه المَدِينَةُ هِيَ الأُمُّ الْوُلُودُ ، وَالْجَنَّةُ الَّتِي فِي النَّارِ لُسُكَّانُهَا من الكُفَّارِ الخُلُودُ ؛
وَكُرْسِيُّ الْمُلْكِ وَمَجْنَبَتُهُ الْوَسْطَى من المَمَالِكِ بَاءَتْ بِالْمَزَايَا العَدِيدَةِ وَنَجَحَتْ ، وَعِنْدَ
الْوِزَانِ بَغِيرُهَا من أُمَمَاتِ الْبُلْدَانِ رَجَحَتْ ؛ غَابَ الْأُسُودُ ، وَجُحِرَ الْحَيَّاتُ السُّودُ ؛
وَمَنْصَبُ التَّمَاثِيلِ الهَائِلَةِ ، وَمَعْلَقُ النُّوَاقِيسِ الصَّائِلَةِ .

وَأَدْنَيْنَا إِلَيْهَا الْمَرَاحِلَ ، وَعَيْنَانَا لِنُتْجَارَ المَحَلَّاتِ الْمُسْتَقْلَاتِ مِنْهَا السَّاحِلَ ؛ وَلَمَّا أَكْثَبْنَا
جَوَارَهَا ، وَكِدْنَا نَلْمَحُ نَارَهَا ، تَحَرَّكًا وَوِشَاحُ الْاَفْقِ الْمَرْقُومِ ، بَزَهَرَ النُّجُومُ ، قَدْ دَارَ
دَائِرُهُ ؛ وَاللَّيْلُ من خَوْفِ الصَّبَاحِ ، عَلَى سَرَحِهِ الْمُسْتَبَاحِ ، قَدْ شَابَتْ غَدَائِرُهُ ، وَالنَّسْرُ
يُرْفِرُ بِالْبَيْنِ طَائِرُهُ ، وَالسَّمَاءُ الرَّاحِمُ يَنَارُ تَغَرُّ الْإِسْلَامِ نَائِرُهُ ؛ وَالنَّعَامُ رَاعِدَةٌ فَرَائِصُ
الْجَسَدِ ، من خَوْفِ الْأَسَدِ ؛ وَالْقَوْسُ يُرْسِلُ سَهْمَ السَّعَادَةِ ، بَوْتَرِ الْعَادَةِ ، إِلَى أَهْدَافِ
النَّعَمِ الْمُعَادَةِ ؛ وَابْجُوزَاءُ عَابِرَةِ نَهْرِ الْمَجَرَّةِ ، وَالزُّهْرَةُ تَغَارُ من الشَّعْرِى الْعَبُورِ بِالضَّرَّةِ ؛

وعُطَارِدُ يُسْدِي فِي حِيلِ الْحُرُوبِ عَلَى الْبَلَدِ الْمَحْرُوبِ وَيُحِمُّ ، وَيُنَظِرُ عَلَى أَشْكَالِهَا
الْمَهْنَدِسِيَّةِ فَيُفْهِمُ ، وَالْأَحْمَرُ يَبْهَرُ ، وَالْعَلَمُ الْأَبْيَضُ يَفْرَى وَيَنْهَرُ ، وَالْمَشْتَرَى يُبْدَى فِي فَضْلِ
الْجِهَادِ وَيُعِيدُ ، وَيُزَاحِمُ فِي الْخَلْفَاتِ عَلَى مَالِ السَّعَادَةِ مِنَ الصَّفَاتِ وَيَزِيدُ ، وَزُحَلُ
عَلَى الطَّالِعِ مَتَزَحِلُ ، وَعَنِ الْعَاشِرِ مَرْتَحِلُ ، وَفِي زَلَقِ السَّقُوطِ وَحِلُ ، وَالْبَدْرُ
يُطَارِحُ حَجَرَ الْمَنْجْنِيقِ ، كَيْفَ يَهْوِي إِلَى النَّيْقِ ، وَمَطْلَعُ الشَّمْسِ يَرْقُبُ ، وَجِدَارُ
الْأَفْقِ يَكَادُ بِالْعُيُونِ عَنْهَا يُنْقَبُ .

وَلَمَّا فَشَا سِرُّ الصَّبَاحِ ، وَاهْتَرَّتْ أَعْطَافُ الرِّيَاضِ لِمَبَشِّرَاتِ الرِّيَاحِ ، أَطْلَقْنَا
عَلَيْهَا إِطْلَالَ الْأَسْوَدِ عَلَى الْفَرَائِسِ ، وَالْفُحُولِ عَلَى الْعَرَائِسِ ، فَنَظَرْنَا مَنْظَرًا يَرُوعُ بِأَسَا
وَمَنْعَةٍ ، وَيَرُوقُ وَضْعًا وَصَنَعَةٍ ، تَلَقَّعَتْ مَعَاقِلُهُ الشَّمَّ لِلْسَّحَابِ بِرُودٍ ، وَوَرَدَتْ مِنْ
غَدِيرِ الْمُزْنِ فِي بُرُودٍ ، وَأَسْرَعَتْ لِاخْتِطَافِ أَزْهَارِ النُّجُومِ وَالذَّرَاعِ بَيْنَ النُّطَاقِ مَعَاصِمُ
رُودٍ ، وَبَلَدًا يُعْيِي الْمَاسِجَ وَالذَّارِعَ ، وَيَنْتَظِمُ الْحَاثِي وَالْأَجَارِعَ ، فَقُلْنَا : اللَّهُمَّ نَفْلَهُ أَيْدِي
عِبَادِكَ ، وَأَرِنَا فِيهِ آيَةً مِنْ آيَاتِ جِهَادِكَ ، فَتَزَلْنَا بِسَاحَتِهَا الْعَرِيضَةِ الْمُتُونِ ، نُزُولَ
الْغَيْثِ الْهَتُونِ ، وَتَيَمَّنَّا مِنْ فَحْصِهَا الْأَفْجِحِ بِسُورَةِ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، مَتَرَبَةً مِنْ أَمَانِ
الرَّحْمَنِ لِلْبَلَدِ الْمَقْتُونِ ، وَأَعْجَلْنَا النَّاسَ بِحِمَّةِ نَفُوسِهِمُ النَّفِيسَةِ ، وَسَحِيَّةِ شَجَاعَتِهِمُ الْبَيْتِيسَةِ ،
عَنْ أَنْ نُبَوِّئَ لِلْقِتَالِ الْمَقَاعِدَ ، وَنُدْنِي بِإِسْمَاعِ شَمِيرِ الْغَيْرِ مِنْهُمْ الْأَبَاعِدَ ، وَقَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ
الْحَدِيدُ بِالْمَخْدُومِ ، وَيَرْكَعَ الْمَنْجْنِيقُ رُكْعَتِي الْقُدُومِ ، فَدَفَعُوا مَنْ أَصْحَرَا لِيَهُمُ مِنَ الْفُرْسَانِ ،
وَسَبَقَ إِلَى حَوْمَةِ الْمِيدَانِ ، حَتَّى أَجْحَرُوهُمْ فِي الْبَلَدِ ، وَسَلَبُوهُمْ لِبَاسَ الْجَلَدِ ، فِي مَوْفِفٍ
يُذْهِلُ الْوَالِدَ عَنِ الْوَلَدِ ، صَارَتْ السَّهَامُ فِيهِ عَمَامَا ، وَطَارَتْ كَأَسْرَابِ الْحَمَامِ تُهْدِي
حَمَامَا ، وَأُصْحَتْ الْقَنَاقِصُ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ شَهَابًا رَصَدًا ، وَمَاجَ بَحْرُ الْقَتَامِ بِأَمْوَاجِ
النُّصُولِ ، وَأَخَذَ الْأَرْضَ الرَّجْفَانُ لَزْزَالِ الصَّبَاحِ الْمَوْصُولِ ، فَلَا تَرَى إِلَّا شَهِيدًا

تُظَلِّلُ مَضْرَعَهُ الْحُورَ، وَصَرِيحاً تَقْدِفُ بِهِ إِلَى السَّاحِلِ أَمْوَاجُ تِلْكَ الْبُحُورِ، وَنَوَاشِبَ
تَبَايُهَا الْوُجُوهُ الْوَجِيهَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَالتُّحُورُ؛ فَلِمَقْضَبِ، قَوْدُهُ يُحْضَبُ، وَالْأَسْمَرُ؛
غُضْنُهُ يَسْتَنْمِرُ؛ وَالْمِغْفَرُ، حِمَاهُ يَخْفَرُ؛ وَظُهُورُ الْقَيْسِيِّ تُقْصَمُ، وَعِصَمُ الْجُنْدِ الْكَوَافِرُ
تُقْصَمُ؛ وَوَرَقُ اللَّيْلِ، فِي الْمُنْقَلَبِ، يَسْقُطُ، وَالْبَرْزُ تَكْتَبُ وَالسُّمَرُ تَنْقُطُ؛ فَافْتَحِمِ
الرِّبْضَ الْأَعْظَمُ لِحِينِهِ، وَأَظْهَرِ اللَّهُ لِعَيُونِ الْمُبْصِرِينَ وَالْمُسْتَبْصِرِينَ عِزَّةَ دِينِهِ،
وَتَبَرُّ الشَّيْطَانِ مِنْ خَدِينِهِ؛ وَنَهَبِ الْكُفَّارَ وَخُذِلُوا، وَبُكِّلْ مَرْصِدَ جُدُلُوا؛ ثُمَّ دَخِلِ
الْبَلَدَ بَعْدَهُ غِلَابًا، وَجُلِّلْ قَتَلًا وَاسْتِلَابًا؛ فَلَا تَسْلُ، إِلَّا الظُّبَى وَالْأَسْلَ، عَنْ قِيَامِ
سَاعَتِهِ، وَهَوْلِ يَوْمِهَا وَشَنَاعَتِهِ؛ وَتَخْرِيبِ الْمَبَائِتِ وَالْمَبَانِي، وَغِنَى الْأَيْدِي مِنْ خَزَائِنِ
تِلْكَ الْمَعَانِي، وَنَقْلِ الْوُجُودِ الْأَوَّلِ إِلَى الْوُجُودِ الثَّانِي؛ وَتَخَارِقِ السَّيْفِ بِخَاءِ بَغِيرِ
الْمَعْتَادِ، وَنَهَلَتْ الْقَنَا الرَّدِينَةَ مِنَ الدَّمَاءِ حَتَّى كَادَتْ تُورِقُ كَالْأَغْصَانِ الْمُغْتَرَسَةِ وَالْأَوْتَادِ؛
وَهَمَّتْ أَفْلَاكُ الْقَيْسِيِّ وَبَحَّتْ، وَأَرْنَتْ حَتَّى بَحَّتْ، وَنَفِدَتْ مَوَادُّهَا فَشَحَّتْ
بِمَا أَلَحَّتْ؛ وَسَدَّتِ الْمَسَالِكَ جُثُثُ الْقَتْلِ فَمَنَعَتْ الْعَايِرَ، وَاسْتَأْصَلَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ
الشَّافَةَ وَقَطَعَ الدَّائِرَ، وَأَزْلَفَ الشَّهِيدَ وَأُحْسِبَ الصَّابِرَ، وَسَبَقَتْ رُسُلُ الْفَتْحِ الَّذِي
لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الزَّمَنِ الْغَايِرِ، تَنْقُلُ الْبُشْرَى مِنْ أَفْوَاهِ الْحَايِرِ، إِلَى آذَانِ الْمُنَابِرِ.

أَقْنَاهَا أَيَّامًا نَعْقِرُ الْأَشْجَارَ، وَنَسْتَأْصِلُ بِالتَّخْرِيبِ الْوَجَارَ، وَلِسَانُ الْإِنْتِقَامِ،
مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، يُنَادِي بِالنَّارَاتِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ تَسْقِيًا مِنَ الْفُجَارِ، وَرَعِيًّا لِحَقِّ
الْحَارِ؛ وَقَفَلْنَا وَأَجْنَحَةُ الرَّايَاتِ، بِرِيَّاحِ الْعِنَايَاتِ، خَافَقَهُ؛ وَأَوْفَاقُ التَّوْفِيقِ،
النَّاشِئَةُ مِنْ خُطُوطِ الطَّرِيقِ، مُوَافَقَهُ؛ وَأَسْوَاقُ الْعِزِّ بِاللَّهِ نَافَقَهُ، وَحَمَلَاءُ الرِّفْقِ
مُصَاحِبَهُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مُرَاقِقَهُ؛ وَقَدْ ضَاقَتْ ذُرُوعُ الْجِبَالِ، عَنْ أَعْنَاقِ الصُّمْبِ
السَّيَالِ؛ وَرُفِعَتْ عَلَى الْأَكْفَالِ، رُدْفَاءُ كَرَامِ الْأَنْفَالِ؛ وَقَفَلْتُ مِنَ النُّوَاقِيسِ أَجْرَامُ

الجبال بالهندام والاحتفال ؛ وهلك بمهلك هذه الأمّ بناتٌ كنَّ يرتضعن ثديها الحوافل
ويستورن حجرها الكافل ؛ شمل التخريب أسوارها ، وتجلت النار بوارها .

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح ، وأرسلنا دلاء الإدلال قبل المتح ، فبشرت بالمنح ؛
وقصدنا مدينة أبدة وهي ثمانية الجناحين ، وكبرى الأختين ، ومساهمة جيان
في حين الحين ؛ مدينة أخذت عرض الفضاء الأخرق ، وتمشت فيه أرباضها تمشي
الكتابة الجامحة في المهرق ؛ المشتعلة على المتأجرو المكاسب ، والوضع المتناسب ،
والقلج المعني ريعه عمل الحاسب ، وكوارة الدبر اللاسب ، المتعددة العاسب ؛
فأناخ العفاء بربوعها العاصره ، ودارت كؤوس عقار الخوف ، ببنان السيوف ،
على متديريها المعاقرة ، وصبحتها طلائع الفاقرة ، وأغرقت ببطون أسوارها عوج
المعاول الباقرة ؛ ودخلت مدينتها عنوة السيف ، في أسرع من خطرة الطيف ،
ولا تسأل عن الكيف ؛ فلم يبلغ العفاء من مدينة حافله ، وعقيلة في حل المحاسن
رافله ، ما بلغ من هذه البائسة التي سجدت لآلهة النيران ابراجها ، وتضاعل بالرغام
معرأجها ؛ وضفت على أعطافها ملاس الخذلان ، وأقفر من كائسها كئاس
الغزلان .

ثم تأهبنا لغزو أم القرى الكافرة ، وخزائن المزاين الوافرة ، ورية الشهرة السافرة ؛
[والأنباء المسافرة] ^(١) قرطبة وما أدراك ماهيه ، ذات الأرجاء الحالية الكاسية ، والأطواد
الراسخة الراسية ، والمباني المباهية والزهراء الزاهية ، والمحاسن غير المتناهية ؛ حيث هالة
بدر السماء ، قد استدارت من السور المشيد البناء ؛ ونهر الحجرة من نهرها الفياض ،
المسلول حسامه من عمود الفياض ؛ قد لصق بها جارا ، وفلك الدولاب المعتدل

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

الانقلاب قد استقام مدارا، ورجع الحنين اشتياقا إلى الحبيب الأول وأدكارا،
 حيث الطود كالنجم، يزدان بلجين العذب المحاج، فيزرى بتاج كسرى ودارا، حيث
 قيسى الجسور المديرة، كأنها عوج المطى الغريه، تعبر النهر قطارا، حيث آثار العامرى
 المجاهد، تعبق بين تلك المعاهد، شدى منعطارا، حيث كرائم السحاب، ترور عرائس
 الرياض الحباب، فتحمل لها من الدر نثارا، حيث شمول الشمال تدار على الأدواح،
 بالغدو والرواح، فترى الغصون سكارى وما هى بسكارى، حيث أيدى الافتتاح،
 تفتض من شقائق البطاح، أبكارا، حيث ثغور الأقاح الباسم، تقبلها بالسحر
 زوار النواسم، فتخفق قلوب النجوم الغيارى، حيث المصل العتيق قد رحب مجالا
 وطال منارا، وأزرى ببلاط الوليد احتقارا، حيث الظهور المثاره بسلاح الفلاح
 ثجب عن مثل أسنمة المهارة، والبطون كأنها لتدميت الغائم بطون العذارى، والأدواح
 العالية تخترق أعلامها الهادية بالحداول الخبارا، فما شئت من جو صقيل،
 ومعرس للحسن ومقيل، ومالك للعقل وعقيل. ونحوائل كم فيها للبلابل من قال وقيل،
 وخفيف يحاوب بثقيل. وسنابل تحكى من فوق سوقها، وقضب بسوقها، الحمزات
 فوق الألفات، والعصافير البديعة الصفات، فوق القضب المؤلفات، تميل بهبوب
 الصبا والجنوب، مائلة الجيوب بدرر الجبوب. وبطاح لا تعرف عين المحل، فتطلبه
 بالذحل، ولا تصرف فى خدمة بيض قباب الأزهار، عند افتتاح السوسن والبهار،
 غير العبدان من سودان النخل، وبحر الفلاحة الذى لا يدرك ساحله، ولا يبلغ
 الطية البعيدة راحله، إلى الوادى، وسمر النوادى، وقرار دموع النوادى، المتجاسر
 على تحطيه، عند تمطيه، الجسر العادى، والوطن الذى ليس من عمرو ولازيد،

وَالْقَرَأَ الَّذِي فِي جَوْفِهِ كُلِّ صَيْدٍ أَقْلَ كَرِسِيَّةِ خِلَافَةِ الْإِسْلَامِ ، وَأَغَارَ بِالرُّصَافَةِ وَالْجَحْسَرِ
دَارَ السَّلَامِ ، وَمَاعَسَى أَنْ تُطَنِّبَ فِي وَصْفِهِ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ ، أَوْ تُعَبِّرَ بِهِ عَنْ ذَلِكَ الْكَمَالِ
فُنُونُ الْكَلَامِ .

فَاعْمَلْنَا إِلَيْهَا السَّرِيَّ وَالسَّيْرَ ، وَقُدْنَا إِلَيْهَا الْخَيْلَ وَقَدْ عَقَدَ اللَّهُ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرَ .

وَلَمَّا وَقَفْنَا بِظَاهِرِهَا الْمُنْبَتِ الْمُعْجَبِ ، وَأَصْطَفَقْنَا بِخَارِجِهَا الْمُنْبَتِ الْمُنْجِبِ ،
وَالْقُلُوبُ تَلْتَمِسُ الْإِعَانَةَ مِنْ مُنْعِمٍ مُجْزِلٍ ، وَتَسْتَنْزِلُ مَدَدَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ مُنْجِدٍ مُنْزِلٍ ،
وَالرَّكَائِبُ وَاقِفَةٌ مِنْ خَلْفِنَا بِمَعْزِلٍ ، نَتَنَاشَدُ فِي مَعَاهِدِ الْإِسْلَامِ : قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي
حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ - بَرَزْنَا حَامِيَتَهَا الْحَامِيَةَ ، وَوَقُودِ النَّارِ الْحَامِيَةَ ، وَبَقِيَةِ السَّيْفِ
الْوَافِرَةِ عَلَى الْحَصَادِ النَّامِيَةِ ، قِطْعُ الْغَنَائِمِ الْهَامِيَةِ ، وَأَمْوَاجِ الْبُحُورِ الطَّامِيَةِ ، وَأَسْتَجَنَّتْ
بِظِلَالِ أَبْطَالِ الْحِجَالِ أَعْدَادُ الرِّجَالِ النَّاشِبَةِ وَالرَّامِيَةِ ، وَتَصَدَّى لِلزَّلَالِ ، مِنْ صَنَادِيدِهَا
الضُّهْبِ السَّبَالِ ، أَمْثَالُ الْهَضَابِ الرَّاسِيَةِ ، تَجَنُّهُنَّ السَّوَابِغِ الْكَاسِيَةِ ، وَقَوَامِيسُهَا
الْمُفَادِيَةُ لِلضُّلْبَانِ يَوْمَ بُوسِهَا بِنُفُوسِهَا الْمُوَاسِيَةِ ، وَخَنَازِيرُهَا الَّتِي عَدَّتْهَا عَنْ قَبُولِ
مُحِجِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ سُتُورَ الظُّلَمِ الْغَاشِيَةِ ، وَخُحُورِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ ، فَكَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ
أَمَامَ جَسَرِهَا الَّذِي فَرَّقَ الْبَحْرَ ، وَحَلَى بُلْجِينَهُ وَلَا آى زَيْنَهُ مِنْهَا النَّحْرُ ، حَرْبٌ لَمْ تَنْسَجِ
الْأَزْمَانُ عَلَى مَنَوَالِهَا ، وَلَا أَتَتْ الْأَيَّامُ الْحَبَالِيَّ بِمِثْلِ أَجِنَّةِ أَهْوَالِهَا ، مَنْ قَاسَهَا بِالْفِجَارِ
أَفْكَ وَبَقَرٌ ، أَوْ مِثْلَهَا بِجَفْرِ الْهَبَاءِ خَرَفَ وَهَجَرَ ، وَمَنْ شَبَّهَهَا بِحَرْبِ دَاخِسٍ وَالْعَبْرَاءِ
فَمَا عَرَفَ الْخَبَرَ ، فَلَيْسَ أَلْ مَنْ جَرَّبَ وَخَبَرَ ، وَمَنْ نَظَرَهَا بِيَوْمِ شَعْبِ جَبَلِهِ ، فَهُوَ
دُوبَلُهُ ، أَوْ عَادَلَهَا بِبَطْنِ عَاقِلٍ ، فَغَيْرُ عَاقِلٍ ، أَوْ أَحْتَجَّ بِيَوْمِ ذِي قَارٍ ، فَهُوَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ
ذُو أَفْتِقَارٍ ، أَوْ نَاضَلَ بِيَوْمِ الْكَدِيدِ ، فَسَهْمُهُ [غَيْرُ السَّدِيدِ] ^(١) ، إِنَّمَا كَانَ مَقَامًا غَيْرَ مُعْتَادٍ ،

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

ومرعى نفوس لم يف بوصفه لسان مُرتاد، وزلزال جبال أوتاد، ومثلّف مذخور
لسلطان الشيطان وعتاد، أعلم فيه البطل الباسل، وتورد الأبيض الباتر وتاود الأسمر العاسل،
ودوم الجلمد المتكاسل، وأنبعث من حدب الحنية إلى هدف الرمية الناشر النَّاسِل،
ورويت لمرسلات السهام المراسل، ثم أفضى أمر الرّماح إلى التشاجر والارتباك،
وشبّت الأسنة في الدروع تشب السمك في الشباك، ثم اختلط المرعى بالهمل،
وعزّل الرّديني عن العمل، وعادت السيوف من فوق المفارق تيجانا، بعد أن شقت
عُدّ السوانج حُلجانا، وأتحدت جداول الدروع فصارت بحرا، وكان التعاقب فلا ترى
إلا تحرا يلازم تحرا، عناق وداع، وموقف شمل ذى أنصداع، وإجابة مناد إلى
فراق الأبد وداع، واستكشفت مآل الصبر الأنفس الشّفافه، وهبت بريح النصر
الطلائع المبشرة الهفّافه، ثم أمد السيل ذلك العباب، وصقل الاستبصار الأبواب،
وأستخلص العزم صفوة اللّباب، وقال لسان النصر: أدخلوا عليهم الباب، فأصبحت
طوائف الكفار، حصائد مناجل الشّفار، فمفارقيهم قد رضى حرماتهم بالاعقار،
ورؤوسهم مخطوطة في غير معالم الاستغفار، وعلت الرايات من فوق تلك الأبراج
المستطرفة والأسوار، ورفرف على المدينة جناح البوار، لولا الانتهاء إلى الحد والمقدار،
والوقوف عند اختفاء سرّ المقدار.

ثم عبّنا نهرها، وشددنا بأيدي الله قهرها، وضيقنا حصرها، وأقننا بها أياما
نحوم عقبات البُود على فريستها حياما، وترى الأرواح بيوارها، وتسلط النيران
على أقطارها، فلولا عائق المطر، لحصلنا من فتح ذلك الوطن على الوطر، فرأينا
أن نزوها بالأجثاث والانتساف، ونوالى على زروعها وزروعها كرات رياح
الاعتساف، حتى ينهيا للإسلام لوك طعمتها، ويتهنّا بفضل الله إرث نعمتها،

ثم كانت عن موقفيها الإفاضة من بعد نحر النُحُور ، وقَذِفَ جمار الدَّمَارِ عَلَى الْعَدُوِّ
الْمَدْحُورِ ، وتدافعت خَلْقُنَا السَّابِقَاتِ الْمُسْتَقِلَّاتِ تَدَافَعُ أَمْوَاجُ الْبُحُورِ .

وبعد أن أَلْتَحَنَّا عَلَى جَنَاتِهَا الْمُصْحِرَةِ ، وَكُروِمِهَا الْمُشْتَجِرَةِ ، إلْحَاحَ الْغَرِيمِ ، وَعَوَّضَهَا
الْمَنْظَرَ الْكَرِيمَ مِنَ الْمَنْظَرِ الْكَرِيمِ ، وَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبَّنَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ،
وَأَغْرَيْنَا حِلَاقَ النَّارِ بِجَمِّ الْجَحِيمِ ، وَرَاكِمْنَا فِي أَجْوَافِ أَجْوَاهِهَا غَمَائِمَ الدُّخَانِ ، تُدَكِّرُ
طَيِّبَةَ الْبَانِ ، بِيَوْمِ الْغَمِيمِ ، وَأَرْسَلْنَا رِيَّاحَ الْغَارَاتِ لَا تَذُرُ مِنْ شَيْءٍ آتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ
كَالْزَمِيمِ ، وَأَسْتَقْبَلْنَا الْوَادِيَّ يَهْوِلُ مَدَا ، وَيَرْوِعُ سَيْفُهُ الصَّقِيلُ حَدَا ، فَيَسِّرُهُ اللَّهُ مِنْ
بَعْدِ الْإِلْعَازِ ، وَأَنْطَلَقَتْ عَلَى الْفُرْصَةِ [بتلك الفرصة] ^(١) أَيْدِي الْإِتِهَازِ ، وَسَأَلْنَا مِنْ سَأَلِهِ
أَسَدُ بْنُ الْفَرَاتِ فَأَقْبَى بُرْهَانَ الْجَوَازِ فَعَمَّ الْإِكْتِسَاحُ وَالِاسْتِبَاحُ جَمِيعَ الْأَحْوَازِ ، فَأَدْبَلَ
الْمُصُونِ ، وَأَتَهَبَتِ الْقُرَى وَهَدِمَتِ الْحُصُونِ ، وَاجْتَنَّتِ الْأَصُولُ وَحُطِمَتِ الْغُصُونُ ،
وَلَمْ تَرْفَعْ عَنْهَا إِلَى الْيَوْمِ غَارَةٌ تُصَافِحُهَا بِالْبُوسِ ، وَتُطْلِعُ عَلَيْهَا غُرْرَهَا الضَّاحِكَةَ بِالْيَوْمِ
الْعَبُوسِ ، فَهِيَ الْآنَ جَمْرَى السَّوَابِقِ وَجَمْرَ الْعَوَالِي ، عَلَى التَّوَالِي ، وَالْحَسْرَاتُ تَتَجَدَّدُ
فِي أَطْلَالِهَا الْبَوَالِي ، وَكَأَنَّ بِهَا قَدْ صُرِعَتْ ، وَإِلَى الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ قَدْ أَسْرَعَتْ بِقُدْرَةٍ
مَنْ لَوْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى الْجِبَالِ لَخَشَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتَصَدَّعَتْ ، وَعِزَّةٌ مِنْ أَدْعَنَتِ
الْجَبَابِرَةَ لِعَزَمَ وَخَنَعَتْ ، وَعُدْنَا وَالْبُنُودُ لَا يَعْرِفُ الْلَفَّ تَشْرُهَا ، وَالْوُجُوهُ الْمَجَاهِدَةُ
لَا يَخَالِطُ التَّقْطِيبَ بِشْرُهَا ، وَالْأَيْدِي بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى مُعْتَلِقَةً ، وَالْأَلْسُنُ بِشُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ
مُنْتَطَلِقَةً ، وَالسِّيُوفُ فِي مَضَاجِعِ الْغُمُودِ قَلِقَةً ، وَسِرَابِيلُ الدَّرُوعِ خَلِقَةً ، وَالْجَيَادُ مِنْ
رَدِّهَا إِلَى الْمَرَابِطِ وَالْأَوَارِي رَدَّ الْعَوَارِي حَنِقَةً ، وَبِعِبَرَاتِ الْغَيْظِ الْمَكْظُومِ مَخْنِقَةً ،
تَنْظُرُ إِلَيْنَا نَظَرَ الْعَايِبِ ، وَتَعُودُ مِنْ مِيَادِينِ الْمِرَاحِ وَالْإِخْتِيَالِ تَحْتَ حُلُلِ السَّلَاحِ عَوْدَ

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

الصَّبِيانِ إِلَى الْمَكْتَبِ ؛ وَالطَّبْلُ بِلِسَانِ الْعِزِّ هَادِرٌ ، وَالْعَزْمُ إِلَى مُنَادَى الْعَوْدِ الْحَمِيدِ
مُبَادِرٌ ، وَوَجُودُ نَوْعِ الرِّمَاحِ ، مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكِفَاحِ ، نَادِرٌ ، وَالْقَاسِمُ تَرْتَّبُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
السَّبِي النَّوَادِرِ ، وَوَارِدُ مَنَهْلِ الْأَجُورِ ، غَيْرُ الْحَلَّ وَلَا الْمَهْجُورِ ، صَادِرٌ ، وَمُنَاطِرُ الْفَضْلِ
الْآتِي عَقِبَهُ أَخِيهِ الثَّانِي عَلَى الْمَطْلُوبِ الْمَوَاتِي مُصَادِرٌ ؛ وَاللَّهُ عَلَى تَيْسِيرِ الصَّعَابِ
وَتَحْوِيلِ الْمَظْنِ الرَّغَابِ قَادِرٌ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَمَا أَجَلٌ لَنَا صُنْعُهُ الْخَفَى ! وَأَكْرَمَ بِنَا لُطْفَهُ
الْخَفَى ! اللَّهُمَّ لَا تُخْصِ شَاءَ عَلَيْكَ ، وَلَا نَلْجَأُ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا نَلْتَمِسُ خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِلَّا لَدَيْكَ ، فَأَعِذْ عَلَيْنَا عَوَائِدَ نَصْرِكَ يَا مُبْدِيَّ يَامُعِيدَ ، وَأَعِزَّنَا مِنْ وَسَائِلِ
شُكْرِكَ عَلَى مَا نَتَالِ بِهِ الْمَزِيدَ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا فَعَّالًا لِمَا يُرِيدُ .

وَقَارَنْتُ رِسَالَتَكُمْ الْمِيْمُونَةَ مِنْهُ لَدَيْنَا حَدِيقُ فَتَحَ بَعِيدَ صِيَّتِهِ ، مُشْرَبٌ لِيْتَهُ ، وَغَفَرُ
مِنْ فَوْقِ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ مَبِيْتَهُ ، عَجَبْنَا مِنْ تَأْتِي أَمَلِهِ الشَّارِدِ ، وَقَلْنَا الْبَرَكَةَ فِي قُدُومِ الْوَارِدِ ،
وَهُوَ أَنَّ مَلِكَ النَّصَارَى لَا طَفْنَا بِجَمَلَةٍ مِنَ الْحُصُونِ كَانَتْ مِنْ مَمْلَكَةِ الْإِسْلَامِ
قَدْ غُصِبَتْ ، وَالتَّمَاثِيلُ فِيهَا يُدْبِوَتُ اللَّهُ قَدْ نَصِبَتْ ؛ أَدَاهَا اللَّهُ بِمَحَاوِلَتِنَا الطَّيِّبِ مِنْ
الْخَيْثِ ، وَالتَّوْحِيدِ مِنَ التَّثْلِيثِ ؛ وَعَادَ إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ عَوْدَةَ الْأَبِ الْغَائِبِ ، إِلَى الْبَنَاتِ
الْحَبَائِبِ ؛ يَسْأَلُ عَنْ شُؤْنِهَا ، وَيَمْسَحُ دُمُوعَ الرَّقَّةِ عَنْ جُفُونِهَا ؛ وَهِيَ لِلرُّومِ خُطَّةُ
خَسِيفٍ قَلَمًا أَرْتَكُبُوهَا فِيمَا نَعْلَمُ مِنَ الْعُهُودِ ، وَنَادِرَةً مِنْ نَوَادِرِ الْوُجُودِ ؛ وَالِىَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَعَلَيْكُمْ عَوَارِفَ الْجُودِ ! ، وَجَعَلْنَا فِي مُحَارِبِ الشُّكْرِ مِنَ الرُّكْعِ السُّجُودِ ! .

عَرَّفْنَاكُمْ بِمَجْمَلَاتِ أُمُورٍ تَحْتَهَا تَفْسِيرٌ ، وَيَمْنٌ مِنَ اللَّهِ وَتَيْسِيرٌ ، إِذْ أَسْتَفَاءُ الْحَزَنَاتِ
عَسِيرٌ ، لَنَسْرُكُمْ بِمَا مَنَحَ اللَّهُ دِينَكُمْ ، وَنَتَوَجَّعُ بِعِزِّ الْمَلَّةِ الْحَنِيفَةِ جَبِينَكُمْ ، وَنُخْطَبُ بَعْدَهُ
دَعَاكُمْ وَتَأْمِينَكُمْ ؛ فَإِنَّ دَعَاءَ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بَظَهْرِ الْغَيْبِ سِلَاحٌ مَاضٍ ، وَكَفِيلٌ بِالْمَوَاقِبِ
الْمَسْئُولَةِ مِنَ الْمُنْعِمِ الْوَهَّابِ مِيفَاضٌ ؛ وَأَتَمُّ أَوْلَى مَا سَاهَمَ فِي رِزْقِهِ ، وَعَامِلٌ بِاللَّهِ بِمُخْلُوصِ

سِرٍّ ، وأين يذهب الفضل عن بَيْتِكُمْ ، وهو صفة حَيْكَمٍ وَثَرَاتٍ مَيْتِكُمْ ؛ ولكم مَزِيَّةُ الْقَدَمِ ، ورسوخُ الْقَدَمِ ؛ والخلافةُ مقرُّها إِيوَانُكُمْ ، وأصحابُ الإمامِ مالِكٍ رضى الله عنه مستقرُّها قَيْرَوَانُكُمْ ؛ وهجيرُ المنابرِ ذِكْرُ إِمَامِكُمْ ، والتوحيدُ أعلامُ أعلامِكُمْ ؛ والوقائعُ الشهيرةُ فى الكفر منسوبةٌ إلى أَيَّامِكُمْ ، والصحابةُ الكرامُ فَتَحَ أوطانِكُمْ ، وسُلالةُ الفاروقِ عليه السلامُ وشائجُ سُلْطَانِكُمْ ، ونحن نستكثر من بركة خِطَابِكُمْ ، ووُصْلَةِ جَنَابِكُمْ ، ولولا الأعذار لَوَالَيْنَا بالمتريديات تعريفَ أبوابِكُمْ .

والله عز وجل يتولى عنا من شُكْرِكُم المحتوم ، ماقصّر المكتوب منه عن المكتوم ؛ ويُيقِّمكم لإقامة الرُّسُومِ ، ويُجِلُّ محبَّتِكُمْ من القلوب محلَّ الأرواح من الجُسُومِ ؛ وهو سبحانه يَصِلُ سَعْدُكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدُكُمْ ، ويوالى نِعْمَةَ عِنْدَكُمْ .

والسلامُ الكريمُ ، الطَّيِّبُ البرُّ العميمُ ؛ يَخْصِمُ كثيرا أثيرا ، ما أطلع الصُّبْحُ وجْهَهَا مُنِيرًا ، بعد أن أرسل النسيمَ سَفِيرًا ، وكان الوميضُ الباسمُ ، لأَكْوَاسِ الغنائمِ ، على أزهار الكائِمِ مُدِيرًا ؛ ورحمة الله وبركاته ، إن شاء الله تعالى .

الطرف الثامن

(فى المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العُملِ وأمراء السَّرَايا

فى صدر الإسلام إلى مَنْ فى معناهم)

وكان الغالبُ فى مكاتباتهم الافتتاحُ بأما بعد والتعبيرُ عن المكتوب عنه بلفظ الوحدة ، وخطابُ المكتوب إليه بالكاف .

كما كتب الحجاجُ بنُ يوسف إلى المهلب بن أبي صفرة ، وهو يومئذ نائبٌ عن الحجاج على بعض الأعمال والحروب .

أما بعد، فإنك تترأخى عن الحرب حتى تأتيتك رُسلى ويرجعون بعذرِكَ، وذلك أنك تُمسِك حتى تَبْرأ الجراح وتُنسى القتلى ويَجْم الناس، ولو كنت تَلْقاهم بذلك الحد لكان الداء قد حُسم، والقرن قد قُصم، ولعمري ما أنت والقوم سَوَاء، لأن من ورائك رجالاً، وأمامك أموالاً؛ وليس للقوم إلا ما معهم، ولا يُدرك الوجيف بالديب، ولا الظفر بالتعذير.

وكما كتب المهلب إلى المجاج مجيباً له عن ذلك .

أما بعد، فإننى لم أعطِ رُسلك على قول الحق أجراً، ولم أحتج فيهم مع المشاهدة إلى تلقين . فذكرت أنى أجْم القوم، ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال المغلوب . وذكرت أن فى الجمام تُنسى القتلى وتَبْرأ الجراح، وهيهات أن يُنسى ما بيننا وبينهم، يابى ذلك قتل من لم ينج، وقروح لم تعرق، ونحن والقوم على حالة وهم يَرَقِبُونَ مِنَّا حالات، إن طَمِعُوا حاربوا، وإن مَلُّوا وَقَفُوا، ونَطْلُبُ إِذَا هَرَبُوا، فإن تركتني فالداء بإذن الله محسوم، وإن أعجنتني لم أطعك ولم أعص وجئى إلى بابك، وأنا أعوذ بالله من سَخَطه ومَقَتِ الناس .

الطرف التاسع

(فى المكاتبِ الصادرة عن الملوِك ومن فى معانهم، إلى الملوِك ومن فى معانهم، على ما كان عليه مصطلح أهل المشرق، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(أن تكون المكاتبَةُ عن ملك إلى غير ملك)

ورسمهم أن يفتَح الكتاب بلفظ « كَتَبْنَا إِلَيْكَ فى يوم كذا، ومن مكان كذا، والأمر على كذا وكذا » ويذكر الحال التى عليها المكتوبُ عنه حينئذ أوالتى عليها

الخليفةُ إن كان المكتوب عنه من أتباع الخليفة، أو التي عليها الملك إن كان من أتباع الملك ونحو ذلك ؛ ويكون التعبيرُ في هذه المكتبة عن المكتوب عنه بنون الجمع ، والخطابُ للمكتوب إليه بالكف . ولا يقال في المكتوب إليه في هذه الحالة : سيدي ومولاي ، ولا سيدنا ولا مولانا . وبذلك يكتب عن الملوك ومن في معانهم من سائر الرؤساء إلى المرء وسين .

ثم هو على مرتبتين :

المرتبة الأولى — أن يُراعى جانبُ المكتوب إليه في الرِّفعة بعضُ المِراعاة . كما كتب أبو إسحاق الصَّابي عن صَمصَم الدولة بن عَضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه، إلى الصَّاحب كافي الكُفَّاة إسماعيل بن عَبَّاد وزيرِ نَفر الدولة ، في الشِّفاعة في شخص من بعض أَرْزاه :

كُتِّبْنَا — أدام الله تأييدَ الصَّاحب الجليل كافي الكُفَّاة — وإن وَثَّقْنَا من المسؤولين بالإيجاب والإِجابة ، ومن المأمورين بالامتنال والطاعة ؛ فإنَّا نُحْصِي بِكُتِّبِنَا الصَّادِرة عنا في المآرب العارضة لنا ، من خَصَّتْ من كَلا الفريقيْن نَهَضَتْهُ إِلَيْهَا ، وَظَهَرَتْ مَثَابِرُهُ عَلَيْهَا ؛ وَإِذَا أَتَيْنَا إِلَيْهِ — أدام الله عِزَّهُ — فِي ذَلِكَ عُدِدْنَا مَعَ مَا قَدَّمَ اللَّهُ عِنْدَنَا مِنْ رَتَبَتِهِ فِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى ، وَمُيِّزَنَا مَعَ مَا وَفَّرَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ طَاعَتِهِ عَنِ الطَّبَقَةِ الْأُخْرَى ؛ وَأَنْسَنَا مِنْهُ عَادَةً مُشْكُورَةً فِي أَتْبَاعِ مُحِبِّينَا ، وَالْإِسْعَافِ بِمَطْلُوبِنَا ؛ لَيْسَلَسَ لَنَا إِلَى مُخَاطَبَتِهِ قِيَادٌ يَتَقَاعَسُ عَمَّنْ سِوَاهُ ، وَتَنْبَسِطُ مِنَّا فِي مَكَاتِبَتِهِ أَنْامِلٌ تَتَجَعَّدُ عَنْهُ لَا يَجْرِي جَرَاهُ ؛ وَلَا سِمَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي مَكْرُمَةٍ يَطِيبُ ثَاوُهَا ، وَمَنْقَبَةٍ يُشَادُّ بِنَاوُهَا ؛ وَاللَّهُ يَمْدُّهُ وَيَمْدُنَا فِيهِ مِنْ طِيبِ السَّجَايَا ، وَصَالِحِ الْعَطَايَا ؛ بِمَا هُوَ الْوَلِيُّ بِهِ ، وَالْحَقِيقُ بِالشُّكْرِ عَلَيْهِ .

وكلُّنا هذا - أدام الله عزَّه الصاحب الجليل كافى الكفاة - مبنى على إذكره بحق لنا رعيته ، وذمام من أجله أوجبناه ؛ وذلك أسد لإحكامه وألزم لإيجابه ، وأوكد لأسبابه ؛ وقد عرَّف مكان أبى منصور يزداها دار بن المرزبان من خدمتنا ، وموقعه فى جملتنا ، وتوفَّر حظُّه من جميل رأينا ، وخالص اعتقادنا ؛ ومن أوجه وسائله لدينا ، التى أوجبت له ذلك علينا ، أنا لانزال عده عليه ، من الاعتداد باحسان الصاحب الجليل كافى الكفاة إليه ، وإلى أبىه من قبله ، والاعتراف بأنه أيدته الله أبو عُدرة صنعِه ، والسابق إلى الجذب بضعه ؛ ولن كان أقر له من ذلك معروف لا يُنكر ، ودخل من الثناء عليه فى إجماع لا يُحرق ؛ فقد بين عن نفسه أنه ممن يُطبق حمل المن ، ويحسن مصاحبة النعم ؛ ويستحق أن تُقرَّ عنده أسلافُها ، وتُدَّر عليه أخلافُها ؛ إذ لم يذهله الربوع فيها عن التحيد من اضطرافها وأنصرافها ، ولم يلُهمه التوسط لها عن حيطة أطرافها وأكفافها ؛ ومن لنا اليوم بالشكور الذى لا يَغْمِط ، والذكور الذى لا ينسى ؟ والعليم بما يلزمه ، والقُوم بما يحقُّ عليه . وأعلَّمتنا حال قريبين له يقال لهما الفرکان بن حرزاد ، ورستم بن يزد ؛ وأُنهما تصرفا فى بعض الخدمة تصرفا تزيلا فيه عن نهج السداد ، وسنن الرشاد ؛ وأقتضى ذلك أن طُلِبا بالتقويم والتهديب ، وولجأ مضيق القصاص والتأديب ؛ وأنه قد مضت لهما فيه مدَّة طويلة فى مثلها ما صلح المعاقب ، واكتفى المعاقب ؛ وسؤاله لهما ، ومرادنا له فيهما ، شفاعته الصاحب الجليل كافى الكفاة إلى مولانا الأمير السيد شاهنشاه نخر الدولة فى أن يسعهما العفو ، ويدركهما العطف إما بأستخدام يتطوَّقان به المن ، ويأذن لهما بانصراف إلى الوطن ؛ وقد أستظهرنا بكتاب كتبناه فى أمرهما : هذا الكتاب يشتمل عليه ، حتى إذا وجب أن يجعله الصاحب الجليل كافى الكفاة ذريعة إلى

(١) كذا فى الأصول ولعله أنه لانزال بعد ما عليه من الاعتداد الخ .

الغرض ، ومطيةً إلى المقصد ؛ أمضى في ذلك رأيه ، وعقد عليه تديرة . فإن رأى
الصاحب الجليل أن يتوصل في هذا الأمر إلى ما يُشاكل عادته عندنا في الأمور
الواردة عليه فعل ، وتوثق في الجواب أن يكون متضمنًا لذكر الفعل دون القول ،
والإنجاز دون الوعد ؛ إن شاء الله تعالى .



وكما كتب الصابي عن صمصام الدولة المقدم ذكره ، إلى الصاحب بن عباد أيضا
في حالة أخرى ، بسبب رد إقطاع إلى أبي جعفر محمد بن مسعود قرين كتاب
إلى نخر الدولة

كتابتنا والسلامة لدينا راهنه ، وعادة الله لإقرارها ضامنه ؛ والحمد لله رب العالمين ،
والصاحب الجليل كافي الكفاة - أدام الله تأييده - يعلم أنه لم يزل لمالكنا أفيئ
تقام بها أسواق المكارم ، وتحيا بها سنن المحامد ؛ وقد جعله الله بتفضله الحافظ
لجمال ذلك علينا ، والضارب بسهمه فيه معنا ؛ فالحمد لله على أن قرن الحظوظ التي
حوّلنا ، والمنازل التي نولنا ، بالخلائق الخليفة بها ، الداعية إلى استقرارها ، والطرائق
المطرقة إلى ثباتها واستمرارها ، وأن زان أيماننا هذه الحاضرة ، بآثار الصاحب
كافي الكفاة أدام الله عزه فيها الناصرة ؛ ومسايعه الرشيدة ، وأفعاله المستقيمة ،
وأحاديثه الجميلة ؛ ولأياه نسال أن يُجربنا وكل ناصح على أفضل ما عودنا وأحسن
ما أولاه ومنحنا بقدرته .

وإذا كان مولانا الأمير السيد شاهنشاه نخر الدولة ، وفلك الأمة ؛ بالمحل الذي
أهله الله له : من استعذاب الإحسان إلى أوليائه ، وأقراض الإفضال على نصعائه ؛
وكان الصاحب الجليل بالحال التي هوبها من القيام بما حمل به ^(١) المناب فيه عنه ،

(١) في الاصل « من القيام قد كل له والمناب الخ » وهو تحليط من الناصح .

فقد وجب أن تكون الرعاية لذوى الحرمات مستحكمة الأسباب ، ثابتة الأطناب ، واضحة الأعلام ، ماضية الأحكام ، ولا سيما فيمن تعلق منا بالعناية ، وأخذ من ذمامنا بالوثيقة ، و « أبو جعفر محمد بن مسعود » أيده الله جامع لآلآت ، التي يستحق بها اجتماع العناية ، سالفًا صالحًا في الخدمة ، وسابقة متمكنة في الجملة ، وأشتالًا على كل ما وجبت به الحقوق ، ولزمت به الرعايات . وذكر أنه كانت له بنواحي الجبل تسويغات ومعاش أنعم بها مولانا الأمير السيد نحر الدولة عليه في حال بعد حال ، وشرفه بها في مقام بعد مقام ، منها كذا وكذا ، وإذا جُمع الجميع كان قليلًا في جنب ما يفيضه مولانا الأمير السيد شاهنشاه نحر الدولة ، وفلك الأمة على خدمه : من جليل عوارفه الجارية على يد صاحب الجليل كافي الكفاة أدام الله تأييده ، والواصل إلى مستحقها بلطف توصله ، وجميل معتقده . وكان موقعه جليلًا عند أبي جعفر محمد بن مسعود أيده الله في جنب ما يصلح من شأنه ، ويقيم من جاهه ، ويرب من معاشه ، ويُلم من حاله . وقد كتبنا إلى مولانا في ذلك كتابًا بجملاً قصرناه على الرغبة إليه ، في رد هذه المعاش عليه ، وعولنا على صاحب الجليل في إخراج أمره العالی بذلك له ، وإحكام المناشير والوثائق بجميعه ، والتقدم بمكاتبة العُمال والولاية بتقوية أيدي أصحابه ، في استيفاء ما يجب من الأسلاف والبقايا ، على الأكره والمزارعين ، والوكلاء والمعاملين ، وتأکید الكتب بغاية ما تؤكد به أمثالها ، ويبلغ به أبو جعفر محابة كلهم . فإن رأى صاحب الجليل أن يأتي في ذلك كله ما يجده ويعدّه ويرعاه ويحفظه ، جاريا على المؤلف من مثابرتة على ما عاد علينا وعليه معنا بطيب الذكر والبشر ، وشاء اليوم والغد ، فقد أنفذنا بهذا الكتاب ركائب لنا دلالة على خصوص متضمنه في تعلقه بالاهتمام منا ، فعل إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(أن تكون المكتوبة من ملك إلى ملك)

ورسمهم في ذلك أن يُفتح الكتاب بلفظ : كَتَّابِي والأمر على كذا وكذا، ويُؤتى بالتعبير عن المكتوب عنه في أثناء الكتاب بلفظ الأفراد دون الجمع ، وهنا يفتح شأن المكتوب إليه ، فيعبر عنه بمولاي وسيدى ، ومولانا وسيدنا ، ونحو ذلك .

(١)
ثم هو على مراتب :

المرتبة الأولى

(أن يكون المكتوب إليه ملكاً أيضاً)

فيخطبه على قدر مقامه بالسيادة أو غيرها مع الدعاء بما يناسبه : من طول البقاء ونحوه ؛ ثم تارة يقع التعرض فيها بذكر الطلب ورفق الحال التي هو عليها ، وتارة لا يقع التعرض إلى ذلك - كما كتب أبو إسحاق الصابى عن عز الدولة ، بن معز الدولة ، ابن بويه ، إلى عضد الدولة بن بويه في طلب الصلح ، وقد جرى بينهما اختلاف .

كتّابى - أطال الله بقاء مولانا الملك الجليل المنصور عضد الدولة - من العسكر بظاهر سوق الأهواز ، ومولانا أمير المؤمنين مشمول بالكفاية والتأييد ، مخصوص بالعز والتمكين ؛ يجرى على أفضل ما عود الله خلفاءه في أرضه ، وأجباءه في رعاية خلقه ؛ من التكفل لهم بالإظهار والإداله ، وتوليهم بالإعلاء والإنافة ؛ وأنا مستظل بكنف طاعته ، مستكن في حرم مشايعته ؛ شاكر لله على بلائه ، مثن عليه بآلائه ؛ راغب

(١) لم يذكر في الأصول غير الأولى ويظهر أن التقسيم سهو فان المقسم هو الكتابة من ملك إلى ملك وهو

عين المرتبة الأولى فتأمل .

إليه أن يعصمني في مولانا الملك الجليل المنصور. وفي نفسي من كل مكروه
ومستهمجن، ويوقني وإياه لكل مستحب ومستحسن، ويعيدنا من المقام على
الفرقة، والزوال عن سنن الألفه؛ وهو المحمود رب العالمين .

والحقوق بين مولانا الملك وبينى فيما قررته منا اللحه، وأكده العضمه، وأثله
الأسلاف، ونشأت عليه الأخلاف؛ حقيقة بأن لا تسرع إليها دواعي النقض،
ولا تتكّن منها ملهات النسخ؛ ولا يئم للشيطان عليها ما يحاوله بزفه، ويتوصل إليه
بكيده؛ وأن تتزاح العوارض عنها، وتضمحل دون التأثير فيها؛ وأن نعتد جميعا
أن بتقارضنا رعايتها ثبات النعم المتصلة بها، فلا يستنكف مستنكف منا أن
يخفض جناحه لأخيه، ويفض من حماه في مقاربة ذويه؛ إذ كان ذلك حاميا
له في أهول الأحوال مما هو أشد خفضا، وأبلغ رضا، وأسوأ مغبة، وأنكر عاقبة .

وقد علم مولانا الملك المنصور بالشاقب من تأمله، والصحيح من تمييزه وتدبره؛
أن دولتنا - حرسها الله - مبنية على أسس الترافد والتعاقد، موضوعة على قاعدة التوازر
والتظافر؛ وأن مشيختنا وسادتنا رضوان الله عليهم جعلوا الائتلاف رتاجا بين
الأعداء وبينها؛ ثم إن مفتاحه هو الخلاف المتطرق لهم عليها؛ ولو حدث التنافر
في أيام رياسة أضعفنا منه، وأوهنتا عقدة؛ وأحدثنا سنا، وأقلنا حنكة، لكان ذلك
أقل في التعجب من أن يعرض في رياسة أحصينا رأيا، وأسدنا تدبرا، وأوفانا
حلمنا، وأكملنا حزما . وقد تكررت - أيد الله مولانا - على ذات بيننا قوارص
أحتقرناها حتى آمتلأ الإنا من قطرها، وأستقينا منها على العظيمة التي لا نواء بعدها؛
وما أعود على نفسي بلوم في ابتداء قبيح ابتدأته، ولا بمركب شنيع ركبت ولا حق
أطرحته، ولا استصلاح تركته؛ ولا أدفع مع ذلك أنى قابلت لما تضاعف بالأقل

الأسير، وجازيت لما ترادف بالأدوين الأثرز؛ إلا أنى ما آثرت كثيره ولا قليله، ولا آخرت دقيقه ولا جليله؛ لكنه لم يصلح في السيرة - وقد أشفينا على التراخف للحرب، والتدألف للطعن والضرب - أن أستعمل ما كنت عليه من توفية الحقوق، وإقامة الرسوم، فيراني الأولياء الذين بهم تُحمى البيضة، وتُحاط الخوزة، متناقض الفعلين، متنافي المذهبين؛ وكنت في ذلك الفعل الذميم، والرأي الذي ليس بمستقيم، مقتدياً لا مبتدياً، ومُتبعاً لا مبتدعاً. ولو وقف بي مولانا الملك الجليل قبل أوانحر الجفاء، وعطف معي إلى أول شرائع الصفاء؛ لكانت عريكتي عليه ألين، وطريقه إلى ارتباط طاعتي وولائي أقصد؛ لكنه أيده الله أقام على ما لا يليق به من مجانبتي ومغالطتي، وبثّ الحبال لي ودسّ المكاييد إلى، ومتابعته الجواسيس والكتب إلى الأولياء في عسكرى الذين هم أولياؤه، إن أنصف وعدل، ونصحاؤه، إن أحسن وأجمل.

وكان الأشبه بمولانا لو كنت الغالط عليه، والباعث لهذه الأسباب إليه، أن يسوسنى سياسة الحكيم، ويستخلصنى استخلاص الكريم؛ إذ كنّا لم نقدّمه معشر أهل البيت علينا، ونوّله أزمة أمورنا؛ إلا ليأسو جروحنا، ويخبر كسورنا؛ ويتعهد مسيئتنا، ويستميل نافرنا؛ فأما أن يُحاول منا استباحة الحريم، وإركاب المركب العظيم؛ فكيف يجوز أن تدوم على هذا طاعه، أو تصلح عليه جماعه؛ أو يَغضى عليه مَغض، أو يَصْفَح عنه صاغ؟. وكان من أشدّ هذه الجفوة وأفظعها، وأقساها وأغلظها؛ أن عاد رسولى من حضرته خالياً من جواب بما كتبت إليه، وما أعرف له أيده الله في ذلك عذراً يبسطه، ولا سلك منه السبيل التى تشبهه؛ وبالله جهد القسم ومتناها، وأجلّها وأوفّاها؛ لقد سار مولانا أمير المؤمنين أطل الله بقاءه، وسرّت إلى هذا الموضع، واعتقدنا لا يجاوز حفظ الحدود والأطراف، وحياطة النهايات

والأكناف ؛ والأغلب علينا أن مولانا الملك - أدام الله تأييده - لا يتجاوز معي
 المعاتبة اللطيفة ، والمحاطبة الجميلة ؛ والاستدعاء منى لما يسوغ له أن يطلبه ولى أن
 أبذله ، من تعفية السالف ، وإصلاح المستأنف ، وتوفية للحق فى رتبة لا أضن بها
 عليه ، ولا أستكثر التزول عنها له ؛ وتقرير أصل بيننا يكون أيدى الله به معقلا
 لى وموثلا ، وأكون نائباً له ومظفراً - إلى أن بدأ الأصحاب بالعيث فى هذه البلاد ؛
 وألحوا عليها بالغارات ، وأعتمدوها بالنكيات ؛ وكان هذا كالرشاش الذى يؤذن
 بالانسكاب ، والوميض الذى يوعده بالاضطرار - وأوجبت قبل المقابلة عليه والشروع
 فى مثله فى حق مولانا الملك الجليل ، الذى لا أدع أن أحفظ منه مادعاني إلى
 إضاعته ، وأتمسك بما اضطرني إلى مفارقتة ؛ أن أقدم أمام الالتقاء على الحرب التى
 هى سجال كما يعلم ، إبلاغ نفسى عذرها وإعطاء المقادة منها ؛ داعيا له إلى طاعة الخالق
 والإمام ، وصلة ألحم والأرحام ؛ وحقق الدماء والمهج ، وتسكين الدهماء والرج ؛
 وثنى العنان عن الموزد الذى لا يذرى وارده كيف يصدر عنه ، ولا يثق بالسلامة منه ؛
 وتعريفى ما يريد منى لأتبعه ما لم يكن ثاملى ، وعائدا بالوهن على ؛ والله الشاهد
 على شهادة قد علم إخلاصى فيها ، وسماحة ضميرى بها ؛ وأنى أكره أن أنال منه ،
 كما أكره أن ينال منى ؛ وأتألم من أن أظهر عليه ، كما أتألم أن يظهر على ، وأحب أن
 يرجع غنى وأرجع عنه ؛ وقد آلتقت قلوبنا ، وتآلف على الجميل شملنا ؛ وطرفت أعين
 الأعداى عنا ، وأنحسمت مطامعهم فينا ؛ فإن فعل ذلك فحقيق به الفضل ، وهو لعمر
 الله له أهل ؛ ولا عذره فى أن لا يفعله ، وقد وسع الله ماله ، ووفر حاله ، وأغناه
 عما يلتمسه الصعلوك ، ويحاطرله السبوت ؛ وجعله فى جانب الغنى والثروة ،
 والحزم والحيلة ؛ وإن أبى فكأنى هذا حجة عند الله الذى تسترل منه المعونة وعند
 الناس الذين تلتمس منهم العصبية ؛ وقد أنفذت به إسفندار بن خسرويه وإبراهيم

أَبْنِ كَالِي ، وَهَمَا تَقَتَايَ وَأَمِينَايَ ، لِيُؤَدِّيَاهُ وَيُسَاهِفَاهَا عَنِّي بِمِثْلِ مَتَضَمَّنِهِ وَتَجَوَاهُ ،
وَاللَّهُ يُعِيدُنَا فِي مَوْلَانَا الْمَلِكِ الْجَلِيلِ مَنْ أَنْ يَخْتَارَ إِلَّا أَوْلَى الْأُمَرَاءِ وَأَلْيَقَهُمَا بِدِينِهِ
وَمُرُوءَتِهِ ، وَهُوَ وَلِيُّ مَا يَرَاهُ فِي الْأَمْرِ بِتَعْجِيلِ الْإِجَابَةِ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ ، وَأَتَهَيَّ
بِالتَّيْدِيرِ إِلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثالث

(أَنْ تَكُونَ الْمَكْتُبَةُ عَمَّنْ دُونِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ)

وَرَسْمُهُمْ فِيهِ أَنْ يُتَبَدَأَ بِلَفْظِ كِتَابِي ، وَالدَّعَاءُ لِلْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ بِطُولِ الْبَقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ،
وَيَخَاطَبُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ بِمَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، وَفِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ بِالسَّيِّدِ
وَالْمَلِكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَيَعْبَرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ :

كَمَا كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الْأَمِيرِ نَصْرُخُوذَه فَيُوزَنْ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى
أَبْنِ عَمِّهِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ يَذْكُرْ لَهُ حَالَهُ مَعَ أَخِيهِ صَمَّصَامِ الدَّوْلَةِ .

كِتَابِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَزَيْنَ الْمِلَّةِ ،
وَالسَّلَامَةَ لِي شَامِلَةً بِمَا مَدَّه اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ مِنْ ظِلِّهِ الظَّلِيلِ ، وَرَأْيِهِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ؛
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَقَدْ تَأَدَّى إِلَى مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ مِنْ أَخْبَارِي مَا أَسْتَغْنِي بِهِ
عَنْ تَطْوِيلِ الْمَقْصَلِ ، وَأَكْتَفِي بِهِ عَنْ إِحْمَالِ الْمُجْمَلِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَسْفَارَ بَنِ كَرْدِيهِ
وَعَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ بَرْسَفِ الْكَافِرِينَ لَنَعَاءِ اللَّهِ وَنِعْمَةِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَبِينَا
رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ قَبْلَنَا ، الْغَامِطِينَ لِمَا تَظَاهَرَ عَلَيْهِمَا مِنْ إِحْسَانَاتِنَا وَإِفْضَالِنَا ؛ هَجَمًا عَلَيْنَا
يُحْدِثُ تَظَافَرًا عَلَيْهِمَا ، وَشُبْهَةً جَذْبَانِي إِلَيْهَا ؛ وَأَبْرَمًا كَذِبًا مِنَ الْقَوْلِ لَمْ أَظْهَرْهُمَا يُقَدِّمَانِ

على مثله ، ولا يتقوّهان بإطلاّبه ؛ فأصغيتُ إليهما إصغاءً واثقٍ بهما لا المنخدع لهما ؛
فلما أنزلاني على حُكُمهما ، وأوثقاني بحيث لا أستطيع مخالفتَهما ؛ ظهرتِ الحيلة ،
ووضّحتِ الغيلة ؛ وفاتنى الاختبار ، وغلبنى المقدار ؛ فخرى ما كانت عاقبته خذلان الله
إيَّاهما ، وإنزاله بأسه ونقمته عليهما ؛ وخلاصى بسلامة الصدر ، واتضح الغدر ،
من حباثلهما المنصوبه ، وأشراكهما المبتوثة . ولما حصلتُ فى كنف الملك السيد
صمصام الدولة أقالني العثره ، وقيل مني المَعْدِرَه ؛ وأحلّني من دراه وحمّاه بحيث
لم أعدم عاده ، ولا أنقطع عنى مادّه ؛ وكانت الحال تُوجب مُقامي فيها إلى أن
تُعفى آثارُ الفتنة التي أثارها ذانكما الخبيثان الجانيان .

ثم ورد فلان فى الرسالة ، وتَمَّ الله على يده عقد الصلح والمسالمة ؛ فأخرجتُ
عن الاحتجاب إلى الظهور ، وعن الاحتجار إلى البروز ؛ وأنزلتُ من الدار المعمورة
فى جانب يصل إلى منه سبب وصوله على العموم دون الخصوص ، وعاملنى الملكُ
السيد صمصام الدولة بما يليق بفضله متبعا فى ذلك مقاطعة السيف بينه وبينى ؛
وطاعة مولانا الملك السيد الأجل شرف الدولة فى أمرى ، وجَدَدَ عندى من الإنعام
والتوسعة والإيثار والتكرمة آخرا ماشق تلك الشفقة أولا ؛ ولقيني فلان دَفَعَات ،
وشافهني مرّات ؛ وتمجّل عنى إلى مولانا الملك موالاى الشكر كثيرا ، وأعتدّادًا
طويلا عريضا ؛ ودعاء الله يُسمع مرفوعه ، ويُجيب مسموعه ؛ بمنه وقدرته ؛
وحوله وقوّته .

والآن إذ قد جمع الله الكلمه ، ووَكَّدَ الألفه وحرس النعمه ؛ وحصّن الدولة
وأخرج عنها مَنْ كان يشبُّ الفتنة ، ويُسدّى ويُنير فى الفُرقة ؛ فإنّى واثقٌ بالله جل
وعز وبما ترقى الحال إليه فى غاية محبوبي ، ونهاية مطلوبي ؛ وأقاصى ماتبلغه

أُمْنِيَّتِي ، وَتَسْمُو إِلَيْهِ هِمَّتِي ، وَتَقْتَضِيهِ أُخُوَّتِي وَعِصْمَتِي ؛ وَلِلَّهِ الْمَشِيئَةُ ، وَمِنْهُ الْمَعُونَةُ ؛
 فَإِنْ رَأَى مَوْلَانَا الْمَلِكُ السَّيِّدُ أَنْ يَسْكُنَ إِلَى سُكُونِي ، وَيَطْمَئِنَّ إِلَى طُمَأْنِينَتِي ،
 وَيُجِرِّيَ إِلَيَّ غَايَةَ فَضْلِهِ وَطَوْلَهُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي أَحْسَنَ فِيهِ وَأَجْمَلَ : لِيَشْمَلَنَا إِنْعَامُهُ ،
 وَيَتَظَاهَرَ عَلَيْنَا أَمْتِنَانُهُ ؛ وَأَسْتَوْفِيَ بَقِيَّةَ حَقِّي مِنْ ثَمَرَةِ ذَلِكَ وَعَائِدَتِهِ ، وَجَدُّوَاهُ
 وَفَائِدَتِهِ ؛ وَيَأْمُرَ بِتَشْرِيفِي بِكَتَابِهِ ، وَتَأْهِيلِي بِجَلِيلِ خِطَابِهِ ؛ وَتَصْرِيفِي بَيْنَ أَمْرِهِ
 وَنَهْيِهِ ، فَعَلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تم الجزء السادس . يتلوه إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى الجزء السابع

رَأَوَاهُ الطَّرْفُ الْعَاشِرُ

(فِي الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنْ مَلُوكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ)

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَتَابِعِينَ وَسَلَامُهُ

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

”استدراك لمافات“

نُبه في صفحة (٥٤) من الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى هذا على بعض كلمات مطموسة بالخبر لم نهند إليها عند طبع ذلك الجزء . أما وقد عُثر الآن في بعض المكتبات الأهلية على أصل لذلك الجزء فرؤى تكميلاً للفائدة إثبات المطموس هنا ليصلحه القارئ في مواضعه إن أراد . وتسهيلاً لمعرفة مواضع البياض من أول نظرة قد نقلت الصفحة بتمامها وجعل ما كان ساقطاً لطمسه بين قوسين هكذا () . وهي :

يجهز بریدی بطلب هذه الأقلام من ولّاة الوجه القبليّ ، ويؤتّى بها فتحفظ عند كاتب السرّ ويبرى منها ما يحتاج إليه (في كتابة السلطان و) يوضع في دواته بقدر الحاجة . قال في ”منهاج الإصابة“ : ولا بدّ فيه (من ثلاثة شقوق أو أكثر) بقدر ما يحتاج إليه في حجّ القلم الخبر في القرطاس .

وأعلم أن للكُتّاب فيه طريقتين — إحداهما طريقة الثُلث ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى (التقوير — و) الثانية طريقة المحقّق ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى (البسط دون التقوير وسأيت إيضاح الطور) يكتين وكيفية (تشكيل حروفهما فيما بعد إن شاء الله تعالى) .

وقد ذكر السُّرمرّيّ في أرجوزته اختصّاص قلم الطومار بأمور : أحدها أن مستداراته كلها تكون بوجه القلم ، والمدّات بسنّه ، والتعاريق بوجهه منفثاً فيها على اليمين — الثاني أن الميم منه تكون مفتوحة مدوّرة (والفاء والقاف فيه (أوساطها محدّدة وجنباها) مدوّرة — الثالث (أن يكون البياض بين الأحرف كمثلته بين السطور) — الرابع أن يكون (الفضل من جانبي القرطاس متساوياً في المقدار — الخامس أن لا يكون) فيه صاد مدوّرة (ولا) كاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآثاريّ في ألفيته (أنه يدخل) فيه الترويس في الألف ، والباء ، والجيم ، والدال (والراء ، والطاء ، والكاف المجموعة) واللام والنون في الأفراد والتركيب عند الابتداء وأنه (لا يجوز فيه) الطمس في شيء من عُقده كالصاد ، والطاء ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف المحققة بحال ، والمعنى فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .

فهرس

الجزء السادس

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- المهييع الثانى — فى ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كتاب الزمان
 • وبيان معانيها؛ وهى نوعان ٥
- النوع الأول — الألقاب الإسلامية؛ وهى صنفان ٥
- الصنف الأول — المذكرة؛ وهى ضربان ٥
- الضرب الأول — الألقاب المفردة المختصة فى اصطلاح الكتاب باسم
 الألقاب ٥
- » الثانى — المركبة المعبر عنها فى اصطلاح الكتاب بالنعوت ... ٣٥
- الصنف الثانى — (وكتب خطأ الضرب الثانى) من الألقاب المفردة المؤنثة ٧٥
- » — (لعل الصواب النوع الثانى كما نبه عليه) من الألقاب المفردة
 على الأصول ألقاب من يكتب إليه من أهل
 الكفر ... وهى على ضربين ... ٧٨
- الضرب الأول — الألقاب المذكرة؛ وهى نمطان ... ٧٩
- النمط الأول — المفردة ... ٧٩
- » الثانى — الألقاب المركبة ... ٨٣
- الضرب الثانى — من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة ... ٩٥
- الجملة السابعة — فى تفاوت الألقاب فى المراتب؛ وهى قسمان ... ٩٧
- القسم الأول — ما يقع التفاوت فيه فى الصعود والهبوط؛ وهو نوعان ٩٧
- النوع الأول — « » « بحسب القلة والكثرة ... ٩٧
- » الثانى — ما يقع فيه التفاوت فى العلو والهبوط بحسب ما يقتضيه
 جوهر اللفظ أو ما وقع الاصطلاح عليه؛ وهو صنفان ٩٨

صفحة

- الصف الأول — الألقاب المفردة؛ وهى على أربعة أنماط ... ٩٨
- النمط الأول — التتابع ... ٩٨
- » الثانى — ما يقع التفاوت فيه بحسب لحوق ياء النسب
- وتجزئه منها ... ٩٩
- » الثالث — ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة غير ياء النسب ... ١٠١
- » الرابع — » فيه التفاوت بحسب ما فى ذلك اللقب من
- أقتضاء التشريف لعلو متعلقه ورفعته ... ١٠١
- الصف الثانى — الألقاب المركبة؛ وهى على ضربين ... ١٠٢
- الضرب الأول — ما يترتب بعضه على بعض لقباً بعد لقب؛ وله اعتباران ١٠٢
- الاعتبار الأول — أن يشترك فى رعاية الترتيب أرباب السيوف والأقلام
- وغيرهم؛ وهو على ثلاثة أنماط (صوابه أربعة) ... ١٠٢
- النمط الأول — ما يضاف إلى الإسلام ... ١٠٢
- » الثانى — » إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ... ١٠٥
- » الثالث — » إلى الملوك والسلطين ... ١٠٦
- » الرابع — » لأمير المؤمنين ... ١٠٨
- الاعتبار الثانى — أن يختص الترتيب فى الألقاب بنوع من المكتوب
- له؛ وهو أربعة أنماط ... ١٠٩
- النمط الأول — ما يختص بأرباب السيوف ... ١٠٩
- » الثانى — » بالوزراء ومن فى معناهم ... ١١١
- » الثالث — » بالقضاة والعلماء ... ١١١
- » الرابع — » بالصلحاء ... ١١٢

صفحة

- القسم الثانى — مما متفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه
 بالتقديم والتأخير؛ وهو نوعان ١١٥
- النوع الأول — الألقاب المفردة ؛ وهى على ستة أنماط ١١٥
- النمط الأول — « التى تلى الألقاب الأصول ١١٥
- » الثانى — ما يلى العالى أو السامى من الألقاب ١١٦
- » الثالث — ما يلى لقب الوظيفة ١١٧
- » الرابع — ما يقع قبل لقب التعريف ١١٧
- » الخامس — « فصلا بين الألقاب المفردة والمركبة ١١٨
- » السادس — ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب
 المفردة ١١٨
- النوع الثانى — مما متفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير
 الألقاب المركبة ؛ وهى على ثلاثة أنماط ١١٩
- النمط الأول — ما يلى لقب التعريف ١١٩
- » الثانى — ما يقع فى آخر الألقاب المركبة ١١٩
- » الثالث — ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها ١٢٠
- الجملة الثامنة — فى بيان محل اللقب المضاف إلى الملك ولقب
 التعريف الخاص به ١٢٠
- » التاسعة — فى ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
 على قدر طبقاتها ؛ وهى قسمان ١٢١

صفحة	
القسم الأول - الألقاب الإسلامية	١٢١
الضرب الأول - « المتعلقة بالخلافة وما يلتحق بها ؛ وهي	
ثلاثة أنواع	١٢٢
النوع الأول - ألقاب الخلفاء	١٢٢
» الثانى - « ولاية العهد بالخلافة	١٢٣
» الثالث - « إمام الزيدية باليمن	١٢٣
الضرب الثانى - الألقاب المملوكية ؛ وهي نوعان	١٢٣
النوع الأول - « التى أصطلح عليها للسلطان بالديار المصرية	١٢٣
» الثانى - « التى يكتب بها عن السلطان لغيره من المملوك ؛	
وهى على ثلاثة أصناف	١٢٥
الصف الأول - ألقاب ولاية العهد بالسلطنة	١٢٥
» الثانى - « المملوك المستقلين بصغار البلدان	١٢٥
» الثالث - « المكتوب إليهم من المملوك عن الأبواب	
السلطانية ؛ وهى نمطان	١٢٦
النمط الأول - ما يصدر بالألقاب المذكورة	١٢٦
» الثانى - « » المؤنثة	١٢٩
الضرب الثالث - من الألقاب الإسلامية، الألقاب العامة لسائر	
الطوائف ؛ وهى ثمانية أنواع	١٣٠
النوع الأول - ألقاب أرباب السيوف من أهل المملكة وغيرهم	١٣٠
» الثانى - من الألقاب الإسلامية الألقاب الديوانية	١٤٦

صفحة

- النوع الثالث — من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف الدينية ... ١٥٤
- » الرابع — من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح ... ١٦١
- » الخامس — ألقاب التجار الخواجكية ... ١٦٥
- » السادس — من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الصناعات الرئيسية كرياسة الطب ... ١٦٨
- » السابع — من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ... ١٧٠
- » الثامن — » » » النساء ... ١٧١
- القسم الثانى — » المرتبة » أهل الكفر؛ وهى على ثلاثة أضرب ... ١٧٣
- الضرب الأول — ألقاب متديتهم؛ وهى نوعان ... ١٧٣
- النوع الأول — » بطارقة النصارى ... ١٧٣
- » الثانى — » رؤساء اليهود ... ١٧٤
- الضرب الثانى — ألقاب ملوكهم وتختص بالنصارى؛ وهى نمطان ... ١٧٤
- النمط الاول — الألقاب المذكرة ... ١٧٤
- » الثانى — » المؤنثة ... ١٧٩
- الضرب الثالث — ألقاب تواب ملوكهم وكناصلتهم؛ وهى على نوعين ... ١٨٠
- النوع الأول — » التواب ... ١٨٠
- » الثانى — » الكناصلة ... ١٨٠

صفحة

- الجملة العاشرة — في ذكر ألقاب تقع على أشياء منفردة قد جرت
في عرف الكتاب؛ وهى على ضربين ١٨٣
- الضرب الأول — فيما يجرى من ذلك مجرى التفاؤل، ويختلف باختلاف
الأحوال والوقائع ويتنوع إلى أنواع ١٨٣
- » الثانى — ما يجرى من ذلك مجرى التشريف، ويختلف أيضا
باختلاف الأحوال، ويتنوع أنواعا ١٨٦
- الباب الثانى — من المقالة الثالثة فى مقادير قطع الورق وما يناسب
كل مقدار منها من الأعلام؛ وفيه فصلان ١٨٩
- الفصل الأول — فى مقادير قطع الورق؛ وفيه طرفان ١٨٩
- الطرف الأول — « « « فى الزمن القديم ١٨٩
- » الثانى — فى بيان مقادير قطع الورق المستعمل فى زماننا
(زمن المؤلف) ؛ وفيه ثلاث جمل ١٩٠
- الجملة الأولى — فى مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب
السلطانية بالديار المصرية ١٩٠
- » الثانية — فى مقادير الورق المستعملة بدواوين الإنشاء
بالممالك الشامية ١٩٢
- » الثالثة — فى مقادير قطع الورق الذى تجرى فيه مكاتبات
أعيان الدولة ١٩٣
- الفصل الثانى — من الباب الثانى من المقالة الثالثة فى بيان ما يناسب
كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر
من الأعلام الخ؛ وفيه طرفان ١٩٤

صفحة

- الطرف الأول — فيما يناسب كل مقدار منها من الأقسام ... ١٩٤
- » الثاني — في مقادير البياض الواقع في أول الدرج وحاشيته وبعده
- مايين السطور في الكتابة ... ١٩٥
- الباب الثالث — من المقالة الثالثة في بيان المستندات وكتابة الملخصات
- وكيفية التعيين؛ وفيه فصلان ... ١٩٧
- الفصل الأول — في بيان المستندات : وهي التوقيع على القصص
- وما يجري مجراها؛ وهو على ضربين ... ١٩٧
- الضرب الأول — السلطانيات؛ وهي صنفان ... ١٩٧
- الصنف الأول — ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء ... ١٩٧
- » الثاني — ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء ... ١٩٩
- الضرب الثاني — ما يتعلق بالكتب في المظالم؛ والنظر فيه من وجهين ٢٠٢
- الوجه الأول — فيما يتعلق بالقصاص ... ٢٠٢
- » الثاني — فيما يتعلق بالنظر في المظالم وما يكتب على القصص؛
- ... وهو ستة أنواع ... ٢٠٤
- النوع الأول — ما يرفع إلى السلطان في آحاد الأيام ... ٢٠٦
- » الثاني — ما يرفع لصاحب ديوان الإنشاء ... ٢٠٦
- » الثالث — ما يرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان
- للحكم في المواكب ... ٢٠٧
- » الرابع — ما يرفع منها للنائب الكافل إذا كان ثم نائب ... ٢٠٨
- » الخامس — ما يرفع من القصص إلى الأتابك إذا كان في الدولة
- أتابك عسكر وهو الأمير الكبير ... ٢٠٨
- » السادس — ما يرفع منها للدوادار ... ٢٠٩

صفحة

الفصل الثانى - فى التعين وكيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على

الرقاع والقصص ٢١٠

الطرف الثانى - فى كتابة الملخصات والإجابة عنها ٢١٢

الباب الرابع - من المقالة الثالثة فى الفواتح والخواتم والواحق ؛

وفيه فصلان ٢١٧

الفصل الأول - فى الفواتح ؛ وفيه ستة أطراف ٢١٧

الطرف الأول - فى البسملة ٢١٧

» الثانى - فى الحمدلة ٢٢٤

» الثالث - فى التشهد فى الخطب ٢٢٦

» الرابع - فى الصلاة والسلام على النى صلى الله عليه وسلم

وعلى آله وصحبه فى أوائل الكتب ٢٢٧

» الخامس - فى السلام فى أول الكتب ٢٢٩

» السادس - فى أما بعد ٢٣١

الفصل الثانى - فى الخواتم والواحق ؛ وفيه سبعة أطراف ٢٣٢

الطرف الأول - فى الاستثناء بالمشيئة بأن يكتب إن شاء الله تعالى ... ٢٣٢

» الثانى - فى التاريخ ٢٣٤

» الثالث - فى المستندات ٢٦٢

» الرابع - فى الحمدلة فى آخر الكتاب ٢٦٥

» الخامس - فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى آخر الكتاب

وما يلتحق بذلك ٢٦٧

صفحة
الطرف السادس - في الحسبة في آخر الكتاب ٢٦٩
» السابع - في اللواحق ٢٧١

المقالة الرابعة

في المكاتبات ؛ وفيها بابان ٢٧٤
الباب الأول - في أمور كلية في المكاتبات ؛ وفيه فصلان ٢٧٤
الفصل الأول - في مقدمات المكاتبات ؛ وفيه ثلاثة أطراف ٢٧٤
الطرف الأول - في أصول يعتمدها الكتاب في المكاتبات ٢٧٤
» الثاني - في بيان مقادير المكاتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز ٣١٥
» الثالث - في أمور تختص بالأجوبة ٣٢٣
الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الرابعة ، في ذكر أصول
المكاتبات وترتيبها وبيان لواحقها ولوازمها ؛ وفيه طرفان ٣٢٧
الطرف الأول - في ذكر أصولها وترتيبها ٣٢٧
» الثاني - في ذكر لواحق المكاتبات ولوازمها ٣٤٥
الباب الثاني - من المقالة الرابعة ، في مصطلحات المكاتبات الدائرة
بين كتاب أهل الشرق والغرب والديار المصرية في كل
زمن من صدر الإسلام إلى زمننا (زمن المؤلف) ؛
وفيه ستة فصول ٣٦٥
الفصل الأول - في الكتب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛
وفيه ثلاثة أطراف ٣٦٥
الطرف الأول - في ذكر ترتيب كتبه صلى الله عليه وسلم في الرسائل
على سبيل الإجمال ٣٦٥

صفحة

الطرف الثانى — فى كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ... ٣٦٧

» الثالث — » » » » الكفر للدعاية

إلى الإسلام ... ٣٧٦

الفصل الثانى — من الباب الثانى من المقالة الرابعة فى الكتب الصادرة

عن الخلفاء ؛ رهى على قسمين ... ٣٨٣

القسم الأول — المكتبات إلى أهل الإسلام ؛ وفيه تسعة [عشرة]

أطراف ... ٣٨٣

الطرف الأول — فى الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة

رضى الله عنهم ... ٣٨٣

» الثانى — فى الكتب الصادرة عن خلفاء بنى أمية ... ٣٨٩

» الثالث — » » » بنى العباس ببغداد ،

وولاة العهد بالخلافة ؛ وفيه ثلاث جمل ... ٣٩٢

الجملة الأولى — فى بيان ترتيب كتبهم فى الرسائل على سبيل الإجمال ٣٩٢

» الثانية — فى الكتب العامة ... ٣٩٥

» الثالثة — فى الكتب الخاصة مما يصدر عن الخلفاء ... ٤١٥

الطرف الرابع — فى الكتب الصادرة عن خلفاء بنى العباس فى الديار

المصرية بعد مصير الخلافة إليها ... ٤٢١

» الخامس — فى الكتب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار

المصرية ... ٤٣٢

» السادس — فى الكتب الصادرة عن خلفاء بنى أمية بالأندلس ٤٤٣

صفحة

الطرف السابع — في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين ... ٤٤٣

» الثامن — في الأجوبة ... ٤٤٧

» التاسع — في الكتب الصادرة عن ولاية العهد بالخلافة ... ٤٥٦

» العاشر — من المكاتبات عن الخلفاء : المكاتبات إلى أهل الكفر ٤٥٧

الفصل الثالث — من الباب الثاني من المقالة الرابعة في المكاتبات

الصادرة عن الملوك ومن في معناهم مما الجارى عليه

الحال ؛ وهو على قسمين ... ٤٦٤

القسم الأول — المكاتبات الصادرة عن الملوك إلى أهل الإسلام ؛

وفيه أطراف ... ٤٦٤

الطرف الأول — في مكاتبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... ٤٦٤

» الثانى — في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء

السرايا إلى الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ... ٤٧٧

» الثالث — في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء

السرايا أيضا إلى خلفاء بنى أمية ... ٤٧٨

» الرابع — في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم

إلى خلفاء بنى العباس ... ٤٨٠

» الخامس — في المكاتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار

المصرية ... ٥٢١

» السادس — في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم

إلى خلفاء بنى أمية بالأندلس ... ٥٢٤

» السابع — في المكاتبة الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب ٥٢٦

صفحة

الطرف الثامن — في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمراء

السرايا في صدر الإسلام إلى من في معنهم ... ٥٥٨

» التاسع — في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معنهم

إلى الملوك ومن في معنهم على ما كان عليه مصطلح

أهل المشرق ... ٥٥٩

(تم فهرس الجزء السادس من كتاب صبح الأعشى)